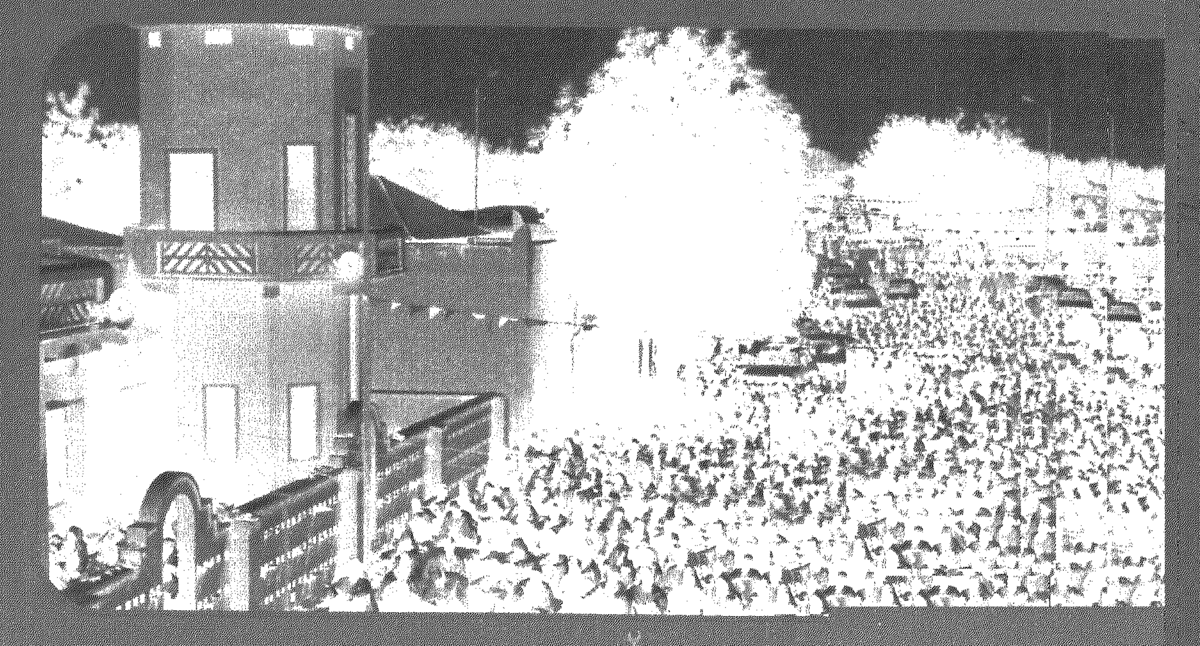


قضايا وتحديات

حامد عثمان






المسلمون في العالم

الطبعة الأولى

شعبان 1399 من وفاة الرسول ﷺ

شهر الربيع «مارس» 1990 م

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية ببنغازي

الجماهيرية العظمى

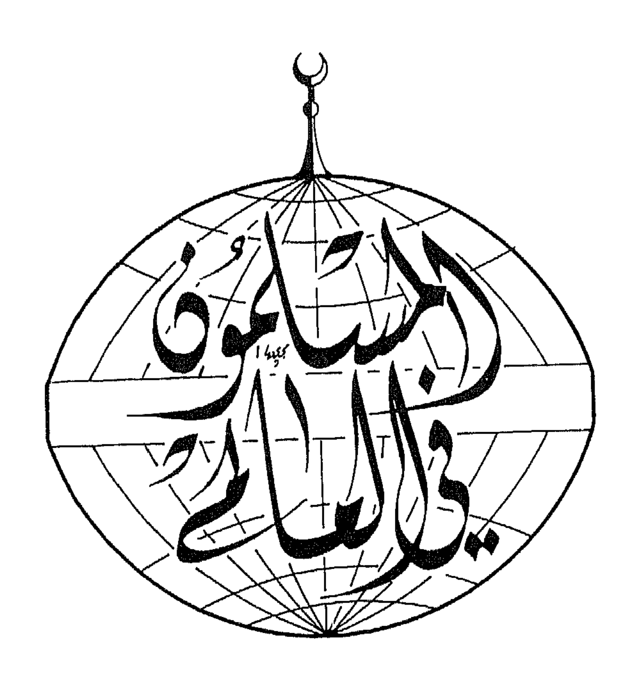
725

تنفيذ و إنجاز

P.O Box: 03 Paola, Tel: 773201/4, Telex N°: 1387 IQRA M.
W, Fax: 00356/800531, MALTA.

تَمَّ الجمع المرئي في وحدة الجمع المرئي

بدار اقرأ ـ مالطا



قضايا وتحديات

الجزء الأول

حامد عثمان

منشورات



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا الكتاب ، محاولة لتسليط الأضواء على قضايا المسلمين وأبعادها التاريخية والجغرافية والسياسية في مختلف قارات العالم ، وما يواجهونه من تحديات ومخاطر . وما يحاك ضدهم من مؤامرات ودسائس ، تهدد حضارتهم ومستقبل وجودهم على وجه الأرض ..

فتسليط الأضواء على مكامن الداء لا بقصد تسويد الصفحات ، وإنما لكشف الحقائق أمام أمتنا الإسلامية لتعد العدة لمواجهة هذه التحديات والمخاطر بمسؤولية وتوحد ، لفك الهيمنة الاستعمارية المباشرة وغير المباشرة ، وإزاحة الإرث المثقل الذي خلفه الاستعمار ، من حدود مصطنعة ، وتلوث فكري ، وتبعية اقتصادية ، وهيمنة مادية على جميع أوجه الحياة ، وبناء النموذج الإسلامي الحضاري المعاصر الذي يكمن فيه خلاص البشرية بكاملها .

بين دفتي هذا الكتاب يحلق القارىء بين قارات العالم ويعبر محيطاته وأنهاره ، ويصل إلى جزره وخلجانه ، ليقف على مشاهد كثيرة ومختلفة لأحوال المسلمين وواقعهم ، الذي يدين صراحة حضارة العصر ، بما أفرزته من نظم تمارس الدكتاتورية والهيمنة والعنصرية باسم الحضارة (الزائفة) . .

أقليات إسلامية هنا وهناك ، تعيش ظروفًا اجتماعية غاية في التعقيد والبؤس ، وأوضاعًا سياسية ظالمة متحيزة ، ومآسيَ اجتماعية مفروضة بالقوة تقطر حقدًا وعنصرية . . تنتهك فيها الحرمات ، وتهدم المساجد والمدارس والمساكن ، ويمنع مجرد أداء الشعائر الدينية ، وتفرض عمليات مسخ الهوية الإسلامية الثقافية والحضارية بقوة السلاح وباستخدام ألوان شتى من التنكيل بلغت حدّ مصادرة الأسماء الإسلامية وفرض أسماء أخرى بديلاً عنها .

بل سيقف القارىء بكثير من المرارة على (أكثريات مسلمة) نُصِّبت عليها قهرًا وقسرًا (أقليات) مرتبطة بقوى استعمارية عظمى ، تتحكم في الرقاب ، وتسوم هذه

الأكثريات سوء العذاب ، وتسيطر على مقاليد الأمور ومقدرات البلاد ، وتعيش ترفًا فاحشًا واستبدادًا ، بينما المسلمون يكافحون للحصول على ما يسدُّ الرمق .

ودول إسلامية كبرى تغطي ساحاتها بعثات التبشير ، يقف وراءها مجلس الكنائس العالمي ، والدول الغربية الاستعمارية بإمكاناتها الهائلة ووسائلها المتطورة . . اعتمادات بمليارات الدولارات ، وأساطيل بحرية ، ومطارات ـ نعم مطارات ـ معدة خصيصًا لخدمة التبشير ، تستغل ظروف المسلمين البائسة المعدمة ، بوسائل تتعارض مع آدمية الإنسان . . . وفق برامج زمنية مجدولة تستهدف تحويل الشعوب الإسلامية الأكثر كثافة عن دينها . . .

وغير ذلك من محاولات القوى الاستعمارية تمزيق الجسد الإسلامي الواحد . بقتل روح الجماعة عبر إثارة العصبيات والفتن الطائفية والنزاعات القبلية ، وزعزعة العقيدة الدينية بتشويه الرسالة الإسلامية الحضارية وتحريف قيمها ، ووأد لغة القرآن الكريم في أوساط الشعوب الإسلامية من خلال المحاولات المتكررة لكتابتها بالحروف اللاتينية مرة ، واستبدالها بالعامية مرة أخرى ، والتخطيط للجهل بها في نهاية المطاف ، وعرقلة النمو الثقافي باحتكار العلم والمعرفة ووسائل الإعلام ، و إفساد العقول بترويج المسكرات والمخدرات ، وتدمير الاقتصاد بنهب الثروات ، واستنزاف الموارد ، وضرب الحصار الاقتصادي ، ثم فرض النموذج الاقتصادي الاستعماري الذي يقود ليس إلى هلاك العالم الثالث ، أو عالمنا الإسلامي فقط ، بل هلاك سكان كوكب الأرض بسبب ما يفرزه من تفاوتات متزايدة ، وتكدس لرؤوس الأموال ، واحتكارات لوسائل الإنتاج لدى قلة قليلة مسيطرة ، فيزداد الاغنياء غنًى والفقراء فقرًا ، ويقتل في نفوس المعدمين كل تفاؤل بأمل في مستقبل يسوده الكفاية والعدل والأمان ، وبسبب ما ينتجه أيضًا من وسائل الفناء والدمار بما يعادل خمسة أطنان من المتفجرات فوق كل رأسٍ من سكان العالم . . فالغرب بحضارته المادية الاستعمارية التدميرية في منظور العصر هو أكبر مجرم في التاريخ البشري كما يصفه المفكر المسلم رجاء جارودي .

ويبقى عالمنا الإسلامي هو المستهدف بالدرجة الأولى ، فقد تحمل ولايزال يتحمل الجزء الأكبر من حقد وهمجية الغرب الاستعماري ، فأينما تيمِّمْ وجهك تجدْ حربًا وقودها المسلمون ! !

فالكاتب البريطاني (أنطوني بيرجيس) يقول صراحة من خلال تصوره ورؤيته المستقبلية بشأن التسعينات :

« إنه بعد انتهاء العداوة بين الغرب والشيوعية التي ماتت . . ستكون الخصومة والعداوة في المستقبل بين الإسلام والغرب ، إنها خصومة العالم المنتمي إلى القرن الثاني عشر ، مع العالم المنتمي إلى القرن الحادي والعشرين » ؟ !

مما يعني أن المعركة في مقامها الأول والأخير كما أسلفنا معركة (حضارة ووجود) ، قبل أي شيء آخر،فالصراع مع الشيوعية ـ على حدِّ تعبيره ـ قد طويت صفحته ، ولم يبق أمام الغرب إلا الإسلام نقيضًا حضاريًّا لا بد من القضاء عليه ! !

ولكن يبقى السؤال : لماذا كل هذا العداء والخصومة ؟ !

والإجابة باختصار شديد ، لأنهم يخافون الإسلام . . وهذا الخوف يعود إلى قرون بعيدة في التاريخ ، قرون الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية وغيرها من التراكمات . فالإصرار على مسخ الهوية ، وزعزعة العقيدة ، وعدم الانفتاح والتسامح تجاه المسلمين ، ليس ذا محتوى اقتصادي أو اجتماعي كما يدعي الغرب ، ولكنه ذو محتوى (نفسي) وبالتحديد (ديني ثقافي) يعشش في اللاوعي العام داخل الأفكار الغربية . وما هذا العداء والكراهية إلا تنفيس سيىءومحموم عن (الرصيد المكبوت) ضد الإسلام والمسلمين في الوعي واللاوعي الغربي الذي يعيش هاجس هذه (الخاصية الروحية) المميزة للعقيدة الإسلامية التي تزلزل أركانهم .

فهذه العقيدة القائمة على « التوحيد » جعلت الإنسانقويًّا أمام كل قوى الشرك التي حاولت إخضاعه واستعباده لغير الله ، وقادرًا على ممارسة إرادته التحررية المستندة إلى (إرادة التوحيد) وهذه الإرادة هي التي حملت الإسلام من المحيط إلى المحيط ، ونفخت الروح من قَبْلُ في امبراطوريات متهاوية ، وحضارات مشرفة على الموت ، نفخت فيها روح الحياة ، وأعادت إلى البشر وإلى مجتمعاتهم أبعادها الإنسانية بنوع خاص من التسامي والتوحيد ، والكثيرون الذين عاشوا الوثنية والرق والاضطهاد ، تحولوا إلى الإسلام كي يتحرروا روحيًّا وماديًّا ونفسيًّا . . (فعقيدة التوحيد) هي النقيض للاستعباد والاستعلاء والهيمنة ، وهي المحرك الأساس ليقظة الشعوب والتجمع في إرادة واحدة .

لهذا فإن الغرب يحاول استئصال هذه (العقيدة الحية) من النفوس ، وتدمير كل مقدس لدى المسلمين ، وفرض ثقافته على حساب ثقافتنا ، وحضارته على حساب حضارتنا ، لدرجة جعلته يعيش حالة فزع شديد من وجود أقليات صغيرة لا حول لها ولا قوة ، في ثنايا مجتمعاته ، لا لشيء إلا لكونها تحمل ثقافة قادرة على استيعاب ما حولها .

ويخاطب أحد الضباط اليونانيين (زوخوي الفيتريوس) المسلمين في اليونان بقوله : « إذا اردتم أن تكونوا مواطنين محترمين ، فإننا نريد أن نرى الصليب معلّقًا على أعناقكم » .

على أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن (الأقليات غير الإسلامية) كانت ومازال تجد الأمن والأمان والعدالة والاطمئنان في ظلّ مجتمعاتنا الإسلامية ، التي تعج بآلاف الكنائس والمعابد ، وملايين النصارى واليهود من أهل الكتاب يمارسون شعائرهم التعبدية في حرية تامة في ديار المسلمين . . فكيف يريدون لنا أن نتبع ملتهم ونتخلّى عن ديننا وعقيدتنا ؟ !

ومن هنا فإن (هذا الكتاب) يسلط الأضواء على بعض بؤر المواجهة ، ويكشف كثيرًا مما تحاول الدوائر الغربية وعملاؤها إبقاءه في دائرة التعتيم والتجهيل ، أو صياغته تحت مصطلحات تحديثية ما أنزل الله بها من سلطان . . . تقدم ، تطور ، علمانية ، وغيرها وغيرها . . .

نريد لأبناء أمتنا الإسلامية الوقوف على هذه الحقائق وتفهمها ، إلى جانب الوقوف أيضًا على صفحات من كفاح أسلافهم الأبطال الذين وقفوا بشجاعة وحزم في وجه قوى الاستكبار ومخططات الاستعمار لاحتلال أراضيهم وتدمير حضارتهم ، وقدموا أرواحهم فداء لدينهم وأوطانهم ، وحققوا انتصارات عمت شهرتها الآفاق ، على جيوش المعتدين المدجَّجة بأحدث الأسلحة . وسجلوا صفحات ناصعة ، وصنعوا أمجادًا لا مثيل لها في تاريخ الحضارات بفضل (عقيدة الإسلام) .

هذه (العقيدة) هي سرُّ بقاء أمة الإسلام على مرِّ التاريخ على الرغم من مرورها بانكسارات عسكرية كثيرة ، فبقدر تمسكنا بها نظل متوازنين قادرين على العطاء وصُنع الحضارة ، لذا يجب أن نعض عليها بالنواجذ . ولا يمكن أن يكون لنا مستقبل

إسلامي وهناك أرض محتلة ، وفي قلب أمتنا ينغرز كيان صهيوني سرطاني ذو أهداف عدوانية وأطماع انتشارية توسعية ، تقف وراءه قوى عظمى تعمق جذوره وتمده بأسباب الحياة والاستمرارية . .

إن تميزنا بالخاصية (العقدية الإسلامية) هي التي تجعلنا أمة القرآن ، أمة التحديات . . وما يؤرقهم ويقض مضاجعهم هو أن الإسلام استطاع في السنوات الأخيرة أن يكسب له موطيء قدم في أوروبا وأمريكا ومختلف أنحاء العالم ، وهم يخشون انتفاضة هذا المارد ويحسبون له ألف حساب . . فلماذا لا ننتفض إذاً ؟ !

نحن على مشارف قرن جديد ، وأعتاب حقبة تاريخية لها مقدماتها الساخنة الملتهبة ، وإيقاعاتها واحتمالاتها المتغيرة المتسارعة . كما نشاهد اليوم . . بل نحن أمام خارطة أوروبا الموحدة ، والبيت الأوروبي الواحد ، والمعادلة العالمية الحسابية الصعبة . . الشيء الذي يفرض على أمتنا الإسلامية واجب محاسبة النفس ، وواجب المراجعة التاريخية ، وتقويم كل شيء من الجذور ، وتوحيد إرادة الأمة في ضوء (المعادلة العصرية) لتصبح الرقم الصعب ، كخير أمة أخرجت للناس ، قادرة على منح هذا العالم النموذج الإسلامي الحضاري الذي فيه خلاص البشرية بكاملها .

هذه بعض الدراسات التي سبق لمجلة رسالة الجهاد أن نشرتها في إطار اهتماماتها وجهودها لرصد ومتابعة أحوال المسلمين وقضاياهم في مختلف أنحاء العالم .. معتمدة على المصادر الحية، والإحصاءات الرقمية، والوثائق التاريخية .. آملة بذلك في أن تتيح للمسلمين فرصة الوقوف على حقيقة ما يحاك ضدهم من مؤامرات وما يراد لهم من مصير يتهدد وجودهم .. ليعدُّوا العُدَّةَ لرسم وكتابة مستقبلهم الحضاري بأيديهم لا بأيدي الآخرين.

المؤلف

الفصل الأول

المسلمون في آسيا

(1) فلسطين عربية .

(2) أندونيسيا أرخبيل الجزائر الإسلامية

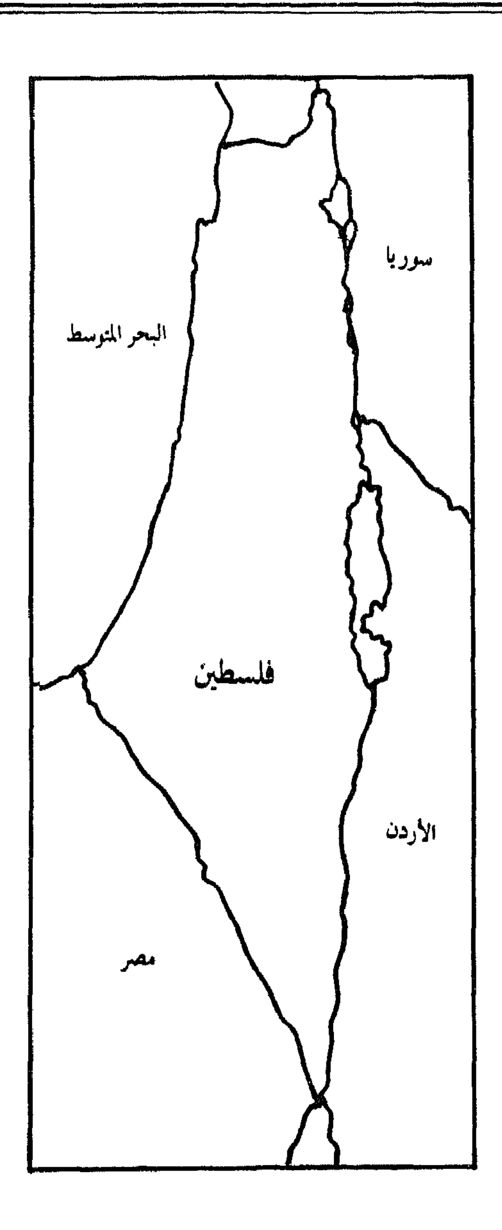
(3) الإسلام في الفلبيين .

(4) ماليزيا الأرخبيل الذي احتضن الإسلام باكرًا .

(5) المسلمون في تايلاند .

(6) أفغانستان مقبرة الغزاة .

فلسطين عربية



أرض فلسطين .. أرض الرسالات والأنبياء . . فيها القدس موطن النبوة والمنهل المقدس الذي نهلت منه الإنسانية الحق والخير والسلام . . لها جذور عميقة تضرب في مجاهل التاريخ قبل الميلاد بآلاف السنين تشهد بعروبة أرضها وشعبها ، و إن دنسها شراذم اليهود بضع سنين . .

فقد تأكد أن وجود أرض فلسطين يرجع إلى ما قبل التاريخ ، وأثبتت الحفريات والآثار وجود الإنسان الفلسطيني منذ أعرق العهود في القدم على أرض فلسطين . . و إن هذا الإنسان قد تنقل قبل العصر الحجري القديم بين فلسطين وشبه الجزيرة العربية والبلاد المجاورة . . كما أثبت التاريخ أن هذا الإنسان كان عربيًّا ، جاء من موطنه الأصلي في الجزيرة العربية فارًّا من القحط ، باحثًا عن حياة الرغد في بلدان ما بين النهرين والشام ومصر ، وهذه المنطقة تحتوي أرض فلسطين .

ولقد كان النبي إبراهيم عليه السلام وصحبه من بين الوافدين إلى فلسطين . . وتحدثت التوراة عن هجرة إبراهيم هذه وعن حسن الاستقبال الذي لقيه من أهله العرب المقيمين في القدس آنذاك .

والوقائع التاريخية تؤكد أن للشعب العربي الحق فيها ، فالمدة الطويلة غير المنقطعة التي يبقى فيها شعب مستوطنًا أرضًا هي بدون شك القاعدة الشرعية الأخلاقية التي يقوم عليها وجود ذلك الشعب على تلك الأرض ، وهي التي ترسخ عليها و بمقتضاها الحقوق العربية التي لا تقبل الجدل على أرض فلسطين . .

إن فلسطين تؤلف امتدادًا طبيعيًّا لمنطقة لا ينكر أحد عليها عروبتها . وقد ظلت فلسطين منطقةً عربيةً منذ فتح الإسلام لها ، واعتبرت كذلك إلى عهد العثمانيين الذين جعلوا أرضها تابعة إداريًّا للواء القدس وولاية من الولايات العربية . وهكذا كانت أيضًا عندما استولت بريطانيا عليها بعد غزوها سنة 1916 بقيادة الجنرال إللنبي .

وتبدأ الصفحات الأولى من تاريخ المنطقة العربية وفيها فلسطين بظاهرة شاعت في ذلك الوقت المبكر من تاريخ البشر فوقها ، وهي ظاهرة ارتحال القبائل بحثًا عن الماء ومناطق الزراعة والرعي وفرارًا من متاعب الصحراء ومناطق الجفاف المهلك . وكانت أغلب الهجرات تتجه من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال حيث المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم « الهلال الخصيب » الذي يبدأ طرفه الشرقي من إطلالة العراق على الخليج العربي ،

ووسطه عند خط الحدود بين العراق وسوريا من جهة ، وبين تركيا وهضاب الأناضول من جهة أخرى ، وينتهي طرفه الغربي عند الساحل السوري ـ اللبناني ـ الفلسطيني المطل على البحر الأبيض المتوسط .

على أن هنالك اتفاقًا بين الباحثين والمؤرخين يؤكد أن أقدم الهجرات التي قام بها سكان شبه الجزيرة العربية إلى منطقة الهلال الخصيب ، ترجع إلى عام 3500 قبل الميلاد .

فلسطين استقر بها الكنعانيون العرب عام 3500 قبل الميلاد

ويقول بعض علماء الآثار: إن هناك من البراهين والأدلة ما يؤكد أن الكنعانيين أصحاب اللغة « السامية العربية » استقروا في فلسطين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد حيث عثر أولئك العلماء على مدن كانت تحمل أسماء كنعانية ترجع إلى الأسرة الخامسة المصرية في سنة 2965 قبل الميلاد .

وبذلك يكون الإجماع مؤكدًا أن الكنعانيين كانوا مستقرين في فلسطين قبل نحو خمسة آلاف سنة أو يزيد بالرغم من أنهم عاشوا في دويلات صغيرة أو مدن محصنة شغلتها الحروب فيما بينها حتى اضطر بعض الكنعانيين إلى التمركز في سفوح لبنان نشدانًا للأمن ، فظهرت أهم المدن الكنعانية على سواحل البحر الأبيض المتوسط وسفوح جبال لبنان، واحترف سكان تلك المدن الزراعة وخاصة زراعة الأشجار التي كانت تُصدَّر أخشابًا إلى موانيء البحر الأبيض الأوروبية والموانيء **الإفريقية** نظير واردات ضرورية للسكان الكنعانيين والذين عرفوا في **المدوَّنات اليونانية** ـ بِسبب الاتصال البحري والتجاري ـ باسم الفينيقيين .

وتمركز الفلسطينيون في القسم الذي يمتد من « غزة » جنوبًا إلى أسفل « يافا » شمالاً .

وقاموا بتأسيس خمس مدن هي: غزة ، وعسقلان ، وجت ، وأشدود ، وعكا ، وكلها مدن ساحلية ، عدا جت التي تمتدُّ قليلاً إلى الداخل .

وهكذا يكون الفلسطينيون الذين سميت فلسطين باسمهم قد وجدوا على هذه الرقعة من



ثوار جيل الغضب يترصدون
.. الحجارة دواء الصداع
الصهيوني .

هذا البيت ملكنا
برغم أنف
الاحتلال .



سلاحي .. مقلاع وحجر على رأس العدو .



دماء الشهداء
لن تضيع هدرًا



عجوز تشارك في ثورة الحجارة

أطفال الحجارة يحرقون الأرض تحت أقدام الصهاينة .

أرض الوطن العربي قبل أن يعرفها اليهود أو يكون لهم وجود عليها .

علاقة اليهود بفلسطين

أول ما يذكره المؤرخون فيما يتعلق بالعلاقة بين بني إسرائيل وفلسطين أن العراق كانت أولى البقاع التي شهدت مجيء بعض أنبيائهم زمن الأكديين وبالتحديد في « أور » وأنهم تحركوا ضمن حركة الهجرة التي سادت المنطقة فأقام فريق منهم في الجزء الشمالي الشرقي من مصر أيام رعمسيس الثاني ثم هاجر بهم موسى إلى طور سيناء ومنها إلى صحراء شبه الجزيرة المصرية حيث قضوا فيها سنين عديدة . ولم يكن اليهود أكثر من مجموعة من القبائل المنقسمة المتقاتلة فيما بينها ، إلا أن نيتهم لغزو فلسطين في ذلك الوقت لعبت دورًا مهمًّا في توحيدهم .

وعندما اختير داود ملكًا على اليهود بين عامي 1016 و967 قبل الميلاد قام بغزو فلسطين حيث استولى على عدد من مدنها وبينها القدس « يبوس » وأصبحت فلسطين مقسمة بين داود وأتباعه من اليهود من ناحية والفينيقيين والعبرانيين من ناحية أخرى ، ثم جاء سليمان ابنه من بعده ، وفي عام 722 قبل الميلاد قضى الملك العربي الأشوري « سرجون » على مملكة « إسرائيل » وحرر عاصمتها ، وبقيت تحت حكمه ، وفي عام 586 قبل الميلاد استولى الكلدانيون بقيادة الملك « نبوخذنصر » الثاني على فلسطين ، وقضوا على الممالك التي أقامها اليهود على ترابها وأخذوا اليهود أسرى في بابل ، حيث بقوا هناك إلى أن هيأ لهم الفرس سبل العودة إلى فلسطين بعد أن احتلها كورش في نحو عام 538 قبل الميلاد .

فلسطين تتعرض للعديد من الغزوات عبر التاريخ

ثم توالت الغزوات على بلاد كنعان « فلسطين » حيث خضعت لحكم المقدونيين بقيادة الإسكندر الأكبر ، وبعدهم البطالسة ، ثم السلوقيين وهم من اليونان ثم الرومان الذين سيطروا على فلسطين بشكل نهائي في عام 38 قبل الميلاد . وفي العام 37 قبل

الـميلاد ، نصَّب الرومـان « هيرودس » ملكًا على الجليل وبـلاد يهوذا فاعتنق اليهوديـة وظل يحكم باسم الرومـان حتى السنة الرابعة الـميلاديـة .

ولـمـا ظهرت دعوة الـمسيح ـ عليه السـلام ـ الذي ولد في بـلدة بيت لحم تصدَّى اليهود لدعوته واستمر اليهود في معارضتهم للـمسيح إلـى أن جاء العام 70 الـميلادي فقاموا بثورة واسعة على الرومـان ، إلا أن الأخيريـن بقيادة « تـيتوس » انتصروا عليهم واحتلوا « أورشليم » وأحرقوا الـهيكل الذي كانوا قد أقاموه فـيهـا ، وعاود اليهود التمرد على الرومـان مـن جديد في سنة 132 م ، لكن الامبراطور « هـادريانوس » تولـى إخمـاد ثورتهم في عام 135 م ، ودمر أورشليم وأقام مكانهـا مستعمرة رومـانـيـة حرَّم على اليهود دخولـهـا . وقد عرفت تلك الـمستعمرة الرومـانـيـة باسم « إيليا كابـيتوليـنا » وقد ورد هذا الاسم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لـ « أهل إيلياء » ولـمـا تولـى الامبراطور قسطنطيـن حكم الرومـان نحو القرن الرابع الـميلاد اعتنق الـمسيحيـة وأعاد إلـى الـمديـنة اسمهـا السابق « أورشليم » وبنـى العديد مـن الكنائس بهـا ، وأشهرهـا كنيسة القيامة في القدس ، وكنيسة الـمهد في بيت لحم .

وبقيت فلسطيـن تحت حكم الرومـان حتى عام 638 م ، عندمـا فتحهـا الـمسـلـمون عدا السنوات الواقعة بيـن 227 و232 م حيث حكمتهـا زنوبـيا ملكة « تدمر » وبـيـن 614 و627 حيث حكمهـا الفرس .

القدس أهم المدن الفلسطينية

القدس اسم يثير في النفوس المؤمنة أسمى المشاعر وأطهرها . . فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . القدس موطن النبوة والمنهل المقدس الذي نهلت منه البشرية الخير والحق والعطاء والطمأنينة الروحية . . فهي بمثابة القلب في جسم فلسطين . كانت على مر العصور وطنًا للشعب الفلسطيني الذي تابع العيش فيها منذ آلاف السنين . . . وكانت القدس بفضل عطائها الحضاري ، وبفضل قدسيتها ، مهوى أفئدة المؤمنين بالأديان السماوية . وقبلة أنظارهم ومحجهم يتجهون إليها بالاحترام والتقديس والإجلال . . وهي في العقيدة الإسلامية جزء في التكوين الروحي الإيماني للمسلم ومن ثم لا يمكن تفريط المسلمين في حقهم فيها تحت أي ظرف من الظروف . . فقد حررها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من قبضة الغزاة البيزنطيين ورفع فوقها راية الإسلام والتوحيد ، كما ردَّ عنها الناصر صلاح الدين الأيوبي جحافل الحملة الصليبية وجرعها كأس الهزيمة ، وأعاد للقدس مكانتها وهيبتها ، واليوم تنتظر القدس من يحررها من دنس شذاذ الآفاق الصهاينة ، لتعود مدينة السلام والوئام لكلِّ المؤمنين الموحِّدين بالله .

حيث اتجهت إلى القدس تبدو رؤوس التلال في مظهر مهيب ساحر ، حتى تطل عليك المدينة الخالدة ، تقف في كبرياء وسط الجبال تغالب الزمان بصخورها البيضاء الداكنة وحقول الزيتون وكروم العنب وسنابل القمح وأشجار التين . .

يحيطها جبال مشهورة أهمها جبل سكوبس من الشمال ، وجبل المكبر من الجنوب ، وجبل الزيتون من الغرب ، فهي مدينة الأنبياء والتاريخ . وما من موضع فيها إلا به أثر لنبي أو حدث تاريخي يحفظ ذكرى عزيزة غالية . .

لقد كانت على مرِّ التاريخ تمثل المعيار الحقيقي لقوة العرب والإسلام ، فهي آمنة مزدهرةً في ظل ازدهار العرب ، وهي أسيرة مستنجدة في ظل الضعف والانهيار الحضاري ، وهي محور المواجهة بين العرب وأعدائهم ، هكذا كانت « محورًا » للحروب الصليبية ، وهكذا كانت عندما تعرض الوطن العربي كلُّه للاستعمار الأجنبي . .

فالقدس قلب القضية العربية بلا جدال ، وستبقى المعيار لقدرة العرب على انتزاع حقوقهم على مرِّ الزمان .

وقد طرأ على خريطة القدس عوامل الانكماش والتمدد عبر مراحل تطورها الحضاري والعمراني ، كان للعرب والإسلام فيها الدور الإيجابي البناء . . ولليهود في حقب قصيرة جدًّا الدور السلبي التدميري الهدام . .

عرفت القدس باسم « يبوس » منذ آلاف السنين نسبة إلى أهلها اليبوسيين ، واتخذت فيما بعد اسم « أوروسالم » نسبة إلى ملكها سالم أو « ملكي صادق » وقيل : إنه كان محبًّا للسلام فسماها « أوروشالم » و« أور » معناها مدينة . وظلت معالم المدينة يبوسية الطابع حتى استولى عليها داود عليه السلام عام 1016 قبل الميلاد تقريبًا .

وآنذاك كان قد مرَّ على بنائها ما يقرب من ألفيْ عام . كما كان قد مرَّ على وجود الكنعانيين في فلسطين ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة ، وفي عهد سليمان بن داود عليهما السلام طرأ على المدينة نمط عمراني جديد شمل المنشآت الدينية ، وأهمها الهيكل الذي حاول داود عليه السلام أن يبنيَه ثم بناه سليمان ، ولم يكن سوى الهيكل اليبوسي نفسه الذي بناه « ملكي صادق » مع بعض التغيير في الطابع الحضاري للبناء ، لمرور وقت طويل بين الحقبتين التاريخيتين ، والواقع أن التطور العمراني الذي شهدته القدس زمن سليمان عليه السلام لم يكن سوى النمط الفينيقي في البناء . . والحقائق التاريخية تؤكد أن سليمان عليه السلام استعان في رسم معالم « يورسالم » القدس والمعبد والأسوار « بحيرام » ملك الفينيقيين الذي أمده بخشب الأرز اللازم وبالمعماريين والبنائين . .

إذًا فحركة التاريخ شكلت معالم جديدة لمدينة القدس ، زمن سليمان . . غير أن مُلك داود وابنه سليمان عليهما السلام لم يدم أكثر من سبعين عامًا ، انقسمت المملكة بعدها إلى « مملكة إسرائيل » في الشمال و« يهوذا » في الجنوب .

دخول الإسلام إلى القدس

لقد انتهى عهد الرومان عام 638 م ، أنهته موجة جديدة من الهجرة العربية اندفعت كسابقتها من قلب الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب . . لكن هذه المرة جاءت ومعها الإسلام . . ودخل عمر بن الخطاب القدس دون حرب ، وكانت هذه هي المرة الوحيدة في تاريخ القدس السابق واللاحق التي لم تُرَقْ فيها قطرة دم واحدة .

وأوضحت مؤخرًا رسالة جامعية قدمها الباحث أحمد ربيع أحمد يوسف المعيد بكلية الدعوة بجامعة الأزهر ، أن الوعد الإلَـهي الذي يستند إليه اليهود في دعوى الحق الديني في أرض الميعاد يبطل نفسه ، إذ كيف يعد الله أنبياء اليهود بشيء ويعجز الأنبياء عن تحقيقه ، ثم يأتي اليهود المعاصرون فيدعون أنهم أصحاب الحق في تنفيذ هذا الوعد ؟ فالوعد ليس له أساس من الصحة ، بل الثابت أن الله حرَّم الأرض المقدسة على اليهود لشدة عصيانهم وتمردهم وفسقهم ، ومع أن الله أمرهم ووعدهم بالنصر إلا أن اليهود جادلوا وظهر تخاذلهم كما يبين القرآن الكريم : ﴿ **قَالُوا يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ *** ﴾ .

حينئذ خاطب موسى عليه السلام ربه قائلاً :

﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ *** ﴾ .

ويتساءل الباحث : كيف يعقل أن يرميَهم الله ورسوله بالفسق وتكون لهم عند الله وجاهة ؟ ! وكيف تكون لهم أرض بنص الوعد الإلَـهي مع أن الثابت أن الله حرَّم الأرض المقدسة عليهم ؟ !

ويضيف الباحث :

عندما فتح المسلمون القدس ، وعقد الخليفة عمر بن الخطاب صلحًا مع أهلها تسلم المدينة من المسيحيين ولم يكن بها أحد من اليهود ، بل إن أهل القدس من المسيحيين طلبوا من الخليفة عمر أن ينص في العهد على عدم سكنى اليهود للمدينة كما ذكر في « المعاهدة العمرية » وهذا يدل على أحد أمرين ـ كما يقول الباحث ـ : إما أن المسيحيين يريدون طرد من هو موجود من اليهود في المدينة ، أو

يريدون تحريم المدينة حتى لا يدخلها يهودي في عهد المسلمين وذلك لاعتقادهم أن المسلمين يحترمون أهل الكتاب ، وبالتالي قد يسمحون لليهود بدخول الأرض المقدسة لأنهم من أهل الكتاب وهو ما لا يريدونه .

ويؤكد معظم المؤرخين أن اليهود لم يكونوا بالقدس إلا في مراحل محدَّدة ، وبأعداد قليلة ، قبل الفتح الإسلامي وبعده ، ولم يكن قدومهم إلى القدس إلا متأخرًا ولم يقيموا فيها أكثر من سبعين عامًا متصلة زمن حكم داود وسليمان .

ويؤكد الدكتور محمد علي حلة بقسم التاريخ من نفس الجامعة ، أنه من الثابت تاريخيًّا أن مدينة القدس كانت تحمل اسم « إيلياء » حين خرج وفد من أهلها لمقابلة الخليفة عمر ابن الخطاب، وطلبوا منه أن يسجل هذا الاسم في وثيقة تسليم مدينتهم له ، **دلالة على خلوها تمامًا من اليهود وإصراراً منهم على ألا يساكنهم فيها أحد من اليهود** ، وكان هذا المطلب لأهل القدس هو المطلب الذي أصر عليه البطريق صفرونيوس حين عرض تسليم المدينة المقدسة للخليفة عمر شخصيًّا ، ووافق عمر على مطالب أهل القدس وسجلها في وثيقة محدَّدة البنود وواضحة النصوص ، وأضاف إليها شروطًا تنص على احترام مقدسات هذه المدينة وما يكفل لها السلامة أيضًا من بقايا الروم فيها وعملائهم ، وقد جاءت هذه الوثيقة التاريخية بنصوصها الصريحة لتؤكد حقيقتين راسختين :

1 ـ أن اليهود لم يكن لهم وجود على **الإطلاق** في بيت المقدس حين زحفت الجيوش الإسلامية على بلاد الشام ، وأن أهالي القدس أنفسهم كانوا يقفون قبل الإسلام بالمرصاد لدسائس منحرفي اليهود ، وهدم ما زعموه بهتانًا من حقوق لهم في هذه المدينة المقدسة ، وأن الإسلام حين بسط ظلاله على هذه الأرض « فلسطين » جاء ليدعم حقيقة تاريخية ويؤكدها بخصوص خلو بيت المقدس تمامًا من اليهود .

2 ـ أن المسلمين يكنون للمقدسات المسيحية في بيت المقدس الإجلال الذي يكنه المسيحيون أنفسهم لتلك المقدسات .

القدس في انتظار مواكب النصر

كانت القدس في مواكب التاريخ مركز الصراع ومعيار نتائجه وآخر محطاته . . وأهم مواكب التاريخ العربي وقع منذ أربعة عشر قرنًا ، والموكب الآخر شهده التاريخ

لاحقاٍ وهو موكب الفاروق عمر بن الخطاب.. ثم موكب الناصر صلاح الدين..
الأول حرر القدس من البيزنطيين الغزاة ، والثاني رد عن القدس الحملة الصليبية ، ومازلنا ننتظر الموكب الثالث الذي يحرر القدس من دنس الاحتلال الصِّهيوني . .

فبعد أن فتح المسلمون دمشق ، وحمص ، واللاذقية ، ونابلس ، ويافا ، وغزة ورفح ، اجتمعت كل فلول القوى البيزنطية المهزومة في القدس التي كانت تسمى « إيليا » وحوصرت المدينة واستمر الحصار لمدة أربعة أشهر . .

وبكل مظاهر الاستسلام جاء صفرونيوس طالبًا من المحاصرين قبول التسليم ، وطالبًا الأمان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه .

وعندما وصل إلى عمر هذا الطلب ، قال ومن حوله عدد من الصحابة بينهم علي بن أبي طالب : سأذهب ، إن تخليص ثالث الحرمين من الروم يستحق أن يسير من أجله الفاروق ، وخاطب عليًّا : إني استخلفك على المدينة يا علي ، فلم يبق إلا القدس ، ويد الله هي العليا . .

وفي اليوم التالي خرج قاصدًا القدس على بعيره وليس معه سوى غلام ، حتى وصل « الجابية » على مشارف الشام ، وهناك كتب عمر « عهد أهل إيليا » .

وفي يوم الخميس الثاني عشر من شهر الماء « مايو » عام 636 م الموافق للعام السادس من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أطلت على جبال القدس شمس الهداية عندما وصل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليتسلم مفاتيح مدينة القدس ، وكان موكبه بعيرًا أحمر وخلفه حقيبة مملوءة بالتمر وقربة ماء . . .

حتى إنه فات الذين في استقباله أن يتعرفوا إليه ، ولحق به الناس وعلى رأسهم البطريق صفرونيوس حامي الكنيسة وسلمه مفتاح المدينة ، في احتفال بسيط ليعلن خلاله الفاروق مبدأً رئيسًا من مباديء الإسلام في التعامل مع بقية الديانات والمعتقدات ، فقد رفض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يصلي في كنيسة القيامة . وقال للبطريق الذي دعاه للصلاة : « **أخاف أن تصبح نهجًا بعدي** » معلنًا بذلك بداية عصر جديد من عصور التسامح الديني الذي لم يشهده العالم من قبل ، فقد كانت العادة أن يقوم الدين الجديد على أنقاض الدين الذي سبقه! . . وكان الفرس والرومان أنفسهم قد هدموا الهيكل اليهودي أكثر من مرة ، أما عمر بن الخطاب أمير المؤمنين فلم يرض

أن يصليَ ، مجرد الصلاة في كنيسة القيامة ، هذا المشهد يظل أحد المواقف الحضارية التي هي أسمى وأنبل ما في التاريخ العربي الإسلامي ، فلم يأخذهم عمر بالسيف بل أعطاهم الأمان ، وهم في قبضته .

بفضل هذا المبدإ الإسلامي المتسامح ، تعايشت في القدس جميع الديانات جنبًا إلى جنب ، وظلت القدس أرضًا مقدسة لكل المؤمنين بالله . يجد فيها الأمان كلُّ من توجه إلى خالقه . . فما أبعد اليوم عن البارحة ! !

قبور الصحابة تغطي سهول القدس

ومنذ أن فتح المسلمون القدس في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، أخذوا يفدون لزيارتها والصلاة في مسجدها ومشاهدة ما حولها من آثار وديار مباركة ، ثم ليتوجهوا منها إلى الحج أو العمرة . ومنهم كثيرون استوطنوا فلسطين أو جاؤوها للجهاد في سبيل الله ، فلاقوا فيها الشهادة . فقد استشهد كثير من الصحابة في معارك اليرموك وأجنادين قرب الرملة وفحل قرب بيسان . ودفنوا في أرضها الطاهرة ، وانتشرت قبورهم في سهولها وأرجائها .

وفي القدس بمقبرة ماملا « مأمن الله » التي هي الآن تحت سيطرة الصهاينة توجد قبور وأضرحة لسبعين ألف شهيد من المسلمين في الحروب الصليبية ، منهم طائفة من العلماء ، والقادة ، والمجاهدين الصالحين استشهدوا بداخل المسجد الأقصى وما حوله من جنبات القدس وشوارعها . وقد عبث الصهاينة أخيرًا بهذه القبور ، وانتهكوا حرمة شهداء المسلمين ، وفتحوا في هذه المقبرة « مأمن الله » شوارع ، وداسوا على رفات الشهداء بأقدامهم النجسة وسياراتهم وآلياتهم .

وقدر عدد المسلمين الذين استشهدوا في الحروب الصليبية عمومًا والتي استمرت أكثر من مئتي عام بما يزيد على المليون شهيد قدموا من أنحاء العالم الإسلامي للدفاع عن فلسطين والقدس ومسجدها الأقصى المبارك فاستشهدوا في أراضيها .

وأضاف العرب في ظل الإسلام طوال تلك السنين إلى القدس معالم عمرانية جديدة إسلامية النمط والطابع ، فأقام عبد الملك بن مروان ، أقدم بناء أثري هو مسجد الصخرة ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ، وترك عبد الملك على دائرة باطن القبة

كتابة بالخط الكوفي هي أقدم كتابة إسلامية .

وشرق القبة بناء صغير أنيق يعرف بقبة السلسلة ، وكان يقوم مقام بيت المال لمسجد القبة ، ويبدو من طرازه وزخارفه أنه يعود إلى العصر نفسه .

وبالقرب من قبة الصخرة ، أقام عبد الملك مسجدًا آخر هو المسجد الأقصى ، غدت القبة منه بمثابة المزار . واسم المسجد الأقصى يطلق على الباحة المقدسة برمتها البالغة نحو 34 فدانًا بكلٍّ ما يقوم عليها من أبنية مقدسة .

وبنى المسلمون في الحرم وحوله مآذن وأروقة وأبوابًا وسبلاً وصهاريج للاستسقاء وكل واحد منها أثر تاريخي عليه نقش أو شاهد وله سمة عصره من زخرف وخط ودعاء .

واتخذ المسلمون من ساحة الحرم الشريف والمسجدين الكبيرين والأروقة مدارس يدرسون فيها علوم الدين .

وقصد الحجيج بيت المقدس في ذهابهم إلى بيت الله الحرام وفي عودتهم منه . واستحبوا الإحرام بالحج والعمرة منه ، وتعلقت قلوب المسلمين بالمدينة وحنوا إليها وافتدوها بالمهج ، وعبروا عن شعورهم هذا في ما كتبوا من رسائل وكتب في فضل بيت المقدس .

وباختصار شديد فإن الآثار الإسلامية تجعل من هذه المدينة المقدسة التي لم يفتأ المسلمون في جميع عصورهم يرعونها بالتقدير والإجلال ويتعهدونها بالتجديد والتعمير ، مدينة أعظم شأنًا في نظرهم من « أورشليم » التاريخية في نظر اليهود .

ومن الناحية المادية والحضارية ليس لليهود أثر يذكر بشهادة الجميع مسلمين ومسيحيين ، ولذا فإن التفريط في هذه المدينة المقدسة هو تفريط في أقدس مقدسات المسلمين ، وحرمانهم من ممارسة شعائرهم الدينية وخطر على سائر مقدساتهم في مكة والمدينة .

القدس تحت قبضة الصليبيين

وعاشت القدس آمنة مطمئنة في رحاب الإسلام وسماحته خمسمئة سنة فقد كان دخول العرب المسلمين بعد ستة أعوام لوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الموافق 636 ميلادية ، كان بمثابة الموجة العربية الإسلامية المحررة للقدس التي

حملت راية التوحيد والسلام . ولكن بعدها تحولت القدس من أرض تتعايش عليها جميع الأديان جنبًا إلى جنب إلى أرض للصراع الدامي الوحشي ، حينما انبعثت من أوروبا موجات التعصب والحقد الأعمى على العرب والمسلمين . ففي عام 1099 م اختلقت أوروبا الصليبية أسبابًا من صنع الزور والبهتان للإغارة على القدس الآمنة واحتلالها .

فقد حاصر الصليبيون مدينة القدس أربعين يومًا اقتحم بعدها المدعو « جوفري بويون » القدس من باب الساهرة ، وأباح دماء المسلمين ، فسالت حتى ملأت المسجد الأقصى بارتفاع قدر بنصف المتر ! !

وكتب الصليبيون إلى البابا مهنئين بسقوط القدس قائلين له : إن خيولهم تغوص إلى الركب في الهيكل في دماء المسلمين ، وإنهم حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة ، وإنهم أعطوا قسمًا منها إلى فرسان الهيكل من الصليبيين فاتخذوه إصطبلاً وسكنًا ! ! . .

ومنذ ذلك التاريخ أصبح تحرير القدس هاجس المسلمين إذ إنهم لم ينسوا ما فعله الغرب الصليبي بأبناء المسلمين وأحفاد المجاهدين الأوائل الذين أعزهم الله بالإسلام . .

القدس تحت راية الإسلام

لم ينس المسلمون تلك المذبحة والجريمة النكراء التي استمرت ثلاثة أيام متتالية وقضت على الآلاف المؤلَّفة من الرجال والنساء والأطفال . .

فقد ظهر في الأفق القائد الإسلامي الفذ صلاح الدين الأيوبي الذي رفع راية الجهاد . وبذل جهودًا خارقة لإعادة توحيد قوى المسلمين لتوجيه الضربة القاصمة للصليبيين . .

وكما كان وراء الموكب الأول أمجاد اليرموك تواكبه . كان وراء هذا الموكب أمجاد حطين تواكبه . اتجه موكب صلاح الدين إلى بيت المقدس بعد أن حصَّن القاهرة ، وقام باكتساح الشام ، وبدأ يستعد للضربة الفاصلة ، فعبأ موارد المسلمين عامة ونظم جيوشه وزحف نحو القدس عام 1187 م . وسقطت قلعة

الكرك وقبض صلاح الدين على ملكها « أرناط » بنفسه وقطع رأسه وحمل المسلمون على الصليبيين في « حطين » فاكتسحوا قواتهم التي بلغت 163 ألفًا ، وكان نهر الأردن وراء المسلمين وقوات العدو أمامهم فاستماتوا في القتال وحصدوا الصليبيين الغزاة حصدًا ، وفرَّ أمير طرابلس ، وسقط والي عكا قتيلاً . واندفع المسلمون وراء الصليبيين الفارين ، وقبضوا على ملك بيت المقدس . . وقتلوا من الصليبيين 30 ألفًا وأسروا مثلهم . .

ودخل صلاح الدين المدينة المقدسة يوم الجمعة 12 من شهر التمور « أكتوبر » عام 1187 م الموافق للسابع والعشرين من شهر رجب وهي كرى ليلة الاسراء التي أسرى الله فيها ليلاً برسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

وعادت القدس إسلامية بعد ظلام دام ردحًا من الزمن ، وظلت كذلك عربية إسلامية حتى عام 1967 م حيث احتلها العدو الصِّهيوني المغتصب .

القدس تحت قبضة الاستعمار

وجاء العثمانيون الأتراك بعد المماليك الذين استولوا على الحكم بعد ذهاب الأيوبيين . وظلت القدس في حوزة الأتراك حتى انهزموا في الحرب العالمية الأولى وتقاسم « الحلفاء » الغنائم فكانت فلسطين وعاصمتها القدس من نصيب بريطانيا التي وعدت اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين . وكانت كلمات القائد البريطاني الجنرال « إللنبي » (اليوم انتهت الحروب الصليبية) كانت تلك اللحظات انعطافًا جذريًّا بمأساة القدس وأهلها وبداية ليل لا يُعرف نهايته . . .

وطوال انتداب بريطانيا واستعمارها للقدس وفلسطين . . وخلال أربعين عامًا استغل الصهاينة وجود بريطانيا في فلسطين فقاموا بتأسيس المنظمات والعصابات المسلحة والشرطة الخاصة ، التي تحولت إلى جيش منظم ومهيأ لاغتصاب فلسطين بعد جلاء بريطانيا .

وفي يوم الخامس عشر من شهر الماء « مايو » عام 1948 م أعلن الصهاينة عن قيام كيانهم العنصري واغتصاب فلسطين ، واعترفت أمريكا بهذا الكيان قبل إعلان قيامه ، وتَمَّ قبول ما يسمى بـ « إسرائيل » عضوًا في الأمم المتحدة التي ينص ميثاقها على « رفض التعصب الديني بجميع ألوانه ورفض سيطرة الأقلية على الأكثرية » وكان عدد اليهود في فلسطين لا يتجاوز 8% من مجموع عدد السكان . وكان الاعتراف اختراقًا صريحًا وواضحًا لميثاق الأمم المتحدة ، لكنها اعترفت بها ! ! وكان اتفاق الغرب على العرب والمسلمين الذين وقفوا وحدهم في وجه الصهاينة . .

لقد اخترق قلب القدس لأول مرة في التاريخ ما يسمى بخط الهدنة وشطرها شطرين ، استولى اليهود على قسم منه . وفي عام 1967 م سقطت جميع المدن في يد الاحتلال الصِّهيوني ، ومن يومها أخذ العدو الصِّهيوني يضع قضية تهويد القدس في سلم أولوياته فهو في صراع مع الزمن لأنه يعلم أن مسألة عروبة القدس لا يمكن أن يتنازل عنها أي عربي . لذلك يحاول فرض أكبر قدر ممكن مما يسمى بالأمر الواقع . فأصدر مجموعة من القوانين من بينها قانون يقضي بزيادة نسبة السكان اليهود فيها .

محو المعالم العربية

بدأ العدو الصِّهيوني منذ عام 1967 م في بناء مستوطنات لإسكان اليهود في القدس القديمة ، لأن في اعتقاده أنها لن تصبح عاصمة « إسرائيل » فعلاً إلا بزرع الحياة اليهودية فيها ، لذا فقد قام بسلسلة من الأعمال العدائية لتغيير معالمها من الناحيتين المادية والروحية ، فصادر الأملاك ووضع يده على المصارف ، وهدم المباني ونهب المخازن ، وأحرق المزارع ، ونشر الرعب والإرهاب مما اضطر الآلاف من السكان العرب إلى النزوح وترك بيوتهم وأرضهم . . وأقام ما يشبه الحزام حول القدس من المستعمرات الاستيطانية الصِّهيونية . .

وبما أن أول أهداف العدو الصِّهيوني تنصب في الاستيلاء على الأماكن المقدسة وطمس جذور الوجود العربي والإسلامي ، فإن المقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى لم تسلم من عبث الصهاينة ، واعتداءاتها ، فقد أضرموا النار فيه صبيحة 1969/8/21 م حيث أتت على الجناح الجنوبي والشرقي من المسجد كما أتت على المنبر المطعم بالعاج الذي أقيم في عهد صلاح الدين الأيوبي . ولا يخفي العدو نياته الشريرة لهدم المسجد الأقصى المبارك وفيه قبة الصخرة بالحفر تارة وبالاعتداء تارة أخرى ، لاقامة هيكلهم المزعوم فوق أنقاضه ! !

إن الاحتلال الصِّهيوني للقدس شجعه على الاعتداء المتواصل على المقدسات الإسلامية جميعها فهو يحاربها تمامًا كما يحارب سكان الأرض المقدسة فيهدم المساجد ويدمر التراث والتاريخ ، وتشهد القدس يوميًّا مجازر بشرية تقشعر لها الأبدان ، وامتلأت سجونها بالشباب والنساء والشيوخ والأطفال الذين يقفون ببسالة وصمود ضد كلِّ إجراءات القهر والقمع والتقتيل التي توجهها إليهم مدافع العدو كلَّ يوم .

إن مدينة السلام « القدس » التي وهبت العالم كلَّه الخير والحب وأضاءت بنورها ظلام الجهل والتخلف ، ووقفت تسمع الدنيا آذان الصلاة « **الله أكبر** » **عبر ثلاثة عشر قرنًا من الزمان تشهد هذه المدينة أبشع أنواع الاحتلال ، ولم يكن حريق المسجد الأقصى والحفريات التي يتعرض لها والتدنيس الذي يجري داخله إلا صورة بشعة من صور الاحتلال . .**

إنهم في ما يسمى بـ « إسرائيل » يتطلعون إلى اليوم الذي تصبح فيه القدس مدينة بلا عرب وبلا مسلمين وبلا إسلام ، وعاصمة أبدية لكيانهم المصطنع ! محرمة على غير اليهود ! !

تهويد القدس وتحريمها على غير اليهود

والدليل على ذلك ، **أن** أول عمل قام به الإرهابي « الحاخام كاهانا » الذي انتخب عضوًا فيما يسمى بالكنيست الصِّهيوني هو ترؤسه لعصابة مسلحة جديدة هدفها طرد

بقية العرب من فلسطين و إزالة كل المعالم التاريخية الإسلامية والمسيحية في القدس وفي سائر المدن الأخر . وقد أعلن الإرهابي كاهانا : أن القدس يجب أن تعلن مدينة محرمة على غير الصهاينة ، وهذا يعني : هدم و إزالة كل المقدسات الإسلامية والمسيحية القائمة في المدينة وعلى رأسها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ، وطرد عرب فلسطين مسلمين ومسيحيين .

ويقول الإرهابي كاهانا في إحدى خطبه تأكيدًا لنظرته العنصرية الإجرامية هذه : « إن تهويد القدس يعني إغلاقها على اليهود ، وليس الإعلان عن أنها واقعة تحت سيطرة « إسرائيل » فقط ! !

وأمام هذه التحديات والعجرفة الصِّهيونية المتكررة لمشاعر المسلمين والمسيحيين على حدٍّ سواء ليس أمام الجميع سوى استحداث أسلوب جديد في المواجهة الإسلامية المسيحية للمخططات الصِّهيونية في القدس بل في سائر الأراضي الفلسطينية .

ثورة الحجارة تدوي في الأقصى استئنافًا لدوره ورسالته

إن مدينة القدس الواقعة اليوم تحت الأسر الصِّهيوني ، والمنتفضة بقوة وبسالة في وجه العدو ، وكما عودتنا دائمًا من قبل ، سحق الأعداء ورد كيدهم ، تخوض اليوم وبشكل متواصل ثورة شعبية ، وتشهد المدينة القديمة وضواحيها وقراها بما فيها سلوان والطور وجبل المكبر والثوري ، وسور باهر وعناتا ، وشعفاط ، تشهد أعنف الاشتباكات ضد قوات الاحتلال الصِّهيوني . . بل إن ساحة المسجد الأقصى تكاد تشهد عقب صلاة كل جمعة معارك ضارية ومظاهرات ضخمة يقودها جيل الغضب من المصلين المؤمنين بالله ، يرجمون قوات الاحتلال بالحجارة والزجاجات الحارقة ويحطمون سياراتهم ويدمرون آلياتهم ، استئنافًا لدور المسجد الأقصى ورسالته السامية .

مئات من أفراد قوات العدو الصِّهيوني تفرض حصارًا مشددًا على البلدة القديمة من القدس كل جمعة وخاصة المساجد ، وتقيم نقاط تفتيش لمنع السيارات العربية من الدخول إلى المدينة المقدسة في محاولة لمنع تصاعد ثورة الغضب . إلا أن هذه

الإجراءات تفشل دائمًا حيث يهاجم آلاف المتظاهرين قوات العدو ويمطرونهم بوابل من الحجارة والزجاجات الحارقة ، وتنطلق المظاهرات من المساجد تردد الله أكبر وتحرق العلم الصِّهيوني ، فتنطلق الرصاصات المطاطية ويسقط الشهداء وتقتحم القوات الحرم القدسي الشريف . . وتهاجم المصلين بالغاز المسيل للدموع ، وتعتقل بعضًا منهم ، وتفرض حظر التجول ، ثم لا تلبث أن تتكرر نفس هذه الحوادث في الأيام التالية وعقب صلاة كل جمعة . . هكذا أيام وليالي مدينة القدس تعيش ثورة شعبية متواصلة ودائمة . .

القدس كلمة السر ليلة الفاتح

إن ما جرى ويجري في القدس وفي أرض فلسطين العربية منذ آلاف السنين وحتى اليوم للعرب والمسلمين والإسلام من مآس وآلام وأحزان وظلم وأسر واحتلال . . احتل مكان القلب والصدارة في فكر مفجر ثورة الفاتح الإسلامية العقيد معمر القذافي.

فقد كانت القدس ولا تزال ، القضية العربية الجوهرية بلا جدال ، والمعيار الحقيقي لقوة العرب والمسلمين ، ومحور المواجهة بينهم وبين أعدائهم عبر العصور ، ليس ذلك فحسب ، بل إن العدوان الصِّهيوني على القدس الشريف في الحادي والعشرين من شهر هانيبال « أغسطس » أي قبل عشرة أيام من قيام الثورة جعلت القدس « كلمة السر » ليلة انفجار ثورة الفاتح « سبتمبر » عام 1969 م . . فمنذ الوهلة الأولى استأثرت القدس وفلسطين باهتمام الثورة ، وجاء التعبير عنهما صريحًا وصادقًا يبعث في الجماهير العربية والإسلامية روح الفداء والتحدي والثأر لتحرير القدس وفلسطين المحتلة من العدو المغتصب ، متمثلاً في صدق كلمات مفجر الثورة :

« **فهاتوا أيديكم ، وافتحوا قلوبكم ، وانسوا أحقادكم ، وقفوا صفاً واحداً ضد عدو الأمة العربية ، عدو الإسلام ، عدو الإنسانية ، الذي أحرق مقدساتنا ، وحطم شرفنا ، وهكذا سنبني مجداً ونحيي تراثاً ونثأر لكرامة جرحت وحق اغتصب** » .

لقد أدركت الثورة أن كل المخططات والسياسات والبرامج التي رسمها ويرسمها العدو الصِّهيوني تهدف إلى هضم حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، واغتصاب أرضه وتشريده عن وطنه ، واتخاذ القدس عاصمة لكيانه المزعوم ، بل إن الثورة أدركت فوق ذلك أن العدو الصِّهيوني لن يقتنع بالقدس وفلسطين فحسب بل يستهدف إقامة ما يسمى بـ « إسرائيل

الكبرى » من الفرات إلى النيل ، وتمتد أطماعه للسيطرة على العالم الإسلامي ، ويتجاوز حلمه هذا القدر للسيطرة على العالم كله . .

كل هذا استوعبته الثورة وتوصلت إليه من خلال التحليل الموضوعي ، ونبهت الجماهير العربية والإسلامية لهذا المخطط التوسعي الاستعماري العنصري ، وفضحت ذلك أمام المجتمع الدولي . من خلال كلمات مفجر الثورة حين قال :

« **إن المشكل المركزي هو الوجود الصّهيوني على الأرض العربية ، وليس مشكلة فلسطين ، فمشكلة فلسطين أصبحت الآن هامشية جانبية إزاء الخطر الصّهيوني الشامل** » .

ومن هنا تحملت الثورة دورها في المعركة المصيرية بثقة ومسؤولية ، فدعت إلى قومية المعركة مع العدو واتخذت من أرض الجماهيرية العظمى عمقًا استراتيجيًّا لساحة النضال والجهاد وسخرت كل إمكاناتها لدعم الثورة المسلحة للشعب الفلسطيني ، وفتحت باب التطوع للجهاد من أجل إنقاذ القدس وتحرير فلسطين المحتلة ، وعملت على تحريض الأمة واستنهاضها لحشد إمكاناتها في عمل عربي مشترك لتحقيق الوحدة لمواجهة التوسع الصّهيوني الاستعماري ، تمثل ذلك في برقيات الأخ الثائر المسلم معمر القذافي إلى الملوك والرؤساء العرب ، وتحركاته ولقاءاته وزياراته لأقطار الوطن العربي لتعزيز هذا التوجه الوحدوي انطلاقًا من إيمان الثورة بأن رص الصفوف وتوحيد الكلمة والهدف ، ونبذ الفرقة والانقسامات هو الطريق الوحيد لتحرير القدس وفلسطين من قبضة الصّهيونية والصليبية . .

مدينة الخليل

وفي مدينة الخليل تكاد جريمة التهويد لهذه المدينة التاريخية وتحويل الحرم الإبراهيمي إلى معبد يهودي تمر بصمت مخزٍ ومحزن ومفجع ، لا يتصدى لهذه الجريمة إلا أولئك الصامدون من أبنائها بالحجارة والعصي وبصدورهم المشرعة أمام أسلحة الدمار والفناء ، فيما يقف العرب والمسلمون متفرجين صامتين على ضياع مقدساتهم الإسلامية .

والذريعة التي يتخذها الصهاينة لتهويد مدينة الخليل أنها كانت مقرًّا للملك داود أيام ملكه . . وأن داود عليه السلام أقام في الخليل سبع سنوات وستة أشهر ، وبهذه الأساطير

التي لا حصر لها يتحدى الصهاينة العقل الإنساني ويسخرون منه ويمضون في تهويد المقدسات الإسلامية واقتلاع العرب المسلمين من أرضهم ، وبهذا تتحول الأساطير والأباطيل إلى حجج وذرائع تبرر بها اقتلاع شعب واغتصاب وطن وتشريد المزروعين فيه منذ عام 3500 قبل الميلاد كما تؤكد الحقائق التاريخية الثابتة المكتوبة .

الخليل بناها العناقيون العرب قبل 3500 عام قبل الميلاد

من الثابت تاريخيًّا أن الخليل من أقدم مدن العالم . وهذا ما أكدته نتائج عمليات التنقيب عن الآثار التي أجرتها بعثة جامعة « يوتاه » الأمريكية التي رأسها البروفسور « هاموند » . . فقد أثبتت دراسات هذه البعثة أن تاريخ هذه المدينة يعود إلى أكثر من 3500 عام قبل الميلاد ، وأن هذه المدينة بناها العناقي « الأربع أبو عناق » وظلت الخليل تعرف باسمه « قرية العناق » زهاء ألفيْ عام .

والعناقيون هم أحد بطون الموجة العربية الكنعانية التي استوطنت فلسطين منذ فجر التاريخ . وكان العناقيون قد بسطوا سلطانهم على مثلث ما بين الخليل ، غزة ، بئر السبع . وعرف العناقيون في التوراة والقرآن بشدة البأس لدرجة أن قوافل الاستطلاع التي بعثها موسى عليه السلام من سيناء لاستطلاع مداخل فلسطين الجنوبية أعلنوا تمردهم ورفضوا دخول فلسطين من جانب أرض العناقيين : كما جاء في سورة المائدة من القرآن الكريم : ﴿ **قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ** * ﴾ .

﴿ **قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ** * ﴾ « سورة المائدة : الآية 24 » .

ولما اجتاح اليهود القدامى أرض كنعان على يد « يوشع بن نون » اقتطع المدينة لأحد قادته العسكريين « كالب بن يفنة » الذي استبدل اسمها العربي باسم أحد أولاده « حيرون » . وقد ظلت الخليل كذلك إلى أن غلب عليها مع الفتح العربي الإسلامي اسمها الحالي « الخليل » نسبة إلى خليل الرحمٰن النبي إبراهيم عليه السلام الذي يرقد وأسرته في مدفن تحت حرمها الشريف في مغارة « المكفيلة » التي تشير كتب التاريخ إلى أن الخليل إبراهيم اشتراها وحقّلها من شخص يدعى « عقرون بن صوحر الحثي » حتى يدفن زوجته سارة بها .

وعندما توفى إبراهيم الخليل دفن في المغارة ذاتها . . . وفي عهد الاحتلال الروماني لفلسطين وأيام حكم الإمبراطور « يوستيفانوس » أقيمت كنيسة على مقبرة إبراهيم وزوجته ، لكن الفرس دمروها في أثناء غاراتهم التي شنوها عام 614 م ، وبقيت كذلك حتى جاء العرب المسلمون ، وكان من الطبيعي أن تتجه أنظارُ المسلمين إلى مقام إبراهيم أبي الأنبياء فرمموه . ولما جاء الأمويون شيدوا سقف الحرم الحالي والقباب التي فوق مراقد إبراهيم ويعقوب وزوجتيهما .

ودار الزمان دورته ووقعت الخليل في قبضة الصليبيين في عام 1099 م وقاموا بتحصينها نظرًا لموقعها الجغرافي الهام ، ولتحكمها في المناطق المحيطة بها ، وأطلقوا عليها اسم قلعة القديس « إبراهام » وبعد الاحتلال الذي دام نصف قرن تقريبًا . استردها صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة « حطين » وأعاد المسجد للمسلمين بعدما حوَّله الصليبيون إلى كنيسة . وهو الآن الحرم الإبراهيمي ، ونقل إليه منبر عسقلان الذي كان الخليفة الفاطمي قد أمر بصنعه ، ومازال هذا المنبر موجودًا حتى اليوم . وظلت الخليل مهددة بالغزو بعد تحريرها إلى أن تَمَّ طرد الصليبيين من فلسطين وديار المسلمين . .

الخليل أرض الثورات ومنطلقها

لقد عرف تاريخ الجهاد في فلسطين دورًا لأبنائها في الدفاع عن المقدسات الإسلامية بل كانت الخليل مركز الثورات ومنطلقها منذ بدء الخطر الصِّهيوني ، فمنها كان عطا الزبير ، ومحمد جمجوم شهيدي « الثلاثاء الحمراء » في مطلع الثلاثينات . و إذا كانت الخليل تعاني اليوم الاحتلال المسنود بالآلة الأمريكية الصليبية فإن ذلك لن يطول إلى الأبد بأي حال من الأحوال .

ومن أبرز أعلام الخليل القائد الإسلامي الفذ موسى بن نصير الذي شارك في فتح الأندلس مع طارق بن زياد ، وكذلك أبو الفضل بن الربيع بن يونس وزير أبي جعفر المنصور . ثم ابنه الفضل الذي تولى تصفية حركة البرامكة الشعوبية . .

وعوداً على بدء إذا كانت سبعُ سنوات وستة أشهر فقط من إقامة داود في تلك المدينة جعلت لليهود الأشرار حقًّا في تلك المدينة المقدسة . فأية حقوق لأهلها المزروعين منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة؟؟ ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ . . .** ﴾

مدينة عسقلان . . جوهرة الإسلام

عسقلان من أقدم مدن العالم . . كنعانية الأصل . . وقد تعاقبت عليها حضارات وأحداث مريرة ودامية منذ أن أقامها الكنعانيون العرب ، إلى الاحتلال الروماني ثم استردادها على يد الفاتحين العرب المسلمين، إلى تخريبها وتدميرها بأيدي الصليبيين ، ثم إعادتها للمسلمين على يد القائد صلاح الدين الأيوبي ، إلى المماليك العثمانيين ، وانتهاءً بالاغتصاب الصِّهيوني لها ليقضيَ على معالمها التاريخية والحضارية . . ولكنها تظل كالأسطورة لتبعث من جديد تاريخها الأصيل ، لتبقى الرمز والدليل وتعود كما كانت عروس الشام وجوهرة الإسلام .

عسقلان حوَّلها الصهاينة إلى نواد وملاه ليلية

لقد حوَّل الصهاينة « عسقلان » من مدينة عربية إسلامية إلى مستوطنة صهيونية . . ومعالمها الإسلامية إلى نوادٍ ليلية وملاهٍ وثنية ، ومراكز إرهابية ، ومحطة لمراقبة الإشعاعات النووية . . ولكنها محنة لا بد من أن تزول . .

كانت عسقلان آخر المدن التي حررها العرب المسلمون في فلسطين من قبضة الرومان . وكانت آخر معقل طرد منه الصليبيون ، حتى اختلط في كل شبر من ترابها دماء المجاهدين والعلماء والصحابة المسلمين . . إن تراب عسقلان مبارك روته دماء الشهداء على مر السنين . .

لعبت عسقلان دورًا حضاريًّا وتاريخيًّا كبيرًا . . فقد كانت إحدى الدور التي تُضرب فيها النقود ، كما كانت هي وعكا من الثغور التي تصنع فيها الأساطيل للجهاد والفتح ، وكما يروي « ياقوت الحموي » في معجم البلدان فقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدَّث بها خلق كثير » .

وبظاهر عسقلان « وادي النمل » ويقال إنه المذكور في القرآن الكريم ، وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والأولياء ما لا يحصر لكثرته .

وبرغم خراب عسقلان والتدمير الذي قضى على دُورِها حيث أصبحت أطلالاً دارسة مدة طويلة حتى إن حجارتها أُخذت منها للبناء لم يبق إلا ذكرى معالمها . فالمسجد الذي

بناه أحمد باشا الجزار جُلِبت أكثر حجارته من بقايا مدينة عسقلان . . وبرغم ذلك بقيت عسقلان الحضارةَ والإرثَ الذي يؤجج الحمية في قلوب المسلمين .

وادي النمل

لعل من أهم معالم عسقلان « وادي النمل » الذي يقال إنه المذكور في القرآن الكريم ، وهو في جوار البقايا الشرقية لسور عسقلان و إلى الجنوب الغربي من بناء « قرية جورة » التي توجد بها المقبرة الشهيرة . ولعل هذه المقبرة هي مقبرة قريش التي كانت تعرف بعسقلان بهذا الاسم بعد الفتح العربي الإسلامي .

وفي عام 1883 عثر المنقبون بين أنقاض عسقلان على النقوش الآتية : « **بسم الله الرحمٰن الرحيم . أمر بإنشاء هذه المئذنة والمسجد المهدي أمير المؤمنين حفظه الله وأعظم أجره وأحسن جزاه على يد المفضل بن سلام السمري وجوهر بن هشام القرشي . في المحرم سنة خمس وخمسين ومئة . لا إله إلا الله الملك الواحد القهار لا شريك له** » .

عسقلان مدينة العلم والعلماء

اشتهرت عسقلان بكثرة من ولد فيها أو استوطنها ممن عرفوا بفضلهم وبعلمهم . ويضيق المكان عن ذكر هؤلاء من العلماء ورواة الأحاديث والأدباء والشعراء والخطباء والقضاة والنحاة ، ولعل القاضي الفاضل (1135 ــ 1200) أشهر من نبغ من أهل عسقلان وهو المولود بمدينة بيسان بفلسطين ، وقد اتخذه القائد صلاح الدين الأيوبي وزيرًا له عندما وصل إلى مصر ، وقد دبر القاضي الفاضل دولة صلاح الدين أحسن تدبير وبقي في الوزراة حتى وفاة صلاح الدين فتوفي بالقاهرة فجأة ودفن بسفح المقطم .

لقد ظلت عسقلان صابرة تصارع الأحداث ، وقد دمِّرت وهوِّدت فمن يعيدها إلى حياض الإسلام كما أعادها صلاح الدين ؟ !

لقد احتل الصهاينة عسقلان يوم 1948/11/5 م . . وحولوها إلى مستوطنة صهيونية ، وها هي الأيام تمر والسنون تمضي ، وتتعالى همسات الثأر من أطلال عسقلان ومن قبور المجاهدين الشهداء فهل من مجيب ؟ ؟

غزة . . بوابة الفتح ، وجسر العودة إلى فلسطين

قليلة هي المدن التي تعرضت للكوارث والنكبات والدمار عبر التاريخ وظلت صامدة مثل « مدينة غزة » . . ولعل موقعها الجغرافي كان السبب فيما لحق بها . . فهي تقع على حافة الساحل الجنوبي لفلسطين المتاخم لبرية سيناء مما أهّلها لأن تكون استراحة القادمين من مصر ، القاصدين الشام ، والمحطة الأخيرة للذاهبين إلى مصر .

وهي بوابة الشام الجنوبية . . بل بوابة الفتح ، وجسر العودة إلى فلسطين ، وستبقى غزة برغم ما مرت وتمر به من محن و إحن وهي في الأسر الصّهيوني تمثل الرمز والأمل ،

أوليست هي المدينة *التي* رأت طلعة عبد الله بن عبد المطلب الذي أعده الله لأكرم أبوة عرفها التاريخ ؟ وهي المدينة الوحيدة التي تحدت جبروت الإسكندر وقاومته ووقفت في وجهه بينما أذعنت كل المدن لناره وجبروته .

وهي غزة التي حين حُرمت من السلاح جدلت من شعور أعدائها حبالاً لتجعلها مشانق للغزاة ! !

ومن يدري فلعل غزة الواقعة اليوم في الأسر الصّهيوني والمنتفضة بقوة في وجه الأعداء ـ وكما عودتنا من قبل ـ تنتصر في سحق الأعداء و إزاحة الاحتلال فتكون البشارة والنبوة . . بوابة الفتح وجسر العودة إلى فلسطين .

وغزة مدينة كنعانية ، من مدن العالم القديمة . . والعرب الكنعانيون هم الذين أطلقوا عليها اسم غزة . .

لا مجال للشك في عروبة غزة ، وعليه يمكن القول بأن غزة ، مدينة عربية منذ تأسيسها ، فهي من المدن التي أقامها الكنعانيون العرب . وكان عرب الحجاز واليمن يكثرون من التردد على غزة للتجارة . فقد نزلها « أمية بن أبي الصلت » الثقفي ، وتوفّيَ فيها « هاشم بن عبد مناف » الجد الثاني للرسول صلى الله عليه وسلم ، وما زال قبر هاشم حتى الآن في الجامع المسمى باسمه في حي الدرج . ونسبة إليه دُعيت غزة باسم « غزة هاشم » كما أن والد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب كان قد نزل غزة للتجارة .

ومن هنا يظهر لنا أن علاقة العرب بغزة قديمة . فهي علاقة متينة الأواصر . لم تكن علاقة كسب وبيع وشراء بل علاقة مصير ، وأواصر قربى وأصل واحد ، وامتداد طبيعي لوطن كان ممزقًا بين الروم والأحباش والفرس . وظلت في الأسر حتى كانت رسالة الإسلام الخالدة التي حملها العرب إليها في شهر النوار « فبراير » عام 634 م على يد عمرو بن العاص في خلافة أبي بكر الصديق .

و إذا كان الصليبيون قد تمكنوا من الاستيلاء على غزة عام 491 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فهدموا أسوارها وبنوا فيها كنيسة باسم « يوحنا المعمدان ـ النبي يحيى » فإن المسلمين عادوا بعد معركة « حطين » عام1187 م فأعادوا غزة إلى أصحابها المسلمين . . ووقع قائد الصليبيين أسيرًا في يد المجاهدين المسلمين ، وأُخِذ إلى البطل صلاح الدين الأيوبي الذي أطلق سراحه . . ثم خرب المسلمون حصونهم وحولوا الكنيسة « كنيسة يوحنا المعمدان » إلى مسجد وهو الجامع الكبير اليوم بعد طرد الغزاة من غزة .

وبعد سقوط بغداد وحدوث النكبة العظيمة عام 1258 زحف هولاكو على بلاد الشام حتى وصل المغول غزة فقتلوا الرجال والأطفال وسبوا النساء واستاقوا المواشي ونهبوا كل ما وجدوه وخربوا غزة وما حولها .

ولكن سرعان ما ضمدت غزة الجسورة جراحها ، وثأرت بعد عامين فقط من المغول تحت راية « بيبرس » فهزمهم المسلمون واستمروا في ملاحقتهم حتى ظفر المسلمون بهم في معركة فاصلة في « عين جالوت » بالقرب من بيسان عام 1260 م .

إن هزيمة غزة للمغول كانت أولى معارك الجهاد التي أيقظت المسلمين وجعلتهم يؤمنون بأن هزيمة المغول ليست مستحيلة ، وكانت تلك مقدمة وفاتحة لمعارك حتى كُتِبَ النصر النهائي للمسلمين على المغول .

وبعد الصليبيين والمغول جاء غزة المماليك حيث أصبحت غزة مركزًا للسلاطين حينما كانوا يتوجهون لزيارة بيت المقدس والحجاز . وتارة كانت مركزًا مهمًّا للبريد يأتي إليها من مصر ، ومنها كان يتفرع إلى بلاد الشام .

وفي العصر المملوكي شهدت غزة أرقى مراحل تألقها ، ولمع فيها أعلام كبار في المجالات الحيوية والسياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وظلت غزة تحت

سيطرة المماليك حتى تمكن العثمانيون من الاستيلاء على بلاد الشام فأصبحت غزة تابعة لولاية دمشق التي عين « خان بُرد الغزالي » واليًا عليها من قِبَلِ السلطان سليم العثماني .

وفي حملة نابليون اتخذ الفرنسيون غزة قاعدة لهم لتقدمهم في فلسطين ثم غادروها بعد أن مكثوا فيها أربعة أيام . . ولما انهزم نابليون أمام أسوار عكا في عام 1799 م سرَّ بغزة في طريق عودته إلى مصر . . ولما تكشفت نيات الفرنسيين الصليبيين في استعمار الديار الإسلامية رأى الشباب المؤمن الواعي أن الواجب الديني والوطني يدعوهم لقتل من غزا أوطانهم .

ولأجل هذا اتفق خمسة من طلبة العلم الشاميين الدارسين في الأزهر وقرروا إعدام الصليبي الجنرال « كليبر » القائد الذي عهد إليه نابليون بقيادة الجيش الفرنسي بعد عودته إلى فرنسا . وكان من بين هؤلاء الخمسة أربعة من أبناء غزة الباسلة وخامسهم الذي نفذ الإعدام في الصليبي كليبر كان حلبيًّا وهو سليمان الحلبي .

وفي الثامن عشر من شهر الصيف « يونيو » عام 1800 م نفذ سليمان الحلبي حكم الإعدام في كليبر بالقاهرة .

وحوكم هؤلاء المجاهدون الأبطال أمام محكمة فرنسية قضت بتعذيبهم بحرق يد سليمان الحلبي اليمنى ثم إعدامه فوق « الخازوق » وبقاء جثته في الهواء تأكلها الطيور . وبقطع رؤوس الباقين ووضعها على نبابيت ، وحرق أجسامهم بعد مفارقة الحياة . .

غزة لم يقطنها اليهود منذ أن وجدت

وظلت غزة تحت الحكم العثماني حتى جاءت الحرب الأولى ، ودخلت غزة تحت الحكم البريطاني المقيت عام 1917 م حيث دخلها الانجليز فوجدوها قاعًا صفصفًا ليس بها أثر للجنود ولا للأهالي فقد حمل العثمانيون سكانها على الرحيل جميعًا ، وكانت مدافع البريطانيين قد دكت المنازل والمباني .

ومنذ ذلك الحين بدأت المآسي والنكبات من جديد بدخول البريطانيين الذين مهدوا لضياع فلسطين ، و إعطائها لقمة سائغة للصهاينة . ورغمًا عن أن أرض غزة وما حولها لم يقطنها اليهود منذ أن وجدت . فقد رأى الغرب الصليبي ضمانًا لمصالحه

الاستعمارية أن يساعد الصهاينة ويمدهم بكل وسائل الدمار للاستيلاء على غزة بعد عدوان 1967 م ثم بإقامة المستوطنات في الأراضي العربية الفلسطينية المحتلة .

غزة أرض المقدسات والعلماء والمشاهير

اشتهرت مدينة غزة منذ الفتح الإسلامي بكثرة مساجدها . . ولا يزال بها إلى اليوم مساجد عديدة لعل أشهرها . . الجامع الكبير ، وجامع السيد هاشم ، وجامع ابن عثمان ، وجامع الشيخ زكريا ، وجامع المحكمة البرديكية ، وجامع ابن مروان ، وجامع الايبكي ، وجامع كاتب الولاية .

ومن أعلام ومشاهير غزة (الشافعي) الذي ولد فيها عام 139 لوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . وأبو عبد الله محمد عمرو بن الجراح الغزي من رواة الحديث وعلماء القرن الثالث من وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام . والحسين بن الفرج فقيه وراوية من رواة القرن الثامن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر محمد بن العباس بن وصيف عالم وفقيه توفي عام 361 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن الحسن بن علي المعروف بالترجمان ، وإبراهيم بن عثمان الكلبي الأشهبي الغزي أبو إسحٰق ولد في غزة وهو شاعر العصر وحامل لواء القريض .

وبعد؛ فإن أعلام ومشاهير غزة يضيق بهم المجال ، ويكفي غزة فخرًا في عصرنا هذا أنها أم الأبطال ، ومفجرة الثورات ، وصانعة البطولات حين خيم اليأس وعمت دياجير الظلمة . فقد كان لها السبق في الكلمة المقاتلة وفي البندقية المشرعة في وجه الاحتلال الصِّهيوني ، وفي إطلاق شرارة ثورة الحجارة الظافرة التي أَوْرَتِ النار تحت أقدام الصهاينة المحتلين ، لتعود غزة بوابة الفتح وجسر العودة إلى فلسطين ، ويصدق فيها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان** » .

المصادر

كتاب : التطور العمراني لمدينة القدس ، للدكتور عبد العليم عبد الرحمٰن خضر .

كتاب : نظرات في القضية العربية ـ عبد الهادي أبو طالب .

كتاب : فلسطين والقدس في التاريخ ـ وكالة الأنباء الكويتية « كونا » .

كتاب : القدس في البال ، المقدسات الإسلامية في فلسطين ـ منشورات مجلة « بلادنا » .

مجلة رسالة الجهاد الأعداد : 27 ـ 30 ـ 32 ـ 44 .

ملحق

بيان اللجنة التنفيذية للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية العالمية حول ثورة الحجارة

أصدرت اللجنة التنفيذية للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية في اجتماعها بتاريخ 8 من شهر الربيع « مارس » 1988 م بالعاصمة المالطية بياناً حول ثورة الحجارة (التي يقودها جيل الغضب داخل فلسطين المحتلة) جاء فيه : ـ

إن اللجنة التنفيذية للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية ـ وهي تعقد اجتماعها الأول لهذه السنة ـ لتحيِّي بإعزاز ثورة الحجارة التي أشعل أوارها جيل الغضب في وجه العصابات الصِّهيونية التي تمادت في غيها وطغيانها واستهانتها بكلِّ القيم الإنسانية ، وانتهاكها للمقدسات الإسلامية على مدى عقود أربعة من الزمان مدعومةً في كلِّ تلك الممارسات بالقوى الصليبية الحاقدة على العرب والمسلمين ، تلك القوى التي اعتقدت بأنها قد قتلت إرادة التحدي في روح وضمير هذه الأمة ، ومهدت طريق الاستسلام والتفريط في حقوق الشعب العربي المسلم في فلسطين ليسلكه المتخاذلون والمستسلمون الذين نسوا أو تناسوا بأنهم بذلك يتآمرون على الإسلام والمسلمين في وضح النهار ويستهينون بالتضحيات الجمة التي قدمتها هذه الأمة في مختلف العصور .

ولكن ها هو جيل الغضب يقلب كلَّ هذه المفاهيم ، ويدحض جميع تلك الأباطيل ، ويحول أحلام العدو إلى أوهام ، ويبرهن ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ على أن التحدِّي لم يمت في ضمير هذه الأمة وأن التصميم الأكيد على رفع راية الجهاد لاسترداد المقدسات التي انتُهكت واستعادة الحق الذي اغتُصب لم تزعزعه الملمَّات .

ها هو جيل الغضب المؤمن بالله المجاهد في سبيله والذي يتسلح بالحجارة والعصي والسكاكين يقضُّ مضاجع بني صهيون ويواجه بجرأة وشجاعة منقطعة النظير البنادق والرشاشات . والمدافع وقنابل الغازات السامة ، ويؤكد حقيقة طالما أكدها المجلس العالمي في جميع دوراته بأنه لا سبيل إلى استرداد المقدسات الإسلامية إلاَّ

برفع راية الجهاد ، وتسخير جميع الإمكانات في مواجهة العدو الحقيقي للأمة العربية والإسلامية ، وها هم ثوار الحجارة يثبتون للعالم ـ العدو فيه والصديق ـ بأن شباب هذه الأمة ومجاهديها قادرون على كشف كلّ المؤامرات ودحض كل الأباطيل التي تحاول صرف أنظار جماهير المسلمين عن ذلك الطريق .

إن الجموع الشابة المؤمنة التي تذود اليوم عن حرمة أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وتدفع الشهداء مع مطلع كل شمس لَتُؤَكِّدُ حتمية انتصار هذه الأمة وقدرتها على رفع الضيم والقهر عنها مهما تآمر المتآمرون ومهما أُلجمت الأفواه ، وصمتت البنادق .

إن جماهير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مطالبة اليوم بوقف جميع إمكاناتها ، وتسخير كل قدراتها ، وحشد جميع طاقاتها لدعم هذه الثورة مادياً ومعنوياً ، والعمل على تصعيدها واستمراريتها ، وذلك لا يتأتّى إلا بنسيان خلافاتنا المذهبية والطائفية التي يسعى العدو إلى تعميقها و إطفاء نار المعارك التافهة التي يحاول العدو أن يزيد من لهيبها يوماً بعد يوم لنقف يداً واحدة وقلباً واحداً مع إخواننا الذين يواجهون الرصاص بالحجارة ، ويواجهون الرشاشات والمدافع بالعصي والسكاكين ، وأن نعمل جهدنا لنكشف للعالم والهيئات الدولية ومنظماته الإنسانية الأساليب القمعية الإرهابية التي تستخدمها العصابات الصّهيونية ضد إخواننا العزل في فلسطين المحتلة .

المجد لجيل الغضب ، المجد لثوار الحجارة ، والخلود لشهدائنا الأبرار .

اللجنة التنفيذية للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية

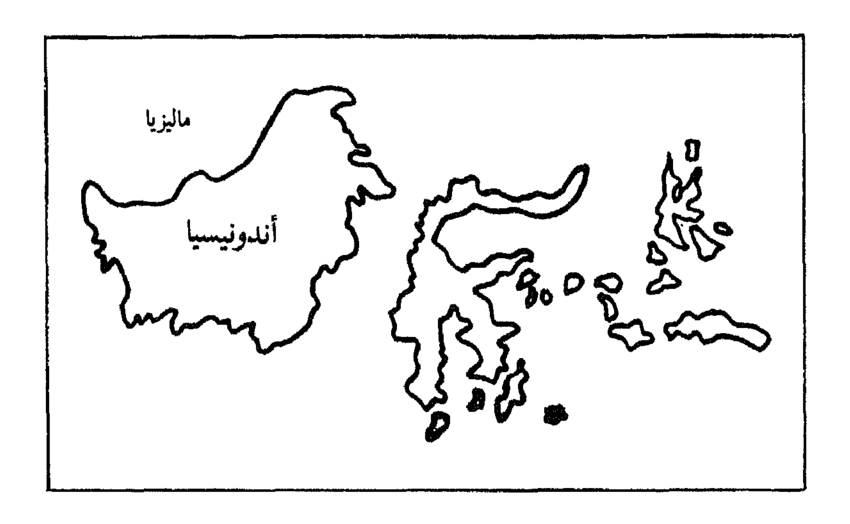
الأمانة العامة المؤقتة تحي جهاد الشعب الفلسطيني

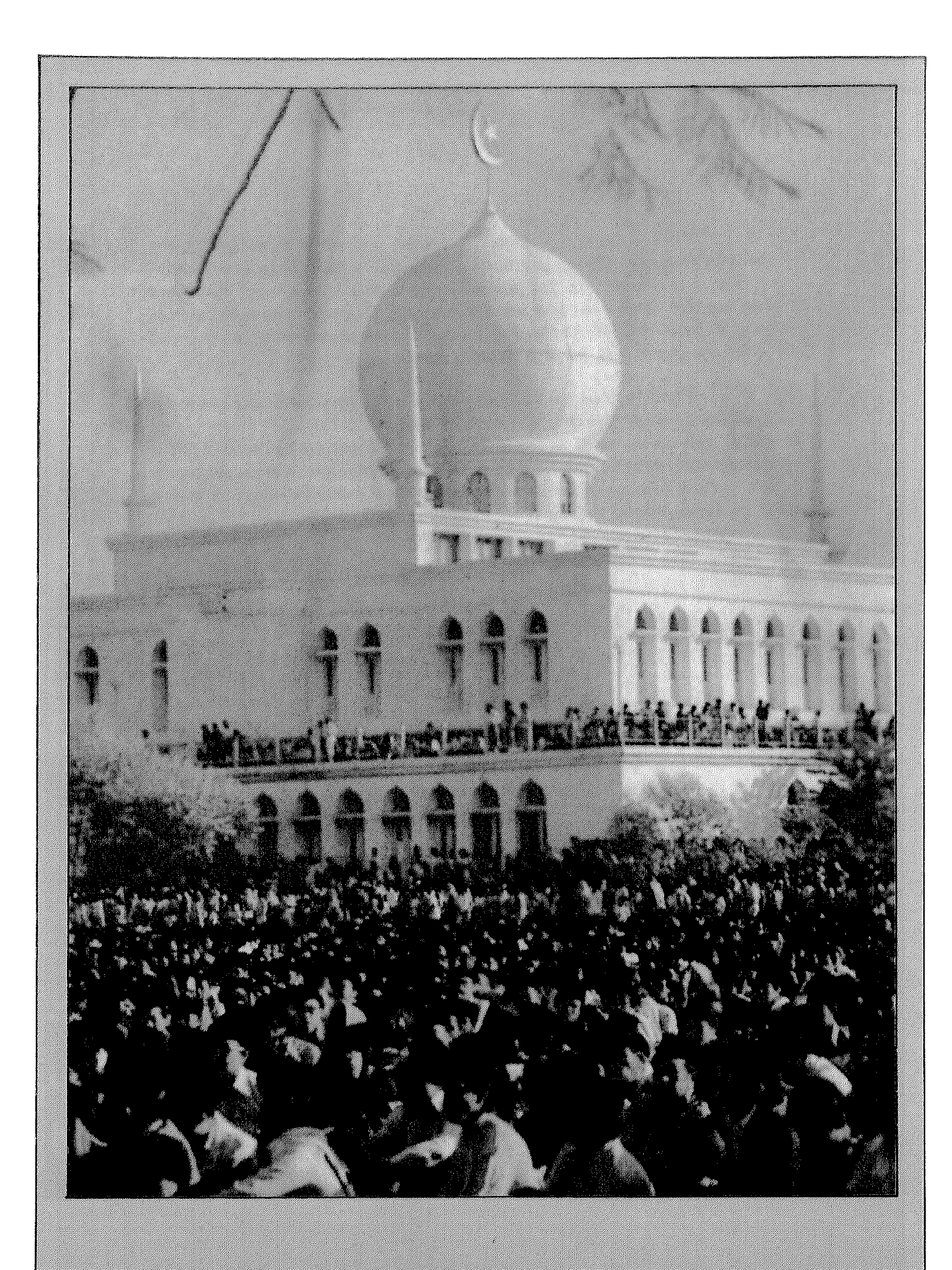
حيَّت الأمانة العامة المؤقتة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية في بيانها الختامي الصادر عن اجتماعها الأول المنعقد في طرابلس بالجماهيرية العظمى بتاريخ 1989/12/20 م حيَّت جهاد الشعب الفلسطيني الباسل ، وأكبرت ثورته الشعبية العارمة

التي أشعلت شمعتها الثالثة ضاربةً أروع المثل في مكافحة الباطل ورفض العنصرية ومجاهدة العدوان . وأدانت الأمانة العامة المؤقتة كلّ المؤامرات الرامية لإجهاض هذه الثورة الشعبية ، وكلّ المحاولات غير الشريفة للتعتيم الإعلامي والسياسي على تضحياتها وبطولاتها الفذة .

وحثت الأمانة العامة المؤقتة جماهير المسلمين والمنظمات والأحزاب والهيئات الإسلامية في كلّ مكان على مواصلة تصعيد التضامن مع الثورة الشعبية في فلسطين بمختلف السبل والوسائل .

أندونيسيا . . أرخبيل الجزائر الإسلامية





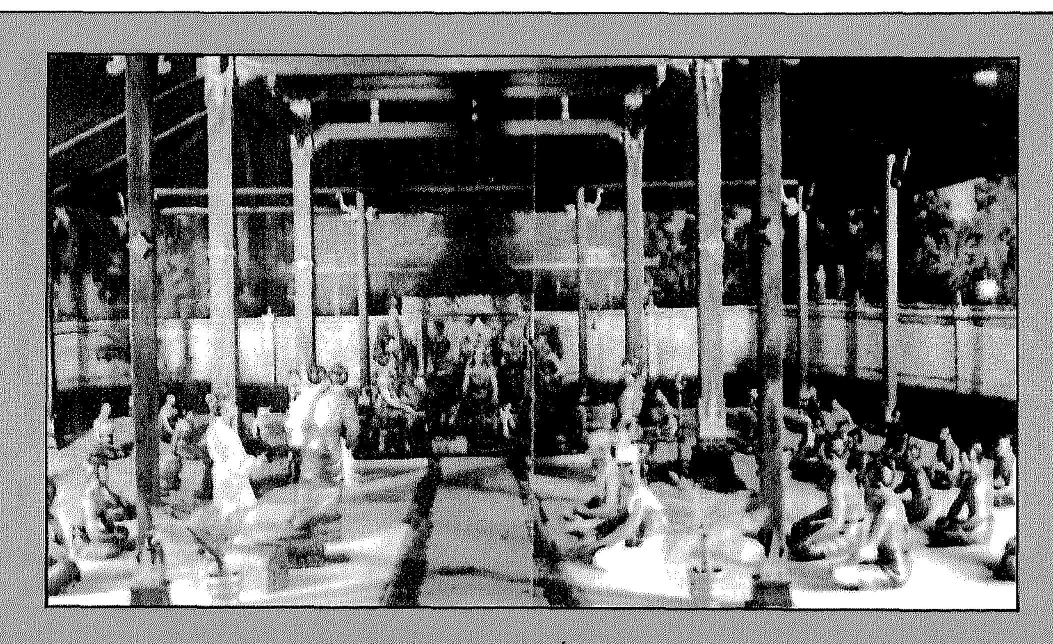
أحد أكبر مساجد أندونيسيا غصت ساحته بالمصلين .



شارع محمد حسني طمرين أحد زعماء المقاومة ضد الاستعمار في قلب العاصمة الأندونيسية الحديثة «جاكارتا»

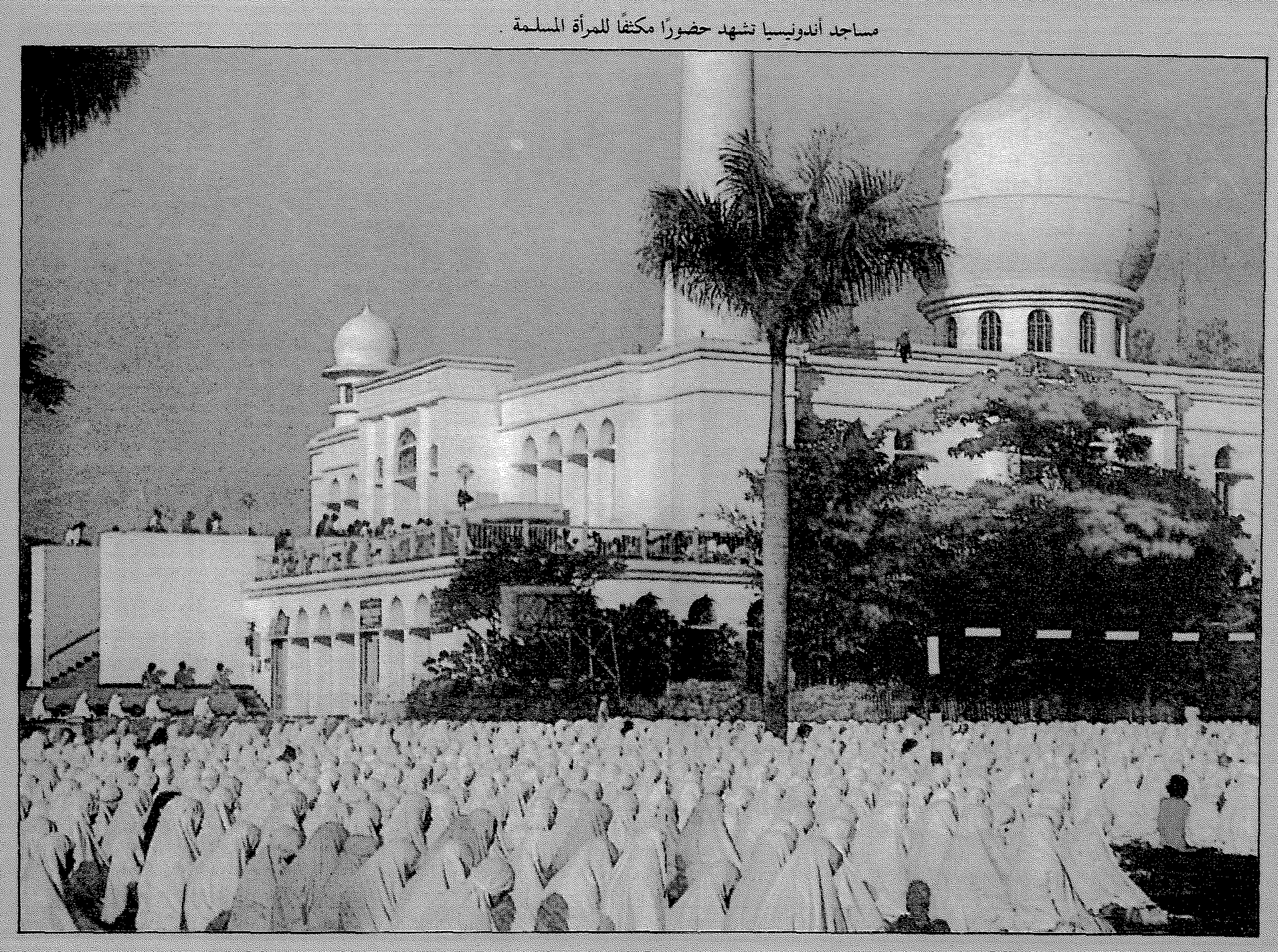


مزارع الأرز غذاء أندونيسيا الرئيس .



المتحف الوطني الذي يروي قصة أندونيسيا من خلال التراث الزاخر الذي يحتويه .

مساجد أندونيسيا تشهد حضورًا مكثفًا للمرأة المسلمة .



جزائر أندونيسيا المترامية الأطراف ، والتي غمرها نور الإسلام باكرًا تُعَدُّ من أكبر البلدان الإسلامية في العالم ، وتعتبر معقلاً من معاقل الإسلام الذي تعرض طويلاً لمحاولات صليبية متعصبة حاولت زحزحة وهدم هذا المعقل الحصين . .

فعلى مدى ثلاثة قرون رزحت خلالها أندونيسيا قبل استقلالها تحت الاستعمار ، لم يستطع المستعمرون أن يفتُّوا في عضد المسلمين من أبنائها ، فقد وقف المسلمون في وجه الاستعمار حتى تخلصوا من قبضته . . لكن الصليبية الجديدة تأبى إلا أن تحاول من جديد تحويل هذا الصرح الإسلامي إلى منطقة مسيحية ، تدخل ضمن مناطق الهيمنة الصليبية الاستعمارية التي تريد استعمار الأرض والأفئدة ، فتنفق الأموال الطائلة في سبيل تحقيق هذا الهدف الاستعماري ، وتصرف في أندونيسيا وحدها أكثر من نصف مليار دولار سنويًّا ، مستثمرة ظروف هذا البلد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تحويل أبنائه عن دينهم واتخاذ موطنهم قاعدة تنطلق منها هجمات تبشيرية معادية للإسلام في المنطقة برمتها .

أكثر من 90% من
الأندونيسيين يدينون بالإسلام

أندونيسيا بلاد بعيدة تفصلها عنا آلاف الأميال ، وكان الوصول إليها يُعَدُّ ضربًا من المغامرة بسبب بعدها الجغرافي ، وهي مجموعة من الجزر الهائلة العدد تسبح في مياه المحيطين الهادي والهندي . أكثر من ثلاثة عشر ألف جزيرة مأهولة ، ومهجورة ، يعيش فوقها أكثر من مئة وستين مليونًا من البشر ، معظمهم في القرى التي يزيد عددها على ستين ألف قرية . وتعتبر أندونسيا الخامسة بين دول العالم من حيث الكثافة السكانية . بعد الصين والهند والاتحاد السوفيتي وأمريكا .

أكثر من 90% من أفراد الشعب الأندونيسي يدينون بالإسلام . أي أن هناك أكثر من 135 مليون مسلم ، ومعنى ذلك أن أندونيسيا هي أكبر بلد إسلامي في العالم . ومع ذلك لم يصل إلى أندونيسيا جندي عربي واحد ! ! بل وصل الإسلام إلى تلك البلاد البعيدة عن طريق التجار العرب المسلمين .

دخول الإسلام إلى
أندونيسيا

ومن العسير تحديد بدء دخول الإسلام إلى تلك الجزر . وتقول المراجع : إن تجار المسلمين أنشؤوا لأنفسهم مراكز تجارية على سواحل سومطرة وشبه جزيرة الملايو منذ وقت مبكر ربما في القرن الثامن والتاسع الميلاديين . وقد أتى أوائل التجار أول الأمر من عُمان وحضرموت والساحل الجنوبي لليمن ، وبعد ذلك وصل إلى هذه الجزر تجار المسلمين من الهنود ومن شبه جزيرة « الكجرات » التي يسميها « المسعودي » « جوجرة ». واتخذ تجار العرب الأول مراكزهم الأولى على الشاطيء الغربي لسومطرة وكانوا يسمونها « سمورة » .

ويبدو أن أول جماعة إسلامية كبيرة قامت في أندونيسيا كانت في الطرف الشمالي لجزيرة سومطرة في موضع يسمى « أتجية أو آتشية». ويقال كذلك : إن أول من حمل الإسلام إلى هناك داعية عربي يسمى عبد الله عارف ، وقام تلميذ له يسمى برهان الدين بحمل الدعوة حتى ناحية « بريامان » على الساحل الغربي لسومطرة .

وقد بلغ من تمكن الإسلام هناك أن رجلاً مسلمًا استطاع أن يُقيم أول مملكة إسلامية هناك وتدعى « مملكة آتشية»، ويسمى هذا الرجل باسم جيهان شاه ، ويغلب الظن أنه هندي . وتزوج من أهل البلاد وتسمى باسم « سري بدوحا » .

وظل انتشار الإسلام في سومطرة مقصورًا على السواحل زمنًا طويلاً لأن الهندوكية كانت عميقة الجذور في الداخل تؤيدها مملكة تسمى « مانج كابا » . ويقول ماركو بولو الذي زار تلك الجزر في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي : إنه كان هناك « مملكة برلاك » الإسلامية الواقعة على الساحل الشمالي لسومطرة تجاه «ملقا».

ومن هنا نلاحظ أنه منذ القرن الرابع عشر الميلادي كان الجزء الشمالي لجزيرة سومطرة تقوم فيه مملكة آتشية وكذلك مملكة برلاك وكلتاهما إسلاميتان .

ومن بين الأدلة التي استند إليها المؤرخون في وجود هذه الممالك الإسلامية أن العرب استوطنوا شواطيء سومطرة وبالتحديد في آتشية في نحو القرن السابع أو الثامن الميلادي إذ كانت لهم هناك مستوطنات استقروا فيها ، ومن هناك نشروا الإسلام في

جميع الجزائر الأندونيسية وأطرافها السابحة في مياه المحيطين .

ويذهب المؤرخون إلى أن علاقات مملكة آتشية ببلاد العرب قد ترسخت وتوطدت منذ دخول الإسلام إليها . ولقبت منطقة آتشية بلقب « سلاملك مكة » أو الصالة الأمامية لمكة ولاتزال حتى الآن تعرف بذلك .

ويضيف المؤرخون : إنه بالرغم من دخول الإسلام إلى أندونيسيا باكراً فإن عملية الأسلمة الجماعية حدثت في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر ، وقد دخل الإسلام إلى جزيرة جاوة في نحو القرن الخامس عشر الميلادي ، ويمكن الاستدلال على ذلك من وجود كتابة على شاهد قبر في قرية بجاوة الشرقية كتب عليه اسم المتوفاة فاطمة بنت ميمون توفيت عام 1082 ميلادية ، ولكن عملية الأسلمة الجماعية الكبرى حدثت على يد الدعاة الذين اشتهروا بلقب « أولياء الله التسعة » ، وبعض هؤلاء ينحدر من أصلاب عربية ، ولايزال الناس يسمونهم بالأولياء التسعة .

أول مسجد بالجزائر الأندونيسية

وكان أول مسجد أقامه هؤلاء الأولياء مسجد « **ديماك** » وهي مدينة تبعد بضعة كيلومترات شرقي مدينة « **سمارنج** » بجاوة ، ولايزال هذا المسجد الأثري قائمًا حتى الآن ، ويعتبره المسلمون رمزًا لنهضة الإسلام في جاوة .

ومن جاوة وسومطرة انتقل الإسلام إلى جزيرة « **بورنيو** » وهي أكبر جزائر المحيط الهادي ، وانتشر على سواحلها الغربية والشرقية ، وتحولت سلطنة « **بروناي** » إلى الإسلام ، بعد أن عم الإسلام غربي الجزيرة كله . أما بلاد الداخل فقد أبطأ توغل الإسلام فيها نظرًا لوعورة سطحها وانتشار القبائل البدائية الوثنية في أراضي الدواخل الجبلية التي تغطي معظمها الأحراش الاستوائية .

وانتقل الإسلام من جاوة إلى مجموعة جزائر سليبيس«**سيلاويزي**»وكانت هذه الجزائر تعرف بجزائر الهند الشرقية ، وتتكون من أربع مجموعات يلي بعضها بعضًا من الغرب إلى الشرق،وكل مجموعة تتكون من جزائر كبيرة ومئات الجزائر الصغيرة،**المجموعة الأولى** هي

مجموعة سومطرة وجاوة ، **والثانية** مجموعة جزيرة بورنيو ، **والثالثة** هي مجموعة جزائر سيلاويزي ، **والرابعة** مجموعة جزائر ملوكو، ثم يلي ذلك إلى الشرق جزيرة غينيا الجديدة وقسمها الغربي الذي دخل في الإسلام ، ويتبع اليوم لجمهورية أندونيسيا ويسمى « ايريان » .

وهكذا نرى أن الإسلام قد قفز خلال مسيرته في أندونيسيا من مجموعة من الجزائر إلى أخرى بسلام ودون حرب . وفي هذا الجزء من العالم تقوم الآن جمهورية أندونيسيا ، وهي تعتبر أكبر بلد إسلامي على الأرض .

انتشار الإسلام في الجزائر الأندونيسية يقلق المستعمرين الهولنديين

خلال انتشار الإسلام من مملكة إلى أخرى . . من مملكة « ديماك » إلى مملكة « باجانغ » ثم انتقاله إلى مملكة « **ماتارام** » تواصلت الجهود لنشر الدين الإسلامي أكثر فأكثر وتعميق جذوره في نفوس معتنقيه ، وبخاصة في عهد السلطان « **أقونغ** » حيث أقيمت المنشآت التعليمية الدينية ، والمساجد التي كانت مراكز لنشر الإسلام وتعاليمه ، فازدهرت حركة التربية الإسلامية أيما ازدهار ، الأمر الذي أقلق المستعمرين الهولنديين الذين اعتبروا ذلك تهديدًا لمستقبلهم الاستعماري في جاوة خاصة وفي أندونيسيا عامة ، بذلك حاول المستعمرون الهولنديون وقف المد الإسلامي و إطفاء نوره عن طريق اتفاقية عرفت باسم « اتفاقية قيانتي » التي تعطي الحق للهولنديين في استعادة الأراضي التي منحت لمؤسسات الدعوة الإسلامية ، ووضعها تحت تصرف الحكومة الإقليمية ! !

ولكن بالرغم من اضطهاد المستعمرين الهولنديين للمسلمين بعد تمكنهم من القضاء على ثورة الأمير « ديبونيقورو » الباسلة عام 1830 م ، ومجموعة العراقيل والعقبات التي وضعت في مسار المد الإسلامي فإن الإسلام استمر وازدهر خارج مملكة «ماتارام» بجاوة الوسطى وجاوة الشرقية .

علاقة العرب بأندونيسيا

إذا كان التجار العرب هم الذين حملوا الإسلام إلى تلك البلاد البعيدة ، فإنهم أحبوها ، وازدادت معرفتهم بها بعد انعقاد مؤتمر باندونج الذي التقى فيه زعماء حركة عدم الانحياز عام 1955 م . وكان العرب يسمونها جاوة ، وهي اسم الجزيرة التي تقع فيها العاصمة جاكارتا وهي أخصب جزائر أندونيسيا وأكثفها سكانًا ، وتبلغ مساحة الجزائر الأندونيسية مجتمعة 735 ألف ميل مربع ، أكثر من ثلثها غابات عذراء . وجبال وبراكين ، مازالت حتى اليوم تقذف حممها التي تسهم في خصوبة التربة .

وقد ظلت أندونيسيا حتى سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية ، أي ما قبل الاستقلال تعرف باسم « الهند الهولندية » ، وكان أصل هذه الجزر هندية ولكنها تابعة لهولندا عن طريق الاستعمار ، والغريب أن هذا هو اسمها حتى بعد أن حصلت على استقلالها في السابع عشر من شهر هانيبال « أغسطس » عام 1945 م .

وكلمة أندونيسيا مركبة من كلمتين « إندو » ومعناها الهند ، « ونيوس » وهي تعني باللغة الإغريقية«الجزائر»فهي إذاً مازالت جزائر الهند أو جزائر المولدين ـ عند بعض المؤرخين ـ لأن معظم سكانها وفدوا إليها من الصين ومن شبه القارة الهندية ، وامتزجوا وتعايشوا وتزاوجوا وأصبحوا شعبًا واحدًا .

وكثير من العائلات من أصل عربي وفدت إلى أندونيسيا وعاشت وسط شعبها وشاركت في كفاحه وأصبحت جزءًا من هذا الشعب . وأصبحت هذه العائلات تتحدث اللغة الأندونيسية التي قد تبدو غريبة على من يسمع أهلها حين يتحدثونها ، وهي كذلك بالفعل لسبب بسيط ، فهي خليط من الملاوية والسانسيكريتية والعربية والانجليزية والهولندية والبرتغالية .

أما عن انتشار اللغة العربية فإن هناك مدارس ومعاهد إسلامية تستخدم اللغة العربية ، وهي اللغة الأولى بعد اللغة الأندونيسية كما صرح بذلك وزير الشؤون الدينية الأندونيسي ، وأضاف بأنه سيتم في القريب العاجل تعلم اللغة العربية عن طريق الإذاعة المرئية ، مثلما يتم الآن تعليم اللغة العربية من خلال الإذاعة المسموعة .

مسجد جاكارتا الكبير يتسع لمئة وخمسين ألف مُصَلٍّ

وفي قلب ميدان فسيح بجاكارتا يقوم أكبر مسجد من نوعه في الشرق الأقصى . . إنه مسجد الاستقلال الذي بدأ العمل في تشييده عام 1963 م واستغرق بناؤه خمسة عشر عامًا . وقام المسجد الكبير في نفس المكان الذي كانت تحتله قلعة ضخمة بناها الهولنديون ، وبلغت تكاليف بنائه أكثر من ثلاثمئة مليون دولار ، وهو يتسع لنحو مئة وخمسين ألف مُصَلٍّ ، وعلى بعد خطوات من مسجد جاكارتا الكبير قامت إحدى أقدم كنائس أندونيسيا للكاثوليك .

الاقتصاد الأندونيسي

أراضي أندونيسيا شاسعة وغنية بثروات طبيعية وبشرية . وموقعها الجغرافي هام جدًّا بالنسبة للأنشطة الاقتصادية والثقافية ، فأصبحت منذ قديم الزمان محل اهتمام الديانات المختلفة والدول الغربية الاستعمارية . انتشرت فيها الهندوكية ، والبوذية ، ثم جاءها الإسلام عن طريق التجار المسلمين .

والأندونيسيون برغم غاباتهم الشاسعة التي تزخر بالثروات الطبيعية كالنفط وخام الحديد والنيكل والنحاس والقصدير فإنهم لايزالون يعتمدون في حياتهم على الأرض التي يزرعونها أرزًا ، وعلى الصناعات التقليدية التي نبعت من بيئتهم فتفننوا فيها ووصلوا بها إلى درجة الإبداع .

ولعل أهم ما تجود به أرضهم بعد الغذاء الذي يتمثل في الأرز ، شجر المطاط ، وبسبب وفرة غابات المطاط في أندونيسيا ـ إلى جانب الأسباب الأخرى طبعًا ـ ظلت هولندا الاستعمارية تتشبث بهذه البلاد حتى تتضمن وصوله إلى مصانعها التي تعتمد اعتمادًا كاملاً على هذه المادة التي تدخل في العديد من الصناعات الحديثة اليوم وبالأمس القريب .

كما يزرعون البقول أيضًا وبعض أنواع الخضراوات التي تنمو في الأجواء الحارة ، أو المناطق الاستوائية ، حيث تنقسم السنة إلى فصلين : أحدهما حار ممطر ، والآخر حار جاف ، وتنمو أشجار البن والفلفل الأسود وجوز الطيب والقرنفل والتبغ والقرفة وجوز الهند ويصدرون القسم الأكبر من محصولاتهم للخارج . كما يصدرون النفط الخام ، ثم يعودون فيستوردونه بعد تصفيته وتصنيعه على الأقل في الزمن الماضي ، واليوم هناك مشروع ضخم لإنشاء أول معمل لتكرير النفط وسط مناطق نَتَاجه .

و إذا كانت هولندا لم تعد تحتكر مزارع المطاط ، فقد حرصت على أن تكون الدولة الأولى المستوردة للأخشاب والخيزران من غابات أندونيسيا الغنية ، ومنها تقوم مصانعها بإنتاج أجود أنواع الأثاث الذي تبيعه بأسعار مرتفعة في الأسواق العالمية .

السياحة تعتبر موردًا هامًّا في أندونيسيا

والسياحة في أندونيسيا تؤلف موردًا لا بأس به ، ولكن ماذا يشد السياح إلى تلك البلاد البعيدة ؟

بعضهم يذهبون إلى هناك يبحثون عن الدفء تحت شمسها التي تتوهج طوال النهار ، وهم يمرون بالعاصمة مرورًا لأن وجهتهم في أغلب الأحيان هي « بالي » تلك الجزيرة القابعة في مياه المحيط ، أو جزيرة الأحلام كما يسمونها التي تحملهم فيها مياهها وأجواؤها إلى عالم يلفه الجمال والاطمئنان .

وبعضهم الآخر ، رجال أعمال جاؤوا يعقدون الصفقات ويشترون ويبيعون ، وبعضهم جاؤوا يغزون غابات أندونيسيا . . جميعهم يلتقون في جاكارتا ثم يخرجون في رحلات منظمة إلى غابات جزيرتي جاوة وسومطرة في سيارات خاصة . . هؤلاء يعشقون الغابات العذراء التي مازالت تشغل مساحات هائلة عند أطراف المدن والقرى الصغيرة ، فقد كانت كل جزائر هذا الأرخبيل الواسع غابات كثيفة قبل أن يحولها الإنسان إلى هذا العالم الجديد .

جهاد أبناء أندونيسيا ضد الاستعمار

منذ أن أشرق على أندونيسيا نور الإسلام ، أصبح المسلمون فيها يؤلِّفون أغلبية كبرى ، ولكنها في الوقت الحاضر أغلبية مسحوقة ، وهذا المصير المأسوي الذي أصبحوا فيه الآن لم يكن بسبب ضآلة حظهم ومساهمتهم في قضايا بلادهم المصيرية ، أو تقصيرهم في أداء الواجب الوطني ، ولا تغيبهم عن ساحات الشرف والجهاد والنبل ، فتلك أمور كان لهم فيها السهم المعلَّى والحظ الأوفر ، يشهد لهم بذلك التاريخ وتتحدث عنها دماء الشهداء .

فقد قامت في أندونيسيا ممالك وسلطنات ودول إسلامية . وقامت فيها مجتمعات إسلامية صميمة قبل أن تُبتلَى البلاد بالاستعمار الأوروبي الغربي الصليبي بأمد طويل ، وكان من بين تلك الدول « دولة ترناتية » في مالوكو الشمالية .

وكذلك واجه الاستعمار في أندونيسيا مقاومة صلبة ، وصمودًا لم يعرف الوهن فترات طويلة ، كبدته خسائر فادحة وجسيمة . فما كانت تنتهي حرب حتى تندلع أخرى ، ولا تسكن انتفاضة ولا ثورة إلا لتنطلق أخرى من أقاصي شرقي البلاد حيث سلطنات ترناتية ، وتيدورية ، وباتشان إلى أقصى شمالها الشرقي حيث سلطنة « آتشية » الشهيرة .

لقد كانت خسائر الاستعمار في الأرواح باهظة . فمقابر الجنود الهولنديين تزخر بعدد كبير من كبار الضباط من مختلف الدرجات خاصة في آتشية . فقد كانت آتشية مقبرة كبرى للجيش الهولندي إذ كانت تشن على هولندا حربًا طويلة الأمد استمرت حتى عام 1904 م ، وبالرغم من اضطرار آخر السلاطين فيها إلى الاستسلام فإن استسلامه لم ينه القتال ، فقد واصل الشعب الأندونيسي المسلم بقيادة علمائه وزعمائه جهاده ومحاربة هولندا حتى خلد التاريخ منهم أبطالاً ، على رأسهم تيكوعمر ، وتيكوتشيء دي نيرو ، والمجاهدة « تشوت نيأدين » ، كما يذكر التاريخ الإسلامي في تلك المنطقة الأمير ديبو ، نيقورو ، و إمام بونجول ، والسلطان حسن الدين ، والشريف هداية الله ،

ويانغيران هدايات وغيرهم ممن عطروا ثرى الإسلام في أندونيسيا ، وملؤوا أرجاءها بنداء « الله أكبر » .

حروب الاستنزاف أرّقت مضاجع المستعمرين

وعندما أهل القرن العشرون بدأ الاستعمار يفرض نفوذه على أندونيسيا وذلك بسبب عدم التكافؤ في الأسلحة ، فقد كانت أسلحة المستعمرين متطورة وكثيرة وحاصدة ، وأسلحة المقاومين تقليدية عتيقة ، كما استخدم المستعمرون جنودًا مرتزقة من الأندونيسيين المتنصرين .

لذلك ـ وخاصة بعد استسلام سلطنة « آتشية » ـ أصبحت المقاومات أشبه بحروب الاستنزاف والتي أرّقت مضاجع الاستعمار طويلاً . ثم ما لبث الأمر أن حولت المقاومة أساليبها إلى إنشاء جمعيات ومنظمات وحركات إسلامية ركزت نشاطاتها على عملية التثقيف والتنوير ، وافتتاح المدارس والمعاهد ، ثم تطورت إلى تأسيس الجامعات والمستشفيات وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الدينية والخيرية ، وتميزت بدعوتها إلى العودة الصحيحة إلى تعاليم الإسلام النقية من الشوائب والبدع والخرافات .

وقد أدت هذه المنظمات والجمعيات دورها في الذود عن بيضة الإسلام في أندونيسيا ، وساهمت في قضايا الإسلام العالمية وقاومت الكثير من تعسف السيطرة الاستعمارية ، وأذكت في الأمة روح النضال والمقاومة والجهاد ، وكانت لها في كل ذلك مواقف ومآثر مقدرة .

واندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ووقعت هولندا تحت الاستسلام ، وامتد لهيب الحرب إلى آسيا فاستسلم الهولنديون للجيش الياباني الذي احتل أندونيسيا في عام 1942 م وكانت فرصة للمسلمين للاستعداد وأخذ الأهبة للاستقلال والتحرر فأسسوا كتائب الدفاع الوطني ، وتطورت الحرب وتأزم الموقف فتبلورت فكرة استقلال أندونيسيا . فلما استقلت أندونيسيا اجتمع شباب المسلمين بمدينة جوكجاكرتا عام 1945 م وتَمَّ اتفاقهم على إنشاء منظمة لهم أطلقوا عليها اسم « حركة الشبان المسلمين الأندونيسيين » تقوم على أساس الإسلام في مؤتمر أكبر وأشمل .

ولكن الجيش البريطاني يبدو أنه تكفل للهولنديين بتمهيد الطريق لهم ليعودوا إلى السيطرة على مستعمراتهم السابقة فحدث الصدام الرهيب بتاريخ 1945/11/15 م بمدينة « سرايايا » وكان صداماً غير متكافيء بين الشباب الأندونيسي الذي يتسلح بأسلحة بدائية وبين فيالق جيوش بريطانيا التي هزمت ألمانيا و إيطاليا واليابان .

ولكن مقاومة الشباب الأندونيسي الباسلة لم تكن متوقعة لما تميزت به من استماتة وصمود وصيحات « الله أكبر » تلعلع من خلال هدير المدافع وصرير الحراب حيث مُنِّيَتْ بريطانيا المتغطرسة بالكثير من الخسائر اضطرتها لأن تأخذ في اعتبارها وحساباتها أن استقلال أندونيسيا يقف وراءه حماة لا يفرطون فيه أبداً .

تعاقب الغزو الاستعماري الصليبي على أندونيسيا

أندونيسيا التي وصل إليها الإسلام باكراً وأضحت أكبر دولة إسلامية ، أوغرت قلب الغرب الاستعماري ، وأرّقت مضجعه ، وأثارت قلقه ، وحز في نفسه أن تصبح هذه الجوهرة الضخمة من نصيب المسلمين . .

فما إن طرد الإسبان والبرتغاليون المسلمين من الأندلس عام 1492 م واكتشف البرتغاليون رأس الرجاء الصالح حتى توسعوا إلى الهند ومالاقا وأندونيسيا حيث اتخذوا « مالاقا » قاعدة لشن الحملات التبشيرية على الجزائر الأندونيسية . . ثم تتابع على غزوها رموز صليبية واستعمارية عديدة من يابانيين وهولنديين وبريطانيين ، حيث عمل الأخيرون على نشر الكثير من المباديء الهدامة كالقاديانية والبهائية والبابية علاوة على الديانة المسيحية الغربية التي وصلت إليها مع طلائع الغزو البرتغالي منذ أكثر من ثلاثة قرون ، وانتشرت البعثات التبشيرية المدعومة من مجلس الكنائس العالمي والحكومات الاستعمارية وعلى رأسها الحكومة الأمريكية ومخابراتها المركزية . وتكاتف الجميع في حرب محمومة ضد المسلمين لتنصيرهم وحملهم على الارتداد عن دينهم مستغلِّين في ذلك أوضاع الغالبية منهم حيث الفقر والعوز والحرمان ، وتعمل الآن الصليبية الجديدة جاهدة على تحويل أندونيسيا إلى منطقة مسيحية تدخل ضمن مناطق الهيمنة الصليبية الغربية ! !

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن الكنيسة البروتستانتية هناك تقوم ـ وبدعم من خمس كنائس عالمية ـ بحملة مكثفة للتبشير بالمسيحية بين المسلمين ، وذلك في إطار برنامج الكنيسة اللوثرية الفيدرالية العالمية ، حيث يقوم المبشرون بزيارات ميدانية يوزعون خلالها « الكتاب المقدس » ، ويقدمون المساعدات للفلاحين ، الأمر الذي أدى إلى تنصير عدد كبير من العائلات الأندونيسية المسلمة ، وذلك بفعل الإمكانات الضخمة المسخرة لخدمة الأهداف الاستعمارية المشبوهة ، والرامية لتحويل أندونيسيا إلى دولة مسيحية لأسباب استعمارية ودوافع استراتيجية غربية قبل أن تكون دينية .

يقول الأخ الثائر المسلم معمر القذافي منبهًا المسلمين إلى هذا الخطر الداهم :

« **تعلمون بالمخطط الموضوع لأندونيسيا ، والذي يجري تنفيذه الآن على أن تكون دولة نصرانية بعد خمسين سنة . .**

نعم إن مجلس الكنائس العالمي والدول المسيحية قرروا أن تحول أندونيسيا إلى دولة مسيحية بعد خمسين سنة . . وفعلاً خريطة أندونيسيا مغطاة بالبعثات التبشيرية الصليبية . . . ويجري الآن التنصير ليل نهار !! » .

جاء ذلك في الكلمة التي ألقاها في الملتقى الأول للدعاة بطرابلس في العام 1980 م .

التبشير التطبيبي

لقد أنشأت الكنيسة العديد من المستشفيات والصيدليات والعيادات التي يعمل فيها قساوسة وراهبات للتبشير والتطبيب معًا !!

وتقوم خطة التبشير التطبيبي في أندونيسيا على أساس تدريجي ، فالدواء يقدم في المرة الأولى دون مقابل ، وعندما يشعر المريض بشيء من التحسن والحاجة إلى استمرار العلاج ، يبدأ الربط بين العلاج الجسدي وما يسميه المبشرون بالعلاج الروحي « اعتناق المسيحية » !!

إن تنصير هذه الدولة الإسلامية الكبيرة المستهدفة يسير وفق برنامج مدروس ومخطط له ، في ظل إمكانات ضخمة يمكن إيرادها في الآتي :

هناك أكثر من 24 ألف كنيسة ، وأكثر من 15 ألف مبشر متفرغ و 18 ألف قسيس .

ولمعرفة النية الاستعمارية المبيتة للإسلام والمسلمين هناك فإنه، بقسمة هذا العدد من الكنائس على عدد المسيحيين بها ، نقف على حجم المبشرين الذين يعملون في خدمة التبشير ، وبالتالي في خدمة الاستعمار .

هذا العدد الكبير من الكنائس موزع على الجزر التي يربط بينها أسطول بحري مكون من نحو 40 سفينة جلبتها الإرساليات لتسهيل عملية التبشير عن طريق ربط هذه الجزر المتباعدة .

كما قسمت الكنيسة البلاد ضمن مخططها لتنصير أندونيسيا بالكامل ، إلى 41 منطقة على رأس كل منها مرجع دائم من كبار رجال الكنيسة مهمته الإشراف على هذه الشبكة التي تخضع لتوجيهاته المباشرة .

وعلى سبيل المثال فإن أحد المستشفيات في جزيرة « كليمنتان الغربية » مزود بمطار خاص للتبشير ، وأن مؤسسة تبشيرية تقوم بتأمين الدواء لـ 80 مستشفى ، و 29 مستوصفًا للولادة ، و 245 صيدلية ، و 25 عيادة متنقلة .

وعمومًا يوجد بمنطقة « كليمنتان الغربية » وحدها 17 مطارًا لخدمة التبشير وأسطول كامل من السفن منها سفينة لوجوس ، وستيلا ماريز ، وأبنيسر ، وسانت فاتيما .

وقدمت إحدى المؤسسات التبشيرية المعونات الغذائية لعدد 209 ألف نسمة ينتمون إلى المؤسسات الصحية ودُورِ العجزة والأيتام .

وقامت المؤسسة التبشرية بكليمنتان الغربية ببناء 13 مدرسة ابتدائية و 4 مدارس ثانوية يدرس بها 3200 طالب وطالبة ، ويعمل بها عدد من الرهبان الأمريكيين ، و 43 راهبًا هولنديًا ، و 19 قسيسًا و 30 راهبة كمدرسات وممرضات ، هذه المدارس يدخلها أبناء المسلمين ولكن الكثير منهم لا يتخرجون منها إلا بعد أن يكونوا قد تنصروا تماماً .

وتقوم إحدى المؤسسات التبشيرية في العاصمة جاكارتا بنشر 50 كتابًا سنويًا في

مختلف الـمـوضوعات الثقافيـة الـمسيحيـة ، وكتب للأطفال ، وللـمـؤسسة أيضًا دارٌ لنشر الإنجيل ، والصحف والـمجلات .

هذه هي بعض إمكانـات ووسائل التبشيـر الـمسيحي في أندونـيسيـا ، ولكننـا يجب أن نعلـم أن هذا الـمخطط لا يقتصر نشاطه فقط على أندونـيسيا بل فـي مختلف أنحاء العالـم ، فـمـنظمـة التبشيـر البـروتستـانتي في « بـازل » بسويسرا تشن حملات تبشيـريـة في مختلف أنحاء العالـم الإسلامـي ، فـي نـيجيـريـا ، وفـي جنوب السودان ، وفـي بنغلاديش والفلبيـن ، وفـي كيـنـيـا ويـوغندا ، وفـي بلدان أُخَرَ عديدة مستغلـةً ظروف الشعوب الـمستضعفة مـن جهل وفقر ومـرض وكوارث طبـيعيـة لتحقق أهدافًا سيـاسيـة واستراتـيجيـة خطيـرة عن طريق تقديـم الصليـب مغروسًا فـي قطعة خبز ، ومـمزوجًا بجـرعـة دواء ، ومـنسوجًا في قطعة كساء ، لا بهدف التنصيـر فحسب بل **وفـي فصل أقاليـم بكاملهـا عن كيـان الدولـة الـمسلـمـة كمـا حدث فـي بيـافرا بنيجيـريـا ومـا يحدث الآن فـي جنوب السودان .**

مخطط لتنصير أندونيسيا الـمسلـمة

وقد كرر الثائر المسلم معمر القذافي تنبيه المسلمين إلى ما يجري في أندونيسيا في خطابه بـالـملتقى الثانـي لخريجي كليـة الدعوة الإسلامـيـة بطرابلس فـي شهر الـمحرم 1398 مـن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلـم الـمـوافق لـشهر هـانـيـبـال « أغسطس » 1988 م فقال :

« سبق أن أعلنـا أن هنـاك مخططًا يستهدف تنصيـر أندونيسيـا ، وهـي مـن الأمم الإسلامـيـة الكبـيـرة ، خلال خمسيـن عامًا ، ويسيـر هذا الـمخطط مثلـمـا رسم لـه .

عملية التبشير وتحويل المسلمين في أندويسيـا وفي تلك الـمناطق إلى المسيحية ، وحتى فـي إفريقيـا تسير حسب الـمخطط ، ويتبنى مجلس الكنـائس العالـمي والدول الغربيـة هذا الـمخطط . الشعوب الإسلامـيـة في كثير مـن البلدان تَـمَّ تنصيـب سلطات غيـر إسلامـيـة عليهـا ، وبـخاصة في إفريقيـا ، وتَـمَّ طمس الـهويـة الإسلامـيـة إلى حدٍّ كبـيـر . ربـمـا لا يصدق الكثيـر عندمـا نقول :إن كيـنيـا دولـة إسلامـيـة لأن أغلبيـتهـا مـن الـمسلـميـن ، أو إن تنزانيـا دولـة إسلامـيـة لأن الأغلبيـة الساحقة بتنزانيـا مـن

المسلمين ، أو الموزمبيق أو زائير أو رواندا أو بروندي ، إلى ما وراء خط الاستواء والأغلبية الساحقة إسلامية ، ولكنها مطموسة تَمَّ التغلب عليها كنتيجة للاستعمار الغربي ، فأنا أتكلم عن هذا الموضوع لا لأننا مسلمون نتعصب دينيًّا أو أننا نكره غيرنا لأنهم ليسوا مسلمين ، يجب أن يكون واضحًا نحن في حالة دفاع أمام ظلم واقع علينا . وظلم صارخ ، وهذا الظلم ألحق بنا الضرر المادي في ديارنا ، استعمرونا ، وحولوا المساجد إلى كنائس ، وطمسوا حضارتنا ، وأحرقوا كتبنا التي تحمل تراثنا وتاريخنا ، وأحرقوا كتبنا الدينية ، وأجبرونا على تغيير عقيدتنا ، كل هذا فعله الغير فينا ، ونحن مازلنا الآن نواجه هذا الغير الظالم ونعيش هذا الواقع . وبالتالي أمامكم هذه المعركة . هذه ليست قصة لتاريخ ماضٍ انتهى ، لا لم ينته ، هذه مسألة نعيشها الآن ويجب أن نواجهها » .

دور السلطة في المشروعات المعادية للإسلام

والأمر الذي يحز في النفس ويدعو للقلق أكثر فأكثر ، كما يؤكد المسلمون في أندونيسيا فيما يتعلق بمؤامرة التنصير هذه ، هو أن هذه المؤامرة تتم بتواطؤٍ من النظام الحاكم في أندونيسيا نفسه المحسوب على المسلمين ! !

فمنذ وصوله إلى سدة الحكم في هذا البلد الإسلامي الكبير ، وهو لا يكف عن التنكيل بالمسلمين ، برغم أنه لم يصل إليها إلا على أكتافهم من خلال دعم الحركات الإسلامية لحركة الجيش ضد سيطرة الأقلية على السلطة . . غير أنه ما إن آلت إليه الأمور وأمسك بزمام السلطة حتى بدأ يفتك بالمسلمين ، ولم ينج من بطشه سوى الذين تناثروا في الجزر النائية .

ولكي يفسح المجال أمام التبشير كان لا بد له من أن يزيل الإسلام الذي يعتنقه أغلبية ساحقة تمثل أكثر من 90% من السكان ، فاعتمد بما يسمى بعقيدة « البانتشاسيلا » التي تقوم على الإيمان بإله غامض غير واضح لتصبح العقيدة الأساسية للدولة كي ينشغل الناس بها . . في مؤامرة مكشوفة لضرب الإسلام، متيحًا بذلك الفرصة أمام التبشير المسيحي ليشق طريقه بسهولة ويسر ، مستغلاًّ الظروف السيئة التي

يعيشها المسلمون .

وعلى نفس خطى أتاتورك في تركيا أصبحت أندونيسيا في عهد سوهارتو الدولة الثانية في العالم التي يصبح فيها الإسلام ممنوعًا رسميًّا بأمر القانون . وذلك بعد أن أصدر ما يعرف بالمجلس العسكري الذي تقوده أقلية مسيحية من جزيرة « جافا » قرارًا بأن تَحُلَّ عقيدة « البانتشاسيلا » محلَّ الإسلام ، حيث تقرر أن تكون هي العقيدة الوحيدة للدولة . وعلى الفور قام البرلمان الذي يسمى (مجلس بيرموساي وارنان أراكات) والذي تتحكم فيه نفس الأقلية المسيحية التي تؤلِّف أقل من 5% من عدد السكان ، قام هذا البرلمان بالتصديق على قرار يمنع أن يكون الإسلام القاعدة القانونية لأي تنظيم سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو قانوني . وأصبح لزامًا على كلِّ التنظيمات أن تنتسب إلى (البانتشاسيلا) ، وقد وجد هذا التوجه المعلن ضد الإسلام والمسلمين المساندة اللازمة من قِبَلِ الولايات المتحدة الأمريكية والعدو الصِّهيوني والكنيسة .

واعتبر المسلمون أن إقرار عقيدة البانتشاسيلا هو تحدٍّ صارخ للمسلمين وضربة موجهة لعقيدتهم ، ومحاولة جادة لقتل الإسلام في نفوسهم . وبالتالي عقدت الجماهير الإسلامية العديد من المؤتمرات والندوات في مختلف أنحاء البلاد ، وانطلقت المظاهرات في كل شبر من الأرض الأندونيسية تندِّد وترفض هذه العقيدة . . إلا أن نظام سوهارتو ، دعا قوات الجيش لسحق أية محاولة تعارض البانتشاسيلا . وتحت شعار تصفية المجرمين ، قمعت المظاهرات بوحشية ، وزُجَّ بآلاف المعارضين في غياهب السجون ، لكن تلك الأعمال الوحشية لم تقض على الثورة الإسلامية حيث شهدت « جاكارتا » العاصمة ومنطقة « تانجانج » اضطرابات واسعة سقط خلالها آلاف المسلمين قتلى وجرحى .

ليس ذلك فحسب بل إن زوجة رئيس الجمهورية سوهارتو ، وهي مسيحية تعمل جاهدة على مساعدة إرساليات التبشير المسيحي مستغلة نفوذها وإمكانات الدولة لتسهيل أداء مهمة هذه الإرساليات .

أقلية مسيحية تسيطر على مقاليد الأمور

وعلى الرغم من أن المسلمين هم الذين قادوا حركة النضال والجهاد ضد الاستعمار من أجل استقلال أندونيسيا وتحريرها على مدى ثلاثة قرون ، فإن القلة المسيحية هي التي تسيطر على كلِّ المؤسسات الحكومية وأهم أجهزة الدولة ، وعلى موارد البلاد الاقتصادية ، وتعيش ثراءً فاحشًا ، بينما يعاني المسلمون الفقر والعوز ، ولا يتمتعون بأدنى درجات الرعاية الاجتماعية والصحية والتعليمية .

ففي مجال السلطات مثلاً ، يتولّى البروتستانت شؤون وزارة الإنماء ومراكز وزارة الدفاع ، والأمن القومي ، ووزارة التجارة ، ووزارة الصحة ، بينما يحتل الكاثوليك شؤون وزارة الدولة لشؤون تنظيم أجهزة الدولة ، وقبل هذا أُسندت إليهم شؤون وزارة المواصلات ، ومنذ عام 1978 م وحتى الآن يتولّى البروتستانت شؤون وزارة التنسيق للشؤون السياسية والأمنية ، ونائب القائد العام للقوات المسلحة ، وقائد شؤون الأمن والنظام ووزارة التجارة . وأسند للكاثوليك مؤخرًا منصب الوزير المساعد لشؤون الإسكان والوزير المساعد لشؤون المرأة .

كل هذا يحدث في دولةٍ الغالبيةُ العظمى من سكانها مسلمون الشيء الذي لا يمكن حدوثه في أي بلد من بلاد العالم حتى غير المتحضرة .

لا شك في أنه انحياز واضح إلى جانب أقلية قليلة جدًّا مرتبطة بقوى استعمارية خارجية على حساب الإسلام والمسلمين . واستغلال فاضح لمقدرات البلاد لمصلحتها . بل إن ابن الرئيس الأندونيسي نفسه يشارك في استغلال مقدرات أبناء الشعب الأندونيسي المسلم . فهو على سبيل المثال يمتلك مزرعة مساحتها أكثر من ألفي هكتار في أفضل الأراضي الزراعية ، وقد جلب لها الأبقار المحسنة من استراليا مستغلاً سفن البحرية والأسطول الأندونيسي في عمليات جلبها ، الشيء الذي أثار حركة تمرد واسعة في صفوف القوات المسلحة استنكارًا لهذه الممارسات التي تتوضح من استغلال مقدرات الشعب الأندونيسي لخدمة أغراض الفئة الخاصة ذات القرابة برئيس الجمهورية .

ومع كل ما تقدم فإن أندونيسيا مازالت منذ زمن غير قريب تشهد مقدمات ثورة

إسلامية برغم أن السلطات الأندونيسية لا تتردد في سجن القيادات الإسلامية ، وتعريضها للقتل والتعذيب والتنكيل ، ولا يقتصر هذا عليهم فقط بل يمتد ليشمل أسرهم ، وأقاربهم ، ومعارفهم ، والمتصلين بهم كذلك .

وخوفًا من انتشار المدِّ الإسلامي وتفجر الثورة الإسلامية فإن مناطق عديدة في أندونيسيا أخضعت للحكم العسكري المباشر ، و إعلان حالة الطواريء ، والأحكام العرفية ليكون ذلك سيفًا مصلتًا على رؤوس الثوار ، ومبررًا لاعتقال القادة والزعماء .

كما يفرض النظام الأندونيسي حصارًا إعلاميًا وتعتيمًا على أحوال المسلمين ، وما يتعرضون له من اضطهاد وتنكيل ، ويحاول أمام الرأي العام العالمي أن يرتديَ زي الإسلام لاصطناع المبررات لإجهاض كلِّ محاولات الثورة الإسلامية الهادفة إلى إعادة الإسلام الحق لتلك البلاد .

وخلاصة القول ، إن المشكل ليس في التبشير في حدِّ ذاته ، من حيث هو دعوة إلى الديانة المسيحية عن طريق الحجة والمجادلة والإقناع في الظروف العادية . . بل المشكل في استغلال الظروف السيئة والمأسوية التي يعيشها المسلمون من فقر وجوع وعوز وحرمان ، وانحياز السلطة إلى أقلية مسيحية لا تذكر في أكبر دولة إسلامية ، والاستيلاء على مقدرات الشعب وتوظيفها لخدمة التبشير المسيحي ، والتلاعب بدستور البلاد ، وحذف أهم بند من بنوده ، الذي كتبته الأغلبية المسلمة بدمها وعرقها ، وهو وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في عهد الاستقلال . . . إن استغلال كل ذلك وتوظيفه في خدمة التبشير المسيحي لتحويل أكبر دولة إسلامية إلى دولة مسيحية يمهد الطريق لعودة الاستعمار الصليبي من جديد إلى هذا البلد ، هذا هو المشكل .

ومما تقدم ، إذا كان المستهدف الأول من كلِّ هذه المؤامرات ، هو الإسلام لما تضمنته الدعوة الإسلامية من مباديء البشريةُ في أشدِّ الحاجة إليها . . والصحوة الإسلامية المعاصرة التي يخشى الغرب زحفها وانتشارها لأن ذلك يعني القضاء على الاستعمار بكل أشكاله العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، فإنه من واجب المسلمين في مختلف أنحاء العالم التصدِّي بقوة وبمسؤولية لهذه الحملة التبشيرية الجديدة لإنقاذ إخوانهم المسلمين الأندونسيين من خطرها ، وبالتالي إنقاذ أكبر دولة إسلامية من أن تتحول إلى خندق

معادٍ للإسلام وللتحرر نتيجة استغلال ظروفها الحرجة ، وتصبح لقمة سائغة في فم الاستعمار ، وذلك ما نحسبه واجباً إنسانياً قبل أن يكون واجباً دينياً تفرضه رابطة الأخوة الإسلامية .

المصادر

كتاب : المسلمون الأندونيسيون ، للكاتب فرانسوا رايون ، متخصص بشؤون أندونيسيا .

مجلة الفكر الإسلامي ، العدد 330 عام 1980 م .

مجلة العربي ، العدد 1401 عام 1981 .

مجلة المجتمع الكويتية ، العدد 330 عام 1976 م .

صحيفة الدعوة الإسلامية ، بتاريخ 1980/10/9 م .

صحيفة الدعوة الإسلامية ، بتاريخ 1983/11/2 م .

أطلس تاريخ الإسلام ، للدكتور حسين مؤنس .

ملحق

قام المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية بالمكتب الرئيس في (جاكرتا) في الرابع عشر من شهر ربيع الأول 1399 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بنشر كتيب يحتوي على الخطاب الذي تقدم به الزعماء المسلمون في أندونيسيا للبابا يوحنا بولس الثاني، الرئيس الأعلى للطائفة الكاثوليكية في العالم، في أثناء زيارته لأندونيسيا في الثاني من شهر ربيع الأول1399من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الموافق للثاني من شهر التمور (اكتوبر) 1989 م وقد تضمن الخطاب شرحًا ضافيًا للواقع الذي يعيشه المسلمون والممارسات اللاإنسانية التي يواجهونها من قِبَلِ الحملات التبشيرية، مطالبين بوقف تلك الممارسات، ووقف استغلال (الخدمات الإنسانية) من قِبَلِ حملات التبشير بطرق لا أخلاقية لإجبار المسلمين على ترك دينهم.

وقد أرفق مع (الخطاب المذكور) أعلاه، مجموعة من (التقارير) عن النشاطات التنصيرية وممارساتها في المناطق التي قام بزيارتها (البابا) في مختلف أنحاء أندونيسيا لإعطاء المصداقية ووضع الدليل القاطع على ما حواه الخطاب، بالأرقام والإحصاءات، والمشاهد الواقعية أمام البابا بولس الثاني.

وقد جاء الخطاب والتقارير المرفقة ليؤكد ما ذهبنا إليه في تحليلنا لواقع المسلمين في أندونيسيا، وليفيض في شرح ما أطنبنا فيه.

ويسرنا هنا أن نضع نص الخطاب ومجموعة التقارير بين يدي القاري، متمنين أن يسهم ذلك في كشف ما يتعرض له المسلمون في أندونيسيا.

المـؤلـف

خطاب للبابا
(يوحنا بولس الثاني)
من أجل وَقْـف الاستغلال
على الحاجات الإنسانية

تـقـديـم

الوفاق بين أتباع الأديان أمر مهم ، يتطلع إليه كلُّ فرد من الأفراد . وهو عند الشعب الأندونيسي ليس مجرد أفكار أو خواطر ، و إنما يشتاقه الجميع متحققًا في الحياة الواقعية ، فتحدث كثير من الزعماء عن الموضوع في مناسبات شتى ، سواء كانوا من الهيئات الاجتماعية الشعبية أو الحكومية .

ولكن ، ما السبب الحقيقي الذي جعل الموضوع ما يزال قيد النقاش ؟
هذا الواقع ، إن دل على شيء ، فإنه يدل على أن الوفاق بين أتباع الأديان أصبح أمرًا شكليًا يظهر في مناسبات رسمية دون أن يبرز في مظاهر الحياة الواقعية .
أما حقائق القلوب ، فلا يعلمها إلا الله ! ذلك لأن الفرصة لعقد حوار مفتوح بين أتباع الأديان أو زعمائهم لم تكن موجودة بعد ، خاصة بعد عام 1967 م .

ومن المعلوم ، أنه قد عقد الحوار أو التشاور بين زعماء الأديان بأندونيسيا عام 1967 م . وقد قدمت الحكومة الأندونيسية في حينه اقتراحًا بنَّاءً ، يتضمن رأي الحكومة عن « أهمية وجود الأسس الأخلاقية في نشر الأديان » . والحكومة تعني بهذه الأسس الأخلاقية في مجملها: **ألَّا** يكون أتباع الأديان المعينة هدفًا للتبشير الديني من قِبَلِ دين آخر . ولكن المندوبين النَّصرانيين في ذلك التشاور ، سواء كانوا كاثوليكيين أو بروتستانتيين ، رفضوا ذلك الاقتراح الحكومي ، **مصممين على أساليبهم التنصيرية المعتادة** . فتوالت النشاطات التنصيرية (من الكاثوليكية والبروتستانتية) لدى أوساط المتدينين ومن ضمنهم المسلمون .

وبما لديهم من التفوق المالي الهائل ، استغلوا الخدمات الإنسانية ـ التي لا يستغني عنها المجتمع ـ لإخفاء نياتهم الحقيقية فيقومون بالعمل التنصيري تجاه **المسلمين باسم الخدمات الإنسانية وبالأساليب غير المحمودة** .

فبذلك أصبح الأمر واضحًا جليًا ، بأن الخدمات الإنسانية قد استغلت من أجل إغراء الذين قد اعتنقوا دينًا معينًا ، **لتحويلهم إلى النصرانية** .

وإنه لمن الأهمية بمكان ، خاصة للبابا « **يوحنا بولس الثاني** » الرئيس الأعلى للأمة الكاثوليكية في العالم ، والذي يزور أندونيسيا حاليًا ، أن يدرك تلك الحقائق بـ « صورتها الأصلية » ، حتى يتمكن من وَقْفَ مثل ذلك الاستغلال السيء للخدمات الإنسانية ، خاصة وأن هذا الموضوع قد أصبح محل اهتمام العالم ، وذلك من أجل الوصول إلى **التفاهم البناء في العلاقات المتبادلة بين معتنقي الأديان** .

وانطلاقًا من تلك الحقائق ، كتب الزعماء المسلمون الذين سبق أن تقلدوا المناصب الحكومية الهامة ، وهم : **الأستاذ محمد ناصر** ، **والشيخ الحاج مشكور** ، **والشيخ الحاج رسلي عبد الواحد** ، **والبروفيسور الدكتور محمد رشيدي** ، **خطابًا للبابا « يوحنا بولس الثاني »** .

وقد تفضل **البروفيسور الدكتور محمد رشيدي** بتقديم الخطاب رسميًا ، باسمه ونيابة عن الزعماء الآخرين ، إلى البابا « **يوحنا بولس الثاني** » **عن طريق سفير الفاتيكان بجاكرتا** ، وكان يرافقه في التقديم والحوار المهندس أحمد مسعود لطفي ، وذلك في 2 من شهر « اكتوبر » 1989 م .

ونظرًا إلى أهمية مضمون هذا الخطاب ينبغي على الحكومة والشعب معرفته . فقد أرسلت صور من الخطاب إلى الحكومة ودوائرها المختلفة ، في 13 من شهر « اكتوبر » 1989 م . وهذا الكتيب ترجمة عربية لذلك الخطاب ومرفقه ، وهو جزء من مساهمة **المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية** في نشر هذه الحقائق إلى الشعب عامة ، حتى تتهيأ أجواء التفاهم والاحترام المتبادل لتحقيق الوفاق بين معتنقي الأديان .

والله ولي التوفيق .

جاكرتا في 14 من شهر « اكتوبر » 1989 م
المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية
الأمين العام بخاري تمام

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قداسة البابا « يوحنا بولس الثاني »

عن طريق سعادة سفير فاتيكان بجاكرتا

صاحب القداسة،

نحن نرحب بقدومكم إلى وطننا ، راجين أن تكون زيارتكم هذه تفيد الشعب الأندونيسي خاصة في مجالات العلاقات المتبادلة **بين الأمة النصرانية والأمة الإسلامية في أندونيسيا** ، التي نأمل أن تتطور إلى أحسن ما يرام .

زيارتكم هذه حدث تاريخي . فينبغي **ألَّا** تمر إلا ولها **تأثير مهم على مستقبل العلاقات بين المسلمين والنصارى** .

كما تعلمون أن الدين النصراني دخل إلى الأرخبيل في **القرن السادس عشر الميلادي** عن **طريق المستعمرين البرتغاليين والإسبانيين** ، بينما كان **الدين الإسلامي** قد انتشر قبله في المناطق الأندونيسية في **أواخر القرن السابع الميلادي بالطريقة السلمية** ، عن طريق التجار المسلمين ، وقد بلغ أشده في **القرن الخامس عشر الميلادي** .

في عام 1516 م ، جاء **ماغلهينس** MAGELHAENS ، وهو إسباني الجنسية إلى جزائر**مالوكو وسولور** ، بينما توافد البرتغاليون إلى جزائر **سولور وتيمور** من أجل شراء البخور ، ومع ذلك كانوا نشيطين أيضًا في العمل من أجل **تنصير سكان المناطق** .

وفي عام **1519** عندما **وصل فرانسيسكو شافيريوس** Fransiscus Xaverius إلى جزيرة **تيرناتي** ،وبدؤوا ينفذون **المخططات الاستعمارية والتنصيرية** ، تحرَّك سكان تلك الجزيرة لمواجهة هذه المخططات بكلٍّ ما لديهم من الطاقات والإمكانات .

وفي عام 1549 م ، حدثت حرب شديدة بين الوافدين النصرانيين والسكان المسلمين تحت قيادة **سلطان باب الله** .

وفي عام **1605** م ، كانت القيادة العليا في تلك المناطق بأيدي المستعمرين الهولنديين ، وعندما زار مسؤول كاثوليكي رسمي تلك المناطق في عام 1848 م ، لم يوجد أي مسؤول كاثوليكي في أرخبيل أندونيسيا .

أما من ناحية إقامة الكنائس فقد قامت بعض الكنائس في **باتافيا (أي جاكرتا) في**

عام 1855 م ، وفي سورابايا عام 1856 م ، وفي سمارانغ عام 1858 م ، فمن ذلك الوقت توالت إقامة المدارس النصرانية في جزيرة جاوا .

في تلك الأعوام من تاريخ هذه الدولة تمكن الاستعمار الأوروبي من السيطرة على معظم المناطق الأندونيسية، وخاصة المستعمرين الهولنديين الذين تمكنوا من السيطرة على جميع الأراضي التي أخذوها من الشركة التجارية التي كانت تحمل اسم « **شركة الهند الشرقية الهولندية** » **في عام 1799 م** .

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية تمكن الشعب الأندونيسي من إعلان استقلاله . واليوم يبلغ عدد سكان أندونيسيا أكثر من 170 مليون نسمة ، معظمهم من المسلمين بحيث بلغت نسبتهم 90% م من عدد السكان .

وبعد الاستقلال ، جاءت الفرصة المواتية لتحسين مستواهم المعيشي في عدة مجالات سواء كانت مادية أو معنوية . ومما يفرح القلوب ، أن الشعب الأندونيسي قد وصل الآن إلى مستوى من التقدم في المجالات العديدة ، مثل الزراعة ، والتربية ، والصناعة ، والصحة ، والتكنولوجيا ، وغيرها من مجالات الحياة العصرية ، بالرغم من أننا مازلنا نرى أن بعضهم ما يزالون فقراء بؤساء .

ولكننا نتابع الأمور بكل حزن وأسى ، وقد رأينا أن تقدم الشعب الأندونيسي هذا يصاحبه عدم وجود العلاقات الودية المتبادلة بين **المسلمين والنصارى** . **ذلك لأن المبشرين النصرانيين في أندونيسيا استغلوا الخدمات الإنسانية استغلالاً سيئًا ، كما أنهم لا يبدون روح التسامح تجاه الأمة الإسلامية** .

ونحن نرى أن هذه الظروف لا ينبغي أن تستمر طويلاً ، لأن الحياة بين الشعوب يجب أن تقوم على **أساس التسامح والاحترام المتبادل** .

ففي هذا الموضوع ، يسرنا الإشارة إلى البيانات الصادرة من (**المؤتمر العالمي**) **حول التبشير النصراني والدعوة الإسلامية المنعقد في** « **تشامبسي** » CHAMBESY **خلال شهر يونيو عام 1976 م** ، إذ نجح فيه زعماء الأديان من الكاثوليك والبروتستانت والإسلام بعد المناقشات المفتوحة فيما بينهم في الوصول إلى اتخاذ القرارات الهامة ، منها :

« **المؤتمر يدين بشدة جميع النشاطات التي تستغل الخدمات الإنسانية استغلالاً سيئًا** » . **وأعضاء المؤتمر النصرانيون يقررون باسم النصرانية قطع العلاقات مع جميع الفئات**

النصرانية التي تودت حرمتها إلى أسفل الدرجات ، وذلك باستغلال الخدمات الإنسانية لأغراض أخرى تخرج عن محبة الرب والإنسانية . وهم يؤكدون أن الخدمات الإنسانية التي تستغل لأغراض أخرى مخفية تعتبر دعايات رخيصة وهي ليست ترجمة لمحبة الرب وبالتالي ليست رحمة للناس . وهم موافقون على بذل الجهود والإمكانات من أجل ترشيد جميع الكنائس والمؤسسات النصرانية حول هذا الموضوع الحساس . والمؤتمر يحس بكلٍّ حزن وأسى ، كما أحسَّ المسلمون الذين تضرروا بسبب وجود بعض النشاطات التنصيرية التي تستغل الخدمات الإنسانية استغلالاً سيئًا . فقرر المؤتمر أن يطلب بشدة من جميع الكنائس والمؤسسات النصرانية أن تقِفَ تلك النشاطات في جميع أقطار العالم الإسلامي . هذا التحرك الإيجابي ، يجب عمله من أجل تنقية أجواء العلاقات بين الأمة النصرانية والأمة الإسلامية ، لترشيد الجميع بأن يعمل كل واحد منهم على أسس متينة من التسامح والاحترام المتبادل والتعاون المثمر بين هذين الدينين الكبيرين » .

ومع ذلك ، فإن هناك توجيهات رشيدة في ميثاق « **فاتيكان ــ 2**» التي تتضمن الكلمات الآتية :

« إن الكنائس ، تنظر إلى المسلمين بكل معاني التقدير والاحترام . لأن المسلمين يعبدون الرب الأحد ، الحي القيوم ، الرحمٰن ، مالك الملك ، خالق السماوات والأرض ، والذي كلَّم بشرًا تكليمًا ، والكنائس تحترم المسلمين لأنهم دائمًا يبذلون جهودهم من أجل السمع والطاعة في جميع الأمور ، التي قد يكون بعضها تعبديًّا لم يصل العقل البشري إلى معرفة أسرارها ، كما فعله إبراهيم عليه السلام ، والمسلمون ينتمون إليه بكل فخر واعتزاز . والمسلمون ، و إن كانوا لا يعتقدون بأن عيسى هو الإلٰه الابن ، ولكنهم يقرونه نبيّاً ورسولاً ويحترمونه. وهم أيضًا يحترمون «مريم البتول» فيذكرونها بكلِّ معاني التقدير والاحترام . وهم أيضًا ، يؤمنون بيوم القيامة ، يوم الحساب ، الذي سوف يحاسب الله فيه الكل على جميع الأعمال، فيجزي الله كل فرد حسب أعماله، وذلك بعد بعثه من القبور ، فمن أجل ذلك اهتم المسلمون بتربية أخلاقهم وبعبادة ربهم ، خاصة بالصلاة ، والزكاة ، والصيام . وبالرغم من وجود الخلافات والعداوات بين الأمة النصرانية وبين الأمة الإسلامية ، خلال القرون الماضية ، فإن الفاتيكان تدعو جميع الفئات إلى تناسي ما قد حدث في الأيام الماضية ، وترجو منهم جميعًا . أن يفتحوا صفحات

جديدة ويعملوا بكلّ اهتمام وجدية لتنمية العلاقات المتبادلة بكل معاني الاحترام والتفاهم ، من أجل رفاهية الأمة جمعاء ، كما ترجو منهم جميعًا أن يبذلوا كلّ جهودهم و إمكاناتهم من أجل تثبيت وبناء العدالة الاجتماعية ، والقيم الخلقية ، والسلام ، والاستقلال » .

وقد وجدنا أيضًا في « **لوممين جنتيوم** » **الباب السادس عشر (16)** النصوص الآتية :

« **ولكن مشاريعنا الإنقاذية تشمل أيضًا أولئك الذين يعترفون بوجود الخالق ، وفي مقدمتهم المسلمون ، الذين يعتقدون بأنهم من أتباع ملة إبراهيم عليه السلام ، فهم الذين يعتقدون معنا اعتقادنا بوجود الرب ، الرحمٰن ، الذي سوف يحكم بين الناس في اليوم الآخر** » .

ومع ذلك ، وللأسف الشديد ، نرى أن تلك التوجهات الجديدة ، وكذلك بيانات « نتامسي » لم تنل اهتمام الفئات النصرانية بأندونيسيا في ممارسة نشاطاتهم التنصيرية .

والتقارير المرفقة عن النشاطات التنصيرية ، منها ما حدث في منطقة (**يوقيا**) التي سوف تزورونها . **دليل قاطع على صدق ما قلناه . وبطبيعة الحال ، تلك النشاطات قد أصبحت سببًا رئيسًا للتوتر المتزايد في العلاقات المتبادلة بين الأمتين المتدينتين النصارى والمسلمين .**

فنرجو بهذا أن تكونوا قداستكم قد أدركتم كلّ الإدراك صورة واضحة عن الأوضاع السائدة في هذا الوطن ، متمنين أن تكون توجيهاتكم البناءة حافزًا لتحسين العلاقات المتبادلة بين الأمة الكاثوليكية خاصة والأمة النصرانية عامة ، وبين الأمة الإسلامية ، تحقيقًا للرفاهية للجميع .

هذا ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

الأستاذ محمد ناصر	**الشيخ الحاج مشكور**
رئيس مجلس وزراء	وزير الشؤون المالية
جمهورية أندونيسيا	لجمهورية أندونيسيا
الأسبق	السابق
الشيخ الحاج رسلي عبد الواحد	**البروفسور د . محمد رشدي**
وزير الدولة	وزير الشؤون الدينية
لجمهورية أندونيسيا السابق	لجمهورية أندونيسيا الأسبق

النشاطات التنصيرية في أندونيسيا

النشاطات التنصيرية تغطي معظم المناطق الأندونيسية . وهذه النشاطات و إن كانت مضطرة للتكيُّف حسب الظروف والأحوال البيئية والمحلية ، ولكن معظم تلك النشاطات تدل على وجود المشابهة والتنسيق والقيادة الموحدة . **وهدفها واحد ، وهو: تنصير المجتمعات الأندونيسية المتنوعة في جميع المناطق بغض النظر عن الأديان التي قد اعتنقوها من قبل .**

وحيث إن معظم المجتمعات الأندونيسية هم المسلمون **فالحقائق تدل على أن المسلمين هم الضحية الأولى لتلك النشاطات وهم أتعس الناس في هذه الظروف** . لأن معظم المسلمين فقراء يسكنون في القرى ، والمنصرون ينفذون وسائل التقرب إليهم وبأساليب مختلفة . **تلك الأساليب تتعارض مع القرارات النصرانية نفسها فهي تعارض بيان «تشامبسي»** CHAMBESY **عام 1976 م وتعارض أيضًا توجيهات الفاتيكان الثاني** . VATICAN II

هذا التقرير يتضمن النشاطات التنصيرية في محافظة **يوقيا كرتا** YOGYAKARTA **وهي العاصمة الأندونيسية خلال النضال التحريري عام 1945 ـ 1949 م** . والمذكور في هذا التقرير ليس إلا نماذج فقط للنشاطات التنصيرية المشابهة ، والتي نفذت في جميع المناطق الأندونيسية .

(1) اختيار القرى النائية ، واستغلال الفقراء المساكين

من المعروف أن النصارى يختارون القرى النائية مجالاً لنشاطاتهم علمًا بأن سكان تلك القرى من البؤساء والجاهلين . مثل قرية نجمبسان NGEMBESAN التي مارسوا ضدها الأساليب التالية واقتطفوا ثمارها فيما بعد .

قدموا الأشياء الآتية مجانًا:

ا ـ المواد الغذائية: كالأرز ، والسكر ، والمكرونة .

ب ـ الملابس المستعملة للصغار والكبار .

جـ ـ الأدوية .

د ـ النقود .

ففي بعض الحالات ، قدمت النقود إلى بعض النساء كرأس مال لفتح حوانيت صغيرة في جوانب الشوارع العامة .

هـ ـ المواشي ، مثل : البقر والغنم قدموها لفتح الحظائر الصغيرة .

و ـ الالآت الزراعية ، البذور ، الأسمدة ، الأدوية القاتلة للحشرات .

ز ـ مساعدة سكان القرى في توفير المياه .

غالبًا ، استفاد هؤلاء السكان من هذه المساعدات . وبعد ذلك كشف النصارى نياتهم الحقيقية : وقالوا بأن التي قدموها خلال تلك المدة ليست إلا خدمة للإلّه الابن (JESUSKRISTUS والمساعدات التي استفادوها خلال تلك المدة ليست إلا هدية من الإلّه الابن .

فاستسلم بعض الجاهلين لتلك الافتراءات وقبلوا مراسم التعميد إشعارًا لدخولهم إلى النصرانية . وبعد ذلك تحدي بعض المنصِّرين بتوجيه السؤال إلى النصرانيين الجدد : ما الأفضل في رأيكم هل هو وضعكم السابق قبل الدخول إلى النصرانية ، أو الآن بعد دخولكم إلى النصرانية ؟

أما بالنسبة للمسلمين الذين ما زالوا متمسكين بدينهم الإسلامي ، والذين لا تغرهم المساعدات ، فقد وجه إليهم المنصرون التشكيكات حول دينهم لزعزعة إيمانهم فقالوا : إن كل الأديان سواء ، إذ كلها جيدة ، ولا فرق بين دين وآخر . وكل من آمن بالرب سوف يدخلون الجنة بدون استثناء .

ثم زادوا فوق ذلك بالتشكيكات الأخرى منها قولهم : إن هناك تكاليف صعبة يجب على المسلمين فعلها مثل القيام بالصلوات الخمس والقيام مبكرًا لصلاة الفجر ، مع أن النصرانية لا تكلف النصارى إلا مرَّة في الأسبوع للذهاب إلى الكنائس .

فنستنتج من كل هذه النشاطات أنها مصيدة يراد منها اصطياد أكبر عدد من الأتباع الجدد .

(2) تقديم فرص العمل

ثبت بعد التحقيق ، أن معظم المتخرجين من المدارس المتوسطة والثانوية يواجهون

صعوبات للحصول على فرص العمل أو الوظائف كما واجهوا الصعوبات لمواصلة دراستهم لعدم الإمكانية المالية . فأصبحوا مضطرين لقبول أي عرض للحصول على أي عمل يسد حاجاتهم . وجاءت معظم فرص العمل من الجهات النصرانية ، مع تقديم شروط ثقيلة منها : **الدخول إلى النصرانية فجعل النصارى «تبديل العقيدة» شرطًا أساسيًّا لحصول الوظائف في مؤسساتهم .**

(3) ترميم البيوت

اهتم النصارى بالبيوت القديمة التي تحتاج إلى ترميم أو تصليح . فقدموا مساعدات لتلك الأغراض ، عادة عن طريق **رئيس القرية «العمدة»** . **و إذا تمّ قبول العرض من صاحب البيت** ، **يتم تعميده ودخوله إلى النصرانية** عند اكتمال ذلك الترميم أو التصليح . ولقد حصلت مثل هذه النشاطات عدة مرات ، لشدة حاجة هؤلاء المساكين من سكان تلك القرى البائسة .

(4) التربية والتعليم في المدارس النصرانية

للمؤسسات الأهلية (غير الحكومية) دور كبير في شؤون التربية والتعليم ، خاصة للجيل الناشيء في هذا الشعب . وذلك بفتح المدارس الخاصة الأهلية ، وللمؤسسات النصرانية نشاطات كبيرة في هذه المجالات .

ولكن المدارس النصرانية ، ترغم الطلبة المسلمين الذين يدرسون في مدارسهم ، أن يتعلموا أيضًا الديانة النصرانية ، وترغمهم أيضًا أن يحضروا المراسم النصرانية .

والهيئات النصرانية تتولى دفع الرسوم الدراسية للطلبة المحتاجين . كما تعطي الفرصة لهؤلاء الطلبة أن يدرسوا بمدارس الهيئة مجانًا .

أما بالنسبة للطلبة النابغين فقد خصَّصت الهيئة النصرانية منحًا دراسية إلى أعلى المستويات **بشرط أن يدخلوا الدين النصراني .**

(5) تقديم العلاج للمرضى ، ودفن الموتى بالمراسم الكاثوليكية

تقدم الهيئة النصرانية علاجًا **مجانيًّا** للمرضى المسلمين في المستشفيات النصرانية ، وبعد الشفاء عليهم أن يقدموا مشاعر الشكر **بالدخول إلى الدين النصراني** .

قد يكون من الصعب تحويل العقيدة من الإسلام إلى النصرانية ، ومثل هذه المحاولات تحتاج إلى وقت غير قصير ، ولكن النصارى ، يعملون بجد وبغير ملل ، فيزورون المرضى من وقت لآخر ، وفي كلِّ زيارة يقدمون المساعدات ، أي مساعدة يحتاجون إليها .

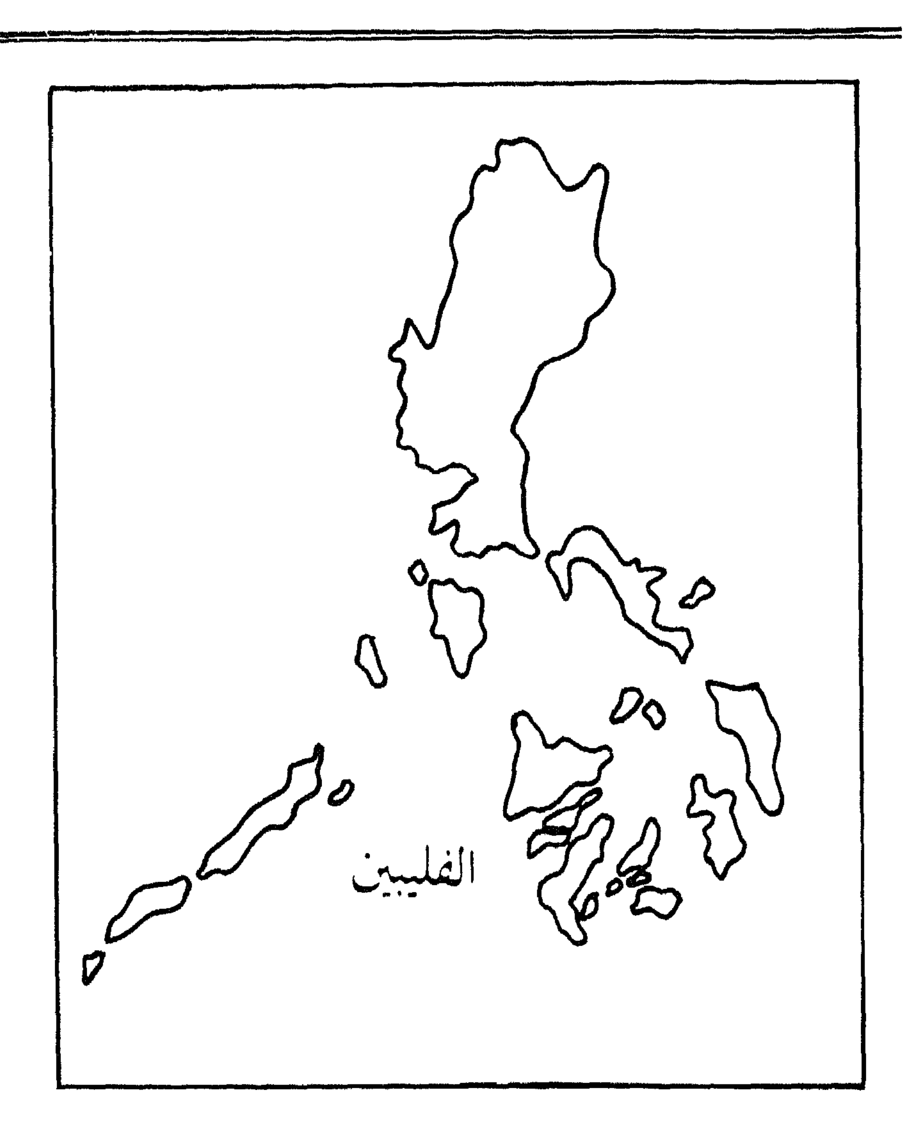
و إذا كان المريض لا يرضى ويأبى الانتقال من الدين الإسلامي إلى النصراني فالهيئة التحضيرية تقدم مساعدات ضخمة ، ولكنها تعد تلك المساعدات ديونًا يجب على المريض المسلم أو عائلته أن يسددها . وهي طريقة من الطرق التعجيزية تستغل ظروف البائس المسكين .

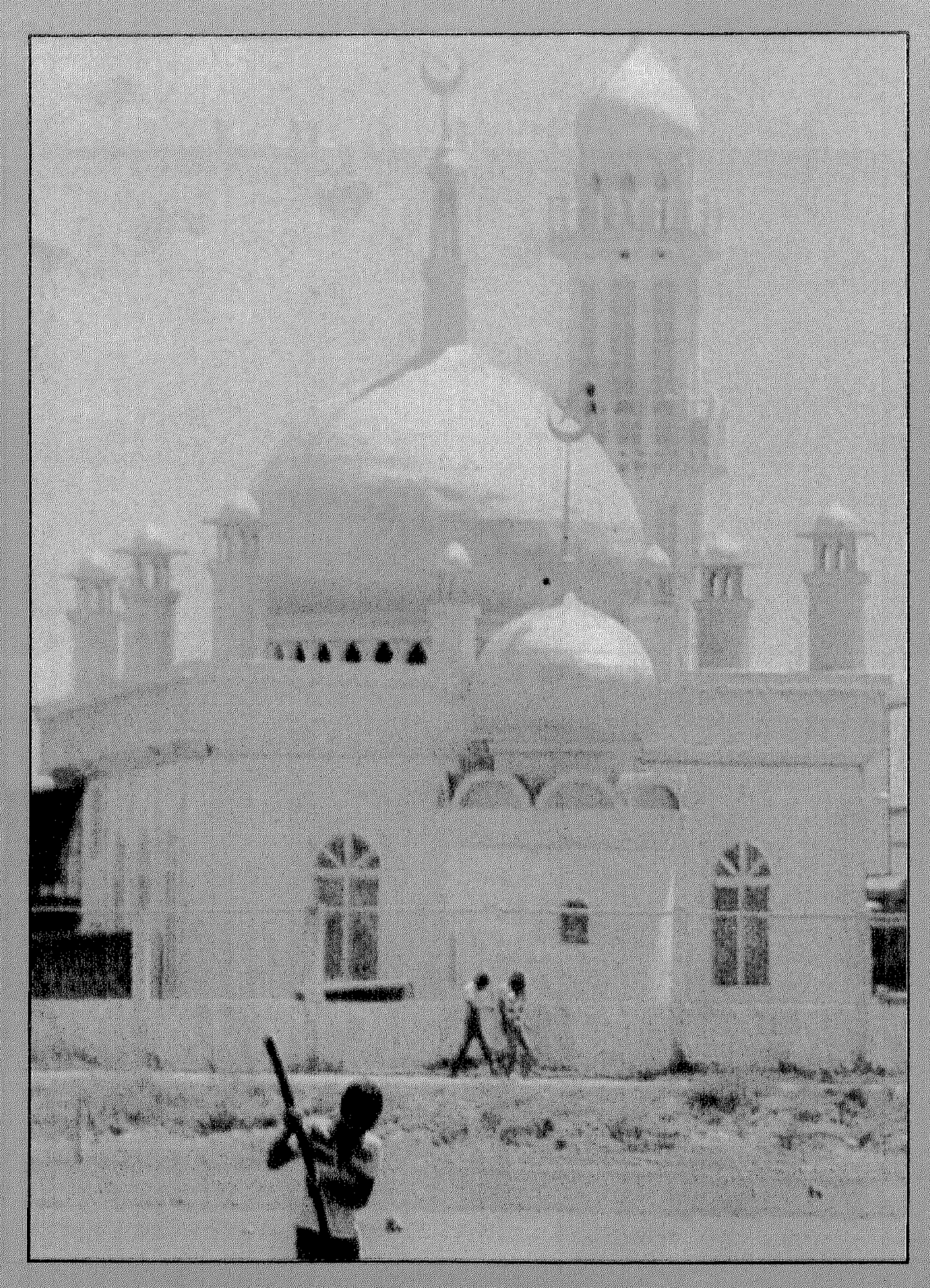
أما إذا مات المريض بعد ذلك العناء ، فتقدم **الهيئة التنصيرية خدمات لدفن الميت وتتكفل الهيئة بجميع التكاليف بشرط أن تكون مراسم الدفن على الطريقة الكاثوليكية** .

وبالنسبة للأسر الفقيرة التي لا تتحمل تلك النفقات تضطر إلى قبول هذه المساعدات ومن ثم تدخل إلى الدين النصراني بسبب من تلك الأسباب .

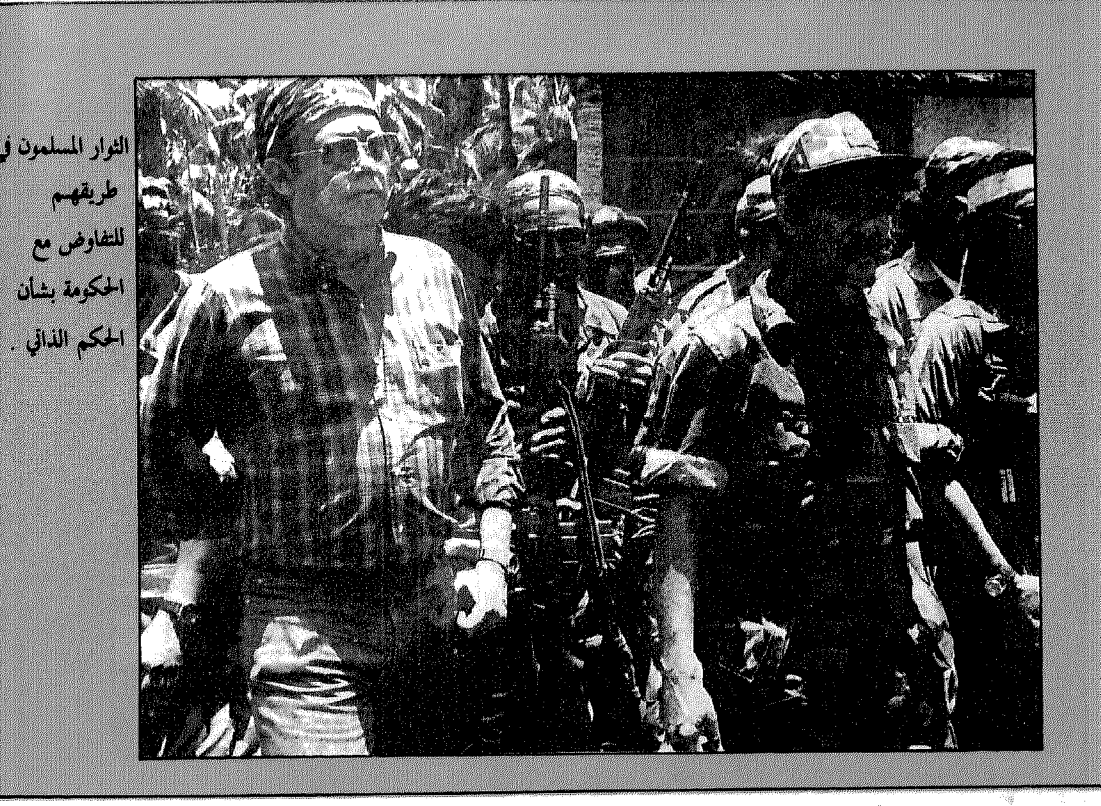
هذه النشاطات أوردناها كنماذج للأساليب النصرانية المعروفة باسم «دياكونيا» DIAKONIA **وهي عبارة عن «المساعدات» التي ظاهرها رحمة ولكن باطنها عذاب** .

الإسلام في الفليبين

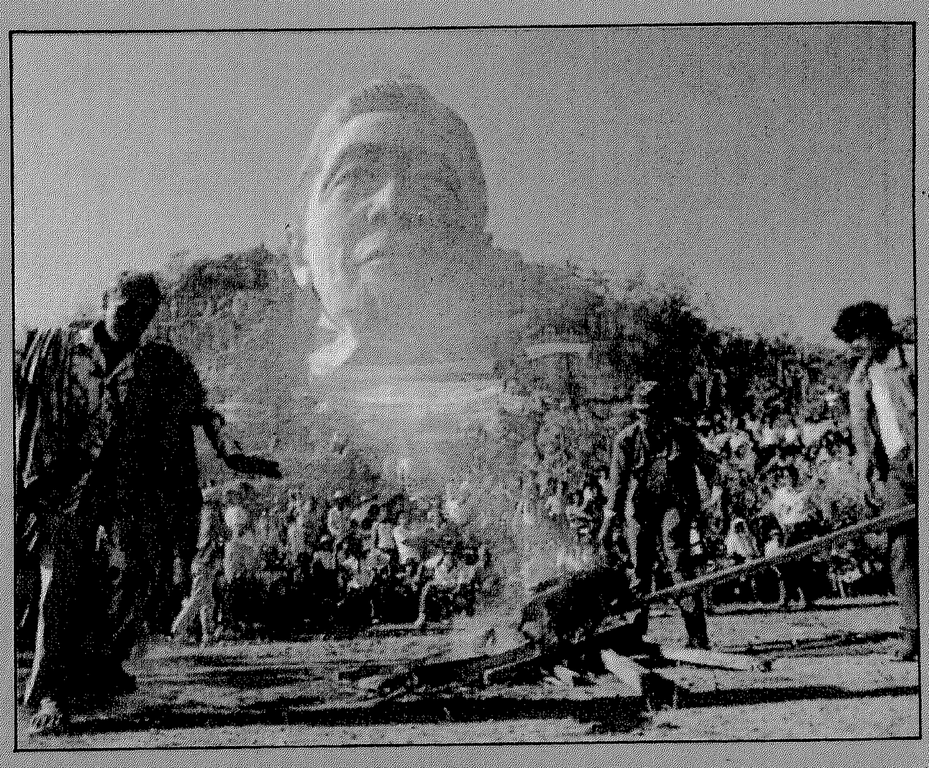




احد أكبر مساجد الفلبين .



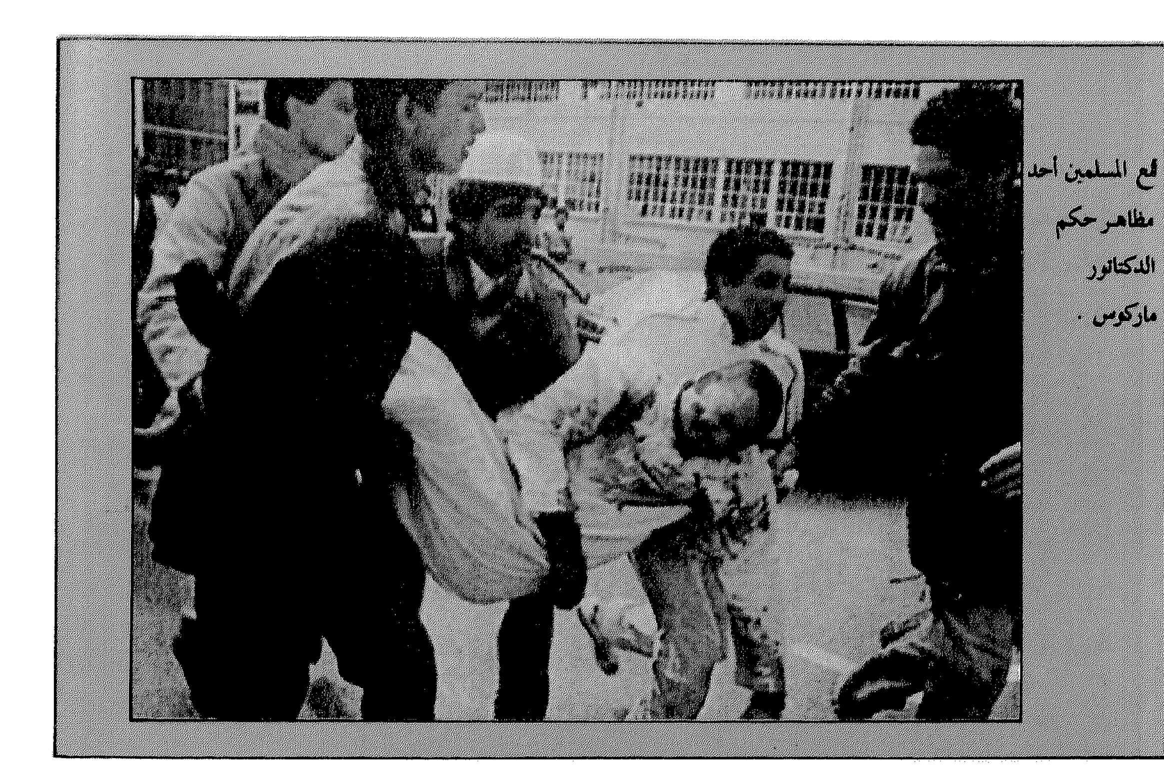
الثوار المسلمون في طريقهم للتفاوض مع الحكومة بشأن الحكم الذاتي .



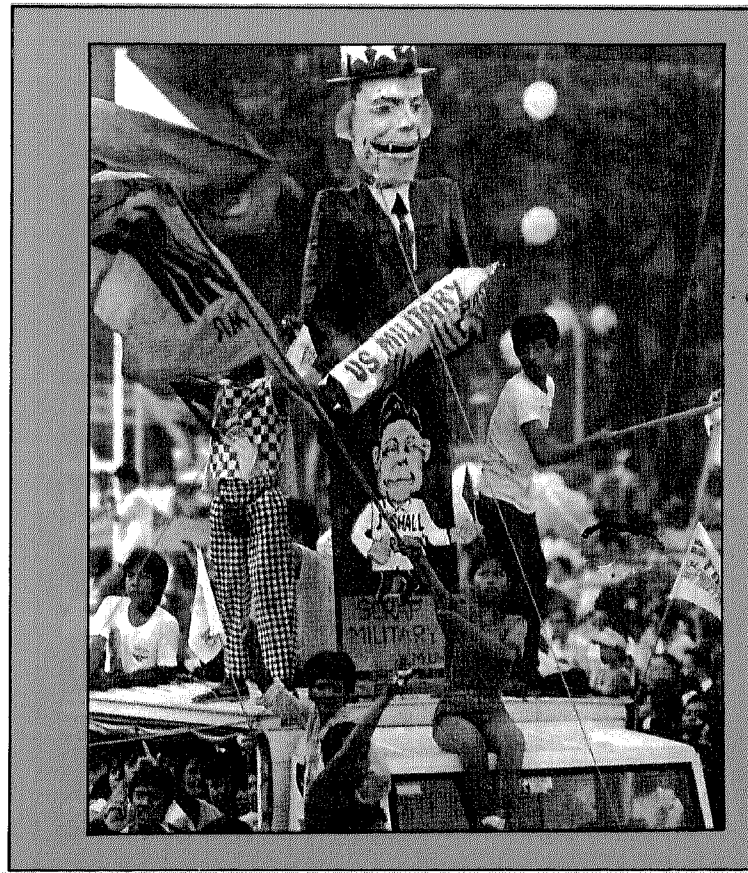
إشعال النار في تمثال دكتاتور الفلبين ماركوس.

القوات الفليبينية تعتقل بعض محاولي الانقلاب ضد «أكينو» .

مؤتمر صحافي لجبهة تحرير مورو قبل البدء في المفاوضات مع الحكومة .



قمع المسلمين أحد مظاهر حكم الدكتاتور ماركوس .



تظاهرات في عيد الاستقلال ضد الوجود الأمريكي وجرائمه في الفلبين .

الفلبيين هي إحدى بلدان العالم الإسلامي ، و إن صار فيها للمسيحية أغلبية بفعل الاستعمار الصليبي الإسباني والأمريكي على التوالي . .

دخلها الإسلام على أيدي مجموعة من التجار العرب الذين قدموا من الجزيرة العربية ، واستقروا بجزائر الهند الشرقية ، (الجزائر الأندونيسية) ، وانتقل عدد منهم إلى الفلبيين ، ونشروا الإسلام وسط بقايا ديانات كالبوذية والهندوكية والبرهمية ، حتى صار الدين الإسلامي الدين الرئيس في البلاد .

ولو لم يصل إليها المستعمرون في القرن السادس عشر لكان الإسلام قد كسب الأرخبيل كله .

أما محنة المسلمين الحالية فقد بدأت عقب استقلال البلاد بعد الحرب العالمية الثانية وقيام ما يسمَّى بالحكومة الوطنية وعلى رأسها مسيحي ، الذي هضم حقوق المسلمين وضم بلادهم إلى الفلبيين ، ومازالت القلاع الإسلامية اليوم هي : أرخبيل سولو ، والسواحل وضفاف البحيرات الداخلية في جزيرة مندناو وعدد كبير من المقاطعات تطالب الثورة الإسلامية بقيادة جبهة تحرير مورو الوطنية باستقلالها و إنشاء دولة إسلامية هناك .

الفلبيين : مجموعة من الجزائر تصل مساحتها إلى نحو 115600 ميل مربع في المحيط الشرقي من حافة قارة آسيا ، ذات موقع استراتيجي من الناحية التجارية والسياسية والعقائدية والفكرية ، حيث تشرف على مدخل شرق آسيا التي يقطنها أكثر من نصف سكان العالم ، وهي المركز الرئيس للملاحات البحرية والجوية في الشرق الأقصى .

تضم الفلبيين (107) سبعًا ومئة ألف جزيرة أكبرها جزيرة « لوزون » ثم جزيرة « مندناو » التي يتركز فيها معظم المسلمين .

تضاريسها : جبلية بصفة عامة ، وذات سواحل بحرية غير منتظمة .

جوها : استوائي حيث يستمر فصل الجفاف في الصيف من شهر الربيع « مارس » إلى شهر الصيف « يونية » ثم يبدأ نزول الأمطار في شهر ناصر « يوليو » ويستمر حتى شهر التمور « أكتوبر » . وتتعرض البلاد إلى أعاصير مدمرة عند نهاية السنة وبدايتها .

الثروات الطبيعية

تعتبر الفليبين دولة زراعية إلى جانب الثروة المائية والمعدنية وهي من الدول النامية ، والإنتاجية الصناعية منخفضة ، يقابلها زيادة سريعة وبمعدلات كبيرة في عدد السكان ، وبالمستوى الذي يجعل الاقتصاد عاجزًا عن استيعاب القوى العاملة . وتعتبر مناطق مندناو وسولو من أغنى المناطق ، وبرغم ذلك فإن المسلمين هم أكثر السكان فقرًا ومناطقهم أكثر المناطق تخلفًا بسبب الحروب ، فقد **قصد الاستعمار ومن بعده حكومة الفليبين عدم تطويرها لتظل متخلفة يسهل الهيمنة عليها .**

التعليم : مجاني وغير إلزامي في المرحلة الابتدائية ، وتبلغ نسبة الأمية 28% ، وأكثر المناطق معاناة من مشكلة الأمية هي المناطق الإسلامية . مع أن هناك 50 جامعة وآلاف المدارس والمعاهد والكليات **وفي عام 1970 م بلغ عدد المؤسسات التعليمية 2.922 مؤسسة ، ومعظمها مؤسسات أهلية يديرها المبشرون المسيحيون ، وقليل منها تجارية ، ونصيب المسلمين فيها لا يتجاوز العشرات فقط .**

عدد السكان يقارب الخمسين مليونًا ، ويقدر عدد المسلمين بنحو ثمانية ملايين .

اللغة الانجليزية هي اللغة الرسمية تليها لغة « القليغيو » إلى جانب لغات محلية كثيرة . وقد اعترف الدستور الفليبيني الجديد باللغة العربية كلغة هامة في البلاد .

الديانات القديمة لسكان الفليبين

الديانات القديمة لسكان الفليبين كانت وثنية امتزجت بالمعتقدات الهندوكية والبوذية . والإسلام أول دين سماوي يصل إلى المنطقة . ولكن ظهور الصليبيين الإسبان في وقت مبكر أدى الى حصر الإسلام في الجنوب ووقْفِ مدِّه في الجزائر الوسطى والشمالية من البلاد ، وبما أن الفليبين تعتبر ذات أغلبية مسيحية إلا أن فيها عددًا لا يستهان به من غير المسيحيين ، حيث توجد في المناطق الداخلية قبائل لا تزال على وثنيتها .

أما المسلمون فهم أقلية قوية يتمركزون في أغنى المناطق في جنوب البلاد .

وعندما قدم الإسبان بالمسيحية الكاثوليكية حرَّموا على أية طائفة مسيحية أخرى مزاولة أي نشاط تبشيري ، ثم أعقبهم الأمريكيون بالمسيحية البروتستانتية ، ثم ظهرت طوائف مسيحية مستقلة في ظل البروتستانتية التي طغت على البلاد .

والذي يشاهد الفليبين لأول وهلة خاصة العاصمة « مانيلا » يحس أنه في بلد مسيحي حيث الكنائس العالية الضخمة البناء ولن يخطر بباله أن هذه المنطقة كانت أرضًا إسلامية منذ القرن الثالث عشر الميلادي حين دخلها الإسلام على أيدي مجموعة من التجار العرب المسلمين .

أرض الفليبين

حول أرض الفليبين ظهرت نظريات مختلفة ، وأشهرها والتي أخذ بها كثير من العلماء والمؤرخين تلك التي تذهب إلى أن الفليبين كانت في وقت ما جزءًا من قارة آسيا الكبرى ، و إنه حدث في وقت قبل عصر الجليد أن ذاب الجليد الذي يكسو الأرض فنتج عنه ارتفاع في مستوى البحر ففرغت الأجزاء المنخفضة بما فيها الجسر الذي يربط الفليبين بقارة آسيا الكبرى وبقيت الفليبين التي نشاهدها اليوم .

أصل السكان

سكان الفليبين اليوم يعودون إلى سلالات كثيرة ، وبالرغم من غلبة السلالة الملايوية فإن الكثير منهم ينحدرون من أصول أندونيسية ، وهندية ، وصينية ، وعربية ، وأوروبية ، ويقال إن أول إنسان استوطن الفليبين هو إنسان ما قبل التاريخ .

علاقات مبكرة بالدول المجاورة والعرب

أقامت الفليبين علاقات جيدة بينها وبين الدول المجاورة منذ وقت مبكر وقبل

مـجيء الإسلام ، حيث ارتبطت بعلاقات تجارية مع الهند والصيـن وسيام وشبه جزيـرة الـملايـو وجاوة وسومطرة كما إن للعرب علاقات مبكرة مع الشرق ، فقد كان عرب اليمن في سبأ أعظم حاملي ألويـة التجارة البحريـة في آسيا .

دخول الإسلام إلى الفليبين

مجموعة الجزائر التي تعرف اليوم بجمهورية الفليبيـن لـم تكن في الـماضي بلدًا واحدًا ، ولا يجمعها اسم واحد ، بل كانت جزرًا متفرقة تعيش فيها قبائل متنازعة ، وكانت امتدادًا لجزر أندونيسيا ، وماليزيا ، وسنغافورة .

وقد اعتنق أهالي تلك الجزائر الإسلام قبل أن تظهر الفليبيـن كوحدة سياسية إلى حيز الوجود . ولقد أثبتت الأبحاث والدراسات الـمنصفة أن مجموعات إسلامية قد وجدت بالفعل في تلك الـمنطقة من العالـم منذ القرن الثالث عشر الـميلادي . وثبت تاريخيًا أن الإسلام انتشر هناك على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الرابع عشر على أيدي مجموعات من الـمسلميـن العرب جاؤوا من الجزيـرة العربية وانطلقوا إلى الهند ، وكانت التجارة هي السبب في التعرف إلى التجار المسلمين وتغلغلهم في جنوب شرق آسيا حتى وصلوا إلى جاوة والـملايو ، ومنها عبروا إلى جزائر الفليبيـن ، وكان الإسلام يمتد في هذه الجزائر على مهل قادمًا من الجنوب والشرق . فقد وصل أول مَنْ وصل من الـمسلميـن إلى أرخبيل سولو ، وجزيرة مندناو ، واستقروا بها وأسسوا فيما بعد سلطنات و إمارات إسلامية ، وعملوا على نشر الإسلام في جميع أرجاء البلاد حيث أقبل السكان على اعتناق الإسلام والتخلق بأخلاقه الفاضلة . وتعتبر الفترة الـممتدة من النصف الثاني من القرن الخامس عشر وأوائل النصف الثاني من القرن السادس عشر من أكثر عصور الإسلام ازدهارًا في تلك البلاد .

واعتنق سكان الفليبيـن الإسلام عن قناعة و إيمان بأنه دين الحق . وبالرغم من أنهم بسطوا نفوذهم على كل أنحاء البلاد فإنهم تركوا الكثيريـن من أصحاب الديانات الأخرى على دياناتهم ، وقبلوا منهم الجزية وعاملوهم معاملة أهل الذمة .

غير أن صليبية القرون الوسطى كانت تترصد لذلك المد الإسلامي الـمتنامي الذي

خرج من شبه الجزيرة العربية إلى أقاصي الدنيا ينشر الخير والتقدم والسلام ، وتتحين الفرصة تلو الفرصة للقضاء على معتنق دين الإسلام ، ويعترف الكثيرون من الكتّاب المسيحيين أنه لولا قدوم الإسبان في وقت مبكر لانتشر الإسلام في جميع الجزائر الفليبينية ، ولاستحال عليهم قهرها وتحويلها إلى المسيحية .

محاولات الاستعمار الإسباني السيطرة على المناطق الإسلامية

عندما غزا الاستعمار الإسباني الفليبين عام 1516 م كان يحكم مانيلا السلطان « راجا سليمان » وكعادة الاستعمار أعلن أن هذه البلاد مسيحية ، وسموها باسم ملكهم « فيليب الثاني » الذي أرسل الحملة على تلك الجزائر بقيادة الجنرال « سجاستا » .

ولكن عندما توغل الإسبان في جزيرة لوزون اصطدموا بطلائع المسلمين فسموهم بالاسم الذي كانوا يطلقونه على المسلمين في الأندلس وهو « المورو » ، ويراد به العرب أو المسلمون ، ومازال هذا الاسم يطلق إلى اليوم على المسلمين في الفليبين .

ونشب الصراع بين الإسبان الكاثوليك و « المورو » المسلمين في جزيرة مندناو ، وكان دعاة الإسلام قد صاهروا الناس ونشروا دينهم بينهم . وكانوا يفعلون ذلك على مهل ودون لجوء إلى الإكراه والعنف . فجاء الإسبان الاستعماريون يقتحمون بجيوشهم البلاد على أهلها . كما كان دأبُهم في غزوهم للعالم الجديد ، ففرَّ الناس أمامهم وانحازوا إلى جانب المسلمين ، وبدا الإسلام على أنه الديانة القومية ، وطوال ثلاثة قرون خاض مسلمو الفليبين حربًا ضارية تعرضوا فيها إلى مختلف ألوان البطش والإرهاب ، وقد استجاب بعض الوثنيين لضغط المستعمرين فاعتنقوا المسيحية .
ولم تهدأ مقاومة المسلمين طيلة الحكم الإسباني ، ولم ينطفيء نور الإسلام في جزيرة مندناو وسولو ، وصمد المسلمون أمام الطغاة . وتركز المسلمون في جزائر الجنوب « مندناو وسولو وبلاوان » التي لم يستطع الإسبان اقتحامها بسبب بسالة المسلمين ، وبسبب الظروف الطبيعية من كثرة الجبال والهضاب ووعورة الأحراش والمستنقعات ، وقد استفاد المسلمون من هذه الظروف في صد محاولات الأعداء الذين

استخدموا كل الوسائل التي كانت في أيديهم ففشلوا ونجح المسلمون في الاحتفاظ بكيانهم في تلك المناطق ونظموا حكوماتهم الإسلامية في هذه الجزائر التي بقيت لهم .

لقد اتسمت الإدارة الإسبانية في مستعمراتها بالفساد والقسوة ونهب أموال الناس ، وعمدت إلى تنصير الناس بالقوة ، فدارت المعركة في مندناو وخاصة في دواخلها حيث انحاز للإسلام عدد كبير من زعماء القبائل واستبسل المسلمون في الدفاع عن دينهم وأراضيهم ، ولم يتمكن الإسبان من التغلب على المسلمين في مندناو طوال تلك الفترة . وفي عام 1878 م أعلنوا أنهم أتموا غزو مندناو ، ولم يكن ذلك حقيقيًّا ، فأرسلوا بعض سفنهم إلى جزيرة « بلاوان » وأرخبيل « سولو » وقد تمكن أهل هذه الجزائر من إنزال هزيمة بحرية بالإسبان وردوهم إلى « لوزون » .

وقد أساء المستعمرون الإسبان إلى أهل الجزائر كلها إساءات بالغة ونهبوا أموالهم نهبًا ، وكانت العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر عقود تدهور بالغ في الإدارة الإسبانية وفي مستعمراتها . وكانت الولايات المتحدة تعمل بنشاط للقضاء على النفوذ الإسباني في أمريكا الجنوبية وخاصة بعد قيام حركات التحرير والاستقلال في تلك البلاد .

فقد أضحت أمريكا من القوى الكبرى في العالم ، فاتجه الأسطول الأمريكي من « فرموزا » إلى الفليبين ، حيث خدع الأمريكيون المسلمين في الفليبين للوقوف إلى جانبهم في مقابل الوعد بمنح الفليبين استقلالها بعد طرد الإسبان ، فشدَّدوا هجماتهم على المعسكرات الإسبانية في أنحاء البلاد ، وفي صبيحة 1898/8/13 م سقطت مانيلا العاصمة ، ورفع العلم الأمريكي على ساريتها . وطبقًا لاتفاقية باريس تنازل الإسبان ضمن ما تنازلوا فيها عن الفليبين لمصلحة أمريكا .

والمهم في الموضوع أن الاتفاقية قد ذكرت حدود الفليبين ، وأدخلت ضمن هذه الحدود المناطق الإسلامية التي كانت في الواقع غير خاضعة للمستعمر الإسباني .

وإذا كان المسلمون قد تصدوا للاستعمار الإسباني بقوة وإيمان واحتفظوا بمناطقهم خارج النفوذ الإسباني فإنهم قد واجهوا بعد ذلك استعمارًا أشد بشاعة وشراسة حين حلت القوات الأمريكية ببلادهم التي عملت على نشر المسيحية وإجبار المواطنين على التنصير فدخل من دخل من البوذيين ، لكنْ تَمَسُّكَ المسلمون

بدينهم وجاهدوا من أجل الحفاظ عليه طوال ثمانية وثلاثين عامًا . غير أنه لم تلبث أن اندلعت الحرب العالمية الثانية فتعقدت مشكلة المسلمين أكثر إذ إن الهجوم الياباني على الفليبين « المستعمرة الأمريكية » في ذلك الوقت بمنشآتها وقواعدها العسكرية قد شمل بلاد المورو الإسلامية أيضًا .

وانتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة دول المحور ومعها اليابان ، فاستردت أمريكا مستعمراتها ، وصارت منطقة المحيط الهادي بما فيها الفليبين منطقة حيوية للمصالح الأمريكية .

لقد تركز الإسلام في الجنوب الفليبيني لفترة طويلة من الزمن ، وحاول المسلمون ـ برغم صعوبة الظروف التي يعيشونها ـ نشر الإسلام في المناطق الشمالية والوسطى ، وبالفعل بدأت المجتمعات الإسلامية تظهر في الشمال . والحركة الدائبة للدعاة في أواسط البلاد أخذت تجذب الكثيرين إلى صفوف المسلمين ، لكنها مالبثت أن اصطدمت بالقوات الأمريكية الصليبية الاستعمارية التي تحركت بقوة واحتلت المناطق الشمالية والوسطى محاولةً تحويلها إلى المسيحية عن طريق القوة ، لكن هذا لم يثن الدعاة الذين أخذوا يجوبون البلاد يدعون إلى دين الله الحق ، فلاحقتهم القوات الصليبية التي فطنت إلى ذلك النشاط الإسلامي المتزايد ، واحتلت مدينة « بورنيو » مركز ثقل الدعوة الإسلامية .

وبتضاؤل حركة الدعوة في الشمال تركزت في جنوب البلاد ، فقام المسلمون بالاتصال بإخوانهم بماليزيا لنشر الإسلام بجزائرها المتاخمة ، وانفتاحهم على العالم عن طريقها ، لكن تحرَّكَ المستعمرون لسد هذه النافذة ، وفرضوا حصارًا على المسلمين وعزلوهم عن إخوانهم بماليزيا ، كما قطعوا صلاتهم التي بدأت بالجزيرة العربية مهد الحضارة الإسلامية ، وحرموا الدعاة من ارتياد المناطق الواقعة تحت السيطرة الإسبانية ، فاجتهد المسلمون في الداخل لفتح المدارس وبناء المساجد وإقامة الحلقات الدينية حفاظًا على دينهم وأجيالهم من شرور العدو .

فشلوا في القوة فلجؤوا إلى الخديعة

لقد أحس المستعمرون الأمريكيون أن أساليب القوة لم تجد لزعزعة المسلمين عن عقيدتهم وتذويبهم في بوتقة الصليبية الاستعمارية ، فهاهي الدعوة التي سدوا عليها كل النوافذ تتجذر بعمق في داخل البلاد . فلجؤوا إلى وسائل المكر والخديعة ، فألغوا القانون الإسباني ، وادعوا كفالة الحريات الدينية . وحرية الفرد في اختيار العقيدة التي يريدها ، إلا أن الأيام كشفت أن تلك الحرية المزعومة لم تشمل المسلمين ، فلا حرية للمسلمين حتى في ممارسة شعائرهم الدينية . وعندها فوجيء المسلمون بأنهم أمام عدو ماكر يسعى لطمس نور الإسلام بوسائل أكثر دهاء ومكرًا ، **وأحس العلماء والدعاة بعظم المسؤولية للاحتفاظ بعقيدة الإسلام في نفوس المسلمين ، فضاعفوا جهودهم لحماية الشعلة المتقدة من الانطفاء أمام رياح الصليبية . فاندفعوا في توعية المسلمين وتحصينهم ضد سمومها** . فأسسوا العديد من الجمعيات الإسلامية ، مثل جمعية مسلمي الفليبين ، وجمعية كامل الإسلام ، وجمعية هداية الإسلام . وألفت هذه الجمعيات في مجملها تيارًا إسلاميًّا دافقًا ، وانتفاضة دفعت بالحركة الإسلامية خطوات متقدمة في وجه الصليبية . حيث قامت هذه الجمعيات بفتح المدارس والمعاهد الدينية ، وعقد المؤتمرات الإسلامية ، وتوطيد العلاقات بينها وبين المؤسسات والهيئات الإسلامية في العالم ، وهذه العلاقات لعبت دورًا هامًّا في النهضة الإسلامية بالفليبين ، حيث توافد على إثرها الشخصيات الإسلامية البارزة ، والبعثات الدينية ، ووصلت الكتب المؤلَّفات الإسلامية ، وتَمَّ طبعها باللغة الانجليزية واللغات المحلية .

كما إن انفتاح المسلمين على العالم أوجد تعاطفًا إسلاميًّا وعربيًّا كبيرًا مع مشكلتهم ، وترجم ذلك في المساعدات المادية والأدبية والمنح الدراسية في الجامعات الإسلامية والأزهر التي لعب خريجوها دورًا مؤثرًا في مجال الدعوة الإسلامية في الفليبين .

وباختصار يمكن القول : إن نشاط هذه الجمعيات أدى إلى نتائج باهرة في مصلحة النهضة الإسلامية في البلاد .

وضع المسلمين بعد الاستقلال

في عام 1946 م استقلت الفليبين عن الاستعمار الأمريكي « اسميًّا » وبقيت المصالح الأمريكية كما هي ، بل ازدادت وتشعبت أكثر من ذي قبل ، فقد ذهب المستعمرون ولكنهم بعد أن كبلوا البلاد باستعمار من نوع آخر ، حيث ربطوها بالاتفاقيات والمعاهدات الجائرة ، ونشروا فيها القواعد العسكرية لأهمية موقعها في شرق آسيا ، وجعلوا على رأسها عميلاً دكتاتوريًّا يحكمها ويُعِيثُ فيها فسادًا ، يضطهد المسلمين وينكل بهم ويرتكب زبانيته أبشع أنواع التعذيب والقتل الجماعي الذي راح ضحيته آلاف الشهداء .

ولكن كيف تَمَّ ذلك ؟

عند صدور قانون استقلال الفليبين كانت مشكلة المسلمين قد وصلت إلى ذروتها حيث أُجْرِيَ استفتاء مزيف لتحديد وضع المسلمين بعد الاستقلال ، وانتهى الاستفتاء بفوز المسيحيين . وبإعلان النتيجة وقيام ما يسمى بحكومة «الكومنولث الفليبيني » أصبح المسلمون تحت حكم المسيحيين كلية . لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الجهاد .

تَمَّ كل ذلك بدعم وتخطيط من الولايات المتحدة الأمريكية . ومن ثم تَمَّ تغيير اسم بلاد المورو إلى جنوب الفليبين ، وعارض المسلمون بشدة ضم بلادهم بذلك الأسلوب الاستعماري الظالم ، وخاضوا معارك ضارية مطالبين بالاستقلال والحكم الذاتي ، حتى أصبحت مشكلة مسلمي الفليبين على كلِّ لسان ، واسترعت أنظار العالم وبدأت تحتل جزءًا كبيرًا من اهتماماته .

وفي محاولة للقضاء على تلك الثورة أعلن دكتاتور الفليبين السابق ماركوس ، وضع البلاد تحت الحكم العسكري ، وكان على كلِّ مواطن أن يسلم سلاحه بناء على أمر عسكري . . ولكن المسلمين لم يسلموا سلاحهم بعد أن تبيَّن لهم تواطؤ بعض القيادات العسكرية للقضاء على المسلمين ، وقد تأكد ذلك بعد اكتشاف عصابة

(ألاما) أو الفئران التي كانت مهمتها إبادة المسلمين والقضاء على الإسلام ، حيث أَلَّفت هذه القيادات العسكرية العمود الفقري لها ، لم يسلم المسلمون سلاحهم الذي حصلوا عليه بشق الأنفس لعدوِّهم ، بل التفوا حول زعمائهم وظهرت الجبهات المسلمة للثورة في كلِّ مكان مطالبة بالاستقلال .

إثر تلك الممارسات الوحشية التي ارتكبها كلٌّ من الجيش والعصابة تأهب جميع المسلمين لدرء خطر الفناء الذي بات يهدد وجودهم ، واتخذت مقاومتهم مختلف الأشكال ، فسارع الزعماء إلى استرعاء أنظار العالم إلى حقيقة ما يجري للمسلمين في الفليبين ، وعملوا على إثارة القضية في المؤتمرات الإسلامية العالمية ، إلى جانب عقد الاجتماعات والندوات المحلية لتوعية المسلمين بخطر المؤامرة ، وتكوَّنت التنظيمات الشعبية في البلديات والقرى ، ونشطت في تنظيم فرق المقاومة المسلحة . ولعب العلماء دورًا كبيرًا في تحريض المسلمين لخوض الجهاد دفاعًا عن الدين والنفس .

وأمام المقاومة المسلحة والعمليات الجهادية اضطر الجيش للخروج علنًا لإنقاذ العصابة ، فارتكب مذبحة « تاكوب » وخاض معركة « بولدون » الشهيرة .

شرارة الثورة الأولى

انطلقت الشرارة الأولى للثورة في الفليبين في عام 1972 م بقيادة « جبهة تحرير مورو الوطنية » ويقدر عدد ثوار الجبهة بعد عامين فقط بـ 25 ألف ثائر ، وتهدف الجبهة إلى العمل على تحقيق الاستقلال الكامل والحرية السياسية والدينية والاقتصادية ، وقد تسبب انبعاث حركة الثوار المسلمين في إثارة مشكلات كبرى لنظام ماركوس وللجيش الفليبيني الذي فقد الكثير من جنوده في أثناء محاولاته قمع الثورة وبالمستوى الذي وضح جليًّا لنظام ماركوس استحالة القضاء عليها بسبب قوة إيمان الثوار بعدالة قضيتهم واستبسالهم في معاركهم واستخدامهم الجيد للمواقع وللتحصينات وأحراش بلادهم إضافة إلى ما يبثه الثوار في نفوس المسلمين من أن حضارتهم ودينهم ووجودهم مهدد بمخاطر الفناء .

ممارسات نظام ماركوس ضد الجنوب المسلم

وعلى مدى خمسة عشر عامًا من المعارك المتواصلة فشل نظام ماركوس في حسم الصراع لمصلحته ، ولم يتورع الدكتاتور ماركوس إثر ضربات الثوار المتلاحقة والخسائر الفادحة في صفوف قواته عن إصدار أوامره لقواته الجوية والبحرية بقصف السكان الأبرياء وطمس قرى بكاملها ، وممارسة أبشع أنواع القتل والتعذيب والتشريد للمسلمين تحت ذريعة احتضانهم للمجاهدين .

كما عمل النظام على إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكام القانون المدني في مسائل الأحوال الشخصية على المسلمين ، مثل الزواج والطلاق والميراث ، وإباحة زواج المسلمة من غير المسلم ، ودعم الجمعيات التبشيرية ومساعدتها في تشييد الكنائس والمدارس واستغلال المسلمين بشتى الوسائل والطرق لجذبهم إلى النصرانية ، إضافة إلى تهجير المسلمين من شمال البلاد إلى مناطق المسلمين بالجنوب والاستيلاء على أراضي المسلمين بالقوة ومنحها للمهجرين المسيحيين .

ثم ذهب النظام الى أبعد من ذلك بالتعاون مع العدو الصِّهيوني والعصابات الصِّهيونية لتدريب أعداد كبيرة من الجيش الفليبيني على حرب العصابات التي تزودها بالعتاد والسلاح والخبراء لاستئصال شأفة المسلمين والقضاء على الإسلام في جنوب الفليبين .

وبرغم أن نظام ماركوس دفع إلى المنطقة الجنوبية بمئة ألف جندي أي أكثر من نصف الجيش النظامي مدعومًا بجماعات الدفاع المدني فإنه أدرك أن من الصعب التغلب على الثورة عسكريًّا ، فلجأ إلى المناورات الدبلوماسية والاتفاقات والمعاهدات التي تنكَّر لها أيضًا ، فذهب ماركوس وبقيت الثورة مشتعلة . .

جهود ثورة الفاتح الإسلامية

ومنذ اندلاع الثورة وتكوين الجبهة الوطنية لتحرير مورو عام 1972 م خرجت الثورة كقضية تحرير إلى النطاق الدولي وذلك بمساعدة بعض الدول العربية والإسلامية وفي

مقدمتها الجماهيرية العظمى التي وقفت بجانبها ، وأثارت مشكلة مسلمي الفليبين وما يعانونه من اضطهاد ، كما قامت بالتعريف بهذه القضية وأرسلت وفدًا لشرحها إلى الدول الإسلامية وطلبت عقد مؤتمر طارىء لوزراء خارجية الدول الإسلامية لبحث المشكلة .

لقد وقفت ثورة الفاتح الإسلامية بكل الدعم والتأييد المادي والمعنوي مع مسلمي الفليبين وساندت ثورتهم في كلِّ المحافل الدولية وتبنَّت اتخاذ القرارات والتوصيات التي تؤيد حقوقهم المشروعة للتحرر من دكتاتورية ماركوس الذي يقف وراء نظامه الفاشي الاستعمار الأمريكي ويتحكم في سياسته ويسيِّرها لخدمة مصالحه ويشجعه على التنكيل بالمسلمين وإبادتهم . .

إن ثورة الفاتح الإسلامية حين تساند إخوة الإسلام في الفليبين إنما تفعل ذلك بإدراك ووعي منها بأن قضايا المسلمين واحدة وأن الظلم الذي يحيق بإخواننا في الفليبين يجب أن يزال ويمحى ، وأن مسلمي الفليبين جديرون بالمساندة والدعم للخلاص النهائي من قوى البغي والعدوان التي تكيد للإسلام والمسلمين ليس في الفليبين فحسب بل في العالم أجمع .

ولعل كلمات الثائر المسلم **معمر القذافي** عام 1980 م ، في لقائه بدعاة الإسلام في العالم ، بالجماهيرية العظمى قد عبرت أصدق تعبير عمَّا يعانيه مسلمو الفليبين حيث قال :

« يجري الآن التنصير ليل نهار ، وقد نجحوا فيما مضى في جنوب وشرق آسيا . . الفليبين على سبيل المثال التي كانت تسمَّى عذراء ماليزيا وأصبحت الفليبين . . هذه كانت دولة إسلامية ، ولكن انتصرت الحملات التبشيرية الصليبية فيها وحولتها إلى دولة نصرانية ، والآن تسمعون بحرب الإبادة التي تشنها الحكومة الفليبينية على البقية الباقية من المسلمين في جنوب الفليبين ، « مورو » هي آخر معقل يدافع فيه بقية المسلمين عن وجودهم في أرضهم . . ويجري القتال لتصفيتهم تصفية جسدية .

يجري تهديم المساجد ، حصل هذا ، وكلُّ العالم نشرها ، هدمت المساجد على المصلين ، وأقيمت المذابح داخل المساجد ، والآن الجيش الفليبيني يشن حملات

واسعة على جنوب الفليبين وعلى جزيرة مندناو لكي يقضيَ على بقية المسلمين في جنوب الفليبين .

حتى ماليزيا تتعرض لنفس الشيء ، أو تتعرض له في المستقبل ، إذا صفُّوُا الإسلام في الفليبين . . إذاً فلا بد من الدفاع عن الإسلام في الفليبين ، والقيام بالهجوم المضاد ضد الزحف الصليبي على المسلمين في الفليبين حتى تحميَ بالتالي المسلمين في ماليزيا وفي فطاني وفي بقية الدول الإسلامية » . .

وبناء على إصرار الجماهيرية لعقد مؤتمر طاريء لوزراء خارجية الدول الإسلامية عقد المؤتمر الرابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية بالفعل وتوصل إلى قرار يدين فيه حكومة ماركوس لأعمالها الإرهابية ضد المسلمين في الجنوب المسلم ، وتَمَّ تأليف لجنة رباعية مكوَّنة من الجماهيرية العظمى ، والسعودية ، والسنغال ، والصومال للاتصال بماركوس لإيجاد حلٍّ عادل للقضية .

اجتمعت اللجنة الرباعية مع ماركوس وبحثت معه تطورات القضية ، كما قامت اللجنة بجولة ميدانية في المناطق الجنوبية في الفليبين ، وأدانت اللجنة حكومة ماركوس لما ارتكبته من أعمال إجرامية ضد مسلمي الفليبين ، وأظهر ماركوس استعداده لبحث القضية سلميًّا ، واتفق على إنشاء صندوق لإغاثة و إنعاش مسلمي الفليبين تحت إشراف الأمين العام للمؤتمر الإسلامي وبمساعدة الدول الإسلامية .

ونتيجة لمساعي اللجنة الرباعية ، أظهر ماركوس استعداد حكومته للاجتماع بممثلي جبهة تحرير مورو الوطنية .

اجتمع الطرفان بجدة تحت إشراف الأمين العام ولم يتوصلا إلى حلٍّ يرضي الطرفين نتيجة إصرار الثوار على مطالبتهم بالاستقلال الذاتي ومنحهم حقوقهم الوطنية المشروعة التي لم توافق حكومة الفليبين عليها .

ثم اجتمعت اللجنة الرباعية في جدة بدعوة من السعودية لبحث تطورات الموقف ومناقشة تقرير الأمين العام ، وقد شاركت الجماهيريةالعظمى بوفدها الذي كان له دور فاعل في تقرير ورقة العمل .

استؤنفت المباحثات بين حكومة الفليبين وجبهة تحرير مورو الوطنية في منتصف شهر الحرث « نوفمبر » عام 1976 م ، وقد لعبت الجماهيرية العظمى دورًا فاعلاً في هذه المباحثات كما حضرها الأمين العام للمؤتمر الإسلامي .

وقد أسفر « اجتماع طرابلس » بين الجبهة وحكومة ماركوس عمَّا عُرِف « باتفاقية طرابلس » التي كانت تفاهمًا على إقامة منطقة حكم ذاتي في جنوب الفليبين .
ونصت الفقرة 12 من اتفاقية طرابلس على الآتي :

يعلن وقف إطلاق النار فورًا بعد توقيع هذه الاتفاقية ، وتؤلف لجنة مشتركة من الطرفين بمساعدة المؤتمر الإسلامي الممثلة في اللجنة الرباعية .

استؤنفت المحادثات من جديد طبقًا لاتفاقية طرابلس بين الجبهة والحكومة ، ولكن هذه المرة وقفت المباحثات بسبب تعنت وفد الحكومة الفليبينية وعدم الرضوخ لمطالب الثوار ومطالبتهم بالحكم الذاتي .
وفيما بعد تنكَّرت حكومة ماركوس ولم تحترم اتفاقية طرابلس على الإطلاق ، وطفقت تتفنن في براعة المناورات الماكرة للتعتيم على جهاد جبهة تحرير مورو الداخلية ، وتصفهم بالانفصاليين والإرهابيين . وبالرغم من جميع الحملات التي شنتها حكومة ماركوس على الثوار فإنها عجزت تمامًا عن القضاء على الثورة . بل إن نظام ماركوس الدكتاتوري قد سقط ولا تزال الثورة تواصل نضالها من أجل الحرية والاستقلال .

محنة المسلمين بعد الاستقلال أمام حملات التنصير

إذا كانت محنة المسلمين في الفليبين بعد الاستقلال قد تمثلت في قيام نظام دكتاتوري عميل لأمريكا والغرب الاستعماري في البلاد كما طالعنا من قبل ، فإن محنتهم الأخرى قد تجسدت قبل ذلك وحتى الآن بشكل صارخ في عمليات التنصير التي ظلت

تلاحقهم منذ أن انطلقت القوات الإسبانية الصليبية من العاصمة مانيلا إلى مناطق الجنوب بسيف مسلول وصليب مرفوع وعلى السكان أن يختاروا!! ويقوم بالتنصير رهبان ينتمون إلى ست منظمات تبشيرية استخدموا القوات المسلحة الإسبانية وهي العمود الفقري لجميع الوسائل بما لديها من أسباب القهر والإبادة والتخريب وأساليب التنكيل ، والمدارس التبشيرية ، والمكتبات والمنشورات ، والكتب الدينية ، والمؤسسات الصحية والاجتماعية ، والكنائس ووسائل الدعاية بل تعاضدت الكنيسة والدولة في إرسال الجيوش والقساوسة .

قاوم المسلمون كلَّ ذلك ، كما قاوموا من بعده الاستعمار الأمريكي الصليبي وما زالوا يقاومون بعد الاستقلال الاستعمار الداخلي بقيادة الدكتاتور ماركوس حفيد الصليبية الذي أنشأ مدارس بدعوى محو الأمية ، وهي في حقيقتها مدارس لتعليم الكتابة والقراءة بالحروف اللاتينية للابتعاد بهم عن اللغة العربية لغة .. القرآن الكريم ، وليحولوا بينهم وبين فهم كتابهم الكريم .

إن حركة التبشير تمارس نشاطها في مناطق المسلمين مستغلةً الأوضاع المادية السيئة التي خلفها لهم الاستعمار لتتسرب إلى دينهم من خلال المؤسسات ودُورِ الحضانة التي أنشؤوها لتبدأ عملية غرس المسيحية منذ سنوات العمر الأولى لدى الأطفال فينشؤون على المسيحية .

وقد استطاع المسلمون برغم قلة إمكاناتهم المادية أن يقاوموا عمليات التنصير عن طريق إقامة المدارس والمعاهد الأهلية الإسلامية ، وبعض المدارس العربية ومعاهد القرآن إلى جانب الدعاة .

وفي هذا المجال فقد وقفت ثورة الفاتح الإسلامية إلى جانب مسلمي الفليبين وناصرت قضيتهم العادلة في محاربة الظلم والقهر الدكتاتوري والاستعماري ، ومحاربة المد الصليبي التنصيري حيث قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بدعم ومساعدة جمعيات الأُخوَّة والمؤتمرات والجمعيات الإسلامية ، والتنظيمات الشبابية في الفليبين ، وقامت أيضًا بإنشاء دار للحضانة باسم « مدرسة حضانة عمر المختار الإسلامية » في المنطقة التي توجد بها مدرسة التبشير المتخفية تحت ستار دار الحضانة التابعة للكنيسة في منطقة «لانو» . كما عملت على إنشاء مستشفى للصداقة الليبية ، ودعمت مستشفى « ماراوي »

بالآلات والمعدات ومختلف التجهيزات ، وساهمت في بناء مسجد ومدرسة بالجنوب ، وأوفدت 53 داعية من دعاتها وأنشأت مركزًا للدعوة الإسلامية ليكون ملتقى للمسلمين ، وهمزة وصل بينهم وبين الدعاة الذين يعملون على تبصير المسلمين بأمور دينهم وبالمخاطر التي تستهدفهم ، ويصدر الدعاة مجلة شهرية باللغة المحلية لمخاطبة المسلمين وبلورة أفكارهم . بالإضافة إلى دعم الجمعية للبرنامج الإذاعي الإسلامي ، وتقديم 56 منحة دراسية للطلاب المسلمين في الفلبين ، والجدير بالذكر أن مسلمي الفلبين يحظون بعضوية المجلس العالمي للدعوة الإسلامية .

ويقول الأخ الثائر المسلم معمر القذافي في هذا المجال في لقائه بدعاة الإسلام في العالم عام 1980 بطرابلس :

عندما أسسنا جمعية الدعوة الإسلامية العالمية نريد أن نخلق حركة تبشيرية عالمية إسلامية نواجه بها الحركة التبشيرية الصليبية العالمية . لأن الحركة التبشيرية الصليبية العالمية تهاجم العالم الإسلامي وتريد أن تنصِّره . . وفي الحقيقة هي لا تنصِّره لمصلحة المسيح أو لمصلحة الدين ، ولكن تنصِّره لكي تهيمن عليه ثقافيًّا .

ويواصل فيقول: « لا بد من الدفاع عن الإسلام في الفلبين ، والقيام بالهجوم المضاد ضد الزحف الصليبي على المسلمين في الفلبين حتى نحميَ بالتالي المسلمين في ماليزيا وفي فطاني وفي بقية الدول الإسلامية .

وضع المسلمين في ظل حكومة « أكينو »

لا شك في أن للثورة الإسلامية في جنوب الفلبين اليد الطولى في زعزعة أركان نظام الدكتاتوري ماركوس ، و إسقاطه في نهاية المطاف . فقد انطلقت شرارة الثورة الإسلامية ضد ذلك النظام منذ أن جاء إلى سدة الحكم ، وثبت أنه نظام عميل لم يجد إلا القوة وسيلة لإبادة المسلمين والقضاء على الإسلام ، وتكشفت أمامهم كلُّ ألاعيبه ومناوراته الخادعة ، بعد أن نكث بكل عهوده ومواثيقه واتفاقياته معهم . فكان السلاح والجهاد طريقهم لنيل حقوقهم في الاستقلال والحكم الذاتي فقدموا ما يزيد على 50 ألف شهيد في معارك دامت نحو خمسة عشر عامًا ، حيث تضافرت كلُّ الجهود الفلبينية وفي طليعتها الثورة

الإسلامية فعجلت بإسقاط نظام ماركوس الدكتاتوري العميل .

وجاءت حكومة « أكينو » التي وقف إلى جانبها المسلمون معلقين عليها آمالاً كبيرة في تحقيق الحكم الذاتي في جنوبهم المسلم بعد تلك الحقبة الجهادية الطويلة . كان أول خطوة خطتها الحكومة الجديدة ، أن قررت إنشاء مكتب رئاسة خاص في « منداناو » الجنوبية يرأسه فليبيني مسلم بدرجة نائب للرئيس لشؤون الجنوب . وكانت تلك الخطوة حسب زعم « أكينو » قرار الحكومة الجديدة لإنهاء حالة الإهمال التي تعرضت له « منداناو » طوال عهد العميل فرديناند ماركوس .

تلك الخطوة التي اعتقدت الحكومة الجديدة أنها حلٌّ لمشكلة الجنوب لم تؤت أُكلها ، إذ انسحب الزعيم المسلم « علي ديمابورو » محافظ مدينة « لانو بمنداناو » وأعلن قيام جمهورية منداناو كدولة منفصلة عن الفليبين ، وقام برفع علم الدولة الجديدة الذي يحمل رسميًّا خارطة منداناو على أرضية من اللون الأزرق .

كما رفض « روبين كانوي » رئيس المؤتمر العام لأبناء « منداناو » وعضو البرلمان المنحل الاستجابة لخطوة « أكينو » بعدم إعلان قيام جمهورية منداناو كدولة منفصلة عن الفليبين .

عقب هذا التوتر ، أصدر رئيس الأركان الجنرال « فيديل راموس » أمرًا صريحًا لقواته باعتقال جميع قيادات « منداناو » والمشاركين في هذا المؤتمر إذا ما رفعوا علم الدولة الجديدة .

وبعد مرور فترة على هذا التوتر أعلن الزعيم الفليبيني المسلم « نوري ميسواري» أنه لا يرى إمكانية استئناف المفاوضات مع « مانيلا » حول منح المسلمين حكمًا ذاتيًّا ، وحمَّل أكينو مسؤولية قطع المفاوضات .

جاء ذلك عقب رفض الحكومة استئناف المفاوضات مع جبهة تحرير مورو الوطنية في جدة ، إذ تعتبر الحكومة علاقاتها مع المسلمين في الجنوب من صميم شؤونها الداخلية ، وبالتالي ترغب في أن يجريَ الحوار في حالة استئنافه على أرضية فليبينية .

وكانت المفاوضات قد تعثرت قبل ذلك بسبب رفض المسلمين قبول استفتاء لتحديد المنطقة التي ستمنح وضع الحكم الذاتي في جزيرة منداناو ، إذ تخشى الجبهة أن ينخفض حجم المنطقة الممنوحة حكمًا ذاتيًّا في الكونغرس حيث إن حجم تمثيل

المسلمين ضعيف ، أو يحدث الانخفاض خلال الاستفتاء نظرًا لأن مسؤولين فلبينيين يقولون : إن خمسة أقاليم فقط هي التي بها أغلبية مسلمة واضحة .

والمعروف أن « اتفاقية طرابلس » عام 1976 المبرمة بين نظام ماركوس المخلوع وجبهة تحرير مورو الوطنية تنص على منح الحكم الذاتي لثلاثة عشر إقليمًا من 22 إقليمًا في جزيرة مندناو . وجُمِّد هذا الاتفاق فلم يسر منه شيء منذ توقيعه .

وقد بدأ تململ المسلمين واضحًا خلال الأيام الأخيرة ، وأخذت حملات الاحتجاج وتحميل الحكومة المسؤولية تشق طريقها بوضوح ، مع التصريح بأن السلاح الذي هدأ بعد وعود الحكومة الجديدة يمكن أن يعود للانطلاق مرة أخرى حتى يحصل المسلمون على استقلالهم وحكمهم الذاتي .

وهكذا يتضح أن الأمل في تحقيق الحكم الذاتي الذي يكافح من أجله المسلمون منذ أكثر من خمسة عشر عامًا ، وأصبح أكثر توهجًا مع وصول كوازون أكينو إلى سدة الحكم قد خبا إن لم يكن قد انطفأ تمامًا ، وبات الاحتكام إلى السلاح الذي ترفضه جموع المسلمين في العالم واردًا بعد أن سكت لفترة من الزمن . . خاصة بعدما أعلن الزعيم الرئيس للثوار المسلمين « ميسواري » عن تأليف حكومة مؤقتة قريبًا جنوبي الفلبين ، وأن الثوار المسلمين مستعدون لاستئناف القتال ضد القوات الحكومية إذا تطلب الموقف ذلك لتحقيق أهدافهم ، متهمًا بعض معاوني أكينو بغلق الأبواب أمام محاولات السلام ، بعد البيان العسكري الذي قال إن الجيش قادر على سحق أي حرب تشنها الجبهة .

ومن خلال هذه الأحداث يرى الكثيرون أن الوضع في الفلبين ظل قاتمًا طوال فترة حكم أكينو ، فبالرغم من أنها جاءت عن طريق مساندة الشعب فإنها لم تقدم لهم الحلول الناجعة للأوضاع المتأزمة منذ فترة طويلة من الزمن .

فالتركة التي خلقها الدكتاتور ماركوس في الفلبين تركة مثقلة ، كما إن حالة الهياج وعدم الهدوء والاستقرار ، وتوالي الانقلابات لا تفسح المجال لوضع حلول لحالة مأسوية عمرها عشرات الأعوام .

فحكومة أكينو تواجه وضعًا صعبًا ، ومشاكل عديدة ، كل واحدة تأخذ بخناق الأخرى . . فمن الاقتصاد المنهار إلى الجيش المتحفز للاستيلاء على السلطة ، إلى الثوار المسلمين ، والشيوعيين كلها تتطلب حلاً عاجلاً وحكيمًا .

واضح مما تقدم أن المسلمين في جنوب الفلبيين كانوا وما يزالون يخوضون معركة جهادية متصاعدة في دولة كانت إسلامية يومًا ما ، دفاعًا عن الإسلام وعن حقهم في إقامة حكم ذاتي قائم على دعائم الشريعة الإسلامية ، بعد أن انتصرت الحملات التبشيرية الصليبية فيها وحولتها إلى دولة نصرانية .

فمن الواجب أن تتضافر جهود عالمنا الإسلامي لتقديم الدعم والمساندة لمسلمي الفلبيين ولثورتهم المتأججة ، ولجنوبهم الذي لا يزال في أمسّ الحاجة إلى التنمية الشاملة في التعليم والصحة والزراعة والصناعة للصمود أمام الحملات التبشيرية التي لا تزال تستفزهم بأكياس الأرز وقوارير الدواء وبالتعليم الممزوج بالوعود إذا ارتدوا عن دينهم .

إن الواجب يقتضي الوقوف إلى جانب المسلمين في الفلبيين ، للحفاظ على الإسلام والمسلمين في هذه البوابة الاستراتيجية والثغر الإسلامي في جنوب شرقي آسيا ، لحماية بقية المسلمين في الدول الإسلامية في المنطقة ، حتى لا نصبح يومًا لنجد أن ما حققه أسلافنا بآلاف التضحيات والشهداء لإيصال الإسلام إلى تلك المنطقة النائية قد فرطنا فيه بلامبالاتنا وتقاعسنا ، وعدم مناصرة إخوتنا في الإسلام .

ملحق

قرارات المجلس العالمي للدعوة الإسلامية العالمية بشأن المسلمين في الفلبين

خلال الدورة السادسة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية العالمية في (ماليه) عاصمة جمهورية المالديف في شهر الكانون « ديسمبر » عام 1987 م قرر المجلس ما يلي :

يأسف المجلس على تعثر سير المفاوضات بل ووقفها بين حكومة الفلبين وجبهة تحرير مورو الوطنية ، مما يعبر عن عدم جدية السلطات الفليبينية في إعطاء المسلمين في الفلبين حقوقهم الوطنية المشروعة ، وينبه المسلمين في كلِّ أنحاء العالم إلى الوقوف مع إخوانهم في جهادهم ، ويؤكد المجلس قراراته السابقة بهذا الشأن ، كما أكد دعمه لجبهة تحرير مورو الوطنية في نضالها لتحقيق حقوقها الشرعية في تقرير المصير وفقًا لأحكام اتفاقية طرابلس ووثيقة التفاهم المبرمة بين الجبهة وحكومة الفلبين ، وفي إطار الاتصالات التي تجريها منظمة المؤتمر الإسلامي وأمينها العام .

ويفوض الأمين العام للاتصالات اللازمة التي تؤكد وقوف المجلس والمسلمين مع إخوانهم في الفلبين .

ولقد سجل المجلس مشاركته الوجدانية العميقة مع معاناة الأقليات المسلمة في أرجاء العالم ، ملاحظًا أن هذه المعاناة تعود في جانب كبير منها إلى ضعف العالم الإسلامي ، الذي لم يعد مرهوب الجانب حتى يمنع العدوان على الأقليات الإسلامية بل صار يعكس ضعفه وتفرُّقه على هذه الأقليات .

و إن المجلس يقف ، ويطلب الوقوف ، إلى جانب الأقليات المسلمة في كلِّ أرجاء العالم .

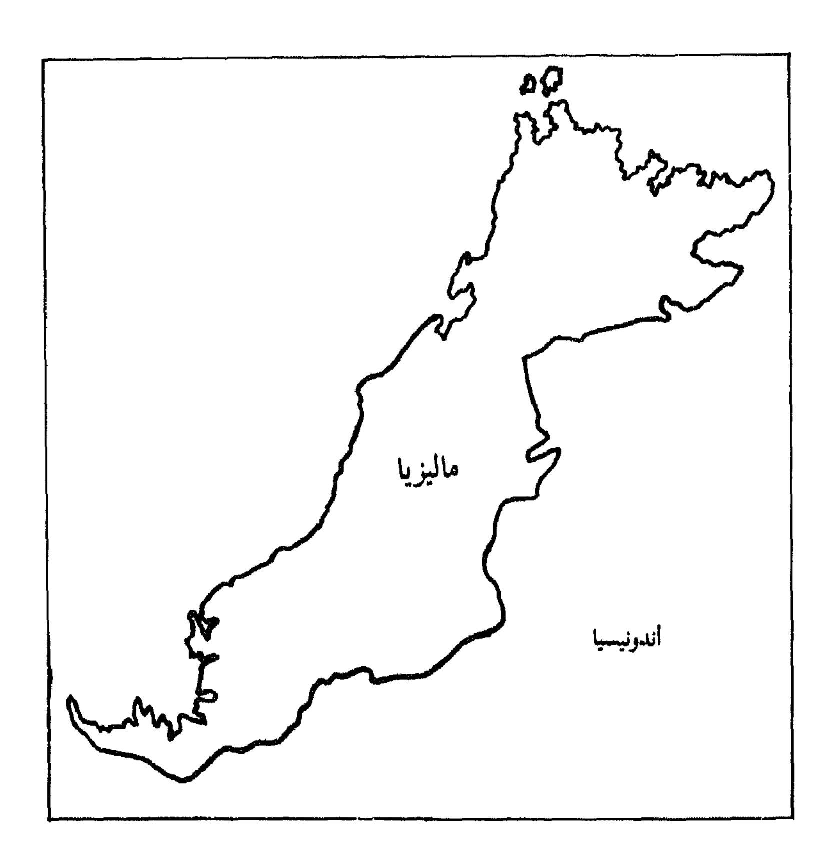
وقد قرر المجلس ضرورة تأليف مجموعة دراسية تهتم بوضع الإطار النظري ووضع الخطوات العملية لمعالجة موضوع الأقليات بعد الاستماع لهذه الأقليات أو الانتقال إليها في مواقعها ، وتقدم المجموعة الدراسية تقريرها إلى اللجنة التنفيذية أو تجتمع باللجنة التنفيذية والخروج ببرنامج تنفيذي وبرنامج استراتيجي .

الأمانة العامة المؤقتة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية تدعو إلى احترام حق المسلمين في الفليبين في تقرير مصيرهم

خلال اجتماعها الأول في طرابلس بالجماهيرية العظمى بتاريخ 1989/12/20 م حَيَّتْ الأمانة العامة المؤقتة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية في بيانها الختامي جهاد مسلمي مورو بالفليبين . وشدَّدت على دعم وتأييد نضالهم من أجل تحقيق ما نص عليه ميثاق طرابلس .

ودعت الأمانة العامة المؤقتة الحكومة الفليبينية إلى الالتزام بتعهداتها في ميثاق طرابلس ، واحترام حق المسلمين في تقرير مصيرهم تحقيقًا للسلام وحقنًا لدماء الأبرياء .

مـاليزيـا . . الأرخبيل الذي احتضن الإسـلام بـا كرًا



ماليزيا هي جزء من بلدان أرخبيل الملايو الذي يسكنه أكثر من مئة مليون مسلم . . دخلها الإسلام منذ القرن السابع الميلادي ، وشارك شعبها مشاركةً فاعلةً في نشر الإسلام في هذه المنطقة وفي الدفاع عن العقيدة الإسلامية أمام تحديات قوى الصليبية والصّهيونية والعلمانية . . وبالرغم من كونها مليئةً بمختلف الأجناس البشرية فقد استطاعت أن تكون دولة إسلامية ، واستطاع الإسلام أن يبرز كدين للدولة وينتشر في آفاقها وربوعها . ومع ذلك كلّه فإن كثيرًا من أحوال هذا الشعب وتاريخه ، وجهاده الإسلامي لا يزال مجهولاً لدى كثير من إخوانه في البلدان العربية والعالم الإسلامي .

أرخبيل الملايو قبل الإسلام

ماليزيا جزء من أسرة أرخبيل الملايو ، وإن تطوراتها التاريخية والسياسية في القديم والحديث لتتصل اتصالاً وثيقًا به ، اتصالاً تمتد جذوره في عمق القرون الماضية .

ويطلق اسم « أرخبيل الملايو » من الناحية الجغرافية على رقعة فسيحة نادرة من نوعها تضم مجموعة كبيرة من الجزر المتجاورة التي أودع الله في باطنها ثروات عديدة ، وكساها بثوب رائع من الجمال الطبيعي ، ومنحها من الخصب ما يجعلها دائمة الخير والعطاء .

ويقع أرخبيل الملايو بين خطيْ 10 شمال خط الاستواء ، وجنوبه بين قارة آسيا شمالاً ، وقارة استراليا جنوبًا وبين المحيط الهادي شرقًا .

وأراضي هذا الأرخبيل غنية بالمواد المعدنية الطبيعية كالذهب والقصدير والنفط ، والفوسفات والبوكسايد . وهي غنية أيضًا بالأشجار والنباتات الاستوائية ، وتنتشر بها مزارع التوابل وغيرها من أنواع البهارات حتى أطلق عليها اسم « جزائر البهارات » إلى جانب جوز النخيل والمطاط والشاي وغير ذلك .

وكان العرب قد سمعوا عن هذه الجزر منذ القرون الأولى ، وقد أشار الرحالة ابن سعيد المغربي الذي عاش في القرن السابع من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بوضوح في مصنفه : « كتاب الجغرافيا » إلى أسماء الأماكن التي توجد في هذا الأرخبيل وذكر منها

منطقة فنصور ، وبنتان ، ملايو ، بولاو ، كده ، قدح ، وهذا يدل على معرفة العرب بهذا الأرخبيل منذ قرون طويلة .

أما الرحالة ابن بطوطة فقد وصل فعلاً بنفسه إلى هذا الأرخبيل في القرن الثامن من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وسجل في رحلته مشاهداته فيه ، وتحدث عن أحواله ومناظره ، ووصف جزءًا منه يقول عن أرضه : وهي خضرة نضرة ، وأكثر أشجارها النارجيل والقوقل والقرنفل والعود البنارنج الحلو ، وقصب الكافور ، والعنبة .

أصل سكان ماليزيا

تحدثت عدة مصادر تاريخية عن أصول هذا الشعب ، وخلاصة ما ذهبت إليه أن الموطن الأول لهذا الشعب هو مرتفعات يونان الواقعة شمال الهند الصينية ، وقد رحل هذا الشعب عن هذه المرتفعات إلى الهند الصينية نحو عام 2000 قبل الميلاد ، وأقام في سهول كمبوديا حيث الحياة الميسرة ، ثم أُجْبِرَ على النزوح إلى أرخبيل الملايو وفي أثناء انتقاله هذا نزل على الشواطيء الشرقية لشبه الجزيرة ، وكانت أولى مراكزه في ولايتيْ « كلنتان » ، « ترنجانو » ثم انتقل إلى سومطرة وبقية الأرخبيل .

ملامح السكان

يقول علماء السلالات البشرية : إن أصول هذا الشعب تنتمي إلى عرق مغولي من جنوب شرقي آسيا يعرف عندهم باسم « السلالة الأندونيسية الملاوية » وهي من السلالة المغولية الكبرى .

وتتميز هذه السلالة بالشعر الأسود الناعم المنساب ، والعيون الضيقة ذات الجفون المشدودة ، والأنف القصير ، ولون البشرة المائل إلى الاصفرار وتوسط القامة .

كوالا لمبور العاصمة الفريدة

في العاصمة كوالا لمبور يشاهد الشخص كيف تلتقي الأجناس ، وكيف تتعايش الديانات والحضارات ، حيث تقف المآذن شامخةً جنبًا إلى جنب مع المباني الحديثة وناطحات السحاب ، وتتجاور بيوت فخمة بنيت على الطراز المغربي مع بيوت أخرى بنيت على الطراز المحلي ، وتتلاقى الملامح الإسلامية الأصيلة بأزيائها المميزة مع غيرها من الأزياء الوافدة .

مجتمع العاصمة مجتمع فريد من نوعه يضم الملوي ، والصيني ، والهندي ، والبنغالي ، والأندونيسي ، والياباني ، والعربي ، والزنجي .

وهو مزيج من عقائد إذ فيه الإسلام ، والمسيحية ، والبوذية والهندوسية ، والوثنية ، وعباد الطبيعة ، ولغات ولهجات تتحدث الملوية ، والانجليزية ، والعربية ، والتأميلية ، والأوردية ، واليابانية . وجماعات تختلط عاداتها وطبائعها وأطعمتها وأعيادها حيناً وتختلف أحيانًا . . ليُكوِّن كل هذا المزيج الغريب الشعب الماليزي . . مزيج تجده حتى من خلال اسم « ماليزيا » نفسه فالمقطع الأول كما يفسره بعض المؤرخين يدلك على شعب الملايو المسلم بأصوله المغولية ، وتقاطيعه المنسجمة ، ووجهه العامر بالإيمان ، هذا الشعب يؤلِّف نحو 53% من عدد السكان ، والمقطع الثاني « إيزيا » يعني « آسيا » فهو يضم البقية الباقية من الأصول والأعراق الآسيوية التي تركت بلادها قبل مئات السنين لتستقر في شبه جزيرة الملايو . . بينها 34% من الصينيين ، و10% من الهنود ، و3% من الأجناس الأخرى . كل هذه الأجناس تكوِّن شعب ماليزيا البالغ نحو 16 مليون نسمة حسب آخر إحصاء .

معتقدات فاسدة قبل وصول الإسلام

لم يكن لسكان هذا الأرخبيل دين قبل وصول الوثنية الهندوسية إليهم . وكانوا قبل دخولهم في الإسلام في حالة سيئة نتيجة الاعتقادات الفاسدة التي كانوا يتمسكون بها .

فقد كانوا يعبدون الأحجار والأشجار ، وكل ما له روح كالحيوانات القوية ، أو له مظهر عظيم كالجبال ، أو له تأثير ظاهري كالأسلحة وغيرها ، وتتفرع من هذه الاعتقادات أنواع الخرافات والبدع الأخرى كالشعوذة واعتقادهم بحضور أرواح الموتى إلى منازلهم ، إلى غير ذلك من المعتقدات الجاهلية . وكان مصدر هذه الاعتقادات النِّحلتين البوذية والهندوسية اللتين انتشرتا في جزر هذا الأرخبيل قبل دخول الإسلام .

تاريخ دخول الإسلام إلى ماليزيا

اختلفت الآراء حول بدء دخول الإسلام وانتشاره في أرخبيل الملايو ، وماليزيا ، لكن يُرجَّح أن يكون الإسلام قد وصل إلى أرخبيل الملايو منذ القرن الأول من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ ينتشر في ربوعه تدريجيًّا على أيدي الدعاة من الملاحين والتجار العرب ، وتكوَّنَ من ثَمَّ المجتمع الإسلاميُّ في تلك المنطقة .

ويصر بعض المستشرقين أمثال « أرنولد » ، و« سنوك هرجرونيه » على أن الإسلام وصل إلى هذا الأرخبيل على أيدي تجار الفرس أو الهند ، ولكن مصادر محليةً أرخت لحركة الدعوة الإسلامية قديماً في تلك المنطقة أجمعت على أن الرواد الأوائل في حقل الدعوة الإسلامية كانوا كلهم من العرب . أمثال الشيخ عبد العزيز ، والشيخ عبد الله بن الشيخ قميري اليمني اللذين بفضلهما أسلم شعب ماليزيا ، إلى جانب الشيخ إسماعيل ، والشيخ عارف، والشيخ إبراهيم ، والشريف هداية الله الذين أسلم على أيديهم شعب أندونيسيا ، والشيخ صفي الدين الذي على يده تَمَّ إسلام شعب فطاني ، وهذا قطعًا لا يعني إنكار جهود المخلصين من غير العرب الذين خدموا الإسلام والمسلمين في تلك المناطق من الفرس والصين والهند وغيرهم ، إلا أنه يدحض قول المستشرقين بوصول الإسلام على أيدي الفرس والهنود باعتبارهم أول الوافدين إلى تلك المنطقة .

والظروف السيئة والواقع الجاهلي الوثني السائد قبل وصول الإسلام أدت إلى سرعة انتشار الإسلام ودخول الناس أفواجًا دونما ضغط أو إكراه ، فانهارت المعتقدات الزائفة أمام قوة الإسلام وسماحته ، واندحرت الوثنية والهندوسية وحلَّ محلَّها يقين واطمئنان

في النفوس التي شرحها الله للإسلام وأضحى أهالي الأرخبيل عضوًا في الأسرة الإسلامية العالمية الكبرى .

انتشر الإسلام بلا جيوش ولا أساطيل

وقد كتب أحد الدعاة في ماليزيا ويدعى تقي الدين قنديل يصف كيفية دخول الإسلام إلى تلك المنطقة فيقول :

« واجه الإسلام هذه الروحيةالمتمكنة في النفوس ، فتقدم بزحفه السلمي ، أعزل من كلِّ سلاح مادي ، لا جيوش ولا أساطيل ، وإنما تقدم بقوته الحقيقية الكامنة في تعاليمه ، وبساطته وشموله ، فإذا هذه الحصون المنيعة تتداعى ، وإذا بتلك العقول والقلوب تتفتَّح لنور الإسلام، وإذا بالإسلام ينتشر ويذيع ويعتنقه آلاف من الناس دون إجبار أو إكراه ، فقط بتعاليمه السمحة التي تناسب الفطرة البشرية وتجد طريقها إلى العقل والقلب في سهولة ويسر ، واستطاع الإسلام بذلك أن يقيم الدليل العملي القاطع على أنه ليس دين سيف ولن يكون دين سيف » .

قيام دولة ملقا الإسلامية

المتأمل في تاريخ ماليزيا يلاحظ أن المفهوم السياسي والإداري للدولة لم يأخذ طابعه إلا في القرن الرابع عشر الميلادي بقيام دولة مالاكا أو « ملقا » الإسلامية كما يسميها بعض المؤرخين ، وبقيامها تمَّت رعاية الشؤون الإسلامية وتطبيق أحكام الإسلام ، وتوعية الناس به ، وإشاعته في المناطق المجاورة . أما قبل هذا التاريخ فإن الجهود الفردية هي التي تولت نشر الدعوة الإسلامية بين فئات الشعب على الرغم من حكم السلطان الهندوسي البوذي .

وقد أضحت دولة « ملقا » مركزًا رئيسًا للدعوة الإسلامية ، ومركزًا اقتصاديًّا مهمًّا يؤمها عدد كبير من التجار والعلماء من البلدان المختلفة ، كما أن الرابطة القوية بين

المسلمين جمعتهم ووحدت صفوفهم في إطار واحد تحت راية الإسلام في تلك البقعة من العالم .

هكذا استمرت دولة ملقا الإسلامية مركزًا للإشعاع الإسلامي قرابة القرن وربع القرن أو يزيد في منطقة جنوب شرقي آسيا ثم انتهى عهدها في عام 1511 م ، عندما استولى عليها الاستعمار البرتغالي البغيض .

وبدأت بذلك مرحلة جديدة في تاريخ ماليزيا بخاصة ، وفي تاريخ الأرخبيل بعامة . . مرحلة سيطر فيها الأجنبي الدخيل على مقاليد البلاد ، واستغلَّ الموارد وكيَّف الأحداث والواقع بما يخدم أغراضه الاستعمارية ، وحاول جاهدًا فرض ثقافته الغربية الاستعمارية في تلك المنطقة .

زحف الاستعمار على دولة ملقا الإسلامية

لم يكن الاستعمار الغربي إلا حربًا صليبية قامت بها أوروبا ضد الإسلام والمسلمين فبعد أن أجلى الأوروبيون المسلمين من الأندلس عام 1492 م ، بمساعدة الكنيسة التي سارت وراء الجيش تمده بما يسمونه برجال الدين ، وتحرضه على الحرب ، وتمنِّي الجند بصكوك الغفران للقضاء على المسلمين في كلِّ مكان ، وصل الصليبيون إلى جنوب شرقي آسيا ، حيث قامت السفن البرتغالية الحربية بالهجوم على ميناء « ملقا » في عام 1509 م ، لكن الهجوم فشل بفضل صلابة و إيمان المسلمين وتصدِّيهم الشجاع للحملة الصليبية البرتغالية . إلا أن البرتغاليين أعادوا الكرَّة من جديد بجيش جديد مجهَّز بـ 19 سفينة حربية و800 جندي برتغالي و600 جندي هندي ، وكان الهدف واضحًا هو إخضاع دولة ملقا الإسلامية للنفوذ الاستعماري وبسط السيطرة التامة على جنوب شرقي آسيا بكامله ، فقد ألقى القائد البرتغالي « الغنسودي البوكوركيه » خطابًا يكشف هذا الهدف الاستعماري جاء فيه :

الأمر الأول هو الخدمة الكبرى التي سنقدمها للرب عندما نطرد المسلمين من هذه البلاد . ونخمد نار هذه الطائفة المحمدية ، حتى لا تعود للظهور بعد ذلك أبدًا ، فإذا استطعنا الوصول إليها أي « ملقا » فسيترك المسلمون الهند كلَّها لنا . فإذا تمكنَّا من

حرمانهم من مركز تجارتهم « ملقا » فلا يبقى لهم ميناء واحد أو محطة واحدة مناسبة في كلّ هذه المنطقة ليستمروا في تجارتهم ، وأؤكد لكم أنه إذا استطعنا تخليص « ملقا » من أيديهم فستنهار القاهرة وبعدها مكة نهائيًّا ، وعلى البندقية بعد ذلك أن ترسل تجارتها إلى البرتغال إذا أرادت شراء التوابل .

وسقطت « ملقا » الإسلامية في يد البرتغاليين بسبب التفوق العسكري برغم المقاومة والاستبسال الذي أودى بحياة العديد من أبناء ماليزيا الذين استشهدوا في سبيل الدفاع عن دولتهم الإسلامية ، بعد معركة استمرت طوال أسبوعين .

وكان لسقوط « دولة ملقا الإسلامية » أثر كبير في أوروبا مما دعا إلى إقامة قداس شكر كما يسمونه في روما .

وذكر « كاميلو بريرتون » في الكلمة التي ألقاها أمام بابا ليون العاشر : « إن هذه المعركة ستسهل استعادة القدس ، وفسر كيف أن الصليب وصل إلى أماكن بعيدة في شرق آسيا ، ونادى بحرب صليبية جديدة لاحتلال القدس » .

وقد سجل في الفاتيكان على خريطة كبيرة تاريخ وصول الديانة المسيحية إلى « ملقا » ماليزيا عام 1511 م .

وكان أول عمل قاموا به بعد استيلائهم على ملقا أن بنوا حصنًا يسمى « لافرموسا » بحجارة انتزعوها من قبور المسلمين نكاية بهم ، مما أثار حفيظة المسلمين فانتفضوا من جديد في وجه هذا العمل الاستفزازي إلا أن الاستعماريين أقدموا على إعدام كلِّ من شارك في التصدِّي من الأهالي وسلبوا أموالهم ودمروا منازلهم .

ثم استسلم البرتغاليون بعد أن حكموا ماليزيا 130 عامًا للهولنديين عقب حصار دام خمسة أشهر ، واستمرت فترة الاستعمار الهولندي لهذه الأجزاء المحتلة من الأرخبيل نحو 184 عامًا . ثم تنازلت هولندا لبريطانيا نهائيًّا طبقًا للمعاهدة الهولندية ـ البريطانية مقابل إعطائها مركزًا في « بانكولين » بسومطرة .

وتمكن الاستعمار البريطاني من إحكام قبضته على ماليزيا بسبب سياسة : « فَرِّقْ تَسُدْ » التي اتبعوها ، وتفوق قوته المادية والعسكرية ، ودامت السيطرة البريطانية على ماليزيا فترة طويلة من الزمن إلى أن حصلت على الاستقلال عام 1957 م .

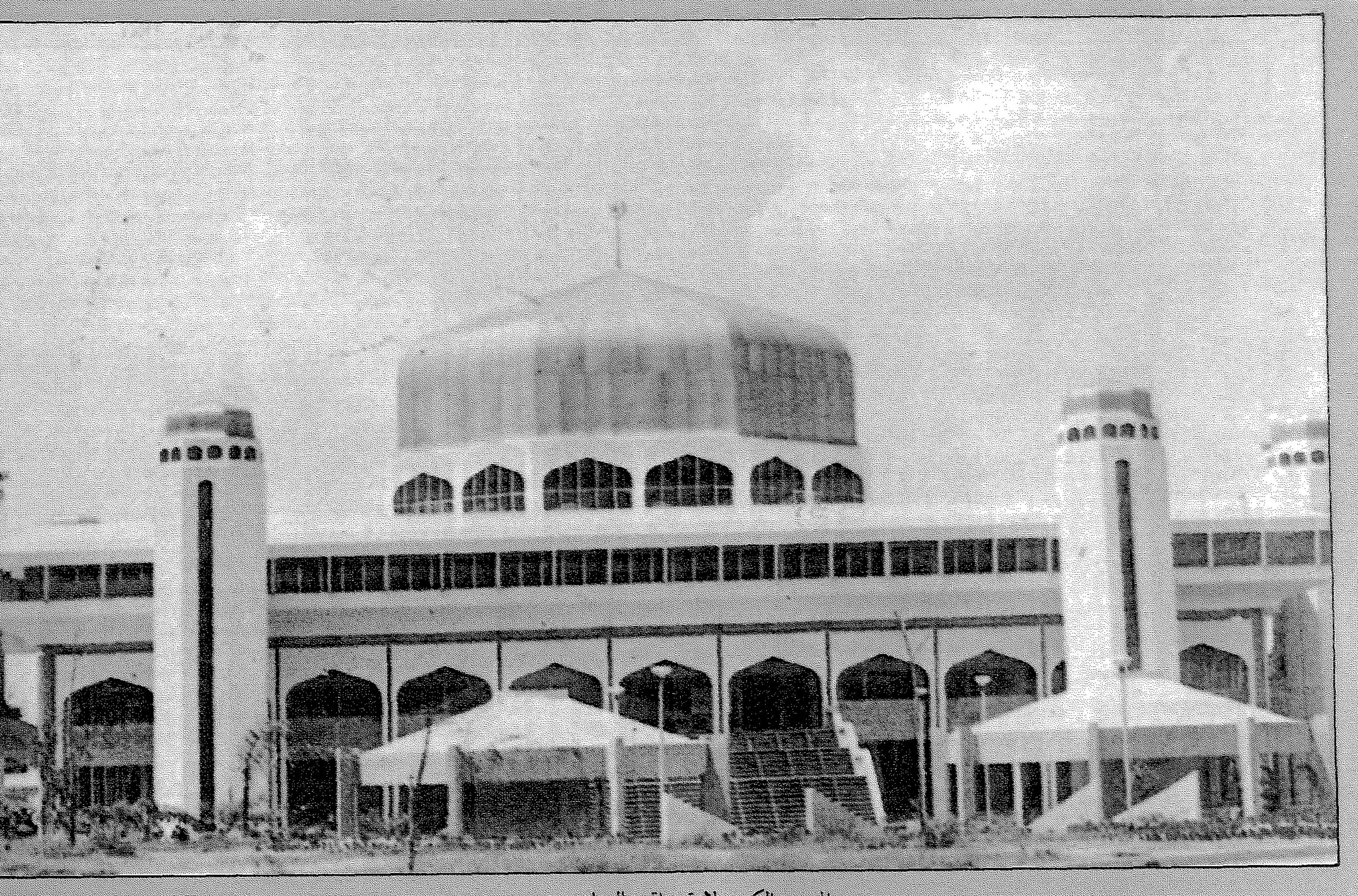
محاولات تغريب الشعب المـاليزي

وضعت السلطات البريطانية الاستعمارية سياسة مدروسة ومبرمجة بهدف تغيير المجتمع المـاليزي وتحويله من مجتمع إسلامي إلى مجتمع غربي ، فصاغت القوانين الكفيلة بتهميش دور الدين في المجتمع والحد من نشاط المسلمين والعلماء في مجال التعليم . وفرضت استخدام اللغة الانجليزية في المعاملات الرسمية ، وتطبيق القوانين البريطانية في المحاكم المدنية والإدارات العامة ، و إحياء التقاليد المسيحية في مراسم الدولة في المناسبات العامة والخاصة ، و إعطاء تسهيلات كبيرة لإقامة المدارس والكنائس المسيحية .

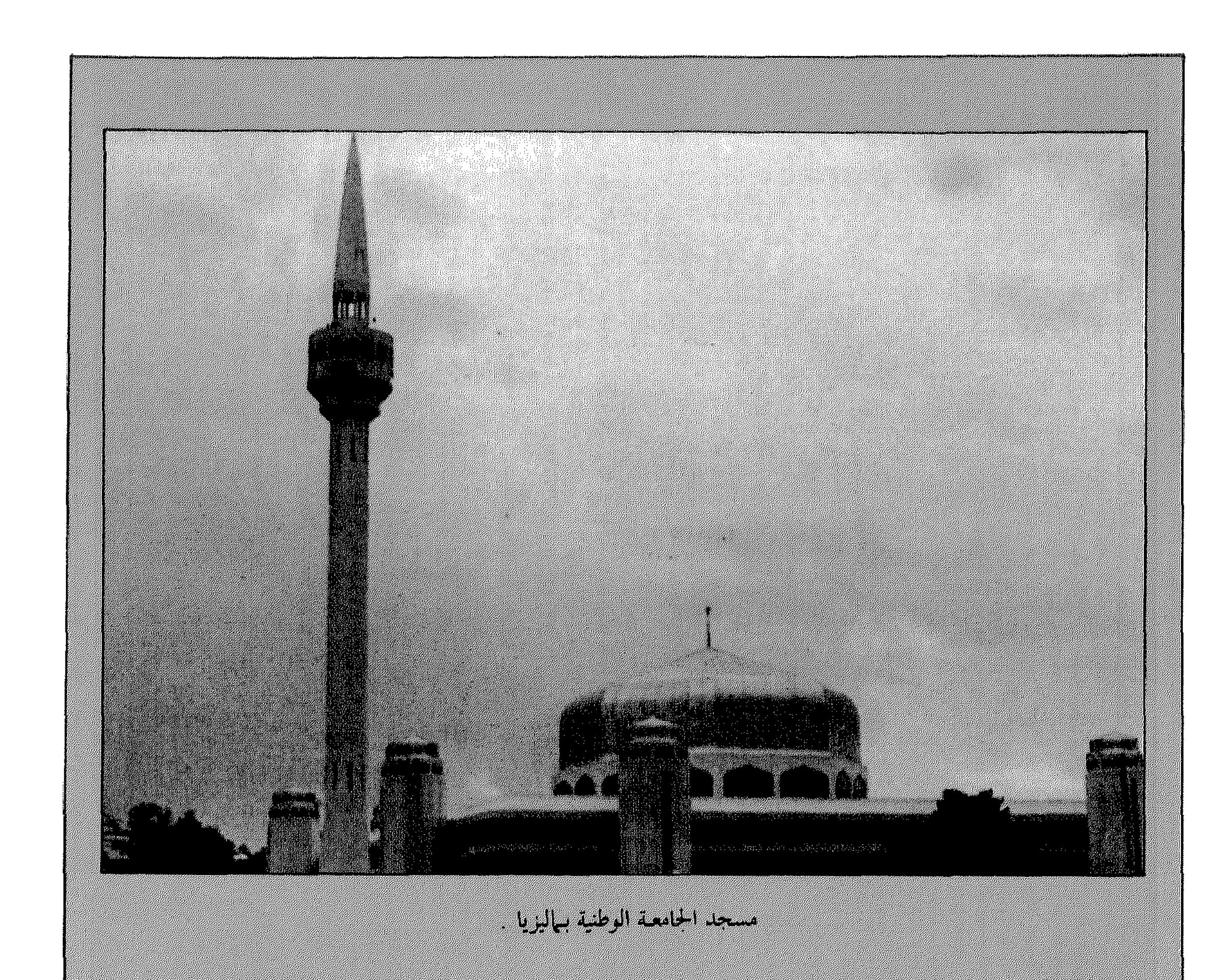
كما عمدت السلطات البريطانية الاستعمارية إلى إدخال مواد خاصة بتاريخ بريطانيا وجغرافيتها وآدابها في المناهج التعليمية ، واهتمت بنشر اللغة الانجليزية والحروف اللاتينية ، وكوّنت هيئة خاصة للترجمة من المـاليزية إلى الانجليزية ، كما عمدت إلى سرقة التراث القومي المـاليزي الإسلامي من المخطوطات النادرة والكتب القديمة ، وتهريبها إلى متاحف ومكتبات بريطانيا . لدرجة أن الذين حاولوا دراسة التاريخ والتراث المـاليزي لم يجدوا المراجع الكافية إلا في بريطانيا .

الصراع بين عقيدة التوحيد ومحاولات التغيير

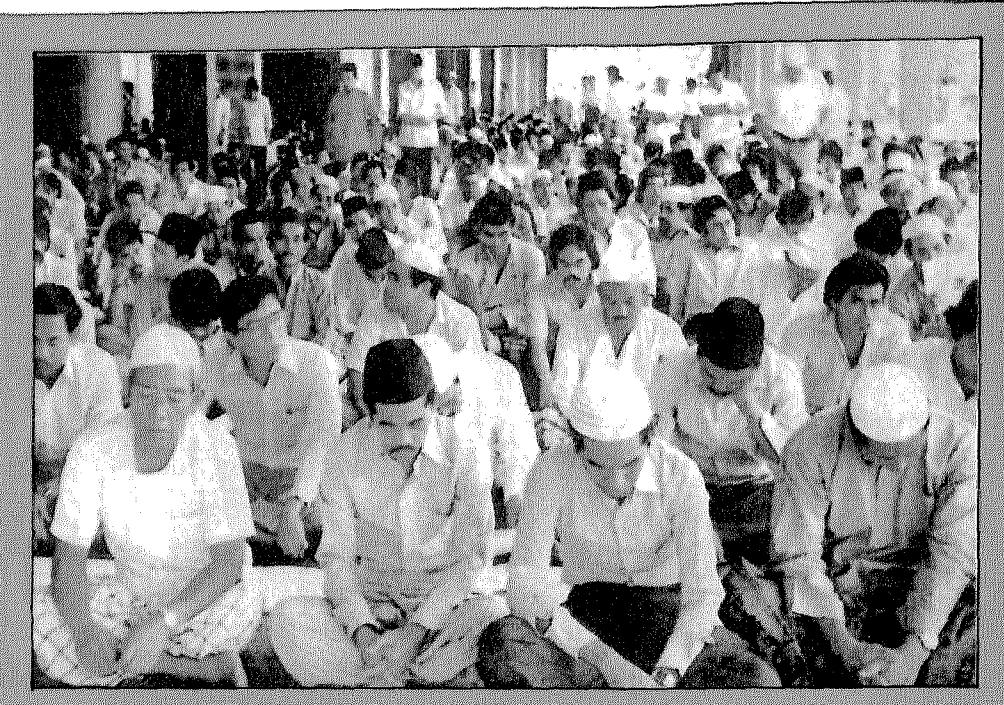
لقد بذل الاستعمار الصليبي البريطاني طوال خمسمئة عام تقريبًا جهودًا مضنيةً في سبيل تنصير مسلمي ماليزيا مستخدمًا كلَّ الوسائل والأساليب لهذا الغرض بدءًا بفتح مئات المدارس التبشيرية والكنائس وملاجيء الأيتام والمستشفيات وما تسمى بالأندية الخيرية ، وانتهاءً بطبع آلاف النسخ من الإنجيل والرسائل والمنشورات المسيحية وتوزيعها في المجتمع المـاليزي ، وقد كادت أن تؤتيَ هذه المحاولات أُكُلَها لولا تمكُّن العقيدة الإسلامية في النفوس بالدرجة التي كان يقال على الشخص الذي يدخل الإسلام إنه دخل في الملايو أو أصبح ملاويًّا كناية على رسوخ العقيدة الإسلامية في أعماق الشعب المـاليزي .



المسجد الكبير بولاية بيراق بماليزيا .



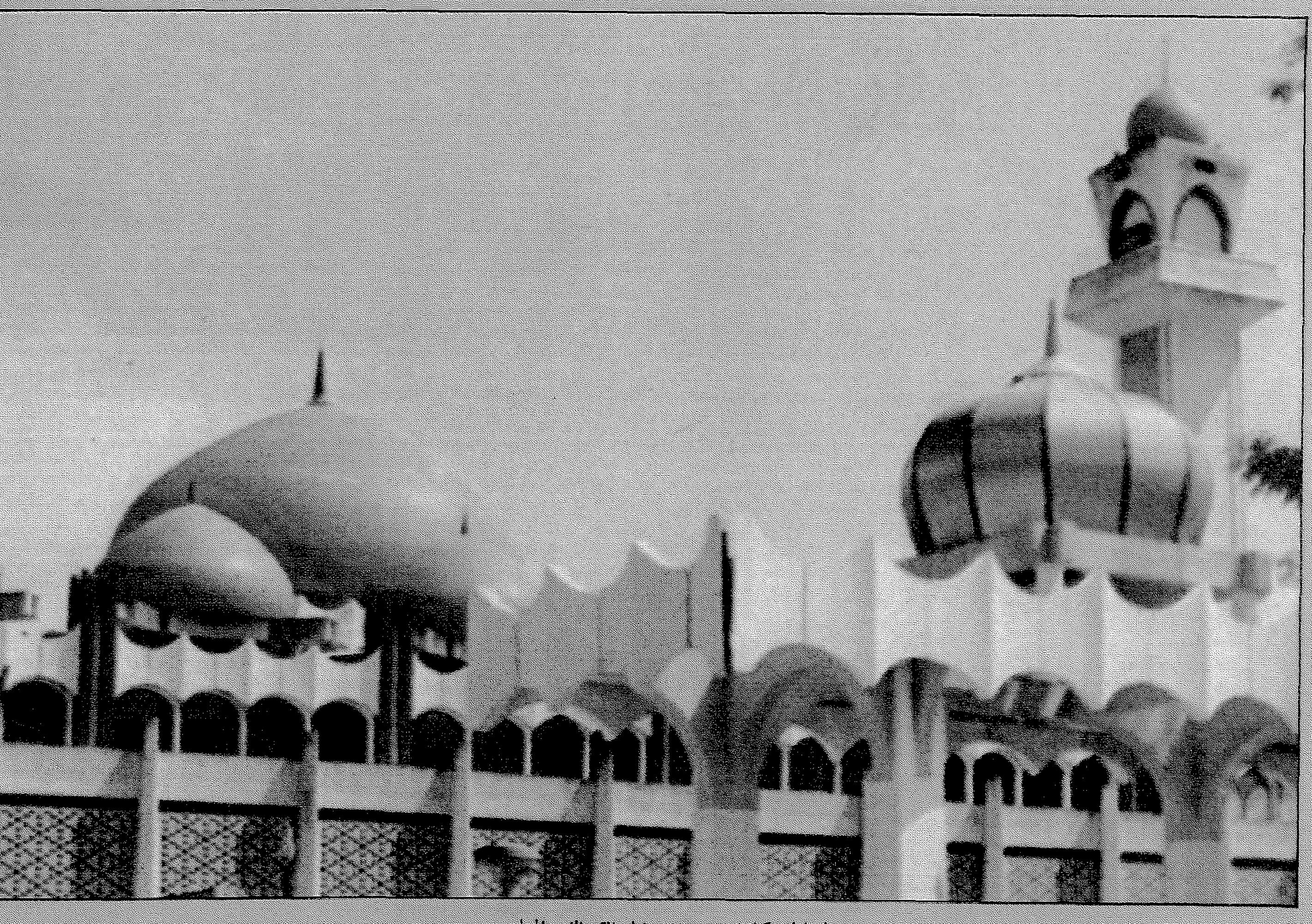
مسجد الجامعة الوطنية بماليزيا .



جموع المصلين في أحد المساجد في ماليزيا .



في خشوع تام جلس الأطفال يتلون كتاب الله .



جامع السلطان كلنتان يجمع بين الحداثة والفن المعماري .

وقد كتب أحد الأستاذة الماليزيين بجامعة كوالالمبور موضوعًا نشر في مجلة « ارشبيل » بباريس في العام 1972 م يصف حالة التغريب هذه فيقول :

يتعيَّن علينا أن نعيد النظر في دور الإسلام في تاريخ وثقافة أرخبيل ماليزيا . فالتاريخ الذي ندرسه في المدارس والجامعات ببلدنا هو تاريخ كتبه الأجانب . وتقديم النصوص التي يركزون عليها في الأدب الماليزي انطباع بعدم نضج شعبنا ، وتثير الاشمئزاز والخزي ، فالأجزاء المحرفة التي ينشرونها من أدبنا هي عبارة عن خرافات لا تثير اهتمام أحد . وهناك شعور بان تاريخنا لا يؤلِّف حافزًا لنا اليوم ، ولا يحتوي على أمثلة نسترشد بها في حاضرنا ومستقبلنا . وفي الواقع ، إننا نعتبر هذه القطيعة مع تاريخنا الزاخر بالبطولات والتضحيات ، خطرًا علينا ، بل كارثة تصيب عقولنا وتؤثر فينا بشكل ملحوظ .

ونظرًا لأنهم شوَّهوا تاريخنا . ابتدع الكتاب الذين أرخوا لماليزيا نظرية تقول : إن ظهور الإسلام في بلدنا لم تكن له دلالة خاصة ولم تنتج عنه تغييرات جذرية . فالظلام الذي خيم على ماليزيا ظل في رأيهم كاملاً حتى ظهر شعاع الحضارة الغربية . وبعد أن ركزوا على خلوِّ تاريخنا من أية قيمة ، اقترحوا علينا أن نملأ الفراغ عن طريق « التاريخ الجديد » الذي يركز على انتشار الثقافة الغربية عندنا من خلال المستعمرين .

كما يريدون اليوم إقناعنا بأن أهل الغرب هم أول من أدخل عندنا « الروح العصري الحديث » ، وأخرجونا من حياة الوهم والأساطير التي كنا نحياها . وأنه ينبغي علينا أن نخلق قيمًا على أساس ذلك الروح الجديد!!

تلك هي النظرة التي تشبَّع بها الفكر الجديد ، وفي الواقع ، إن الكتَّاب الذين ادعوا تجسيد هذا الاتجاه لم تكن لديهم فكرة واضحة عن الثقافة الغربية أو حتى ثقافة بلادهم ، فهؤلاء ينتمون إلى فئة هامشية في المجتمع ، ولم يكن لهم إلمام بالفكر والثقافة ، ومعنى هذا أن كل أنواع التقويم التي نصادفها اليوم المسمى بالجديد ليست سوى نتائج أذهان ضالة ومضلِّلة وغير قادرة على تمييز الحق من الباطل .

ولا يمكن مقارنة هذا الفكر المسمَّى جديدًا بالفكر الثقافي العميق الذي يقوم أساسًا على الإسلام . وهذه المحاولات الهامشية تثير قلقنا لأنها لا تساعد على العثور على

هويتنا ، وكيف نعثر على هويتنا إلا من خلال تاريخنا المجيد ، وبالتحديد تاريخ دخول الإسلام في البلاد ، وهو الجزء الذي أهملوه من تاريخنا ، ومما يدعو كذلك إلى القلق أنهم في الغرب يريدون تدمير فكرة جنوب شرق آسيا ، ويسعون إلى تقليص تطور الشعور الإسلامي لدى شعوب المنطقة ، ونلاحظ أن تاريخ ماليزيا الذي ندرسه قد فُصِل تمامًا عن تاريخ العالم الإسلامي ، وأن الكتابة بالحروف العربية قد نبذت لمصلحة الكتابة بالحروف اللاتينية .

ويختتم حديثه بقوله : « يدخل كلٌّ هذا في إطار محاولة تقليص دور الإسلام والمسلمين في جنوب شرقي آسيا . وإذا ظل إخوتنا في سباتهم العميق ، فَمَنِ الذي سيقوم في المستقبل بكتابة تاريخنا؟ من الذي سيتحمل مسؤولية ذلك؟؟ » .

بوادر الصحوة الإسلامية في ماليزيا

في بداية السبعينات أخذت تظهر بوادر صحوة إسلامية جلية في المجتمع الماليزي ، وازدهرت حركات الدعوة الإسلامية بين الطلاب والمثقفين وظهرت العديد من الجمعيات والمنظمات الإسلامية مثل الجمعية الخيرية الإسلامية الماليزية ، وحركة الشباب الإسلامي ، وجبهة العلماء المسلمين ، وجمعية دار الأرقم ، وجمعية خريجي جامعات الشرق الأوسط ، وجمعية النهضة الإسلامية ، والجمعية الخيرية الإسلامية لولاية صباح .

هذه الجمعيات التف حولها الكثير من المسلمين عبر مؤتمراتها وندواتها وقراراتها المختلفة التي تطالب الحكومة بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية تمشيًا مع الدستور الماليزي الذي يعتبر الإسلام دين الدولة الرسمي .

وقد اتخذت الحكومة الماليزية ـ استجابة لهذه المطالب خلال السبعينات وأوائل الثمانينات ـ عدة قرارات لمصلحة المسلمين كإلزام تدريس المواد الإسلامية في جميع المدارس ـ بما في ذلك المدارس الصينية والهندية ـ إذا بلغ أبناء المسلمين في **أي** مدرسة منها خمسة عشر تلميذًا مسلمًا . وإنشاء معهد المعلمين الإسلامي لإعداد المعلمين الذين يتولون تدريس المواد الإسلامية ، وإنشاء هيئة دينية مركزية

تحت اسم « المجلس الوطني للشؤون الإسلامية » للإشراف على الشؤون الإسلامية في جميع أنحاء ماليزيا ، وإنشاء معهد البحوث الإسلامية ، ومعهد الدعوة الإسلامية لتدريب الدعاة ، ومؤسسة الدعوة الإسلامية ، والجامعة الإسلامية الناطقة بالعربية والانجليزية ، إلى جانب إدخال اللغة العربية كمادة في المؤسسات التعليمية .

علاقة اللغة العربية باللغة الملوية

اللغة الماليزية هي اللغة الاسترونيزية السائدة في أرخبيل الملايو ، وينطق بها أكثر من 100 مليون نسمة من سكان الأرخبيل ويسمونها في ماليزيا « اللغة الملوية » .

كانت هذه اللغة قبل دخول الإسلام إلى أرخبيل الملايو متأثرة كثيرًا باللغة السنسكريتية ، وكانت تكتب بالحروف الكاوية أو الهندية القديمة ، أما بعد دخول الإسلام فقد صارت تكتب بالحروف العربية ، وهي لغة التفاهم بين شعوب الأرخبيل .

وظلت اللغة الملوية تكتب بالحروف العربية خلال ستة قرون كاملة ، غير أن النفوذ الاستعماري الذي سيطر على تلك المناطق كان له أثره المباشر في إلغاء الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية ،لكنَّ هذا التحول اللغوي الخطير لم يقلل من أهمية الثقافة الإسلامية باعتبار أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم .

ولا يزال المسلمون في أرخبيل الملايو يعتبرون الحروف العربية جزءًا من تراثهم القومي والإسلامي ، بدليل أن هذه الحروف ما زالت تدرس لأبنائهم في المدارس الحكومية والأهلية فضلاً عن المدارس الإسلامية ، وهي مادة إجبارية لأبناء المسلمين .

ولا تزال هناك آلاف الكلمات العربية في اللغة الماليزية ، وقلما يتحدث الماليزي دون أن يتلفظ بكلمات عربية .

الحروف العربية في المؤلَّفات الملوية

قلنا : إن اللغة الملوية ظلت تكتب بهذه الحروف العربية منذ دخول الإسلام إلى

تلك المنطقة ، وتترجم إليها الكتب الفارسية والهندية . وتقدمت دراسة اللغة بهذه الحروف ، وازدهرت حتى ألّف بها كثير من العلماء في الأرخبيل كتبًا إسلامية في الفقه ، والتوحيد ، والتصوف ، والتاريخ ، والحديث ، والتفسير ، وظلت تتداول هذه الكتب بين المسلمين حتى وصل بعضها إلى كمبوديا ، وبورما ، وتايلاند ، وسري لانكا .

وقد ألّف بعض العلماء من أبناء الأرخبيل الذين أقاموا بالبلدان العربية مؤلفات إسلامية وأرسلوها إلى ماليزيا وأصبحت مراجع للمسلمين في العقيدة والأحكام الشرعية ، وكانت عناوين هذه المؤلّفات باللغة العربية في حين كانت محتوياتها وشروحها باللغة الملوية .

ولا تزال حتى اليوم بعض الصحف ، والمجلات ، والمنشورات ، واللافتات الحكومية والأهلية في ماليزيا ، مكتوبةً بالحروف العربية ، وقد اتخذت الحكومة قرارًا بإلزامية تعليم اللغة العربية في المدارس منذ بداية الثمانينات .

انتماء ماليزيا لعالمنا الإسلامي

لا تمر مناسبة دون أن يؤكد الشعب الماليزي انتماءه للعالم الإسلامي ، هذا العالم الذي نسجت علاقات متينة مع معظم بلدانه ، ووقّعت ماليزيا العديد من اتفاقيات التعاون في كثير من المجالات مع البلدان العربية والإسلامية .

ووقف الشعب الماليزي المسلم إلى جانب القضايا التي ألمّت بالمسلمين المضطهدين في الفليبين وفطاني ، والأرض العربية المحتلة ، وأبدى أسفه العميق للحرب الدائرة بين شعبيْ العراق و إيران الشقيقين في العقيدة والدين .

الوقوف إلى جانب القضية العربية الفلسطينية

وتقف ماليزيا بقوة إلى جانب القضية العربية الفلسطينية ، وتنتقد بشدة الاحتلال الصّهيوني ، ولا تسلم الولايات المتحدة الأمريكية من النقد أيضًا لدعمها للعدو الصِّهيوني بهدف الاستمرار في احتلال الأراضي العربية .

واستضافت العاصمة الماليزية كوالالمبور في عام 1983 المؤتمر الإقليمي لآسيا والباسفيك من أجل القضية العربية الفلسطينية الذي حضره 200 عضو يمثلون 56 دولة بالإضافة إلى 21 منظمة دولية ومراقبين من الأمم المتحدة .

ودعا رئيس وزراء ماليزيا في المؤتمر ، المجتمع الدوليَّ بالضغط الفعليِّ لوقف التعنت والعدوان الصِّهيوني ، وحذَّر من أن المنطقة العربية لن تعرف السلام دون الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني بما في ذلك إنشاء دولته المستقلة على ترابه الوطني .

كما هاجم بشدة الدول المؤيدة للعدو الصِّهيوني واصفًا إياها بالخداع والتلاعب ، وقال في إشارة واضحة لأمريكا : إن هناك دولاً تزوِّد العدو الصِّهيوني بالأسلحة المدمرة لتشجيع استمراره في العدوان ضد الشعب العربي الفلسطيني الذي طرد من أرضه دون وجه حق .

وقال أيضًا : لقد عانى الشعب العربيُّ الفلسطينيُّ بما فيه الكفاية . و إن على الدول التي تدَّعي حماية حقوق الإنسان أن تقف عن نفاقها عند التعامل مع قضية هذا الشعب . و إذا بقي لدينا ذرة من ضمير فعلينا أن نساهم في وضع حد للظلم الذي لحق بهذا الشعب دونما ذنب . اللهم إلا إذا أراد بعض الناس خيانة ضمائرهم .

وفي نفس هذا الإطار أصدرت وزارة الخارجية الماليزية كتابًا تحت عنوان : « المسألة الفلسطينية » ألقت فيه مزيدًا من الضوء على أبعاد المشكلة وتَمَّ توزيع أكثر من 50 ألف نسخة منه خلال « معرض الصور » الذي عكس النضال العربي الفلسطيني ، والذي تَمَّ افتتاحه في العام 1983 م ، في العاصمة كوالالمبور .

مقاطعة البضائع الأمريكية

وأعلنت 21 منظمة ماليزية تضم أكثر من مليون عضو مقاطعة البضائع الأمريكية بجميع أنواعها احتجاجًا على التأييد الأمريكي أللامحدود للمجرمين الصهاينة . وقد أَلَّفت هذه المنظمات لجنةً برئاسة « حركة الشباب المسلم » لتنفيذ المقاطعة ، كما قامت هذه المنظمات بمسيرة ضخمة في العاصمة تأييدًا لكفاح الشعب العربي الفلسطيني وتنديدًا

بـالـمذابح الصِّهيونـية ، واحتجاجًا على الـمساعدات الأمريكية للعدو الصِّهيوني .

التحذير من المذاهب الهدامة

مـاليزيـا ـ كغيرهـا مـن البلدان الإسلامية ـ تعاني كثيرًا مـن انتشار الـمذاهب الإلحادية والعلـمـانـيـة والإبـاحية الـهدامة التي تشن حملاتها مـن خلال أنديتها الكثيرة التي تنتشر وسط الـمجتمع ومـن خلال وسائلـهـا الحديثة عبر الصحف ، والـمجلات ، والكتب ، والأشرطة الـمرئية ، والأنشطة الثقافـية ، بصورة تهدد ضعاف النفوس بزعزعة عقيدتهم . . فأندية الروتـاري والليونز والـمـاسونـيـة بنات الصِّهيونـيـة الخبيثة وُجِدَتْ في مـاليزيـا مـنذ عهد الاستعمـار ، ولا تزال تزاول أنشطتها السرية والعلنية إلى جانب القاديـانـيـة والبهائية والكحولية والحشاشين ، كلـهـا فرق هدامة تعمل جاهدةً في بث أفكارهـا وأنشطتها الـهدامة ، بـيـن صفوف الشعب الـمـاليزي الـمسلـم مستخدمة مختلف الوسائل وتحت مختلف الأسماء . بـالإضافة إلى الحركات التبشيرية التي تجد استجابةً كبيرةً بيـن الصيـنـيـيـن والـهنود والقبـائل الوثنية داخل مـاليزيـا .

والصراع على أشده بيـن هـذه الحركات والـمـنظمـات الإسلامية التي أعطت الكثير في هـذا الـمجال حيث قامت بكشف هـذه الحركات وتعريتها وتحذير المسلمين من خطر هذه الـمذاهب والأندية ، مـؤكدة أنها جزء لا يتجزأ مـن الحركة الصِّهيونـية والاستعمـار العالـمي تحركهـا القوى الكبرى لخدمة مشروعاتها الفتـاكة لـهدم الإسلام وزعزته في نفوس الـمسلـميـن .

كمـا أصدرت الحكومة الـمـاليزية تحذيرًا في عام 1982 م للـمواطنين من أن أي مواطن يعتنق القاديـانـيـة لا يمكن اعتبـاره مـواطنًا مـاليزيًّا حسب مـنطوق الدستور الـمـاليزي الذي يـنص على أن « الـمـاليزي هو الذي يمـارس الشعائر الإسلامية » . مـوضحًا أن القاديـانـيـة ضد تعاليم الإسلام .

المصادر

(1) كتاب : الإسلام وحركات المعارضة في ماليزيا.

(2) كتاب : مسلمو ماليزيا بين الماضي والحاضر للأستاذ عبد الوهاب بن الحاج كيا.

(3) مجلة العالم الإسلامي في باكستان ـ العدد رقم : 43.

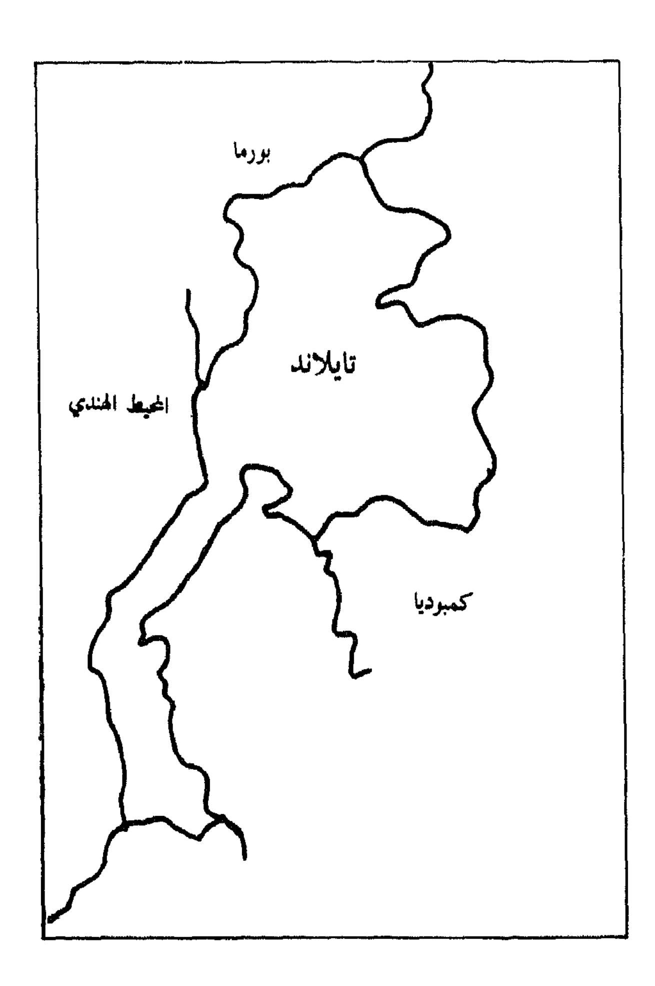
(4) صحيفة العرب : العدد رقم : 1478.

(5) مجلة إيمباكت انترناشيونال لندن ـ العدد رقم : 8.

(6) مجلة العربي : العدد 313.

(7) مجلة رسالة الجهاد العدد 21.

المسلمون في تايلاند



لا يجيء ذكر تايلاند إلا تقفز إلى الذاكرة مشكلة « مسلمي فطاني » التي حدثت قبل قرنين من الزمان في جنوبي البلاد ، إثر إلحاق فطاني بتايلاند ، وتهجير أعداد ضخمة من البوذيين إلى تلك المنطقة حتى انحصر الفطانيون في مساحة لا تتعدى 16 ألف ميل مربع بعد أن كانوا ينتشرون في أكثر من 50 ألف ميل . وطرد الباقون وشردوا في أنحاء تايلاند مما اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى الدول المجاورة .

وبدأت منذ تلك الفترة مرحلة طويلة من الثورة الفطانية ضد ما يسمونه بالاحتلال التايلاندي، ومحاولات التزييف الديني والثقافي والاجتماعي، وضد محاولات طمس الهوية والتاريخ الإسلاميين لفطاني ، مطالبين بالحرية والاستقلال والخلاص .

وتقول الإحصائيات الرسمية : إن عدد المسلمين في تايلاند لا يتجاوز نسبة 4% في حين أن كلّ الدلائل تشير إلى أن نسبتهم تتجاوز ذلك بكثير ، وينتشرون على سائر الأراضي التايلاندية ولكنهم يتمركزون بشكل أساسي في ثلاث مناطق رئيسة ؛ منطقة الجنوب وفيها الأغلبية ، ومحاذية للحدود الماليزية حيث يوجد إخوتهم في الدين ، ثمّ في منطقة الشمال ، وكذلك في العاصمة « بانكوك » .

تقع تايلاند في شبه جزيرة الهند الصينية بين الصين شمالاً ، وماليزيا جنوباً ويقدر عدد سكانها بنحو 45 مليون نسمة ، ويؤلّف المسلمون نحواً من ثلاثة ملايين نسمة .

دخول الإسلام إلى تايلاند

أما عن تاريخ دخول الإسلام إلى تايلاند فقد تعددت الأقوال وتباينت ، فذهب بعض المؤرخين إلى أن الإسلام بدأ انتشاره في شبه جزيرة الملايو ثم جاء إلى بلاد « سيام » (تايلاند) عن طريق التجار العرب الذين قدموا للتجارة ونشر الإسلام معًا ، حيث وصل في عام 1590 م تقريبًا في عهد دولة « أيوتيا » تاجر مسلم اسمه « الشيخ أحمد » واستوطن البلاد ، وأقام مركزًا للتجارة ، ونال ثقة الملك فعينه في منصب المسؤول العالي . ويعتبر الشيخ أحمد الجد الأول لبعض عائلات تايلاندية الآن .

أما المسلمون في جنوب تايلاند فيقول نفس المؤرخين : إنهم مواطنون أصليون لم يتصل نسبهم بالتجار الأجانب الذين وفدوا إليها ، بل هم مواطنون محليون مقيمون في

هذه المنطقة قبل الميلاد بعدة سنوات . فوصل إليهم الإسلام ، وأقاموا دولتهم الإسلامية باسم مملكة « سري ديشاي » . واستمرت الدولة صاحبة نفوذ إسلامي قوي ، وتوسعت لتشمل مملكة فطاني التي أسسها « برياتوانكو » ويقال : إن طبيبًا مسلمًا قد عالجه من مرض عضال أصيب به ويدعى الطبيب « الشيخ سعيد » وكان شرطه لمواصلة العلاج أن يعتنق الملك الإسلام بعد شفائه إلا أن الملك نكث وعده بعد الشفاء ثلاث مرات ، فكان المرض يعاوده ثانية ، حتى شفي تمامًا في المرة الأخيرة فأسلم هو وزوجته وأولاده وبناته ، وتبعه شعبه في اعتناق الإسلام ، وأصبحت مملكة فطاني إسلامية منذ ذلك الوقت ، وتوسعت حتى شملت الولايات الجنوبية كلها . وهي جالا ، وفطاني ، وناراتيون ، وستول وغيرها .

أما بعض المؤرخين الآخرين فيذهبون إلى أن منطقة الجنوب لم تكن جزءًا من تايلاند ، بل إن جزيرة « مالي » كانت مسكونة من قِبَلِ الماليزيين المكوِّنين لعدة دول ، وقد اعتنق هؤلاء الإسلام خلال القرن الخامس عشر ، ولكن هذه الجزيرة أصبحت معرضًا لحملة هجومية شنها شعب تايلاند لكي يضمها إلى إمبراطوريته « سيام » ويفصلها عن الجسد الأم « ماليزيا » وهكذا احتل الشعب السيامي التايلاندي كلَّ المناطق الواقعة تحت « نهر الليغور» كمنطقة « ناحوم سري تامارات » ، وشملت بالتالي مناطق المسلمين كمنطقة الثايا ، والفراهي والليغور ، وراح التايلانديون السياميون يتوسعون نحو الجنوب أكثر فأكثر ويضمون مناطق جديدة ، كمنطقة بيدلونغ ، وسنفورا ، وستول ، وفطاني التي سنتحدث عنها بشيء من التفصيل فيما بعد .

وبرغم تباين تلك الروايات التاريخية فإنها تتفق جميعها على أن المسلمين الذين وجدوا في تلك المنطقة الجنوبية يحاولون منذ أجيال طويلة الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية ، وعاداتهم وتقاليدهم الأصيلة في وجه الضغوط الكثيرة المحيطة بهم ، ويعيشون في قلق على مستقبل أجيالهم وسط بحر زاخر بالأديان والوثنية .

صحيح أن المسلمين يتمركزون كأغلبية في المنطقة الجنوبية ، ولكن يؤكد بعض المؤرخين أن عدد المسلمين في العاصمة بانكوك يبلغ نحو 800 ألف نسمة ، وهم عبارة عن أحفاد الأسرى الذين أُسِرُوا في أثناء الحروب التي دارت من أجل ضم مناطق الجنوب الماليزية إلى تايلاند حيث نقل أربعة آلاف مسلم من منطقة فطاني إلى

بانكوك ، ويقال : إن هذه الجماعة المسلمة قد اختلطت بجماعة أخرى من سكان البلاد الأصليين التي اعتنقت الدين الإسلامي فيما بعد .

وهناك مسلمون أيضًا في وسط تايلاند وهم كما يقولون جزء من أصل نفس المساجين الأسرى الذين اختلطوا بأهالي البلاد بعد أن اعتنقوا الإسلام .

أما المسلمون في الشمال الشرقي ، ومنطقة الشمال فهم من أصل جماعة الشمس الذين أتى بهم أهل تايلاند عندما غزوا كمبوديا .

ويقال : إن بعض المسلمين الذين أقاموا لفترة طويلة في المناطق الشمالية أو منطقة الوسط قد اندمجوا مع الشعب التايلاندي من أصول سيامية ، وهؤلاء يعتبرون من قِبَلِ المجتمع تايلانديين مئة بالمئة ، مع أنهم في الأساس إما أنهم من أحفاد العمال المغتربين أو من اللاجئين من أبناء الأجناس الأخرى .

أما أغلبية المسلمين فهم من أصل ماليزي ، وتسكن مناطق الجنوب ويقدر عددها بحسب الإحصاءات الرسمية بنحو مليوني نسمة ، وهم الذين يقودون ما يعرف بالثورة الفطانية .

وقد اعتمد المسلمون في المناطق الوسطى والشمالية على نفس الأعمال والحرف التي يقوم بها أهل البلاد بسبب أصولهم ومنابتهم الأصلية ، فالإيرانيون والهنود والصينيون الذين هاجروا إلى تايلاند كانوا في الأصل تجارًا ورجال أعمال ، وأما الباكستانيون فقد اعتمدوا تربية الماشية ، ولكن بما أن هؤلاء جميعًا قد تَمَّ دمجهم في سكان البلاد الأصليين فإنهم قد دخلوا مختلف المجالات الاقتصادية . برغم أن لهم خصوصياتهم في الاحتفال بالأعياد والشعائر الدينية والنشاطات الاجتماعية .

ويذهب أبناء هؤلاء المسلمين إلى نفس المدارس الابتدائية التي يذهب إليها الأطفال البوذيون ، ولكن في فترة الظهيرة يمكنهم أن يذهبوا إلى المدارس الإسلامية التي أقامتها الطائفة الإسلامية ، ويشمل هذا التعليم الديني بعض مبادىء اللغة العربية والتعاليم القرآنية ، وتوجد في البلاد ثمانون مدرسة من هذا النوع ، وتضم كلٌّ واحدة منها تسعين طالبًا ، ولكنها واقعة تحت رقابة وسلطة وزارة التعليم التايلاندية . كما أن هناك مدارس أخرى لتخريج أئمة المساجد ومعلمي الدين ، ويوجد في كلِّ تايلاند عشر مدارس من هذا النوع التي يتم فيها التدريس باللغة العربية .

حلم التوسع التايلاندي
المشكلة الفطانية

ونجيء الآن للمشكلة الفطانية ؛ كيف نشأت ؟ وما جذورها ؟

الواقع ، إن مسلمي الجنوب لهم تاريخ واحد وشخصية واحدة تميزهم عن بقية مسلمي تايلاند ، فهم متمركزون بشكل خاص في إقليم فطاني ؛ ناراتيون ، وجالا ، وستول ، وكلٌّ هذه المناطق مجاورة لحدود ماليزيا ، ولهذا يدعوهم بعض المؤرخين بالمسلمين الماليزيين . وكما ذكرنا من قبل فإن بعض المؤرخين يذهب إلى أن هذه المنطقة الجنوبية لم تكن جزءًا من تايلاند بل ضمتها إليها عن طريق الغزو والاحتلال .

ويؤكدون أن تايلاند التي كانت تعرف « ببلاد سيام » يراود حكامها منذ زمن بعيد حلم التوسع والتهام أجزاء واسعة من المناطق والأقطار المحيطة بها في جنوب شرقي آسيا .

وفي عام 1786 وضمن مخطط التوسع التايلاندي قامت تايلاند باحتلال منطقة فطاني الإسلامية بحجة أنها جزء من أراضيها ، وقد اعترفت بريطانيا بذلك الاحتلال وشرعيته عام 1909 م ، وذلك من أجل إطلاق يد بريطانيا في « الملايو المسلمة » وتثبيت أقدامها فيها ، وأيضًا من أجل تشتيت وحدة المسلمين و إضعاف قوتهم . وليس ذلك بغريب ، فللاستعمار البريطاني تاريخه الحافل بمعاداة ومحاربة الإسلام والمسلمين .

وفي البداية سمح التايلانديون لمناطق فطاني الإسلامية بالحكم الذاتي ، عن طريق زعمائها المسلمين ، ولكنهم أخذوا فيما بعد يخلعون أولئك الزعماء ، وأصبحت تحكم مباشرة من قِبَلِ البوذيين ، ففقدت المناطق الإسلامية كلَّ نوع من أنواع الاستقلالية الذاتية ، وحاولت السلطات المركزية في « بانكوك » دمجهم في المجتمع التايلاندي وصهرهم فيه لكي ينسوا تراثهم ودينهم ولغتهم ، ولكنها لم تنجح في كلِّ محاولاتها ، بل أدى ذلك إلى ظهور حركات مقاومة مضادة لعملية الدمج واستلاب الهوية . وتحولت صيحات الرفض والاستنكار إلى عصيان مستمر ضد السلطات التايلاندية .

والتحم الشعب الفطاني صفًّا واحدًا في نضاله ضد تايلاند ، وتزعَّمَ الثورةَ الفطانيةَ القادة المسلمون ، وكانت بداية الثورة بقيادة الأمير « تنكوكميدين » الذي سقط شهيدًا

في أثناء المعارك . واستمرت الثورة مشتعلة حتى ظهور الأمير تنكو عبد القادر ، الذي حاولت معه قوات تايلاند بشتّى الوسائل أن يوقِّع وثيقة التنازل عن حقوق مواطنيه فأبى في إصرار عنيد وآثر الاعتقال والنفي .

دولة سيام

لكن كما يقول المؤرخون : إن حلم تايلاند في إنشاء « دولة سيام » لا يشمل فطاني وحدها ، وإنما يتسع ليشمل أراضيَ في بورما وكمبوديا ، ولاوس ، والصين ، وفيتنام ، وماليزيا ، أي أنها تطمع في ضم ما يزيد على سبعمئة واثنين وثمانين ألف ميل مربع . وقد وضعت لجنة العلاقات العامة في بانكوك خريطة توضح حدود تايلاند الحالية ، وتبين حدودها المرتقبة إذا هي توسعت في أراضي جاراتها ، التي تدعي أنها أراضٍ ضائعة ويجب استردادها .

أما سياسة « التسييم » التي تتبعها سلطات تايلاند فقد تمحورت حول ثلاثة خطوط :

التهجير : وذلك بنقل التايلانديين البوذيين إلى أراضي المسلمين في الجنوب مع توفير وسائل العيش لهم بإقطاعهم أراضي المسلمين ، وإنشاء المساكن والمرافق لهم ، وبالمقابل يجري إبعاد المسلمين من أراضيهم إلى مناطق داخل تايلاند مع المحاولة الدائمة لتذويبهم في المجتمع التايلاندي .

التعليم : وذلك بتدريس البوذية واللغة السيامية في المدارس الحكومية إلى جانب الإسلام .

القمع : وذلك بمطاردة وملاحقة العناصر الإسلامية التي تحرض المسلمين .

لكن سياسة « التسييم » المتشددة تلك لم تزد المسلمين ـ كما يؤكدون ـ إلا تضامنًا ووحدة وتمسكًا بعقيدتهم الإسلامية ، ونزعة حقيقة إلى الاستقلال والحرية . فيرفضون بشدة تلبية الدعوات للاشتراك في الاحتفالات الرسمية لأنها ـ كما يقولون ـ تقوم على طقوس بوذية ، كما يرفض الطلبة المشاركة في المناسبات السنوية لتكريم الأساتذة لأنها تتحول إلى طقوس بوذية محضة في غالب الأحيان .

ويقول أحد الكتاب المسلمين في تايلاند : إن السلطات الرسمية تعتبر تايلاند دولة بوذية ، وعليه ترى ضرورة تصحيح ما يسمونه بالخروج عن هذا المبدأ . ولكن ـ حسب قوله ـ إذا أصرت الدولة على ذلك فإن المسلمين يرفضون أن يكونوا أتباعًا لها .

وكانت السلطات قد عمدت إلى تطبيق بعض الإصلاحات التعليمية وفرضت مقرراتها إلى جانب المناهج الإسلامية لما سمي بإتاحة الفرصة للطلبة المسلمين كي يندمجوا في المجتمع التايلاندي ، إلا أن الرد جاء مغايرًا ، إذ انتشرت الدعوة الإسلامية في مختلف مناطق الجنوب حيث أضحى سكان أكثر من 4000 قرية يحرصون على حضور اجتماعات ومحاضرات الدعوة الإسلامية بانتظام ، وبدأت حركة شعبية تضامنية تثقيفية تأخذ طريقها في الانتشار .

ولذلك ينظر كبار المسؤولين التايلانديين إلى الدعوة الإسلامية على أنها حركة تبعث على القلق والخوف من احتمال تحولها إلى مناسبة للكسب السياسي .

وتشير الإحصائيات أنه يوجد في تايلاند ما يزيد على 3 ملايين مسلم من إجمالي سكان البلاد ، وتقول مصادرهم : إنهم يتفاعلون بقوة مع الأحداث في العالمين العربي والإسلامي ، ويتأثرون بنضال الشعب العربي الفلسطيني في الأراضي العربية المحتلة .

المشاكل الاجتماعية والثقافية

يعيش المسلمون في جنوب تايلاند حياة منسجمة ومتضامنة على هدى الإسلام القائم على المودة والرحمة والتكافل الاجتماعي . ويتعاونون على حلِّ مشاكلهم الحيوية ويتضامنون في السراء والضراء . .

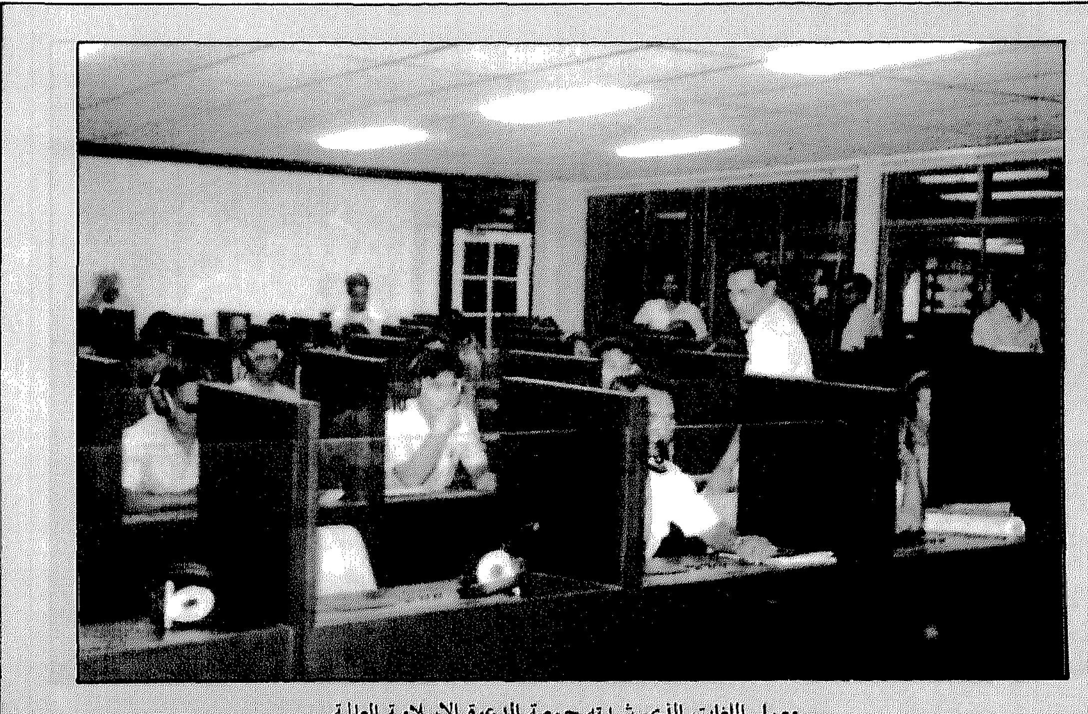
هذه الحياة الإسلامية البسيطة جعلت المسلمين هناك قوة متجانسة وسط الجماعات أللادينية وأصحاب العقائد الأخرى التي تعيش حولهم .

وتتمركز مشكلتهم عمومًا في عدم الحصول على مدارس إسلامية صرفة لأبنائهم الذين يولدون في ذلك المحيط الزاخر بمختلف الأديان وعبدة الأوثان ، وتعدد اللغات واللهجات ، حيث يصبح تعلم الدين الإسلامي ـ مع ندرة الكتب والمؤلَّفات الإسلامية ـ مشكلةً تؤرق كلَّ أسرة .



مسجد بانكوك .

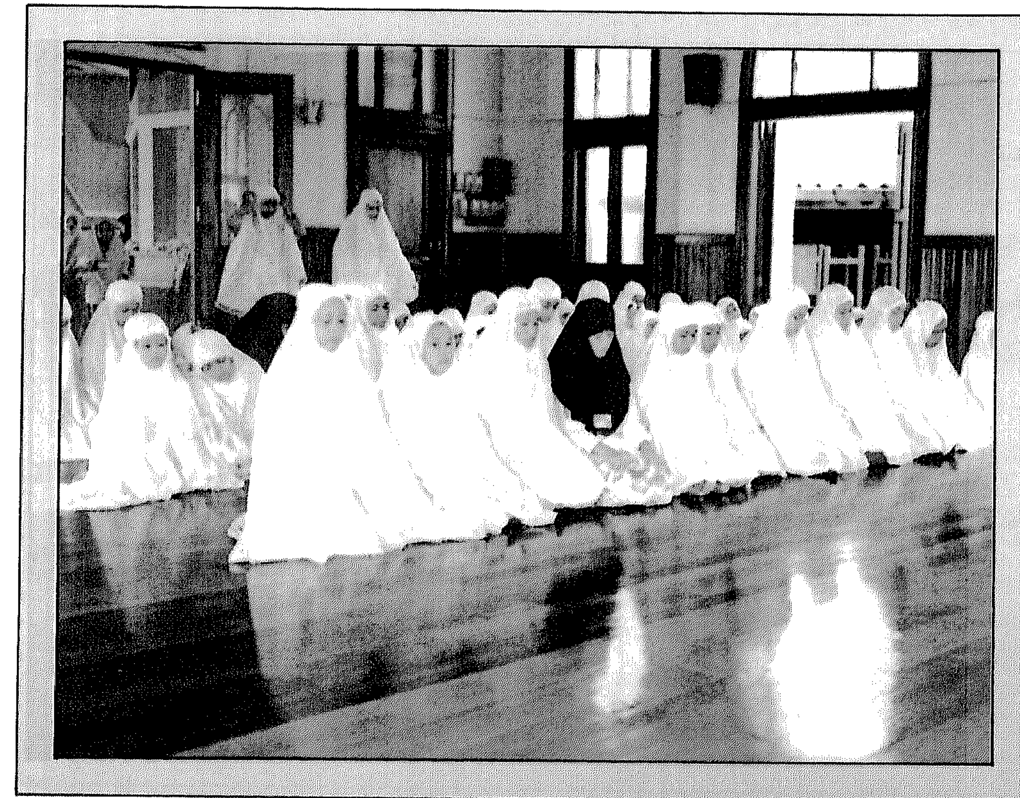
مدارس لتعليم
المواد الإسلامية
واللغة العربية .



معمل اللغات الذي شيدته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .



المسابقة الثقافية بمدرسة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .



المرأة التايلاندية المسلمة .

مدارس لتعليم المواد الإسلامية .

فالمدارس التي تنشئها الدولة بعيدةٌ كلَّ البعد عن الوفاء بأدنى متطلبات أبناء المسلمين في الناحية الدينية . بل كثيرًا ما رسَّخَتْ في أذهانهم الصغيرة تعاليمَ وأفكارًا وثقافاتٍ لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة « علمانية وبوذية » ويصبح من العسير محوها في المستقبل .

وحلاًّ لهذه المشكلة يقوم المواطنون بتنظيم الحلقات الدينية في بعض المنازل التي يتبرع بها أهل الخير والمروءة . وكثيرًا ما دفعهم ضيق الحلقات وكثرة الطلاب إلى تشييد المدارس الخاصة والمراكز الإسلامية عن طريق التبرعات ، وقد نجحوا في ذلك حيث أقاموا « المؤسسة الإسلامية للإصلاح » الشهيرة . والتي أصبحت إلى جانب تدريسها للعلوم الإسلامية ملتقى عامًّا للمسلمين ، وأصبحت فوق ذلك منارةً تنطلق منها الدعوة الإسلامية إلى قلوب أصحاب الديانات الأخرى والوثنيين القريبين من المنطقة .

جهود ثورة الفاتح الإسلامية

وثورة الفاتح الإسلامية قد هبَّت منذ فترة طويلة لمساندة مسلمي تايلاند وتقديم العون لهم وحلِّ مشاكلهم .

ودعمًا لجهود المسلمين هناك فقد قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ظل ثورة الفاتح الإسلامية . وفي إطار الاهتمامات التي توليها لتربية النشء على القيم الإسلامية ، قامت بإنشاء العديد من المدارس بمختلف مناحي تايلاند ، كمدرسة « التقوى » ، في سينج ماي ، ومدرسة السلام ، والمبنى العربي الليبي ، ومدرسة ومسجد في نونج شوك ، إلى جانب المشاركة في بناء مدرسة المعارف في ستول ، وغيرها من المراكز الإسلامية لتعليم أبناء المسلمين علوم القرآن الكريم واللغة العربية .

وزوَّدت الجمعية هذه المدارس والمراكز بمختلف الوسائل التعليمية والدعاة ، وسد جميع احتياجاتها لتؤدِّيَ دورها على أكمل وجه ، وتوعية أبناء المسلمين بأمور دينهم وتسليحهم بالعقيدة الإسلامية العميقة في وجه الحركات الهادفة إلى إغواء المسلمين وافتتانهم عن دينهم .

المشكلة الكبرى

ليست تلك فقط هي مشاكل المسلمين ، بل يواجهون المشكلة الكبرى المتمثلة في الحملات التبشيرية ذات الإمكانات المتطورة والتي تعمل ليل نهار مستغلةً ظروفهم الصعبة لاستقطاب أبناء المسلمين .

فقد أُقيمت الكنائس والمعابد ، والمستوصفات والأندية التبشيرية ، واستخدمت كنقاط انطلاق ومراكز اتصال لخدمة الحملات التبشيرية عن طريق أحدث الأساليب والوسائل كطباعة الأشرطة والنشرات والكتب باللغات واللهجات المحلية لإيصال تعاليمهم إلى النشء واستغلال ظروفهم الحيوية الصعبة في المناطق التي هُجِّرُوا إليها .

تحريف القرآن الكريم

وقد تواردت أنباء تشير إلى أن بعض المتطرفين البوذيين قد عمد إلى تحريف القرآن الكريم وتسجيله على أشرطة مسموعة وتوزيعها على المواطنين ، متعاونين في هذا العمل الخطير مع العدو الصِّهيوني وبعض الحاقدين على الإسلام لتشويهه وتحريف مبادئه الإنسانية القيمة . مما يوجب على الجهات المختصة بالدعوة الإسلامية في العالم تلافي هذا الخطر الداهم ومحاصرته عن طريق تسجيل القرآن الكريم على أشرطة مسموعة ، وطبع المصاحف ، وإرسال البعثات التعليمية لتحفيظ القرآن الكريم للأجيال من مصادره الصحيحة .

إلى جانب استثمار الصحوة الإسلامية التي بدأت تشهدها منطقة تايلاند بعد عودة الآلاف من شبابها المسلم الذين أتموا دراساتهم في الجامعات والمعاهد العليا بالدول العربية والإسلامية ، حيث يعمل هؤلاء بجد ونشاط كبيرين في تنمية الوعي الإسلامي بالمنطقة .

ليس هذا فحسب ، بل إن طبيعة الظروف الراهنة التي تمر بها منطقة شرقي آسيا بكاملها توجب على المسلمين جميعًا هيئاتٍ ومنظماتٍ ودولاً وأفرادًا ، الوقوف إلى جانب هذه الشعوب ومساندتها في محنتها في مواجهة الحملات التبشيرية ذات الإمكانات الحديثة

والـمتطورة ، فالعمل الإسلامي في مـنطقة شرقي آسيا عـمومًا يتطلب دراسةً جديـةً وصادقة ، ودعـمًا حقيقيًّا وتسخـيـر كلِّ الإمكانـات الـمـاديـة والـمعنويـة والتـنـمويـة ، وخاصة الجهـات التي تُعْنَى بـالدعوة الإسلامـيـة على الصعيديـن الرسمي والشعبي ، واستثـمـار تلك الصحوة الإسلامـيـة وحمـاس الشبـاب لنصرة ديـن الحق فـي تلك الـمـنـاطق التي تتعرض لهجمات شرسة مـن الحركات الـمـنـاهضة للإسلام .

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ . . . ﴾ صدق الله العظيـم .

أفغانستان مقبرة الغزاة



أفغانستان بلد منحوت فوق قمم الصخر ، ويطلق عليه الجغرافيون (سقف العالم) بسبب قمم جباله الشامخة التي هي جزء من سلسلة مرتفعة مغلقة الحلقات تمتد من البلقان فالأناضول ، و إيران حتى مشارف السند . .

وقد كانت (أفغانستان) على مرِّ التاريخ نقطة التقاء تأثير ثلاث امبراطوريات هي : شبه القارة الهندية ، و إيران ، وآسيا الوسطى . . كما كانت دائماً قلعة شامخة استعصت على أشهر الغزاة العتاة عبر التاريخ . . الإسكندر الأكبر ، جنكيزخان ، تيمورلنك ، قياصرة الروس ، وطواغيت الامبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس « بريطانيا » . . جميعهم مرت جحافلهم فوق أرض أفغانستان ، لكن أحداً منهم لم يذق طعم الاستقرار والثبات فوقها ، بل كانت (مقبرة للغزاة) الذين حاولوا ترويضها والسيطرة عليها لموقعها كجسر استراتيجي يؤدِّي إلى بقية دول القارة المحيطة بها . .

الإسلام هو الوحيد الذي استقرَّ في أفغانستان ، واستطاع أن يمدَّ شعاعه إلى مختلف أنحاء شبه القارة الهندية وآسيا الوسطى ، حيث انطلق الدعاة المسلمون من تلك الأرض الطيبة مبشِّرين في أرجاء القارة ، ومن هؤلاء علماء وفقهاء يعرفهم التاريخ حقَّ المعرفة ، كالإمام أبي حنيفة ، والإمام الرَّازي ، والإمام غزعلي ، وجميعهم من الأفغان . كما أن هناك محاربين كباراً ساهموا كثيراً في إرساء قواعد الدولة الإسلامية في بغداد ، وعلى رأسهم (أبو مسلم الخراساني) ، وفي العصور الحديثة يبرز اسم (الشيخ جمال الدين الأفغاني) كمصلح .

فأفغانستان بتلك المواصفات كانت ولا تزال قلعة من قلاع الإسلام الكبرى . . ظل فيها الدين الإسلامي القوة المحرِّكة لشعبها منذ القدم ، وهو اليوم يدفع بهذا الشعب المسلم للوقوف بصلابة وشموخ في وجه أعتى القوى العسكرية الجبارة ، مسطراً أروع الصفحات في تاريخ النضال والجهاد الإسلامي ، منتزعاً اعتراف العالم لهذا (الجهاد) بكسر حاجز الخوف والتردد من مواجهة القوى العظمى بعد أن كسر هيبة الجيش الروسي الأحمر ، وحطم آلته العسكرية الوحشية . .

اسم (**أفغانستان**) لم يطلق على هذه الدولة المسلمة إلاَّ بعد القرن الثامن عشر حيث توطدت أركانها في عهد (**أحمد شاه ذراتي**) .

هذا القطر يحده من الشمال (**الاتحاد السوفيتي**) . وإلى الشرق منه تمتد سهول **السند ودولة باكستان** ، ويتصل من جانبه الجنوبي الشرقي بمجموعة جبال **بلوخستان** ، والحاجز الشمالي من الهضاب عبارة عن سلسلة من الجبال تمتد حتى تبلغ (**نهر جيحون**) .

ولهذا فإن القطر كلّه ينتسب إلى الهضبة التي تعود إلى العصر الثلاثي الجيولوجي الذي قوامه الحجر الرملي الجيري ، والجزء الشمالي الشرقي من الهضبة كان فيما سبق جزءًا من محيط كبير ، ثم حدث ثوران للأرض فارتفعت .

فأفغانستان بلد منحوت في الصخر . وكما تقول **الموسوعة العربية** : الناس هناك زرعوا دولة فوق (تشكيل جيولوجي) من الدور الثالث ، الذي هو عبارة عن أحجار رملية جيرية . .

جبال شاهقة في كلِّ مكان ، تتولد عنها جبال وجبال ، وكلُّها مكسوة بعمائم ثلجية بيضاء على مدار العام تقريبًا ، تتراوح ارتفاعاتها بين **3000** و **3600 متر** . ولا تكاد ترى قممها في مناطق أخرى داخل أفغانستان إذ يصل ارتفاعها إلى **6059 متراً** ، وتستحق عن جدارة وصف (**سقف العالم**) الذي **يطلقه** عليها الجغرافيون .

والمسترعي للنظر في أفغانستان أن نحو **53%** من السكان يشتغلون بالزراعة ، و **18%** بالأعمال اليدوية ، و **20%** من البدو الرحَّل ، وأن الباقين موزعون على قطاعات الخدمات ، وهذا يعني أن في أفغانستان أعلى نسبة من البدو الرحَّل في العالم كلِّه ، إذ ليس هناك بلد يظل خمس سكانه في ترحال دائم طوال العام ، هربًا من الثلوج مرة ، وبحثًا عن لقمة العيش مرة أخرى وتجنبًا للأمطار في آخر المطاف[1] .

وقد بلغ إنتاج القمح في أعلى معدلاته نحو **2.9** طن متري ، وتساهم بعض الصناعات كالسجاد والمنسوجات وخاصة القطنية بنسبة لا بأس بها . وتملك أفغانستان احتياطات من **الغاز الطبيعي تقدر بـ 100** ألف مليون متر مكعب ، ومن النفط نحو **284** مليون برميل ،

ومن النحاس **4.7** ملايين طن **عام 1983** . وبلغ الناتج المحلي الإجمالي في نفس العام نحو **3500** مليون دولار .

كابول العاصمة

كابول العاصمة ، تعكس بشكل عام الواقع الأفغاني كلّه ؛ السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وهي مرتبطة بمولد أفغانستان الدولة في القرن **الثامن عشر** . وقبل ذلك ، وكما يرى بعض المؤرخين ، أن الخارطة السياسية لوسط آسيا لم تعرف دولة بهذا الاسم . كانت هناك مقاطعات وممالك متناثرة ، وقبائل راحلة وراء الكلإ والماء ، وكانت الممالك القائمة آنذاك هي :

خراسان ، **وسجستان** ، **وتركستان** ، **والهند** :

قبل دخول الإسلام كانت هناك الهندوكية ثم البوذية ، ويقال إنهما ظهرتا لأول مرة في هذه المناطق ، ثم زحفتا إلى بقية دول آسيا . وحتى بعد دخول الإسلام لم تقم الدولة الواحدة ، بل قامت دويلات عديدة ، وانفرط عقد **خراسان وسجستان وتركستان** ، وعرف تاريخ المنطقة سجلاً طويلاً من الدويلات الصغيرة ، **الطاهرية** ، **والصفارية والسامانية** ، **والغزنوية** ، والسلاجقة ، **والخوارزمية** ، **والمغول** ، **والأوزبك وغيرها** .

وترقد (كابول) في أحضان (جبل سليمان) الذي لا تجف الثلوج من فوق قمته ، ويظل طوال العام يمد أكثر من نصف مليون من البشر الذين يسكنون العاصمة بالمياه المعدنية .

ولأنها (أي كابول) تعكس الواقع الأفغاني ، فثمة مناطق فيها تنتمي إلى القرن العشرين ، وأخرى تتراجع قرنًا إلى الوراء ، حيث توجد بعض البيوت أقرب إلى الكهوف ، صغيرة وضيقة ولا تدخلها الكهرباء .

وتكوين البشر في الشوارع يرسم لوحة متعددة الألوان ، بأجناسها المختلفة المشارب ، والأشكال ، والتي تتداخل كلُّها لتعطيَ نسيجًا واحدًا يميز الأفغان ، فهناك أبناء **التاجيك والباشتون** بقمصانهم الطويلة وسراويلهم الفضفاضة والعمائم الكبيرة . . وآخرون من **التركمان والأوزبك** بثيابهم المخططة ذات الألوان الزاهية .

وإلى جانب هؤلاء وهؤلاء هناك نساء الأفغان اللاتي يرتدين (الشودري) ، الرداء الملون الذي يغطي الجسم من قمة الرأس إلى أخمص القدم ، تتخلَّله ثقوب صغيرة أمام العينين فقط .

والجميع لا يتكلمون لغة واحدة لأن لغات أفغانستان يصل عددها إلى **عشرين لغة محلية تقريباً** ، وإن كان المعتمد فقط (**الباشتو**) **التي هي خليط من الأردية والانجليزية والعربية** ، و (**الداري**) **وهي خليط من الفارسية والعربية وتستخدم أجهزة الإعلام هاتين اللغتين** .

وكل هؤلاء ينتمون إلى بلد واحد ويحملون جنسية واحدة ويعتنقون ديناً واحداً ألا وهو الإسلام .

مدينة غازني ذات التاريخ المجيد

ثم هناك مدينة (غازني) التي احتلت موقعًا بارزًا في تاريخ تلك المنطقة ، وقد جار عليها الزمان ، بعد أن ارتبط اسمها بالبطولات والفتوحات الإسلامية صارت اليوم سوقًا كبيرة يطوف بشوارعها السياح لانتقاء ما يحلو لهم من الثياب المشغولة بالألوان الزاهية .

كثيرون كتبوا عن هذه المدينة وسلطانها الشهير (**محمود الغزنوي**) ، فقد كتب (الأمير شكيب أرسلان) يقول في (حاضر العالم الإسلامي) : « ومن تلك الجبال انحدر ذلك المجاهد الكبير (إسكندر الإسلام) وحامي المعارف في عصره السلطان محمود سبكتكين الغزنوي التركي المغولي ، في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد ، ودوَّخ الهند من أقصاها إلى أقصاها .

وبعد أن روى بعضًا من بطولات الغزنوي في الهند . استدل بكلمات شيخ الكتَّاب (أبي الفضل بديع الزمان) التي وصف فيها جهاد السلطان محمود بأنه : « **الفتح الذي تضاءلت أمامه الفتوح ، وأثنت عليه الملائكة والروح . . حتى أطلق عليه لقب أمين الدولة ويمين الملَّة**) .

مدينة قندهار

لكن (قندهار) هذه خطفت الضوء من (غازني) عندما كانت عاصمة (أحمد خان) الذي أسس دولة أفغانستان الحديثة ، ثم دار الزمن دورته ، وتركز الضوء على (كابول) ، **وبقيت (قندهار) في الظل قانعة بلقب العاصمة الثانية .**

ومع ذلك لاتزال بعض آثار المجد الغابر باقية تنافس العاصمة كابول في جمالها . **والعمارات القديمة تنطق بماضٍ عريق تبدو بصماته واضحة في طراز المساجد وقصور أسرة (الدوراني) وأسواقها العامرة بالبضائع والسياح .**

كان (أحمد خان) من كبار المجاهدين المسلمين،فقد أنشأ أفغانستان الحديثة وأرسى حدودها الطبيعية فيما بين نهري أوكيوس ، وهينوس ، وحتى كوراسان وخليج عُمان . كما يرجع الفضل إليه في إنقاذ المسلمين في جنوب القارة ، في الهند وباكستان من الغزو الهندوسي ، ومن نفوذ (مارهاتا) الذي زحف من (داكان) في جنوب الهند حتى وصل البنجاب وقبض على امبراطور المغول في دلهي ، وألقى به في السجن ، ثم طلب من البلدان الهندية الأخرى دفع (الجزية) إلى (اتحاد المهاتا) تحت حكم (بيرشا) .

ولكن (أحمد خان) قاد جيوشه إلى البنجاب ودلهي واستطاع أن يهزم العدو و يطرده من البلاد بانتصاره عليه في معركة (بانيبات) التاريخية الشهيرة .

واحتل (أحمد خان) مكانة رفيعة في قلوب الأفغان . وعندما مات بنوا له ضريحاً عظيماً جدرانه مغطاة بالخزف والفسيفساء ، وقبته محلّاة بصفائح الذهب .

مدينة هراة المنكوبة

أما (مدينة هراة) فترقد على صفحات مثيرة من التاريخ بعضها غارق في الدم ، فقد دمرها (الإسكندر الأكبر) وأعاد بناءها من جديد . ثم خربها (السلجوقيون) في حربهم مع الغزنويين . وبعدهم في القرن الثالث عشر جاءت جحافل المغول غازية ، وتولى ابن جنكيزخان السيطرة على مقاليدها . **لكن الشعب ثار عليه وقتله . فما كان من**

(**جنكيزخان) إلاَّ أن زحف ومعه 80** ألف مقاتل ، ظلوا يدمرون ويذبحون في المدينة مدة ستة أشهر ، حتى لم ينج من أهلها سوى أربعين شخصًا فقط ! ! ثم دمرها (تيمورلنك) مرة ثانية في القرن الرابع عشر ، لكن ابنه (شاه روح) أعاد تعميرها ، فشهدت أخيرًا مرحلة من الهدوء والاستقرار .

منطقة مزار شريف أوبلخ

وعبر العصور أنجبت هذه المنطقة فقهاء وعلماء لا تزال أسماؤهم تحتل مكانة رفيعة في التاريخ الإسلامي : **فقد نشأ هنا الإمام البخاري ، والترمذي ، وأبو حامد الغزالي ، والسرخسي والبيهقي والنيسابوري وغيرهم كثيرون** . وبجهودهم حتى الآن يجسِّد التعليم **والثقافة الإسلامية** قيمة لم تهتز في أفغانستان . الكتاتيب والمدارس تنتشر في كلِّ المدن والقرى . وخارج المدارس والكتاتيب بقيت كتب الفقه تراثًا مقدسًا تقتنيه العائلات وتتوارثه ، ومنها ينهل الكبار لتلقين الصغار . وفي كل البيوت تقريبًا ـ والأسرة هناك مازالت على عهدها القديم ، الجد والأبناء وزوجاتهم وأحفادهم في دار واحدة ـ يباشر الأجداد هذه المهمة التعليمية بعد صلاة الفجر ، التي تحرص عليها الأسرة الأفغانية ، يجلس الجميع حول الجد الذي يقوم بدور المعلم ، ويظل الجميع يتلون القرآن الكريم ثم كتب الفقه ويحفظون كلَّ ما أمكن عن ظهر قلب .

والشيء الذي يؤرِّق مسلمي تلك المنطقة ، **هو الخوف من الذوبان في البحر الآسيوي المتلاطم حيث تنتصب أفغانستان وسط دول كبرى غير مسلمة مثل الصين والهند والاتحاد السوفيتي ، لهذا يظهر تشدد مسلمي أفغانستان في التعلق بالأحكام الدينية والمبالغة في تنفيذها ، وكمثال :**

يقول ابن بطوطة عند زيارته لمدينة (هراة) الأفغانية : « قيل لي : إن أهل المدينة عرفوا أن بدار مليكهم حسين (منكرًا) فاجتمعوا لتغييره وتحصن منهم داخل داره . فاجتمعوا على الباب في ستة آلاف رجل فخاف منهم ، فاستحضر الفقيه وكبار البلد ، وكان قد شرب الخمر ، فأقاموا عليه الحد بداخل قصره ، وانصرفوا عنه » . أي أنهم جلدوا الملك ثمانين جلدة .

وبهذه الغيرة الشديدة على الإسلام ومقدساته ، لم يتردد أهل مدينة (قندهار) في قتل جندي بريطاني دخل إلى مسجدهم بحذائه متحدياً ، الأمر الذي أدَّى إلى إبادة 400 من الأفغان في حملة انتقامية وحشية جردتها قيادة الجيش البريطاني على المدينة[2] .

الإسلام وحده استقر في أفغانستان

كانت ومازالت أفغانستان القلعة التي استعصت على الغزاة عبر التاريخ **بسبب موقعها الحصين بين الجبال الوعرة ، وتضاريسها القاسية . بل قوة إنسانها وصلابة تكوينه ، فالأفغاني صعب المراس لا يلين ولا يخضع لأي حكم أجنبي .**

الإسلام وحده الذي أسلم له الأفغان قيادهم واستقر فوق أرضهم ، لأن المسلمين لم يكونوا غزاة كغيرهم ، بل كانوا فاتحين ومبشرين بالدين الحق الذي يحترم إنسانية الإنسان ويكفل له الحرية والعدالة والعيش بكرامة فوق الأرض . .

لم يفتح أفغانستان إلا الإسلام ، والقائد الإسلامي (**قتيبة بن مسلم**) الذي دخل بجيوشه (**طخارستان**) غرب أفغانستان ما كان يستطيع التعايش مع هذا الشعب إلاَّ بالإسلام ، لأن الإسلام يدخل البلاد ليحرر الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد وليزيد أهلها قوة وعزة لأنه الدين القيِّم . .

ومنذ دخول الأفغانيين في الإسلام زادهم الإيمان بالله تعالى صلابة لا تقهر . . **فقد اعترف** (**جنكيزخان وتيمورلنك**) **بأن محاولة غزو أفغانستان مغامرة لا تؤتي ثمارها أبداً ، وحذرا رجالهما من المرور بجبال أفغانستان الوعرة . .**

فالإنسان الأفغاني من أشهر المقاتلين جرأة واقتحاماً ، وشجاعته مضرب الأمثال دائماً ، وأشهر أغانيه القديمة تلك التي تقول :

« **خير لك أن تعود إلى بيتك مخضب الدماء ، على أن تحيا حياة الجبناء** » .

كما أن طبيعة موقع أفغانستان جعلتها مفتاح وسط آسيا وجسراً يؤدِّي إلى أكبر دول القارة الآسيوية . .

هذا الموقع الاستراتيجي جعل كلَّ مستعمِرٍ يطمع فيها . . إذ إن السيطرة عليها من قِبَلِ أي قوة عسكرية ذات شأن يعني الوصول إلى بقية دول المنطقة .

وفي العصر الحديث ، فإن (روسيا القيصرية) طالما سعت للسيطرة على أجزائها الشمالية ، بينما كان (الاستعمار البريطاني) المتربص في الهند يبذل جهدًا موازيًا أوصله إلى (كابول) العاصمة أحيانًا ، ولما فشل كلاهما في فرض قبضته عليها ، كان الاتفاق الضمني على حيادها الذي استمر بعد ذلك ، حتى عندما ورثت (أمريكا) نفوذ بريطانيا في آسيا بعد الحرب العالمية الثانية بقيت أفغانستان بعيدة عن سيطرتها .

وثمة رأي يقول : إن الزحف الإسلامي الذي انطلق من أفغانستان منذ القرنين السابع والثامن الميلاديين ، كان سببًا في قدوم طلائع الاستعمار الغربي إلى آسيا . .

ويصف (الكاتب الهندي ك . م . بانيكار) في كتابه : (آسيا والنفوذ الغربي) يصف هذه الطلائع التي قدمت إلى القارة في القرن الخامس عشر بأنها كانت بمثابة حملة صليبية ، جردها الغرب لوقف المدّ الإسلامي إلى آسيا الذي انطلق من قلعته الحصينة في (خراسان) إلى جانب أسباب الغزو الأخرى بالطبع من طمع الغربيين في ثروات آسيا . .

ويؤكد (بانيكار) أن هذا يفسر اهتمام (البابا) برحلة فاسكودي جاما إلى آسيا عام 1498 م ، وإرساله بعض رجال الكنيسة معه في رحلته ، وإسباغه على هذا البرتغالي بركات الكنيسة ودعوات القسس .

وبسبب الظروف الطبيعية في أفغانستان ، وطباع أهلها أنفسهم ، الموروثة والمكتسبة ، وبسبب معطيات أخرى كثيرة ، بقيت أفغانستان بلدًا لم يُستعمَر في تاريخه وإن كان قد رأى الوجه القبيح للاستعمار في بعض صفحات تاريخه الطويل . .

وعندما صار العالم الإسلامي كلُّه بعد الحرب العالمية الثانية تحت سيطرة ونفوذ الاستعمار الغربي ، شذت عن القاعدة بلدان هما : الحجاز وأفغانستان .

مقبرة الغزاة

إن تاريخ الشعب الأفغاني مليء بالصفحات البطولية النادرة . . وكتب التاريخ تعج بالكثير من هذه الصفحات . . .

ولعل اسم (مضيق كابول) ، المنطقة التي شهدت فناء جيش

الامبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس مازال محفورًا بحروف من دم في الذاكرة البريطانية . . ومازال البريطانيون يذكرون اسم الطبيب الضابط (برايدن) الشخص الوحيد الذي استطاع الهرب إلى بلدة جلال أباد ليحمل نبأ الفجيعة إلى الحامية البريطانية هناك .

كان ذلك عام **1842 م** عندما وجهت بريطانيا حملة من الهند إلى أفغانستان ، **قابلها الأفغانيون بالثورة العارمة ، أدت إلى قتل المعتمد البريطاني في (كابول) وبعد ثلاث سنوات وأمام الثورات المتصاعدة لم يجد البريطانيون مفرّاً من الانسحاب وسط صقيع الشتاء .**

وتقول الرواية : إن هذا الجيش يتكون من قرابة سبعة عشر ألف جندي ، نصب لهم الأفغان كمينًا عند (المضيق) واستطاعوا إبادة الجيش الغازي عن آخره ، فاستحق (المضيق) عن جدارة اسم (**مقبرة الغزاة**) بالرغم من أن هذه العملية كلفت شعب أفغانستان الكثير إذ دُمِّرت « كابول » العاصمة على مَنْ فيها ! !

وكان هذا الجهاد محلَّ تقدير من الجميع ، حتى إن ثلة من كبار المفكرين منهم ؛ **أنجلز وماركس ولينين كتبوا عن ذلك بشيء من الإعجاب .**

فقد كتب (انجلز) مقالاً بعنوان : (**أفغانستان**) قال فيه : « **إن البريطانيين بعد معارك طاحنة دارت في عام 1842 م أبرموا معاهدة استسلام مع الأفغانيين تقضي بترك ترسانتهم العسكرية وثرواتهم للأفغان . . ولا شك أن محنة البريطانيين في (كابول) شبيهة بمحنة (نابليون) في (موسكو) حيث لم ينج سوى بريطاني واحد هو الدكتور (برايدن) الذي تمكن من الوصول إلى جلال أباد** » .

وكتب (**كارل ماركس**) في كتابه : (**النظام الاستعماري في الرأس مالية**) الذي نشر في موسكو **عام 1859 م** حول الحرب البريطانية الأفغانية **عام 1842 م** :

« **لاحظ الحراس البريطانيون من على الجدران المحيطة بجلال أباد شبحًا بريطانيًّا يقترب ، وكان يرتدي ثيابًا ممزقة ومنحنيًا على ظهر جواد ، وكان الجواد وراكبه جريحين ، كان ذلك الراكب هو الدكتور (برايدن) الشخص الوحيد الذي نجا من الموت من بين جيش بريطاني محتل قوامه خمسة عشر ألف رجل** » .

وكتب (**لينين**) في رسالة مؤرخة بتاريخ 1919/10/27 م حول الحرب الأفغانية

البريطانية الثالثة يقول للملك الأفغاني (أمان الله) :

« بلدكم هو البلد المسلم الوحيد في العالم ، وقد أراد القدر أن يضطلع شعب أفغانستان بمهَمَةٍ تاريخية تتمثل في توحيد جميع المسلمين وقيادتهم على درب الحرية والاستقلال »[3] .

وهكذا انتقل الشيوعيون من التضخيم والنفخ في الصورة في المرة الأولى ، إلى تجاهل حقائق التاريخ والجغرافيا والقفز على معطيات الواقع في المرة الأخيرة ، فباءت سياساتهم بالفشل في كلتا الحالتين وربما في كلِّ الحالات .

حقيقة الغزو السوفياتي لأفغانستان

إذا كانت تلك هي الكلمات المعبرة التي صاغها المفكرون والسوفيات على وجه الخصوص عن طبيعة الشعب الأفغاني ومعاركه الجهادية المنتصرة ، فبماذا يفسر السوفيات غزوهم الأخير لأفغانستان ؟

هل معنى ذلك أن السوفيات لم يستوعبوا الدرس ، أم هل إنهم يريدون أن يظهروا للعالم أنه في استطاعتهم قهر الشعب الصغير الذي استعصى على كلِّ الغزاة ؟

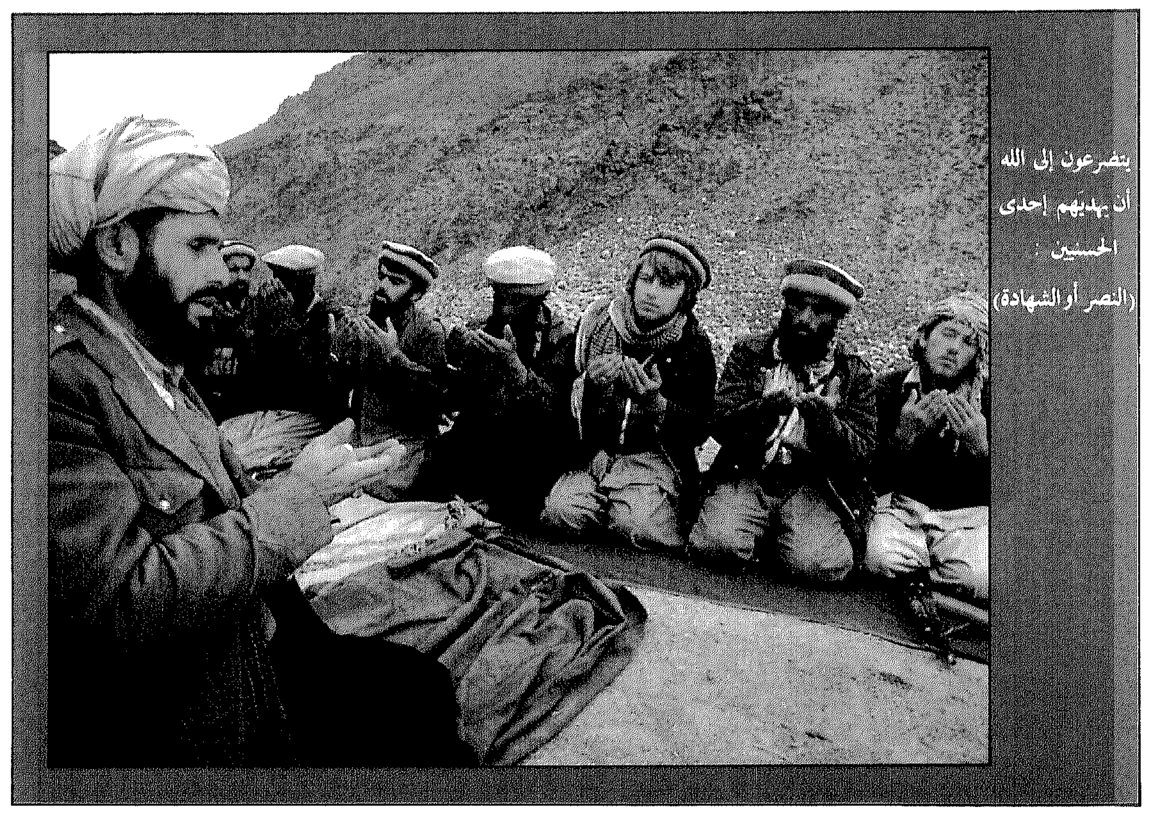
لعل ما قاله قادة الجهاد الأفغاني (الشيخ برهان الدين رباني والشيخ عبد رب الرسول سياف) يكشف جانبًا من حقيقة هذا الغزو . .

فقد أكدا أن الهدف من الغزو السوفياتي لأفغانستان ، ليس المقصود منه أفغانستان فحسب ، **بل إن ذلك مقدمة ومحاولة جديدة من المخططات الرهيبة التي يقوم بها الاتحاد السوفياتي لغزو العالم الإسلامي ، كما غزا في السابق أجزاء من العالم الإسلامي في عهوده الأولى في عهد (لينين ، وستالين) ، والذي تمثل في انتهاك حريات شعوب جمهوريات تركستان وغيرها من الجمهوريات الإسلامية التي تعيش في اضطهاد وتعذيب من قِبَلِ السوفيات أنفسهم . .**

وهذا المخطط الذي نراه من جديد ضد أفغانستان الهدف منه ضرب العالم الإسلامي والاستيلاء على المناطق الاستراتيجية الهامة ، وما أفغانستان إلاَّ مقدمة ، لأنها كانت ومازال القلعة الإسلامية الكبرى في المنطقة ، كما أنها من ناحية أخرى تعتبر

جرعة ماء... ثم مواصلة الجهاد..

بعض الأسر التي هُجِّرت قسرًا..



يتضرعون إلى الله
أن يهديهم إحدى
الحسنيين :
(النصر أو الشهادة)



بهذه الوسائل البدائية يخوضون حربًا عصرية .

مجاهد أفغاني

في الميدان .



هذه الطيارات صبّت أطنانًا من المتفجرات على رؤوس الشعب الأفغاني .

بمثابة البوابة الشرقية للعالم الإسلامي ، ومن ثمّ الخليج والمناطق ذات الأهمية الخاصة في العالم الإسلامي ، فالهدف ليس أفغانستان فحسب بل الكيان والحضارة الإسلامية بكاملها .

فمحاولة احتلال أفغانستان لم تكن مفاجأة ، فقد سبقته محاولات ثقافية واقتصادية وتعليمية طوال 25 عامًا ولا تزال هذه المحاولات جارية لطمس الشخصية الأفغانية المسلمة ولإسقاط أفغانستان في دائرة النفوذ السوفيتي ، ولكن كان الإسلام عقبة في طريق هذا المخطط كما كان سدًّا باستمرار في وجه كلّ محاولات الهيمنة والاستتباع الأجنبية .

ويختتم قادة الجهاد الأفغاني حديثهم بالقول :

إن القصد من وراء ذلك الغزو أيضًا تحطيم الروح الإسلامي الجهادي في شعب أفغانستان ، لكن بحمد الله صمدنا ونصمد ، وكلما اشتد التحدّي اشتدت عزائمنا ، فالأطفال والنساء والشيوخ ، الجميع قوة في وجه الزحف الشيوعي ، حتى كسرنا هيبة الجيش الأحمر الروسي ، وأكبر الهزائم أنه كشف عن وجهه الغادر الذي كان في السابق يدّعي أنه صديق الشعوب الصغيرة الفقيرة ! !

لقد استوعب الروس الدرس إذًا ، ومع ذلك أقبلت قواته في عام **1979 م** بعد أن سبقت وصولها المقدمات التمهيدية ، فشعب بهذه المواصفات لا يهزم ولكنه خدع . .

ففي عام **1979 م** قام جناح من أجنحة الحزب الشيوعي في أفغانستان بانقلاب قتل فيه الرئيس محمد داود ، وتولى سدَّةَ الحكم قائد الانقلاب نور محمد تراكي ، الذي وقع اتفاقية تعاون ثقافي مع الاتحاد السوفياتي .

ولم يمض عام واحد حتى عُزل (نور محمد) وحل محلَّه (حفيظ الله) . . وعندها أدرك الشعب الأفغاني أبعاد المؤامرة التي حيكت ضده بإتقان . فانفجرت الثورة في كلِّ مكان ، ووجدت روسيا ـ التي كانت ترقب الموقف لتستوليَ على البلاد في غفلة من أهلها ـ وجدت أن كلَّ جهودها مهدَّدة بالضياع بفعل الثورة فلجأت للقوة ـ وكما هي العادة في مثل هذه الأحوال ـ قام عميلها (بابراك كارمال) رئيس جناح الحزب الشيوعي باستدعاء ما أسماهم (بالأصدقاء الروس) للإسراع لنجدة الشعب الأفغاني الذي تهدده الفوضى على حدِّ تعبيره ! !

وفي شهر الكانون « ديسمبر » 1979 م بدأ الغزو الروسي الفعلي حيث تدفق آلاف الجنود والضباط السوفيت على البلاد ، واستيقظ الشعب الأفغاني فجأة على صليل المجنزرات والدبابات وهدير الطيارات ، **في أسوإ غزو لشعب صغير في هذا العصر .**

لقد أُخذ الشعب الأفغاني على غِرَّة ، فقد خدعه ساسته وأسلموا بلاده للغزاة . جاء الروس (ببابراك كارمال) إلى سدَّة الحكم ووضع كلَّ ثقله الحربي لحماية هذا النظام ، كمركز للانطلاق إلى بقية أجزاء المنطقة بأسرها .

ومنذ اللحظة الأولى التي دخلت فيها قوات الاحتلال الروسي أرض أفغانستان المسلمة . بدأ المجاهدون إشعال جذوة الجهاد ، وحملوا السلاح في وجه المعتدي الغاصب الذي جاء تحت ستار إعانة السلطة الحاكمة التي يرأسها عميلهم (كارمال) ليحتل أفغانستان المسلمة .

وما هي إلا أيام معدودات ، **حتى تكشف للعالم بأسره القناع الذي تستَّر وراءه الاتحاد السوفياتي لاحتلال أفغانستان البلد المسلم . لضمه إلى جمهوريات إسلامية سبق احتلالها منذ أكثر من نصف قرن . أيقن الشعب الأفغاني أنه ليس أمامه سوى بذل النفس رخيصة في سبيل الحفاظ على بلاده وعقيدته . فاتخذ المواقع على الثغور وقمم الجبال ، وأعلن الجهاد ، فتحركت الألوف تلبِّي النداء من كلِّ حدب وصوب . وانصهرت المقاومة الجهادية في قالب التوحيد ، فأضحى المسجد ساحة للقاءات والاجتماعات ووضع الخطط الحربية ، وصلاة المساء لحظة الحث على الجهاد ، ورمضان شهر المراجعة واسترداد الأنفاس لملاقاة الغد .**

أكثر من مليون شهيد في أطول حروب العصر

ومضت السنون حافلة بصفحات خالدة من الجهاد والاستشهاد ، **ووقف الأفغانيون أمام أكبر قوة حربية بإمكاناتهم المتواضعة ، وقلوبهم المؤمنة . لمدة عشر سنوات ، وهي فترة أطول من الحرب العالمية الثانية . وقد قدموا في الحرب أكثر من مليون شهيد ، كما تسببت الحرب في تشريد أكثر من خمسة ملايين نسمة .**

وكلما ضربت القوات السوفياتية بأحدث ما تملك من أسلحة فتاكة ، ازدادت وحدة المجاهدين وقويت شوكتهم وتضاعف تصميمهم ، **حتى الجنود النظاميون أخذوا يفرون**

من صفوف الجيش كلّ يوم ليلتحقوا بالمقاومة الوطنية الجهادية ، حيث بلغ عدد المجاهدين أكثر من نصف المليون مجاهد .

ولم تفلح عمليات قصف المدن والإعدامات الجماعية ، واستخدام الأسلحة الكيماوية والطيارات العمودية ، وزرع الألغام ، وملايين القنابل ، لم تفلح في قتل الروح المعنوي الجهادي . **فقد تجاوزت خسائر العدو 85 ألف ما بين قتيل وجريح ، الأمر الذي دفع السكان الروس إلى التظاهر في الشوارع ، وهروب الشباب من الخدمة العسكرية الإلزامية خوفًا من الزج بهم في أتون الحرب الخاسرة . . .**

خطأ السياسة السوفياتية

ما من قرية أو مدينة روسية إلاّ وتشعر بما انطوت عليه الحرب الأفغانية من آلام وجراح بسبب خطإ السياسة السوفياتية تجاه أفغانستان البلد الصديق الذي حولته تلك السياسة إلى جار عدو ، فصدم بذلك بلدان العالم الثالث ، ولاسيما الإسلامية ، بما خلفته دولة عظمى من آثار سلبية مدمِّرة على دولة صغيرة نامية بقصد الاحتلال .

وقد اعترف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي (شيفارنادزة) في البرلمان السوفياتي في شهر التمور (أكتوبر) 1989 م ، **بأن القيادة السوفياتية السابقة اتخذت قرار الدخول في الحرب الأفغانية بدون الرجوع إلى الشعب ، كما اعترف صراحة أمام البرلمان ، بأن سياسات القيادة السوفياتية نحو آسيا في السابق كانت سياسات خاطئة تخالف المواثيق والقيم والمبادىء .**

البرلمان السوفياتي يدين
التدخل في أفغانستان

وفي سياق التبرؤ من الماضي أقدم (البرلمان السوفياتي) على إدانة التدخل العسكري السوفياتي في أفغانستان عام 1979 م . وأورد البرلمان في قراره : « **أن التدخل الذي اتخذته زمرة صغيرة من السياسيين يستحق إدانة معنوية وسياسية ، وسمّى القرار بالاسم**

كلاً من الزعيمين السوفياتيين الراحلين بريجنيف ، وأندروبوف ، إضافة إلى غروميكو ووزير الدفاع الراحل أوستينوف ، وحمّلهم مسؤولية اتخاذ القرار السري بالتدخل عسكرياً في أفغانستان .

ويقول أحد كبار أفراد إدارة المخابرات السوفياتية (فلاديمير كونزيشكين) الذي طلب حق اللجوء في بريطانيا : « **رجال المخابرات الروسية يقولون اليوم : إن حرب أفغانستان هي فيتنام الروس . ويضيف : لقد بدأ تدخلنا في أفغانستان بداية صغيرة . . . وذهبنا لنؤيد نظاماً صديقاً ، فإذا بنا نغرق في حرب الجبال إلى الرقاب ، ونحن الآن متورطون فيها ، والذي أدخلنا في هذه الحرب اليائسة ، هو (ليونيد بريجنيف) .**

ويواصل حديثه فيقول :

« **إن أحداً في روسيا لم يكن يريد التدخل في شؤون أفغانستان تدخلاً عسكرياً مباشراً لأنها بلد فقير ولا رجاء يرتجى من وراء احتلاله . ثم لأن أهلها مقاتلون ذوو ضراوة وصلابة ، وحربهم مكلِّفة جداً** » .

ويقول العالم الفيزيائي السوفييتي (أندريه سخاروف) العائد مؤخرًا من المنفى بعد سبع سنوات ، عندما سئل عن الدور السوفياتي في أفغانستان : « **إنني أعتبر ذلك أكثر النقاط المؤلمة في سياستنا الخارجية ، وأتمنى أن تتخذ إجراءات حاسمة في هذا المجال أكثر مما هو حادث في الوقت الحالي** » .

وكان (سخاروف) هذا قد نفي إلى (جوركي) بعد فترة قصيرة من انتقاده للتدخل السوفياتي في أفغانستان في شهر الكانون « ديسمبر » عام 1979 م .

ليس ذلك فحسب بل إن كثيرًا من المسؤولين الكبار في الاتحاد السوفياتي يعترفون **(وإن كان بشكل غير معلن) بأن قرار التدخل في أفغانستان الذي اتخذ في عهد الرئيس السوفياتي السابق (ليونيد بريجنيف) عام 1979 م كان قرارًا خاطئًا جانبه التوفيق**[4] .

والآن فإن الروس بدؤوا يدرسون جيدًا تطورات التاريخ الماضي ، وأوضاع المجتمعات المعاصرة ليستخلصوا منها السبب الذي جعلهم يفشلون في أفغانستان فيما نجحوا فيه في دول أوروبا الشرقية من قبل .

منذ اللحظة الأولى للغزو كانت هناك عمليات جادة تسير خطوة بخطوة مع تحركات القوات الغازية ، شملت جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وهي مهمَّةٌ تابعها المستشارون والعملاء والمخابرات السوفياتية في مختلف انحاء البلاد .

في المجال (التربوي والتعليمي) قامت أجهزة الحزب المنصَّب من الاستعمار السوفياتي ، بتدريس تعاليم الماركسية واللغة الروسية ، وتاريخ الاتحاد السوفياتي فالكتب التي في أيدي تلاميذ المراحل الأولى ليست سوى **ترجمات لمؤلفات سوفياتية موجهة توجيهًا حزبيًّا صارمًا** ، وتتدرج عملية التعليم بكامله ضمن هذا السياق حتى المرحلة الثانوية ، **برغم ما يبديه بعض الطلاب من رفض لا يلقى استجابة** ، والمراد هو تكوين شخصية الطالب على نمط لا يمتُّ إلى التربية والبيئة الأفغانية الأصيلة ، **القائمة على النمط الإسلامي الصرف الذي شب عليه آباؤه وأجداده . وهذا أخطر ما أفرزه الغزو السوفياتي وما خلَّفه في تلك البلاد على الإطلاق .**

كما تسيطر الدعاية السوفياتية على الإذاعة المسموعة والمرئية ، وجميع المطبوعات ، وتوجه الدعوة إلى الشباب الأفغاني لزيارة الاتحاد السوفياتي ، مع إغرائهم بالأموال الطائلة والفرص الذهبية .

كما عمد السوفيات أيضًا إلى تخريب المعالم الإسلامية ، وتغيير أسماء المناطق والشوارع ، وإحراق الكتب والوثائق والمطبوعات الخاصة بتاريخ أفغانستان ، والقضاء على نظام الأسرة الأفغانية التقليدية ، والاستهزاء بالعادات والتقاليد الخاصة بالشعب الأفغاني ، ونشر الفساد والرشوة ، وربط الاقتصاد الأفغاني بالاقتصاد السوفياتي .

ويقول الدكتور « باول بوشرر » رئيس المكتبة الأفغانية في مدينة « بال » السويسرية في دراسة له لمشكلة أفغانستان: « **بينما ننظر بقلق شديد لأعمال العنف والحرب والقصف ، والأعداد الكبيرة من القتلى والجرحى ، نتجاهل عمليات أخرى سوفياتية في أفغانستان التي تؤلِّف الجانب الآخر من المشكلة ، على الرغم من خطورته الكبيرة ، ذلك**

أن الحرب والعمليات العسكرية التي تشنها القوات السوفياتية ضد المجاهدين الأفغان ليست سوى تغطية للعمليات الايديولوجية التي يمارسها الاحتلال السوفياتي في البلاد . .

مجاهدون عرب في أفغانستان

قضية أفغانستان التي هي قضية المسلمين في كلٍّ مكان ، دفعت بالكثيرين من المجاهدين العرب من مختلف الأقطار العربية إلى تلبية نداء الجهاد والوقوف جنبًا إلى جنب مع إخوانهم الأفغان في حربهم المقدسة ضد الاحتلال السوفياتي ، **وهو جانب مجهول من المشاركة العربية الذاتية . . وقد قَدِمَ هؤلاء اختيارًا وتطوعًا ، يعملون في الخطوط الهجومية الأمامية** ، كما يشاركون في مساعدة الجرحى ، ونقل المؤن والذخيرة وتحصين الخنادق والملاجيء ، **وذلك من منطلق إيمانهم بأن العقيدة الإسلامية التي تقرر فريضة الجهاد هي التي أوجبت عليهم المشاركة في الجهاد الأفغاني ، ومن منطلق اقتناعهم أيضًا بأن النهوض إلى الجهاد في أفغانستان الدولة المسلمة أصبح فرض عين على كلّ مسلم ومسلمة على حدِّ تعبيرهم ، كما هو الشأن بالنسبة لفلسطين العربية .**

القضية الأفغانية في المحافل الدولية

احتلت القضية الأفغانية حيزًا كبيرًا في مداولات وقرارات الأمم المتحدة ومؤتمرات القمة الإسلامية ، ومؤتمرات دول عدم الانحياز ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، والمجلس العالمي للدعوة الإسلامية العالمية ، وجميعها طالبت بانسحاب القوات السوفياتية المسلحة انسحابًا فوريّاً وغير مشروط من أفغانستان .

وأكد المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في أدوار انعقاده المتكررة بخصوص أفغانستان حقَّ الشعب الأفغاني في تقرير شكل حكمه دون أي تدخل أجنبي ، لأن مأساة أفغانستان إنما جاءت نتيجة لوجود القوات الأجنبية فيها ، ودعا إلى سحب هذه القوات من أفغانستان حتى يمارس الشعب حقه في تقرير المصير والاستقلال .

كما أكد المجلس حق اللاجئين الأفغان في العودة الطوعية بأمان وشرف ، وحث المسلمين على مواصلة دعمهم لإخوانهم المجاهدين ، لتحقيق التصريحات الأخيرة

حول إقامة أفغانستان حرةً مستقلةً وغيرَ منحازة ومسلمةَ الطابع بأخلاقها وقيمها الإسلامية .

ولعل آخر قرارات الإدانة تلك التي صدرت عن الأمانة العامة المؤقتة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية في اجتماعها الأول الذي انعقد في طرابلس بالجماهيرية العظمى بتاريخ 1989/12/20 م ، حيث حيَّت الأمانة العامة المؤقتة جهاد الشعب الأفغاني البطل ، وأكبرت فيه روح البسالة والصمود في مواجهة العدوان السوفياتي الغاشم . الذي استهدف حرية وسيادة الشعب الأفغاني على أرضه الإسلامية العزيزة على قلوب المسلمين ، وأدانت الأمانة العامة المؤقتة المؤامرات الأمريكية ـ السوفياتية المشتركة على وحدة حركة الجهاد الأفغاني ، الرامية إلى زرع الفتن في أوساط المجاهدين وعرقلة مسيرة جهادهم نحو تحقيق السلام والأمن في ربوع أفغانستان .

ماذا بعد انسحاب القوات السوفياتية المهزومة

بعد جهاد دام عقداً كاملاً من الزمان ، تحت راية لا إلَه إلا الله محمد رسول الله توج المجاهدون الأفغان جهادهم بإرغام الجيش الأحمر الروسي على الانسحاب من التراب الأفغاني .

وجاء الانسحاب الذي بدأ رسميًّا في الخامس عشر من شهر الماء «مايو» من العام 1989م تنفيذاً « لاتفاقية جنيف » وخرج الجيش السوفياتي يجر أذيال الهزيمة من الأراضي الأفغانية التي جاءها بقصد الاحتلال .

وتقدم المجاهدون للسيطرة على جميع المراكز والمناطق التي حاصروها من قبلُ لسنين طويلة من الزمان .

هذا الواقع ، دفع المجاهدين إلى مرحلة جديدة وذات تأثير على مختلف الأصعدة ، وعلى رأسها مرحلة تأسيس الدولة الأفغانية الإسلامية البديلة للنظام القائم في أفغانستان .

وينظر المجاهدون إلى مبدإ إنشاء الدولة الإسلامية البديلة ، **كهدف أساسي مقدس** ، ويقولون بالحرف الواحد:

« **إن جهادنا هو لإعلاء كلمة الله ، وبدون إقامة الدولة الإسلامية فلن يكون جهادنا قد حقق هدفه الأساسي** » .

هذا الانتصار الباهر وُضِعَ أمام مشكلة مازالت قائمة عقبةً في طريق قيام « دولة

أفغانستان الإسلامية » إذ كان متوقعًا بعد رحيل الجيش السوفياتي أن ينهار « نظام كابول » خلال أسابيع ، **لكن القوى الاستعمارية الكبرى لم تهضم هذاالانتصار الإسلامي الخطير ، والذي سيكون له شأن ، وأي شأن في المستقبل القريب .**

فبعد إجلاء القوات السوفياتية و إجبارها على الانسحاب ، تصور الغرب وخصوصًا الولايات المتحدة الأمريكية أنها أخذت بثأرها لفيتنام ، فأمريكا لا تريد لروسيا أن تنتصر حتى لا يكون لها وجود في المنطقة ، وبالتالي لا تنكسر عين أمريكا التي أذلتها حرب فيتنام ، **وهي كذلك لا تريد النصر للمجاهدين ، لأنهم فقط مسلمون ، حاربوا تحت راية لا إلَه إلا الله محمد رسول الله** . فانتصارهم يعني انتصار الإسلام ، وهذا ما تخشاه أمريكا وحلفاؤها . .

ومن هنا بدأت الدوائر الأوروبية ـ الأمريكية المشتركة **تحوك** المؤامرات والدسائس ضد وحدة حركة الجهاد الأفغاني ، وزرع الفتن في أوساط المجاهدين ، وعرقلة مسيرة جهادهم نحو تحقيق إقامة دولتهم الإسلامية .

كما أن روسيا صاحبة الترسانة العسكرية المسلحة الضخمة لم تستطع ابتلاع هزيمة جيشها الأحمر أمام دولة صغيرة ، خاصة وأنها تواجه توترًا كبيرًا في أوضاعها السياسية ، إذ إن النظام الشيوعي لا ينهار فقط في أوروبا الشرقية ، لكن جمهوريات مختلفة داخل الامبراطورية السوفياتية نفسها رفعت راية العصيان و إرادة الانسلاخ . . كأحداث التمرد في القوقاز ، وجمهوريات آسيا الوسطى ، وتهديد جمهورية أذربيجان على وجه الخصوص بالاستقلال ، مستلهمة الكثير من معطيات الجهاد الأفغاني .

لذلك قام الاتحاد السوفياتي خلال شهور قليلة بواحدة من أكبر عمليات نقل الأسلحة والمعدات الحربية إلى النظام المتحكم في العاصمة إلى جانب المساعدات الاقتصادية الاستثنائية التي بلغت 250 مليون دولار شهريًّا أي ما يزيد على ثلاثة مليارات دولار سنويًّا . مما يعني أن المساعدة السوفياتية العسكرية والاقتصادية هي التي ساعدت على استمرار (نظام العاصمة) حتى الآن ، في محاولة لحفظ ماء الوجه السوفياتي في أفغانستان .

فإذا كانت القوى المتربصة الكبرى لا يروقها هذا النصر الإسلامي المؤزر ، وتحاول جهدها تشويهه وعرقلة مسيرته ، فإن على المجاهدين والشعب الأفغاني بكامله اليقظة والتكاتف و إبقاء الصفوف متراصَّةً متوحِّدةً على الدوام ، لتفويت الفرصة على الانتهازيين

وقطع الطريق أمام المتربصين ، و إفشال كلّ المؤامرات والدسائس التي تحوكها قوى الشر ، و إقامة دولة أفغانستان المسلمة المعاصرة المستقلة .

الهوامش

(1) انظر مجلة « العربي » العدد رقم 238 شهر الفاتح « سبتمبر » 1978 م .
(2) انظر نفس المصدر السابق .
(3) انظر مجلة « العروة الوثقى » العدد الخاص رقم 30 لعام 1987 م .
(4) انظر مجلة « البلاغ » بتاريخ السابع عشر من شهر أي النار « يناير » 1988 م .

الفصل الثاني

المسلمون في إفريقيا

(1) السنغال قلعة الإسلام في غرب إفريقيا .

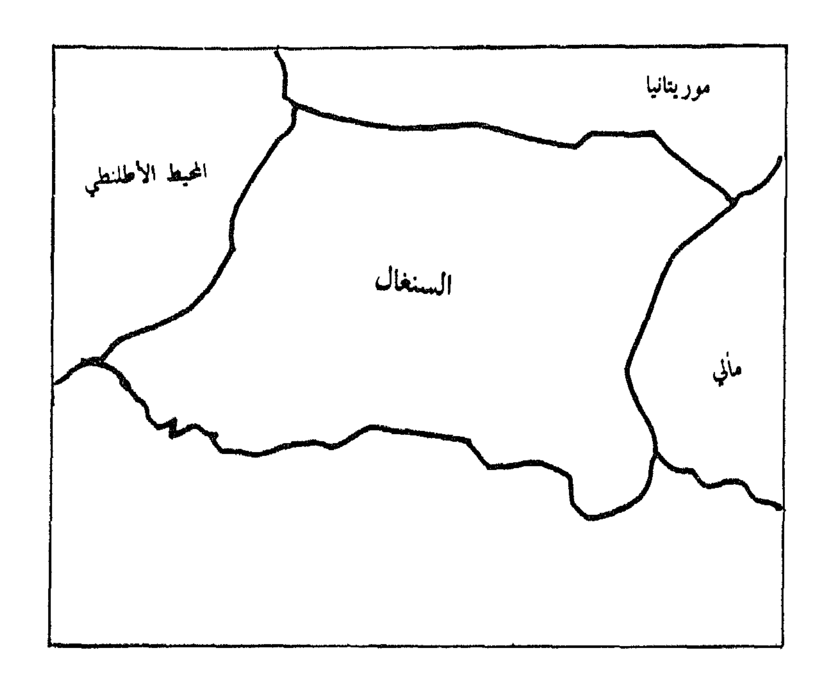
(2) موريتانيا جسر العروبة والإسلام إلى إفريقيا .

(3) الإسلام في نيجيريا .

(4) الإسلام في مالي .

(5) الإسلام في جنوب إفريقيا العنصرية .

السنغال قلعة الإسلام في غرب إفريقيـا



السنغال ؛ هذه الجوهرة على ضفاف المحيط الأطلسي ، يمثل المسلمون الغالبية العظمى من سكانها ، قاموا بدور هام في نشر الدعوة الإسلامية وترسيخ دعائم الدين الحنيف في غرب إفريقيا ، وارتبطوا بعلاقات أخوية متينة مع إخوانهم في البلاد العربية والعالم الإسلامي . .

وهذا البلد في تلك المنطقة الاستراتيجية كان يمكن أن يكون قلعة كبرى من قلاع الإسلام في القارة الإفريقية ، لولا تدافع جهود القوى الاستعمارية والصليبية للهيمنة عليه ، واستعماره لفترة طويلة من الزمن . فقد ظلت الثقافة السنغالية على مرِّ العصور تؤكد طابع الإسلام كدين وفكر ومبدإ يرفض الاضطهاد والاستعمار ، وعلى الرغم من ظروف الاستعمار الفرنسي الذي حاول جعل لغته هي اللغة الرسمية فإن إيمان المواطنين وغيرتهم على دينهم جعلهم يتمسكون باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم .

تقع جمهورية السنغال وعاصمتها داكار ، في أقصى المنطقة الغربية من القارة الإفريقية ، وتبلغ مساحتها 196192 كيلومترًا مربعًا . وعدد سكانها حسب آخر إحصاء عام 1983 م يبلغ نحو 6.3 مليون نسمة .

يحدها شمالاً موريتانيا ، وشرقًا مالي ، وجنوبًا غينيا كوناكري ، وغينيا بيساو ، وغربًا المحيط الأطلسي .

جوُّ السنغال : يتفاوت بين منطقة وأخرى ، فجوُّ الساحل معتدل إجمالاً ، وموسم الأمطار يتفاوت بين ثلاثة أشهر في الشمال وخمسة أشهر في المناطق الجنوبية .

وسهول السنغال يسكنها منذ القدم شعب « الولف » و « السرير » الذين يعتاشون من زراعة الفستق والشعير وصيد الأسماك على السواحل .

وتحتوي الأراضي السنغالية على عدد من الثروات المعدنية أبرزها الفوسفات ، والحديد ، والكالسيوم .

لكن برغم هذه الثروات المشجعة فإن السنغال تعاني من جهة أخرى من مشكلة وقوعها في منطقة الساحل الإفريقي التي تعاني ـ وبشكل مستمر ـ من الجفاف والتصحر ، الشيء الذي أثر كثيرًا على اقتصادها . فبالرغم من أوضاع الطقس غير الملائمة ، فإن الزراعة وصيد الأسماك يؤلفان نحو 22% من المنتوج المحلي العام ، ويستوعبان 75%

من قوى الشعب العامل .

وكغيرها من الدول الإفريقية أدركت السنغال ضرورة تخصيص جزء أكبر من ميزانيتها لتشجيع الزراعة بغية التوصل إلى الاكتفاء الذاتي . وهو هدف حيوي بالنسبة لاقتصاد هذه الدول ، وحتى بالنسبة إلى سيادتها واستقلالها ، فالجفاف وبالتالي انخفاض كمية الإنتاج الزراعي سيتركان آثارهما لا على الاقتصاد فحسب ، بل وعلى الوضع الاجتماعي ومستوى العيش وربما على الاستقرار السياسي .

فالسنغال قد عانت بسبب هذا الوضع من حركة نزوح هائلة من الريف إلى المدينة حتى إن نحو 30% من مجمل السكان الذين يفوق عددهم ستة ملايين نسمة ، يعيشون في العاصمة داكار ، وقد أدى هذا إلى نسبة بطالة في المدن تقدر بنحو 17% ودفعت هذه الأوضاع الحكومة الحالية إلى التحرك بفاعلية لاتخاذ إجراءات لحلّ الأزمة .

السنغال في ظل الاستعمار الفرنسي

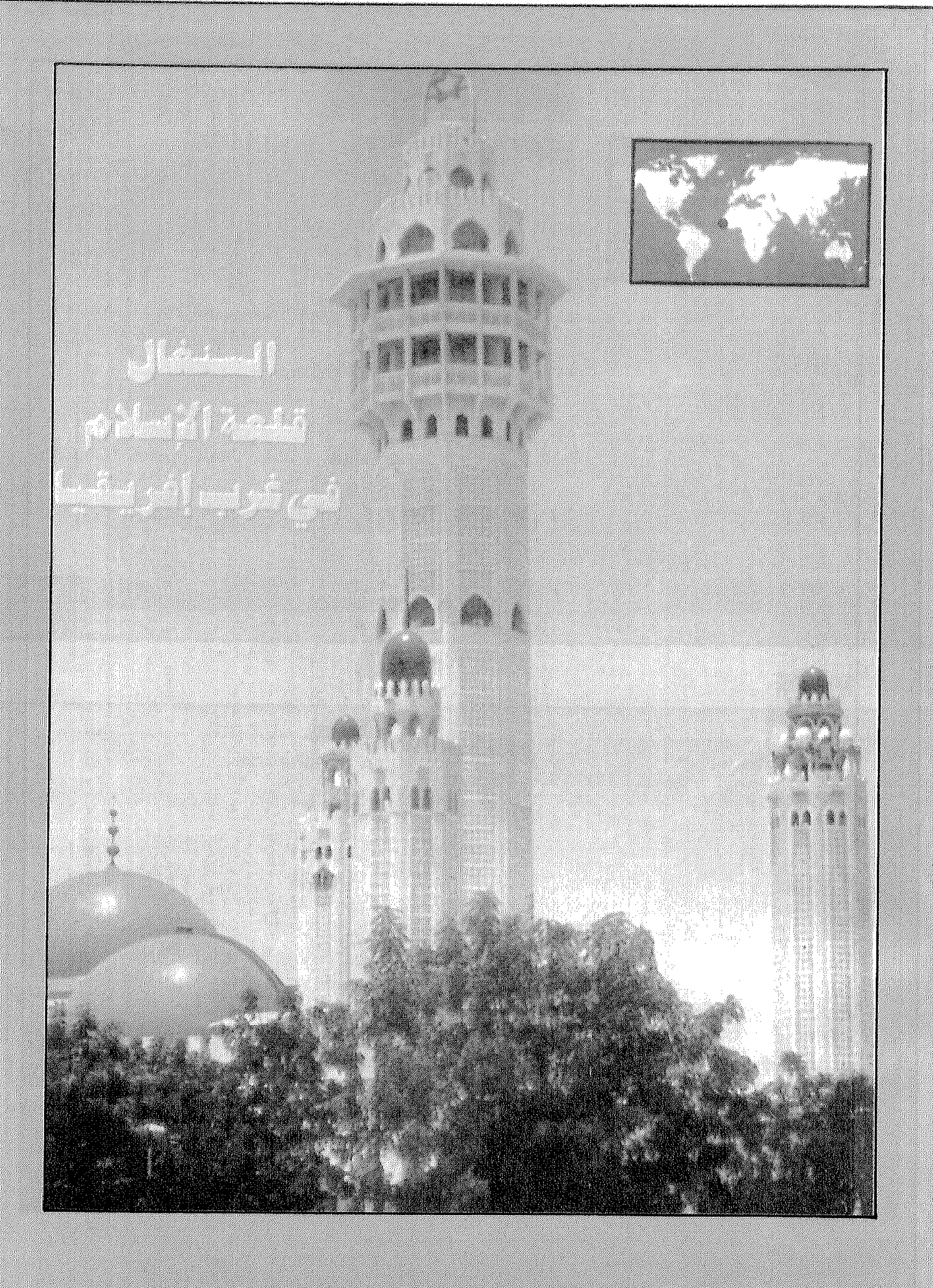
وقد كتب الأستاذ فهمي هويدي تحقيقًا مطولاً تحت عنوان : « السنغال في مصيدة التغريب » بمجلة العربي في عدد أي النار « يناير » 1984 يقول :

كل الروايات التي تحكى عن ممارسات ما يسمى بالرجل الأبيض في السنغال تؤلّف صحيفة اتهام تدينه إلى الأبد . فقد جاء إلى إفريقيا الغربية طامعًا في الذهب وتاجرًا للرقيق .

فجزيرة « جورية » الواقعة بالقرب من داكار تظل رمزًا لبربرية الرجل الأبيض يفضح ممارساته البشعة في إفريقيا .

لقد كانت « جورية » أهم مراكز تصدير الرقيق من غرب إفريقيا إلى أوروبا ثم أمريكا منذ القرن الخامس عشر . ولايزال فيها بناء عمره 300 سنة كان يقيم فيه الرقيق قبل شحنهم على البواخر للبيع في أسواق العالم الغربي .

وما يسمى « ببيت العبيد » المطل على المحيط مباشرة والمكون من طابقين اثنين واحد أرضي يضم إحدى عشرة غرفة صغيرة ومعتمة ، كان يتوزع فيها الرجال والنساء والأطفال . وللغرف جدران سميكة مثبت عليها القيود الحديدية التي يقيد بها الرقيق . كلٌ


السنغال
قلعة الإسلام
في غرب إفريقيا

مشهد من
العاصمة السنغالية
داكار .



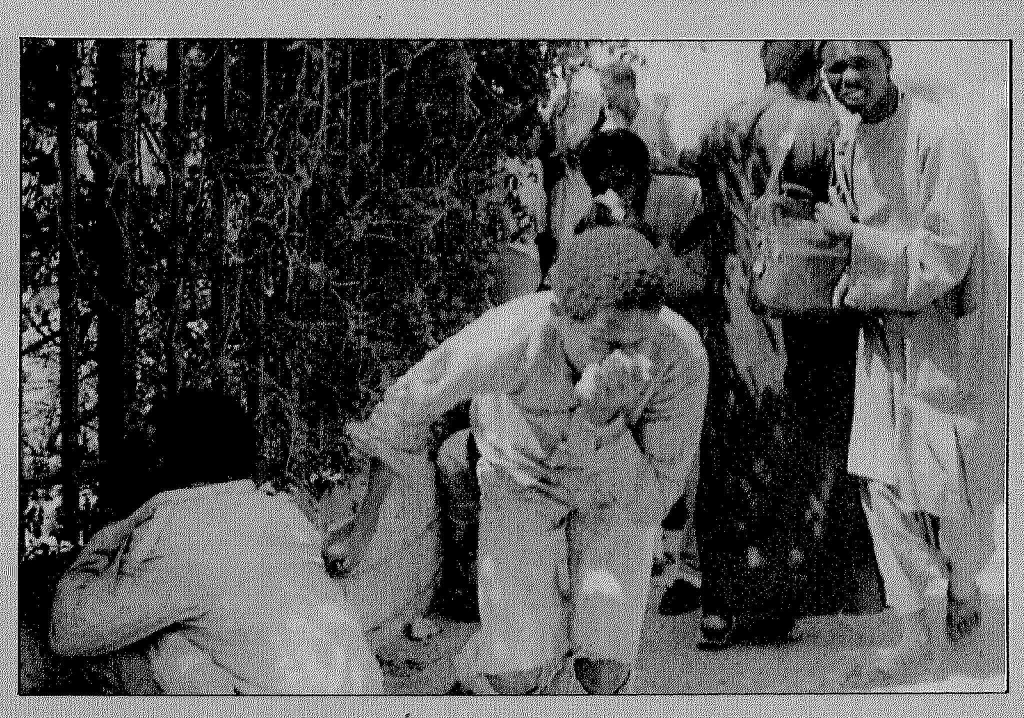
على ضفاف نهر
السنغال تتوحد
مشاعر الأخُوَّة
بين الأفارقة
والعرب .

توحيل الرعايا
الذين استهدفتهم
الأحداث
بالسنغال .

آثار الأحداث في العاصمة داكار .



عملية الوعظ تتم أحياناً في الساحات وفوق الرمال .



يختبئون في شوارع العاصمة السنغالية خوفًا من البطش .

ذلك ظل شاهدًا على جريمة ما يسمى بالرجل الأبيض .

إن فرنسا هي رمز الرجل الأبيض في السنغال منذ فازت بالمركز الأول في الصراع الأوروبي على ذلك الجزء من إفريقيا ، وهو الصراع الذي افتتحه البرتغاليون في منتصف القرن السابع عشر ، ولحق بهم الألمان في « جورية » ليزاحموا البرتغاليين الذين آذنت شمسهم بالمغيب في مملكة البحار والمحيطات ، وجاء بعدهم البريطانيون في أواخر القرن السابع عشر ، لكن الصراع حسم في القرن الثامن عشر . وخلا المسرح للفرنسيين الذين انتزعوا سلطان الغرب في تلك المنطقة .

وبينما كان الرجل الأبيض يحوم حول سواحل القارة الإفريقية ، عاجزًا عن النفاذ إلى أعماقها منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، فإن العرب كانوا قد وصلوا إلى غرب إفريقيا مبشرين بالإسلام وحاملين لواءه منذ القرن السابع الميلادي .

دخول الإسلام إلى السنغال

تشعبت الروايات التاريخية كثيرًا حول دخول الإسلام إلى السنغال . فقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن الفولانيين هم الذين أدخلوا الإسلام وهم شعب من الرعاة موطنه الأصلي في حوض السنغال ، وقد انتشرت فروع هذا الشعب وجماعاته في كل المساحة الواسعة الممتدة من السنغال إلى إقليم تشاد .

وقد دخل هؤلاء الفولانيون الإسلام على أيدي المرابطين منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وتحمسوا له وكسبوا إلى جانبهم « التكاررة » ، أو شعب التكرور في موطنهم بشمال حوض نهر غامبيا وهم بدو أيضًا ، وقد اختلط الفولانيون بالتكاررة على مرِّ الزمن وأصبحوا عماد الإسلام في بلاد السودان الغربي .

وقد خضع التكرور لدولة غانا قبل أن تدخل الإسلام ، ثم أصبحوا حلفاء المرابطين ، ودخلت على أيديهم جماعات كبيرة في الإسلام ، وبفضلهم أصبحت منطقة « الفوتاتورو » بالسنغال مركزًا كبيرًا للدعوة الإسلامية .

وفيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين قامت أسرة من القبائل التي تسمى عادة بالولف ــ وهم قبيلة هجين من الفولانيين وقبائل الصحراء ــ بإقامة

دولـة بزعامة « انجاجا انجيـاي » ، وفـي عام 1776 م قام زعيـم مـن التكـرور هو الإمـام (تحرف فـي لغتهـم إلى الـمـامي) بـالثورة علـى سلطان الجلف وقتل ملكهـم ، وقامت بفضله دولـة إسلاميـة قويـة فـي كلٍّ حوض السنغال (أي بلاد الفوتـاتورو) تضم الفولانـيين والتكرور والولف ، واستمـرت هذه الدولـة الإسلامـيـة قائـمة وعاملـة على نشر الإسلام فـيـمـا حولها ، حتى قضى عليها الـمستعـمـرون الفرنسيون .

أما يـاقوت الحمـوي فـيذهب فـي كتـابه : « معجم البلدان » إلى أنه : كان عقبة بن نـافع مقيـمًا في نواحي برقة وزويلـة مـنذ ولايـة عمـرو بن العاص له ، فـجمع مـن أسلـم مـن البربر ، وضمـهـم إلى الجيش الوارد إليه مـن معاويـة . وسار إلى إفريقيا (تونس الآن) ونـازل مدنها ، وأسلـم على يده خلق كثير ، وفشا فـيهـم ديـن الله حتى اتصل ببلاد السودان (غرب إفريقيـا) فجمع عقبة حيـنئذٍ أصحابه وقال : إني رأيت أن أبنيَ هـاهنـا مديـنة يسكنها الـمسلـمـون ، فاستصوبوا رأيه ، وبنى القيـروان .

وقد هيـأ تـأسيس مديـنة القيـروان في إفريقيـا على يد عقبة بن نـافع سنة 683 م ، مـركزًا حصيـنًا اتخذه قاعدة لنشر الإسلام فـي شمـال إفريقيـا وغربها .

مـن نـاحيـة أخرى أشار (أحمد بـابـا) مـؤرخ صنغي (إحدى امبراطوريـات غرب إفريقيـا) إلى وجود اثني عشر مسجدًا في مديـنة غانة نحو عام 679 م .

و إذا كان الأمـر كذلك فإنه ليس صحيحًا أن الـمـرابطين هـم الذيـن أدخلوا الإسلام إلى غرب إفريقيـا في القرن الحادي عشر الـمـيلادي كمـا يذكر بعض الـمـؤرخيـن و إنـمـا الأصح أنهـم سعوا إلى نشر الإسلام على نطاق أوسع فـي مـنـاطق غرب إفريقيا . بـيـنـمـا كان الإسلام مـوجودًا بـالفعل مـنذ القرن السابع الـمـيلادي .

وطوال تلك القرون كان الـمسلـمـون يذرعون إفريقيـا طولاً وعرضًا ، مبشريـن وتجارًا . ساعدهـم على ذلك أنهم حفروا الآبـار بـيـن واحات إفريقيـا ، وأدخلوا الجمل لأول مـرة إلى الغرب الإفريقي .

فقد عمل حفـيد عقبة بن نـافع ، عبد الرحمـن بن حبـيـب الفهري على حفر سلسلة مـن الآبـار تصل بـيـن واحات إفريقيـا وبـيـن مديـنة أودغشت بصحراء الـمغرب الأقصى ، واستطاع جنوده بفضل هذه السيـاسة أن يعبروا الصحراء وأن يـنشروا الإسلام بـيـن القبـائل الضاربة فيهـا ، كمـا استطاع التجار أن يتصلوا ببلاد الـملثمـيـن وبلاد السودان (إفريقيا

الغربيـة) عن طريق ساحل الـمحيط ، أو طريق الصحراء الذي أصلحه عبد الرحمٰن الفهري ـ وأصبحت القوافل أكثر استعدادًا لارتيـاد الطريق إلى غربي إفريقيـا ، وقد تـمخضت هذه الجهود عن نتائج طيبة ، إذ أدت إلى دخول الإسلام إلى غربي إفريقيا عن طريق آخر غير الطرق التي كانت مألوفة من قَبْلُ .

ويعتبر دخول الجمل إلى شمال إفريقيا عن طريق العرب حادثًا فريدًا في الصحراء الكبرى الإفريقيـة ، فقد كان للجمل دور في جعل طرق القوافل شرايين هـامة ومنتظمة للتجارة والحضارة بين شمال إفريقيا وجنوبها حتى أصبح في مقدور القوافل أن تقطع ذلك القفر بين شمال الصحراء الإفريقية ، وجنوبها في مدة شهرين أو أكثر .

منذ تلك الأزمنة البعيدة كان العرب هناك في غرب إفريقيا ، وقتها لـم يكن لدولة السنغال وجود ، و إنـما كانت هناك « حسب رأي بعض الـمؤرخين » ، مجموعات من القبائل والـممالك والامبراطوريات الإسلامية التي ظهرت في غرب إفريقيا على فترات متفاوتة من التاريخ ، أولـها امبراطورية غانة التي استـمرت حتى القرن الثالث عشر الـميلادي ، ثـم امبراطورية مالي ، ثـم صنغي ثـم امبراطورية التكرور التي قامت في العصور الوسطى .

لقد كان هنـاك « السنغال النهر » ، أما السنغال الدولة بحدودها الحالية فلم يكن لـها وجود ، إنـما تكوَّنت في القرن التاسع عشر عندما توحدت بعض شعوب تلك الـمنطقة وقبائلـها ، ثـم ظهرت عملية الـحدود لأول مرة بين دول غرب إفريقيا عام 1895 م .

وكان طبيعيًّا ألَّا يذكر اسم السنغال في الـمراجع العربية القديـمة ، ولكن العرب أطلقوا وصف « السودان » على أصحاب البشرة السمراء بصفة عامة ، وانصب الـمصطلح من النـاحية الـموضوعية على سكان غرب إفريقيا قبل غيرهم .

ولا علاقة بين كلمة السودان في الـمصطلح العربي وبين « جمهورية السودان الديمقراطية » الحالية ، التي أطلق عليها العرب في الـماضي مع الـمناطق الجنوبية لـمصر اسم « بلاد النوبة » .

وكما أطلق العرب على غرب إفريقيا « بلاد السودان » فإنهم أطلقوا على منطقة الشمال الإفريقي الحالي « بلاد البيضان » وهو الوصف الذي تردد في كتابات ابن حوقل ، وابن بطوطة .

و إذا كان للعرب الفضل في دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا ، فإن العرب هم أيضًا أول من وصف جغرافية إفريقيا الغربية بوجه أخص ، وقدم للعالم أوفى المعلومات عن سكانها وتاريخها ، كما يؤكد ذلك كثير من الباحثين وعلى رأسهم الباحث الفرنسي « جوسيه كو » .

دور الطرق الصوفية على الساحة السنغالية

ولا بد هنا من التطرق إلى الطرق الصوفية في السنغال والتي كان لها دور بالغ الأثر في الإسلام وفي صفوف المسلمين . إذ إن غالبية المسلمين ينتمون إلى تلك الطرق الصوفية المنتشرة في أنحاء البلاد . وأكبر تلك الطرق : التيجانية والمريدية .

لقد انتشر الإسلام بين صفوف سواد الشعب السنغالي بعد الحروب المسماة : « حروب الأولياء » وقام هؤلاء بتعبئة الجماهير ضد سلطة الإقطاع والعبودية المتمثلة في حكام محليين تحالفوا مع المحميات الفرنسية الاستعمارية في « داغانا » على مصب نهر السنغال ، وسان لويس في إطار التجارة الأطلسية « عبيد مقابل أسلحة وخيول » .

وبرغم التعددية الكبيرة والتقسيمات التي تتصف بها الطرق الصوفية فإنها كانت جميعها تتناسى خلافاتها عند الشعور بأي خطر يهدد البلاد ، فتتوحد تحت راية الإسلام لمواجهة ذلك الخطر . فقد كان لهذه الطرق الصوفية دور كبير في تحريض الجماهير ورص صفوفها للجهاد ضد الاستعمار البرتغالي والبريطاني والفرنسي الذي تعاقب على غزو البلاد .

وفي عام 1958 م عندما قام نظام ديجول باستفتاء شعبي حول استقلال السنغال قامت الطرق الصوفية بتحريك الشعب من أجل ضمان إنجاح الاستفتاء لمصلحة استقلال السنغال .

ولاتزال هذه الطرق الصوفية بقواعدها الشعبية الكبيرة تؤلِّف قطاعًا كبيرًا ومؤثرًا بشكل مباشر في النواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . إلا أنه ظهر في الثمانينات تيار إسلامي جديد يعمل على التعريف المباشر بالإسلام وفق تعاليم

القرآن لإيجاد حل لأمراض وأزمات المجتمع المعاصر .

وعوداً على بدء نقول : ليت ذلك المد الإسلامي الذي بدأه عقبة بن نافع قد استمر بنفس الحماس والعنفوان ، وتلك الجهود التي بذلها عبد الرحمٰن الفهري في إصلاح وشق الطرق في مجاهل إفريقيا لنشر الإسلام قد تواصل ، لكانت إفريقيا اليوم بكاملها في حظيرة الإسلام . لكن المؤسف عليه أن العرب والمسلمين دخلوا مرحلة الجزر بعد المد العظيم ، فغابوا عن إفريقيا التي أصبحت فيما بعد طريقًا سالكًا لمواكب الغزاة والطامعين الاستعماريين .

الاستعمار الفرنسي جعل من السنغال مركز انطلاق إلى غرب إفريقيا

فمنذ أن آل النفوذ والسلطة للاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا ، وهي تتصرف لا كمستعمر فحسب بل كصاحب الدار ومالك القرار!

فقد أصبحت حدود إفريقيا الغربية هي حدود فرنسا فيما وراء البحار ، وأعطت مواطنيها الجنسية الفرنسية .

فلم تكن السنغال بالنسبة لفرنسا مستعمرة عادية ، إنما كانت القاعدة ومركز الانطلاق وجسرها الأول إلى غرب إفريقيا . على سواحلها وضعت أقدامها في البداية ، ومنها زحفت لتغزو أركان غرب إفريقيا .

وأصبحت « داكار » بعد الحرب العالمية الثانية عاصمة لما عرف « بالسودان الفرنسي » ومقرًّا لحاكم المستعمرات ، ومركزًا للإدارة والتجارة ، ومختلف المواصلات البرية والجوية للغرب الإفريقي كله .

وقبل ذلك بسنوات في عام 1919 م كانت فرنسا قد أنشأت في جزيرة « سان لويس » السنغالية التي اقترنت باسم الملك لويس الرابع عشر ، معهدًا قدر له أن يلعب دور الجامعة السنغالية التي تخرج منها الجيل الأول من مثقفي غرب إفريقيا .

وبرغم أن الهدف من إنشاء هذا المعهد كان تفريخ أبناء الثقافة الفرنسية وترسيخ الولاء لفرنسا . فإن بعضًا من خريجي معهد « سان لويس » ظلوا يضغطون منذ الثلاثينات مطالبين باستقلال المستعمرات ، ولم يجد هذا التيار فرصته إلا في أواخر الخمسينات

عندما وصل الجنرال ديجول إلى الحكم في عام 1958 م وأعلن وقتئذٍ أن فرنسا تتجه إلى تصفية مستعمراتها استجابة للضغوط المتزايدة من فصائل حركة النضال الوطني . وبعد استفتاء جرى في ذلك العام حصلت السنغال على « الحكم الذاتي » وأعلنت فيها الجمهورية في شهر ناصر « يوليو » عام 1958 م ، إلا أنها ظلت ضمن المجموعة الفرنسية لما وراء البحار .

ولم يستمر هذا الوضع أكثر من سنتين إذ حصلت « مالي » ـ التي دخلت مع السنغال في وحدة فدرالية عرفت باسم « اتحاد مالي » ـ حصلت على استقلالها وانفصلت عن السنغال التي أعلنت استقلالها بدورها ، ولكن فرنسا لم تغادر السنغال ! !

فقد جاءت فرنسا الاستعمارية منذ البداية مصممة على البقاء ، ضاربةً جذورها في أعماق الأرض السنغالية ، ناثرة بذور التغريب على أعرض قاعدة استطاعت أن تمتد إليها ، وقد استمرت الخيوط الوثيقة التي تربط داكار بباريس أمتن وأقوى مما يتصوره الكثيرون .

فالتاريخ السياسي للدولة السنغالية المستقلة قد ظل مطبوعًا طوال فترة ما بعد الاستقلال بسياسة الرئيس « ليوبولد سنغور » الذي يعتبر من كبار مؤيِّدي الثقافة الفرنسية والمتعصبين لها ، فالسنغال برغم أنها دولة إسلامية « 90% مسلمون » فإنها ظلت خاضعة لزعامة رئيس كاثوليكي « سنغور » الذي كان يردِّد أكثر من مرة : « أنا فرنسي » ، « أنا فرنسي » . .

فقد كانت فرنسا موجودة في الحياة المدنية والسياسية ، والاقتصادية بأبنائها الشرعيين والمحليين . .

إن النفوذ الفرنسي وصل إلى مستوى تغيير التركيبة الاقتصادية للسنغال ، لتخدم المصالح المالية والصناعية في فرنسا ، فكما فعل الفرنسيون في الجزائر التي كانت تصدِّر القمح ، عندما غيروا خريطة المحاصيل الزراعية بحيث تعطى الأولوية لإنتاج الكروم لكي تُمَوِّلَ مصانع النبيذ الفرنسية ، كذلك فعلوا في السنغال ، دفعوا الفلاحين بمختلف الوسائل إلى زراعة الفول السوداني الذي يسمونه في فرنسا « فستق العبيد » حتى بات يؤلِّف نسبة 85% من الإنتاج الزراعي في السنغال ، وذلك لمصلحة كبار مصنِّعي الزيت

الفرنسيين ، وتَمَّ ذلك على حساب الزراعات الغذائية ، الأمر الذي أدى إلى أخطر عمليتين ؛ تجويع السكان بحرمانهم من المحاصيل الغذائية ، وتسميم الأرض عن طريق تكوين طبقة من الإفرازات الحمراء على سطحها تجعلها غير صالحة لأية زراعة ! لكن ذلك لا يهم طالما أنه يكفل في النهاية تشغيل مصانع الزيوت الفرنسية .

هذه النقلة الضخمة التي حدثت سواء في ملامح السنغال أو في طبيعة الدور الذي خطط له الفرنسيون لتلعبه في غرب إفريقيا ، لم تكن لتتم لولا الجهود المكثفة التي بذلت من أجل تفكيك الشخصية السنغالية من الأساس . وذلك عن طريق محاولة اقتلاع مقوِّمات هذه الشخصية كلما أمكن ذلك .

وقد وضع الاستعمار الفرنسي هذا الهدف نصب عينيه . إذ سعى منذ جاء إلى فك ارتباط السنغال بالعروبة والإسلام ، بالاقتلاع أو بالترويض والتسكين ، وتغييرهم للبنية الاقتصادية لكي تخدم المصالح الاقتصادية الفرنسية إلى جانب البنية الثقافية والفكرية للبلاد .

عندما قدم الاستعمار الفرنسي كانت الخريطة البشرية في السنغال مكونة من شعوب وقبائل شتى زنجية سكان الساحل ، وشعب الفولانو سكان الصحراء في غرب إفريقيا والذين كانوا أول من اعتنق الإسلام في غرب إفريقيا والتكرور الذين يسكنون وادي السنغال المحيط بالنهر ، ورابع تلك الشعوب هم « السرير » أهل الغابات وسكان الجنوب والغرب .

هذه التركيبة السكانية المتعددة الأصول واللهجات ، جمع بينها الإسلام الذي كان قاسمها المشترك ، ومركز التوحد والالتقاء ، وحتى يتخلخل هذا البناء لا بد من التركيز على الإسلام بجهود تستهدف تقليص دوره على الأقل إن لم تنجح جهود القضاء عليه واستئصاله .

لكن المعركة ضد الإسلام لم تكن بالأمر الهين فقد بذلت فرنسا الاستعمارية جهودًا مضنية لتخريب العقيدة في نفوس المسلمين ، لكن كان ذلك هدفًا ظل بعيد المنال . .

ولأنه كان يريد أن يجنيَ الثمار بسرعة فإن العقل الاستعماري الفرنسي قرر أن يسعى إلى خلخلة نقطة التوحد في الشخصية السنغالية من باب آخر هو « اللغة العربية » .

ذلك أن انتشار الإسلام كان يقترن دائمًا بانتشار اللغة العربية لأن الضرورة كانت توجب على كل من يعتنق الإسلام أن يتعلم اللغة العربية ، على الأقل بالقدر الذي يساعده على أداء الفرائض والعبادات . ومن الثابت أن اللغة العربية كانت لسان حال الامبراطوريات الإفريقية القديمة ، حتى كانت العربية لغة الثقافة والإدارة معًا ، كما كان استعمالها شائعًا بين الناس في السنغال حتى بدايات القرن العشرين . يؤكد ذلك بيانات السلطات الاستعمارية الفرنسية التي تبيِّن ، **أن تلاميذ المدارس العربية في السنغال عام 1908 م وصل عددهم إلى نحو 11 ألف تلميذ من بين 50 ألف نسمة هم تعداد مستعمرة السنغال في ذلك الحين ، بل إن من الباحثين مَنْ يذكر أن مساهمة اللغة العربية في إثراء اللغات المحلية الإفريقية وصل إلى 50%** .

لقد اعتبر الاستعمار الفرنسي اللغة العربية خطرًا قرر أن يواجهه ليحاصر الإسلام ويقلص دوره . .

وهذا الهدف أكده الفرنسي « بانجير » مدير الشؤون الإسلامية لإفريقيا ، عندما أصدر مجلة عنوانها : « كارثة الإسلام » يلح فيها على سياسة الحزم تجاه الإسلام واللغة العربية ؛ لغة القرآن الكريم . وبنفس المنطق كتب « أرنو روبير » رئيس مصلحة الشؤون الإسلامية لمدينة داكار سنة 1912 م يقول : « يجب أن تكون سياسة فرنسا صارمة في إفريقيا الغربية . . ويجب وضع حد لنشاط معلمي المدارس العربية والكتاتيب القرآنية والمرابطين في البلاد . . . وتساهلنا مع هؤلاء يعني أننا نهيىء بأنفسنا اعتناق الأفارقة التدريجي للإسلام ، وبهذا نكون قد أخذنا بيد الإسلام ، ودفعنا عجلة تقدمه إلى الأمام » .

ومن الوثائق الدامغة في هذا الصدد ، الرسالة التي كتبها حاكم السنغال الفرنسي « لويس فيديرب » في عام 1857 م مخاطبًا حكومته يقول فيها :

« إن الرغبة التي يبديها الزنوج في تعلم اللغة العربية لهي كارثة بالنسبة إلينا ، وعلينا ألاَّ ننمِّيَ هذه الرغبة ، إن اللغة الفرنسية هي التي يجب علينا أن نعلمهم إياها ، وهذا

لمصلحتنا الخاصة ، ولكننا حتى الآن لم نضع أي وسيلة تحت تصرف الزنوج لهذا الغرض » .

ويواصل ليقول : « إن من بين 50 ألفاً من الأهالي الأفارقة الذين تضمهم اليوم مستعمرة السنغال أَلْفَيْ مسيحي ، لهم مدارس دينية ، لكن 48 ألفًا من المسلمين ليس لديهم أي وسيلة لتعلم لغتنا ليبدؤوا اعتيادنا ، ولكم سيادة الوزير النظر فيما إذا كان ذلك الوضع يشرف فرنسا ويخدم مصالحها » .

و « فيديرب » هذا هو صاحب القرار الشهير الذي صدر عام 1857 م في داكار بعنوان : « إصلاح التعليم العربي » والذي يكشف بصورة أوضح أساليب الاستعمار الفرنسي وخططه لحصار اللغة العربية والقضاء عليها ويقول القرار :

ابتداء من تاريخ صدوره لا يستطيع أي شخص في غرب إفريقيا أو في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا أن يباشر مهنة التعليم في المدارس العربية الحرة أو في الكتاتيب القرآنية ، بدون أن يحصل على ترخيص خاص من الحاكم العام الفرنسي لإفريقيا الغربية ! ؟

وأخطر ما في هذا القرار البند الذي يلزم كل مرشح لممارسة تعليم اللغة العربية أن يقدم مع طلبه شهادة تثبت حسن سيرته وأخلاقه .

« والمقصود بالسيرة والأخلاق هنا ، هو موقف الشخص من الاحتلال الفرنسي لإفريقيا ، وانتماؤه السياسي » ! !

أما الحاكم الفرنسي « فاليير » فقد أصدر مرسومًا حكوميًّا آخر بجانب ذلك القرار الذي أصدره « فيدبرب » عام 1870 م ينص على إجبارية تعلم اللغة الفرنسية على معلمي المدارس العربية أنفسهم في غرب إفريقيا . وذلك ليعلموها بدورهم لتلاميذهم .

وبموجب قرار فاليير هذا أصبحت الرخص التي كانت تمنح لفتح المدارس العربية والتي أقرها قرار « فيديرب » السابق الذكر ، لا تمنح لأي شخص يدرِّس اللغة العربية ، إلا بعد نجاحه في امتحان خاص في اللغة الفرنسية .

وعندما تطبق تلك السياسة بقوة السلطة و إصرارها على مدى قرن من الزمان فمن الطبيعي أن يؤدِّيَ ذلك ـ حسب اعتقادهم ـ إلى اختفاء اللسان العربي . وسد منافذ المعرفة بالإسلام ، أو تضييقها على أحسن الفروض .

لكن ذلك لم يحدث والحمد لله ، وظلت اللغة العربية راسخة في التربة السنغالية وقد كتبت مجلة (جون إفريقيا JEUNE AFRIQUE) في أحد مقالاتها أن دراسات أثبتت عام 1960 م أنه في كل قرية بالسنغال هناك أربعة أشخاص أو خمسة و إلى نحو خمسة وعشرين شخصًا عند التكرور الذين يعيشون قرب الحدود الموريتانية يستطيعون قراءة العربية وكتابتها ، **و إن هناك آخرين من « الولفيين » لا يزالون يكتبون لغتهم بالحروف العربية .**

نعم أصاب اللغة العربية بعض التشوهات هنا وهناك إلا أنها لم تمت ، ولم تُقْتَلَع جذورها من تربة السنغال على عكس ما قدر لها الاستعمار . لقد ظلت برغم كل المؤامرات والكراهية الدفينة لها من قِبَلِ الاستعمار تؤكد عمق تجذرها في المجتمع السنغالي .

إن الرغبة والإصرار اللذين يبديهما الأفارقة في تعلم اللغة العربية أثارًا حنق الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا ، لكنه لم يتنبه ولو للحظة عابرة إلى أنها جزء من التزام الإفريقي بإسلامه ، وهذه الرغبة هي التي دفعت السنغاليين إلى اختراق ذلك الحصار الاستعماري ، و إفشال خططه في اغتيال اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم .

وقد استطاع السنغاليون اختراق ذلك الحصار عبر منافذ أربعة هي : الكتاتيب ، والمساجد ، ومدارس البيوت ، والبعثات الدراسية إلى الدول العربية الصديقة .

دور الموريتانيين في الحفاظ على اللغة العربية

وهنا لا بد من أن نذكر دور الموريتانيين الفاعل في تعزيز صمود اللغة العربية داخل السنغال ، ذلك أن وضعهم الجغرافي على الضفة الثانية لنهر السنغال وتداخلهم وتواصلهم وتزاوجهم وتشاركهم في الكلإ والماء على مرِّ العصور أقام جسورًا دائمة للمدد الثقافي الذي كانت السنغال في أشد الحاجة إليه . ويمكن أن تتصور حجم هذا الدور إذا نظرنا إلى حجم وجودهم الحالي « نصف مليون نسمة في السنغال » حيث يؤلِّفون أضخم جالية في البلاد . وقد ظل هؤلاء الموريتانيون بمثابة الدعامة الأساسية التي قامت عليها مختلف حصون الدفاع عن اللغة العربية أمام الهجمة بل النقمة

الاستعمارية الشرسة .

فطوال العقود التي انقضت كان الموريتانيون إلى جانب السنغاليين عاكفين على تحفيظ القرآن الكريم للأجيال المتتابعة ، وتلقينهم بعضًا من علوم الفقه وقواعد اللغة العربية في الكتاتيب التي كثيرًا ما تنعقد حلقاتها تحت ظلال الأشجار وفي الطرقات ثم ينتقلون بعد سنوات قليلة إلى الدراسة بالمسجد لمستوى أعلى من المواد .

وقد أنشأت كثير من العائلات العريقة خصوصًا أسر الشيوخ وعلماء الدين ، فصولاً للغرض ذاته أو حلقات داخل بيوتها الكبيرة . .

ومن تلك الأسر من سعى إلى إنشاء معاهد دينية ، وتدرس فيها اللغة العربية كما تدرس مناهج الثقافة الإسلامية .

وإلى جانب هذا التعليم الأهلي فإن هنالك مدارس حكومية لتعليم اللغة العربية كانت اختيارية منذ بداية الستينات ، ومنذ العام الدراسي 1979 / 1980 م أصبحت إجبارية لكل تلاميذ المرحلة الابتدائية . أما في الجامعات فليس أمام كلٍّ من يريد أن يدرس العربية سوى الالتحاق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب .

وهنالك معهد الأزهر بمدينة تييس لتقديم المعارف الإسلامية لأبناء المسلمين عن طريق حفظ وتطوير الثقافة الإسلامية واللغة العربية وفقًا لأحدث أساليب التربية والتعليم .

المد الإسلامي الجديد

وإذا كان المد الإسلامي قد انحسر قليلاً خلال فترة الاستعمار فقد عاد في فترة السبعينات وبداية الثمانينات ليلعب دوراً رئيساً بارزاً على الصعيد الاجتماعي في السنغال ، متمثلاً في تعدد الجمعيات الإسلامية ، وفي انتشار المساجد التي لا تكاد تفرغ من المصلين . كما برز هذا التجدد والمد الإسلامي في مساهمة شخصيات إسلامية في إنعاش حياة الجمعيات ببناء المدارس الإسلامية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم والمساهمة في بناء الجامعة الإسلامية .

وتجدر الإشارة هنا إلى وقوف ثورة الفاتح الإسلامية إلى جانب الشعب السنغالي

متمثلاً في الزيارة التاريخية التي قام بها الأخ الثائر المسلم معمر القذافي عام 1986 م إلى عدد من الدول الإفريقية وفي مقدمها السنغال ، من أجل جمع الصف العربي الإفريقي ، وتعزيز روح النضال والجهاد المصيري المشترك لوقف زحف قوى الشر ، وانتزاع الحق الإفريقي في الحرية والاستقلال ، والتغلب على الأزمات والكوارث والمشاكل الاقتصادية الناجمة عن الهيمنة والتغلغل الاستعماري .

وقد تَمَّ خلال تلك الزيارة الاتفاق بين البلدين على إنشاء مصرف عربي ليبي - سنغالي ، وشركة ليبية سنغالية قابضة للاستثمارات في ميادين الزراعة وصيد الأسماك والصناعة وقطاعات التنمية الأخرى ، وكذلك توسيع التبادل التجاري بين الجماهيرية العظمى والسنغال .

وفي نفس هذا الإطار قام وفد من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية برئاسة الأمين العام للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية بزيارة إلى السنغال عام 1987 م للتعرف إلى أحوال المسلمين والعمل على حل مشاكلهم ، وتوثيق علاقات التعاون بين الجمعية واتحاد الجمعيات الإسلامية بالسنغال . وتَمَّ خلال تلك الزيارة بحث البرامج التي تخدم المسلمين في مجال الثقافة الإسلامية ، ورفع مستوى تعليم اللغة العربية ، وتَمَّ الاتفاق على خطوات عملية محدَّدة في هذا الشأن .

هذا فضلاً عن الدعم الذي قدمته الجمعية إلى الاتحاد الثقافي الإسلامي والمشروعات الإسلامية المتعددة بالسنغال .

الجالية اللبنانية في الأرض السنغالية

يقال : إن أول لبناني وطئت قدماه أرض السنغال كان في عام 1890 م ويدعى نجيب عكر ، ومعنى ذلك أن الوجود اللبناني في الطرف الغربي للقارة الإفريقية يكون قد مضى عليه قرن من الزمان حافل بكثير من المعطيات والإنجازات التي يذكرها السنغاليون أنفسهم .

والآلاف المؤلَّفة من اللبنانيين الذين يعيشون اليوم ويعملون وينتجون في وطنهم الثاني السنغال هاجروا إليها على موجات متلاحقة ، منهم من استقر هناك ، ومنهم من

هاجر مجددًا إلى الدول الإفريقية المجاورة .

أما الذين استقر بهم الحال في السنغال فقد وجدوا في العمل بالتبادل التجاري ، وفي شق خطوط السكة الحديدية داخل البلاد فرصة جيدة لربط الصلات الحضارية والثقافية القديمة واستئناف الجسور التي حاول المستعمرون قطعها ، فما إن مضت سنوات قليلة حتى تمكن المهاجرون من إقامة علاقات وثيقة مع أهل البلاد والتكيف مع الأجواء الطبيعية والاجتماعية والسياسية فراحوا يشقون طريقهم كما فعل إخوانهم في بلاد المهجر الذين انتثروا في أنحاء الكرة الأرضية.

بعضهم جاء هربًا من الأتراك ، وأعمال السخرة ، ومن الوضع المعيشي القاسي خلال الحربين العالميتين إلى السنغال على أمل العودة إلى الوطن بعد أن تتحسن أحوالهم ، لكنهم عندما ذاقوا طعم النجاح في أعمالهم التجارية مددوا الإقامة المؤقتة ، لتصبح دائمة واستقروا بعدها ورتبوا معيشتهم على هذا الأساس في السنغال أرض الضيافة والكرم والتسامح كما اشتهرت في إفريقيا ، ولم يكونوا ليستقروا لولا الأخلاق الحسنة التي يتمتع بها السنغاليون الذين احتضنوهم ومدوا لهم يد العون والمساعدة ، وعاملوهم لا كضيوف ، وإنما كإخوة أتوا من بلاد الشرق حيث الديانات والحضارات تتلاقى وتتآخى وتتفاعل .

وعندما تحسنت أحوالهم تحولوا إلى مشاريع مشتركة انطلقت بهم على درب التجارة والصناعة ، وتقول بعض الإحصاءات الرسمية : إن اللبنانيين أنشؤوا خمسين مصنعًا مختلفًا تؤمِّن العمل لنحو 5 آلاف سنغالي ، جاء هذا ضمن تقرير قدم للسلطات الرسمية من السفير اللبناني يوضح النقلة الكبيرة لدى اللبنانيين من التجارة إلى الصناعة .

وبعض من الجيل الجديد انصرف لاكتساب العلوم العصرية في الجامعات السنغالية وابتعد عن مهنة الآباء والأجداد (التجارة) إلى المهن والحرف الأخرى على اختلاف أنواعها ، من طب ومحاماة وهندسة وصيدلة ، كما انخرط بعضهم في الجيش السنغالي . بل إن بعضهم من الأطباء خدموا في المستشفيات الحكومية السنغالية في أقاصي الريف والأحراش لمدة عشرة أعوام قبل أن يفتحوا عياداتهم الخاصة داخل المدن وفق ما تنص عليه قوانين البلاد بالنسبة للأطباء الأجانب .

هذه الأعمال وغيرها قابلها الشعب السنغالي بالجميل والعرفان حيث أطلق اسم :

اللبناني « عبد الكريم برجي » أحد المناضلين البارزين الذين ساهموا في نيل السنغال استقلالها ، على أحد أهم شوارع العاصمة الرئيسة ، تكريمًا له وعرفانًا بدوره .

وفي بداية الثمانينات تسلم عبده ضيوف دفة الحكم ، وهو أول رئيس مسلم يجيء إلى سدة الحكم في السنغال ذات الأغلبية المسلمة .

ولم يترك ضيوف مناسبة إلا ركز فيها على ضرورة الحفاظ على العلاقات الإفريقية ـ العربية وتوطيدها ، والتزام السنغال الدائم بخدمة قضية اللاجئين من خلال الضيافة الكريمة التي تقدمها للإخوة الأفارقة والعرب الذين قدموا إلى السنغال باستقبالهم وتسهيل أمورهم ودمجهم في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

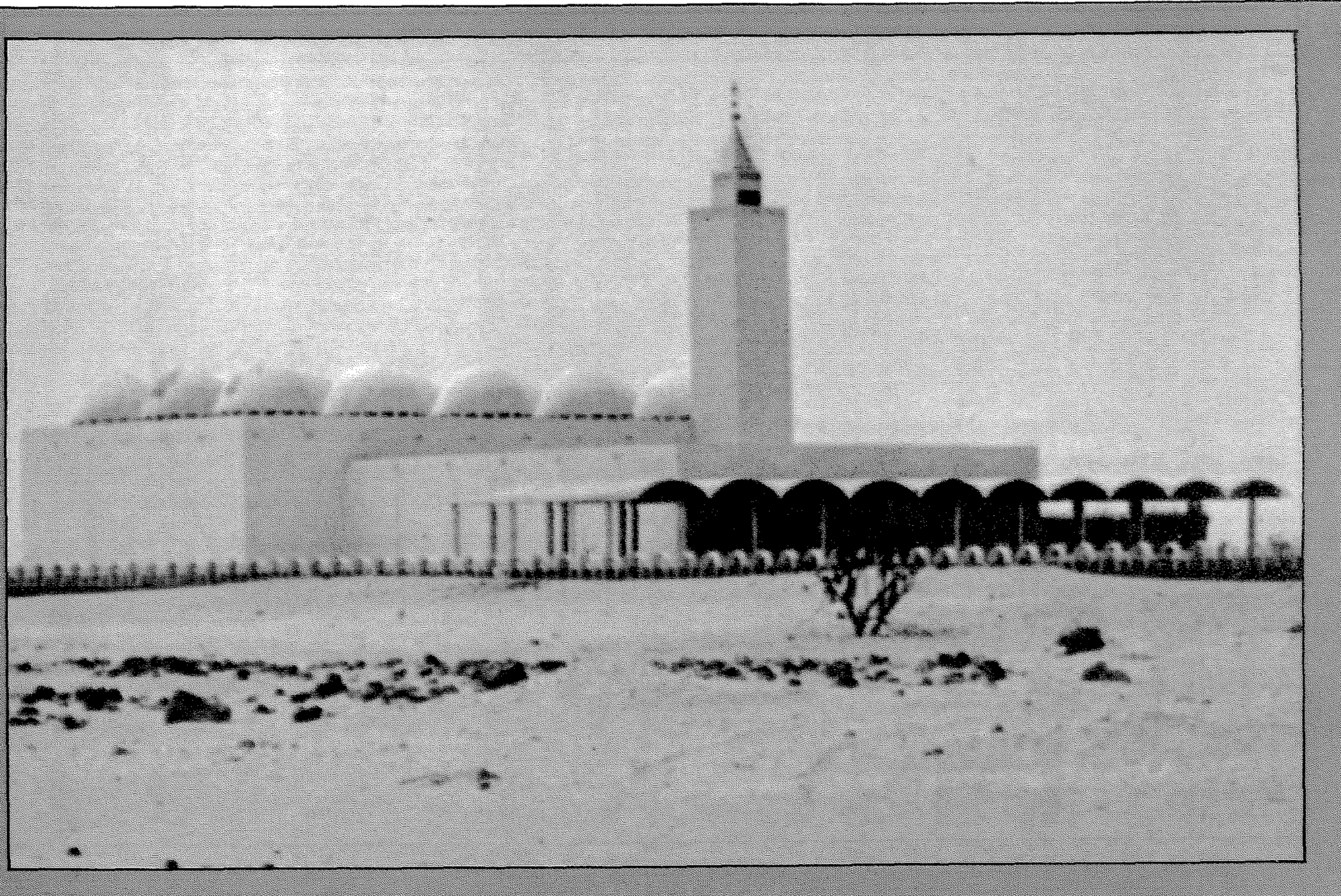
وللسنغال موقف واضح و إيجابي من النزاع مع العدو الصِّهيوني ومن القضية العربية الفلسطينية ، ويتضح ذلك في تأكيد السنغال مقاطعة العدو الصِّهيوني واعتبار عنصرية وتوسع العدو الصِّهيوني يؤلِّف عقبة كبرى في طريق حل عادل لهذه القضية ، وإن السنغال لا تفكر أبدًا في إعادة علاقاتها مع العدو الصِّهيوني .

لا شك في أن هذا المستوى الرفيع للتلاحم والترابط الإفريقي ـ العربي كما شاهدناه . والذي بدأ منذ عصور بعيدة في التاريخ . حينما حمل العرب دينهم ولغتهم وثقافتهم إلى إخوانهم في قلب القارة الإفريقية وأطرافها لصياغة مستقبل واعد ومشرق ، ووقفوا معًا في الأزمات والكوارث والمحن ، وضد جحافل الغزاة الاستعماريين حتى تحقق استقلال القارة السمراء .. لا شك في أن ذلك كله ظل بمثابة الجرح الغائر في كبد المستعمرين الذين طردوا من هذه الجنة الوارفة إفريقيا .

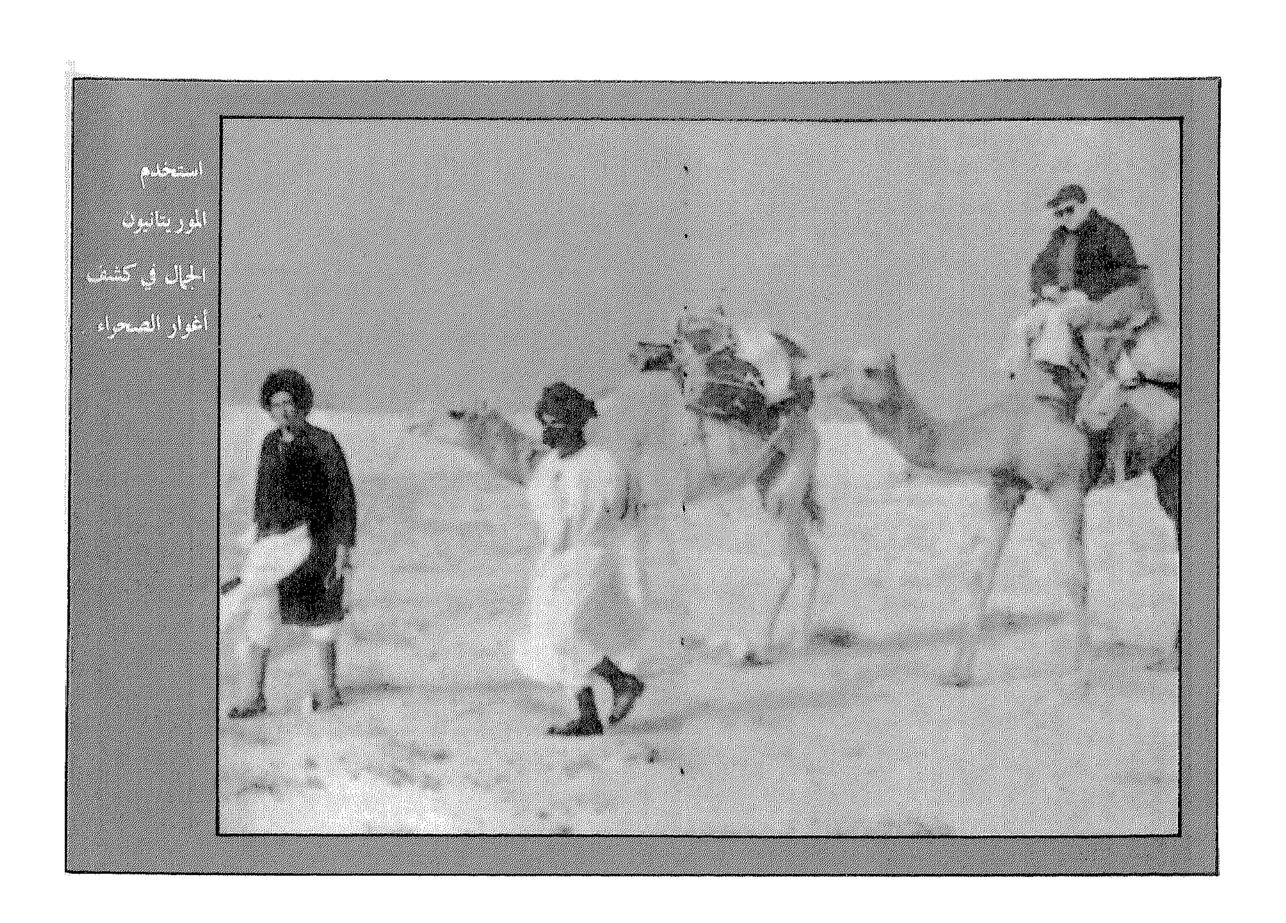
ثم جاءت مقاطعة إفريقيا لربيبة الاستعمار العدو الصِّهيوني عام 1973 م لتزيد الجرح غورًا ونزفًا . ومن ثم نشطت الدوائر الصِّهيونية والصليبية لبذر بذور الفرقة والخلاف ، وخلق بؤر التوتر بين الأفارقة والعرب . . . وما الأحداث والتوترات التي حدثت بين الشعبين السنغالي والموريتاني خلال شهر الطير « ابريل » الماضي ، والتي تواصلت لتشمل الجالية العربية اللبنانية في الأراضي السنغالية إلا جزء من المخطط الاستعماري من أجل الإيقاع بين الأفارقة والعرب لتمزيق هذا الجسد الواحد ليتسنى للعدو الصِّهيوني ومن خلفه الصليبية التسلل إلى قلب القارة الإفريقية الواعدة .

هذا المخطط الاستعماري القذر يجب ألاَّ يفوت على الأفارقة والعرب ، بل يجب كشفه وتعريته ، و إخماد الفتنة في مهدها ، ليظل التلاحم الإفريقي العربي قائمًا ، على عرى الإسلام والجوار والإخاء والمستقبل والمصير المشترك .

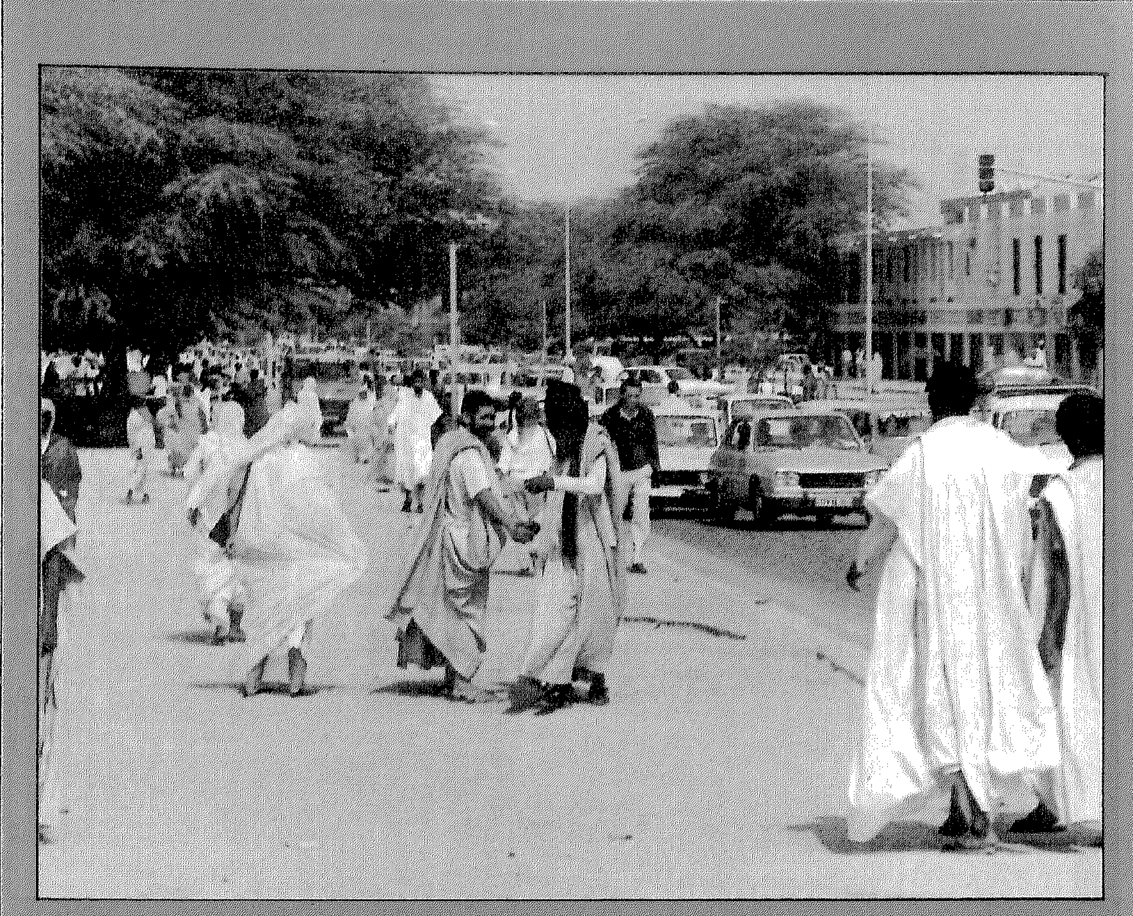
والسنغال بكل تلك المواصفات والمقومات التي شاهدناها تمتلك المؤهلات القوية لتصبح قلعة كبرى من قلاع الإسلام في غرب إفريقيا ، وعلى ضفاف المحيط الأطلسي برغم كيد الكائدين وطمع الطامعين .



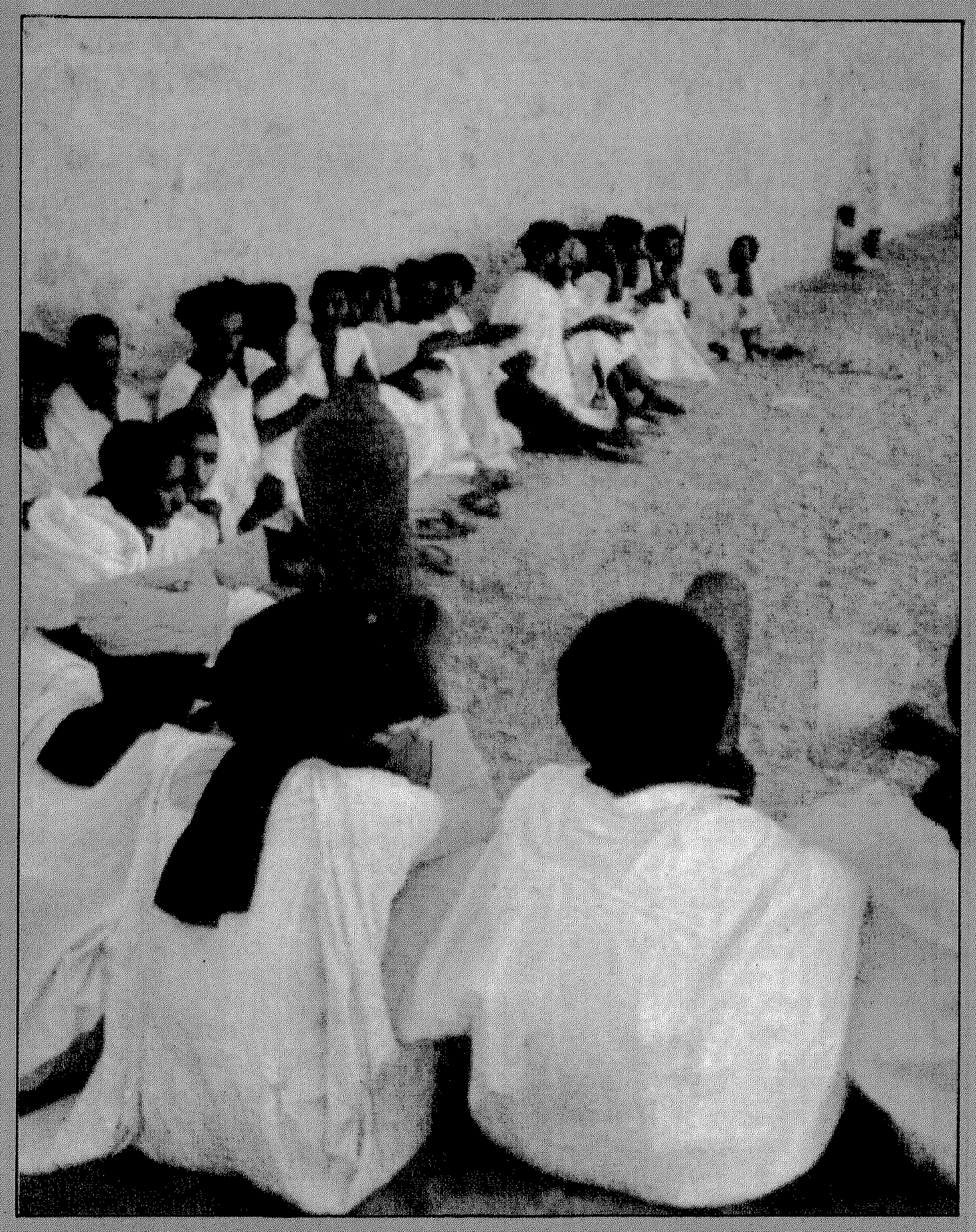
الجامع الكبير في نواكشوط .



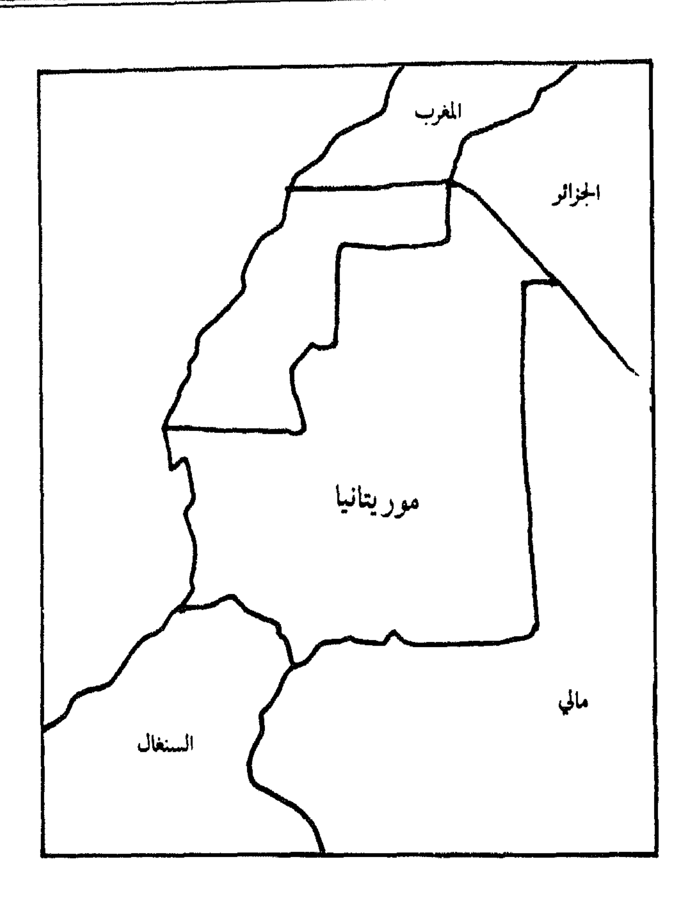
استخدم الموريتانيون الجمال في كشف أغوار الصحراء .



أحد شوارع نواكشوط العاصمة.



الشعب الموريتاني في مقدمة الشعوب المحافظة على القرآن الكريم .


المغرب
الجزائر
موريتانيا
مالي
السنغال

بالرغم من أن جمهورية موريتانيا الإسلامية قد استقلت من سيطرة الاستعمار الفرنسي عام 1960 إلا أنها لم تنضم إلى جامعة الدول العربية إلا في عام 1973 وكانت طوال هذه الفترة تحاول الفكاك من ثقل الهيمنة الفرنسية ، التي تحاول إبقاءها ضمن المجموعة الإفريقية الناطقة بالفرنسية ، حيث بقيت جامعة « داكار » الإفريقية أقرب منالاً لها من العديد من الجامعات العربية .

فقد حاول الاستعمار الفرنسي طمس الهوية العربية الإسلامية لهذا القطر العربي . . وعزله عن بقية الأقطار العربية ، ودمجه في الإطار الإفريقي . . مع أنها تؤكد أصالتها العربية وانتماءها العربي الإسلامي ، وتحاول جاهدة أن تلعب دورها كجسر للعروبة والإسلام إلى إفريقيا . .

الموقع الجغرافي

تقع موريتانيا بين خطيْ طول « 15 و17 » غربًا ، وخطيْ عرض « 16 و26 » شمالاً ، ويحدها من الشمال الشرقي الجزائر ، ومن الشمال الغربي المغرب .

أما في الشرق فتحدها جمهورية مالي ، وفي الجنوب السنغال ، كما يحدها من الغرب المحيط الأطلسي .

وتبلغ مساحة موريتانيا 1.130.000 كيلومتر مربع بما في ذلك « تيرس الغربية » ، ويطبع الجفاف المظاهر الطبيعية في موريتانيا ، بالإضافة إلى تأثيره على السكان الذين لا يتجاوز عددهم 1730000 حسب تقدير عام 1982 م ، وهذا التأثير يفرض حدودًا قاسية في وجه محاولات التنمية والاستصلاح في موريتانيا .

ولموريتانيا ساحل طويل يطلُّ على المحيط الأطلسي يبلغ طوله نحو ألف كيلومتر . وقد أضفى هذا الموقع البحري عليها مميزات خاصة ، وفتح لها آفاقًا عديدة ، إلا أن هذه السواحل الطويلة تتميز بالاستواء وقلة التعاريج والخلجان ، مما حدا بالاستعمار إلى التمركز في بعض المناطق الملائمة مثل: الرأس الأبيض ، بالقرب من وادي الذهب ، والموقع الذي أنشئت فيه العاصمة نواكشوط وميناء بورت آتين .

أرض التلاقي الطبيعي والبشري

وتعتبر موريتانيا أرض الالتقاء الطبيعي والبشري فهي تؤلف الالتقاء بين إقليمين طبيعيين شمالي وجنوبي بينهما خط وهمي يمتد من نواكشوط حتى مدينة« النعمة » ، مارًّا بالمجرية ، وتامشكط ، وعيون العتروس حيث تقع شمال هذا الخط المنطقة الصحراوية ، بينما تقع جنوبه المنطقة الساحلية .

أما من الناحية البشرية فيوجد في موريتانيا العرب الرحّل ، إلى جانب الأفارقة على السواحل الجنوبية ، فهي بذلك تؤلف همزة وصل تاريخية وجغرافية وسياسية ما بين المغرب العربي و إفريقيا السمراء ، ولذلك يطلق عليها « جسر العروبة والإسلام إلى إفريقيا » .

إحساسها بالعروبة لا يعادله أي إحساس

ويتجاذبها اليوم غرب إفريقيا من جانب ، وشمالها من جانب آخر ، فهي تقع في الركن الجنوب الغربي لإفريقيا في النطاق الصحراوي الذي يعتبر أكبر اتساع للأراضي الجافة في العالم . وهي عضو مؤسس في منظمة الوحدة الإفريقية ، والمنظمات الإفريقية المختلفة ، وعضو أيضًا في جامعة الدول العربية ومنظماتها المختلفة من جانب آخر ، وهي تشترك في ذلك مع كلٍّ الدول العربية الإفريقية .

لكن إحساس الشعب الموريتاني بعروبته لا يعادله أي إحساس شعب آخر ، ومع ذلك ظلّ يعيش لفترة طويلة ماضية معزولاً عن أي نشاط عربي بفعل المخطط الاستعماري الفرنسي الذي يسعى لإبقاء موريتانيا ضمن مستعمراتها الإفريقية .

ويقال : إن الإسلام قد وصل إليها في عام 12 بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما اتجه « بسر بن أبي أرطأة » القائد الإسلامي ، بأمر من عمرو بن العاص إلى منطقة « وادان » فافتتحها ، ولكن أهل وادان نقضوا العهد بعد الفتح ، فخرج إليهم « عقبة بن

نـافع » بنفسه عام 35 بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في أربعمئة فارس وتَمَّ له فتح « وادان » ثانية .

ووادان معناها الواديان: العلمي ، ووادي النخيل ، واليوم أضحت وادان أطلالاً تسعى الحكومة إلى إعادة الحياة إليها لاعتقادها أنها يمكن تحويلها إلى مزرعة كبيرة تستطيع مدَّ موريتانيا بحاجتها من القمح والشعير والخضراوات ، فالمنطقة أخصب رقعة زراعية في الشمال ، وإنقاذها يحتاج إلى بناء سدٍّ قوي يكلف عدة ملايين بدلاً من السدود الضعيفة التي كلفت إقامتها مليونًا ونصف المليون من الفرنكات ، ثم ما لبثت أن جرفتها السيول معها .

شنقيط الاسم العربي لموريتانيا

وقد عرفت موريتانيا عند العرب باسم « شنقيط » وهي قبيلة عربية عريقة كانت تفد إلى مكة المكرمة للحج كلَّ عام سيرًا على الأقدام ، وقد ورد ذكر شنقيط في رحلات ابن بطوطة حيث ذكر أن منطقة شنقيط تشتهر بالملح المركز الثمين فقال: « والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادًا ولا إدامًا ولا دينارًا ولا درهمًا ، إنما يحمل قطع الملح وحليَّ الزجاج » ويقال: إن السر في هذا الإقبال الغريب على ملح جبال شنقيط هو اعتقاد أهل إفريقيا أن هذا الملح يحوي قوة دافقة تنعشهم وتقويهم . والملح كان وما يزال على نطاق ضيق جدًّا هو وسيلة التبادل الوحيدة بين سكان الصحراء الأصليين . . يتعاملون به كما لو كان ذهبًا أو فضة أو نقودًا ! !

وظلت قوافل الجمال تسلك الطريق من شنقيط إلى سان لوي وتمبكتو ، مدة ثلاثة قرون . . وفي عام 1909 سلكت القوات العسكرية الاستعمارية نفس طريق القوافل لاحتلال شنقيط ومنطقتها « أدار » فقد جاؤوها من الجنوب .. من السنغال ، وانتهت المعارك العديدة بمعركة ضارية في جهة « جمدون » بانتصار الأسلحة الاستعمارية الحديثة على العرب المحاربين فوق ظهور الجمال ، وبعدها أصبحت الطريق سالكة أمام الفرنسيين ، الذين احتلوا شنقيط العربية .

وقد لعبت شنقيط لفترة طويلة دور همزة الوصل بين إفريقيا والعرب عندما كانت

إحدى بلاد التخوم العربية ونقطة تماس داخل الحزام الإفريقي . حملت خلال عدة قرون مشعل الدعوة الإسلامية إلى ما وراء الصحراء .

وحمل الموريتانيون إلى أهل السنغال بضائعهم وثرواتهم ، ومعها الإسلام ، فاعتنقه أهل هذا البلد الإفريقي وأصبح دينهم الرسمي ، فقد أتمَّ أجدادهم نشر الإسلام في السنغال منذ مئات السنين . وما زال أغلب أهالي موريتانيا يعيشون على هذا المجد العريق كرسل معرفة إلى الأشقاء من أبناء إفريقيا .

وأصبحت شنقيط مركزًا لتبادل الأفكار والسلع . وأحد مصادر الإشعاع للحياة الدينية والثقافية ، ومنها الشيخ الشنقيطي الذي حقق كتاب « الأغاني » الشهير .

لا يمكن الإلمام بطبيعة الصعوبات التي تواجه موريتانيا إذا اقتصر الحديث على مدنها الساحلية ، لكن يمكن الوقوف على بعض أسرارها عند التجول في الفيافي الشاسعة والوقوف عند محطات القوافل التي تزدهر فيها حياة البادية ، وتراها وجهًا لوجه في مدن مثل بوتيلميت ، وكيفة ، ونعمة ، وأطار ، وهي أقرب إلى القرى الكبيرة منها إلى المدن ، وقد كانت النواة الأولى لموريتانيا ، وإليها تقاطر العرب ، وسيطروا على مصدر الحاصلات الزراعية وطرق تجارة الصمغ ، وعندما اصطدموا بالغزاة الأوروبيين القادمين من الجنوب في المرحلة الاستعمارية ، تخصص البدو في الطريق القاري وسط الصحراء ، وتخصص الاستعماريون في الطريق البحري وبقي التكوين البدوي ، وظلت مجتمعات القرون الوسطى القائمة على رؤساء القبائل وزعماء العشائر مع ضعف السلطة المركزية .

الحياة البدوية إحدى صعوبات موريتانيا

ولا تزال المساحات الشاسعة بين المدن والتي تتخللها كثبان الرمال تحتفظ بأصالتها البدوية الرعوية ، ولا تزال خيام الرعاة متناثرة على طول الطريق ، وعشرات قوافل الجمال والماشية مع الرعاة تجوب الصحراء باحثةً عن الكلإ والماء ، حاملة معها الأوتاد والحبال وخيام الشعر ، فمتطلبات الحياة عند البدوي في منتهى البساطة ، يطوي بيت الشعر ويضعه فوق جمله ويرتحل لعدة أيام وأسابيع حتى يعثر على الأرض التي تناسبه . .

لقد كانت هذه الصحراء يومًا صحراء الملثمين ، يقيهم اللثام رمال الصحراء . إنها صحراء غير يسيرة ، أحدث الجفاف تصدعًا كبيرًا في مجتمعها الرعوي ، مجتمع الاكتفاء الذاتي القديم بعد أن نفق نحو 80% من حيوانات الرعي ، وهاجر أعداد كبيرة من رجال القبائل ، وجف العديد من الآبار .

وموريتانيا هي الصحراء التي تتكوَّن منها أجزاء واسعة في الوطن العربي ، وهي جافة قاسية عندما تخلو من الحياة الطبيعية والبشرية ، والمدن واحات ومحطات حياة وسط خلاء موحش ، والنطاق الذي ضربه الجفاف واستمر عشر سنوات هو جزء من نطاق عام في شمال إفريقيا ، وحدودها تتسع أو تنكمش تبعًا لكمية الأمطار التي تسقط عليها أو تنقطع عنها ، وتمتد من موريتانيا غربًا إلى تشاد وحدود السودان شرقًا .

ويتنقل البدو في هذه الصحراء متجاهلين الحدود السياسية بين كلٍّ من موريتانيا ومالي والسنغال حسب وفرة المياه وكثافة المرعى ، وأكبر الأخطار التي تهدِّد موريتانيا هو التصحر واقتلاع الأشجار ، وقد بيَّنت الأبحاث أن هذه الصحراء كان بها العديد من البحيرات التي غار ماؤها.

العاصمة الموريتانية

أما نواكشوط العاصمة الموريتانية فهي أصغر العواصم العربية عمرًا ، وقد قامت وتطورت مع الاستقلال ، فهي ليست عاصمة تاريخية مثل شنقيط ، بل قامت بدافع سياسي خاص ، وكحل لإحدى مغامرات فرنسا التي كانت تدير موريتانيا من خارجها ، من مدينة « سانت لويس » الواقعة على نهر السنغال ، ولم يكن مكان نواكشوط سوى ثكنة عسكرية فرنسية على الطريق الاستعماري الذي يربط شمال إفريقيا بغربها . وجاءت متوسطةً نسبيًّا بين المناطق التعدينية في الشمال ، والمناطق الزراعية في الجنوب ، وبين المناطق السكانية ، ذات الكثافة جنوبًا وتلك المخلخلة شمالاً .

وفي العاصمة الموريتانية ترى الرجال في الطرقات يرتدون زيهم المميز « الدراعة » وهي عباءة خاصة مفتوحة من الجانبين بلا أكمام وغالبًا ما يكون لونها أزرق ، وفي الأغلب ترى المسواك في أفواههم .

ومن يتجول في شوارع نواكشوط وفي المدن الموريتانية المختلفة يلحظ المفارقة الكبيرة المتمثلة في الحيرة بين الماضي والمستقبل ، بين المجتمع التقليدي الضارب بجذوره في الصحراء والذي ما زال يقوم على أسس عشائرية ، وبين المستقبل الذي يتساوى فيه المواطنون في إطار الوطن الواحد .

مجتمع الانتماء الواحد

فموريتانيا تمرُّ بمرحلة انتقالية دقيقة بين مجتمع العشائر ومجتمع الانتماء الواحد . ولعل صدور قانون الإصلاح الزراعي الذي يلغي ملكية القبيلة هو أول محاولة لاقتحام أوضاع الصحراء والتأثير عليها وصهرها في المجتمع الحديث .

فالمجتمع الموريتاني ينقسم بحدة إلى فئات اجتماعية تقوم على الأنساب بشكل صارم . ومن المألوف أن تحتفظ كلُّ قبيلة في مكان أمين بشجرةالعائلة التي تحدد القبيلة الأصلية التي تنحدر منها وتنتمي إليها ويتمثل مقياس الشرف عند البدوي في نقاء نسبه ، ويرفض الاعتراف بأبناء القبيلة إذا كانوا ثمرة اتصال غير متكافيء .

وذكر الباحثون أن هناك في موريتانيا من يطلق عليهم صفة البيضان وآخرين يطلق عليهم السودان ، أما البيضان فيطلق على الذين يتكلمون العربية من عرب أو زنوج تَمَّ اندماجهم في مجتمع البيضان ، بينما يطلق السودان على الذين يتحدثون باللغات الإفريقية ، وليس لهذا التقسيم أي علاقة باللون أو العنصر كما هو حادث في المجتمعات العنصرية .

يقول الدكتور أبو العلا في ذلك : «لا يعني الاسم أن بشرتهم دائمًا فاتحة اللون بل يعني الذين يعتزون بثقافتهم ولغتهم العربية مهما اختلف لونهم» .

الظروف الاقتصادية التي تواجهها موريتانيا

تواجه موريتانيا ظروفًا اقتصادية صعبة ، ويكفي أن نعلم أن متوسط دخل الفرد لا يزيد على 320 دولارًا في السنة . وأهم المصادر الاقتصادية يأتي من تصدير خام الحديد والثروة

السمكية التي أقامت موريتانيا سوقًا دولية لتسويقها في منطقة «نواذيبو» .
وموريتانيا أرض صحراوية تصل مساحتها إلى مليون و130 ألف كيلومتر مربع ، ولا تملك سوى شريط زراعي ضيق على نهر السنغال وشواطيء تمتد ألف كيلومتر على الأطلسي مصدر الثروة السمكية ، وهي خامس دولة عربية من حيث المساحة ، وأقل الدول العربية كثافة في السكان.

تركتها فرنسا الاستعمارية وليس بها شارع مرصوف

وقد تركها الاستعمار الفرنسي بعد أن امتص خيراتها وليس بها شارع واحد مرصوف . وبقيت مدن القوافل القديمة في الصحراء على حالها ، مما جعلها تستهلك دخلها المحدود في إقامة البنية الأساسية . وبرغم أنها قامت بوضع خطة استثمارية طموح خلال السبعينات فإن الجفاف والتصحر وما صاحب ذلك من انخفاض الناتج الرعوي أدَّى إلى عدم تنفيذها بالصورة الطموح المطلوبة .

ترقد موريتانيا على جبل من خام الحديد

وهذا لا يعني أن موريتانيا فقيرة ، بل العكس يرقد في باطنها من المعادن والثروات والمياه ما لا يوجد في كثير من البلدان الأخرى . ولكنها ما زالت أرضًا بكرًا لم تمسسها يد ، ثرواتها دفينة تحت رمالها الصحراوية ، والجزء الضئيل من الثروة المستثمرة تحيط به مؤامرات دولية تعرقل إنتاجه ، وتقف استغلاله .
وحول «شنقيط» تقع ثروة موريتانيا الأسطورية «الحديد» الذي ينتشر على هيئة سلاسل من الجبال . زارها الجغرافي العربي «البكري» في أوائل القرن الحادي عشر ، واسترعت انتباهه خامات الحديد في «كديت الجلد» بلونها الأسود ، ووصفه فقال: إن العمل كان قائمًا على قدم وساق في ذلك الزمن البعيد .
ويقال: إنه عند اندلاع الحرب العالمية الثانية شكا الطيارون من حدوث تغييرات غريبة على مؤشر «البوصلة» في كلِّ مرة يطيرون فيها فوق الجبال المحيطة بشنقيط .

وبعد أن وقفت الحرب جاء الخبراء لكشف سرِّ تلك الظاهرة الغريبة ، وما كادوا يبدؤون عملهم حتى اتضح لهم أن جبال «سفاريات» و«كديت الجلد» ما هي إلا كتلة هائلة من الحديد ! !

وفي الحال نقلوا نماذج من الأحجار إلى المعامل المختصة لفحصها عام 1951 وكانت النتيجة مذهلة ، فقد ثبت أن هذه الأحجار تحوي 94.52% من أكسيد الحديد ، وهذه النسبة تضارع أعلى نسبة حديد موجودة في مناجم العالم .

وعلى طول الطريق الذي تسلكه القوافل الممتد من «وادان» إلى «شنقيط» يلاحظ المسافر أرقامًا مكتوبة باللون الأبيض على الأحجار ويقول الأهالي : إن عملية مسح شاملة أجريت مرتين لثروات هذه المنطقة والمرة الأخيرة كانت عام 1960 م .

أضخم مشاريع استخراج الحديد في الوطن العربي

وبدأت موريتانيا في التركيز على المناجم التي أثبتت الكشوفات أنها ترقد على ثروة هائلة من الحديد إلى جانب وجود النحاس والذهب والجبس وغيرها من المعادن والتي لا تحتاج إلا لرأس المال والخبرات حيث قامت موريتانيا بتنفيذ أضخم مشاريع استخراج الحديد في الوطن العربي .

ويقوم خط سكة حديد يربط مناجم الحديد «بالزويرات» بميناء التصدير في «نواذيبو» وهو أطول قطار سكة حديد إذ يبلغ عدد عرباته 191 عربة ، كما ثبت وجود كميات كبيرة من النحاس تبلغ 600 ألف طن من فلز النحاس ومعها 47.3 طن من الذهب ، وثالث المشروعات التعدينية هو استخراج الجبس الذي قُدِّرت احتياطاته بنحو مليون طن .

المخزون الاحتياطي من خام الحديد

أما المخزون الاحتياطي من الحديد الخام حسب الدراسات الأولية في مشروع «القلابة» فهو مليار ونصف المليار طن . ويُتَوَقَّعُ أن يصل الإنتاج في شركة « ستيم » إلى 30 مليون طن من الحديد الخام قبل عام 2000 .

وهذا الارتفاع في كميات الإنتاج سيتطلب توظيف نحو 20 ألف عامل . ومقدر له أن يساعد في دعم الخزينة العامة بقاعدة اقتصادية بعد نشوء صناعات تحويلية يحقق لموريتانيا الاكتفاء الذاتي إذا أحسنت استغلاله .

وقد أثبت مشروع «القلابة» قدرة الإنسان الموريتاني في مجال أعمال الحديد والمناجم ، وأكد أن بإمكانه ـ إذا ما أتيحت له الفرصة ـ تحقيق إنجازات ضخمة لا تقل عن قدرة أي إنسان في مكان آخر ، خاصة بعد أن أصبح في موريتانيا اليوم عدد من القطاعات الفنية والإدارية التي تستطيع ممارسة العمل الفني والتقني بنجاح كبير .

مصاعب التعليم في البادية

إن مشكلة موريتانيا الأولى هي الحياة البدوية التي يحياها نحو 80% من مجموع السكان ينتقلون من منطقة إلى أخرى داخل أكثر من مليون كيلومتر مربع ، وهذا الوضع يجعل مسألة التعليم مشكلة مستعصية ، وقد عمدت وزارات التعليم المختلفة ـ للتغلب على هذه الوضعية ـ إلى إنشاء المدارس المتنقلة ، فعندما يجتمع عدد من الطلبة لا يقلُّ عن العشرين ترسل إليهم أستاذًا يتنقَّل معهم في ترحالهم وتجوالهم ويعلمهم دروس الصفين الأول والثاني ، وبعدها يُرسَل الطلبة المتفوقون إلى مدارس داخلية ثابتة في القرى والمدن بعيدًا عن محيط العائلة لتكملة دراستهم الابتدائية .

وهذا النظام من المدارس المتنقلة مع البدو أخذ عددها يقلُّ سنويًّا بعد أن بدأ الشعب يستقر في أماكن ثابتة ، وبدأت القرى والمدن تظهر في أماكن عديدة من البلاد .

نظام «المحاظر» ساعد في نشر الإسلام

وهناك ما يعرف بنظام «المحاظر» التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر ، وكان اسمها في الماضي «الزوايا» وفيها يبدأ الصبي حفظ القرآن الكريم المكتوب على ألواح بالخط العربي الجميل . واللوح في ذاته تحفة فنية . وكان دورها التاريخي إعدادَ الدعاة وسط الصحراء وعند التخوم لحمل الرسالة الإسلامية .

وامتزجت في هذه «المحاظر» الحركة الصوفية مع البيئة الصحراوية لتحوِّل الشعب الموريتاني من مجموعة من الرعاة إلى شعب يملك تراثًا ثقافيًّا إسلاميًّا عميق الجذور في غرب إفريقيا .

ويشترك الصبيان والفتيات في الدراسة بهذه «المحاظر» ، ويعيش التلاميذ ظروفَ تقشف قاسيةً حيث يأتي الدارس ببقرته أو عنزه التي يشرب من لبنها ويعيش في خيمة متفرغًا للعلم في هذه المحاظر .

وفي كثير من الأحيان يُشَاهَدُ التلاميذ وهم يجلسون على قارعة الطريق يقرؤون القرآن الكريم ويطالعون كتب الأدب العربي ، والتأريخ ، والسيرة النبوية ، والفقه ، والمنطق ، وعلوم الكلام . ويكتبون على ألواح انتزعوها من الأشجار، ويكتبون بأحبار مستخرجة من الثمار .

وأحيانًا يكون التلميذ فقيرًا معدمًا فيساعده السكان بالمال والغذاء ، ويتبرع بعض الأهالي بمنازلهم لينام فيها التلاميذ . ولا يطلب صاحب المدرسة أو المعلم أي أجر عن التعليم وإنما يفعل هذا العمل الجليل طالبًا ثواب الآخرة . إلا أن أهالي التلاميذ الميسورين يقدمون له ما يسمى «بجراي القرآن» وهي مساعدة رمزية .

وقفت «المحاظر» بقوة في وجه الاستعمار

وقد وقفت هذه المحاظر والطرق الصوفية سدًّا إمنيعًا في وجه الاستعمار الفرنسي ، وعُرفت موريتانيا في شمال وغرب إفريقيا بمقاومتها للتعليم الفرنسي ، وكانت هذه المحاظر مراكز هذه المقاومة .

وإذا كانت المؤسسات التعليمية الحديثة قد انتشرت في مختلف أنحاء موريتانيا في الآونة الأخيرة ، فإن الكوخ المكون من سقف النخيل ، والخيام من وبر الجمال ، والمحاظر بمستوياتها المختلفة وتقاليدها القديمة لا تزال تقوم بدورها في تحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم اللغة العربية ، ويستمر فيها التعريب والنسيج الواحد للشعب الموريتاني على أرضية العقيدة الإسلامية الواحدة التي تجمع كلَّ أبناء موريتانيا العربية الإسلامية .

موريتانيا بين الشدّ والجذب

لقد ظلت موريتانيا تتعرض للشدّ والجذب بين أنصار اللغة العربية والداعين إلى الفرنسية لمدة طويلة . صحيح أن المشكلة اللغوية هي جزء من تعدد اللغات في إفريقيا ، فكل قبيلة لها لهجتها الخاصة ، بالشكل الذي يؤدي في النهاية ليس إلى لغة موحدة في القطر الواحد و إنما إلى سيادة لغة المستعمر القديم سواء الفرنسية أو الانجليزية .

وقد وقعت أول أزمة في هذا المجال عام 1966 بسبب تنامي الأقليات التي تتكلم اللغات الإفريقية المختلفة ، والتي رأت في الفرنسية أداة لتأكيد ذاتها بتشجيع من بعض الحكام الأفارقة المتفرنسين ومن الدوائر الاستعمارية الفرنسية .

وقد شهدت المدارس اضطرابات وصدامات بين كلٍّ من أنصار العربية والفرنسية .

وتعقدت الأزمة أكثر عام 1968 عندما أصدرت الحكومة قرارًا بجعل اللغة العربية لغةً رسميةً إلى جانب الفرنسية ، وأعلنت الحكومة عزمها على احترام اللغات المحلية المختلفة . وخصصت وقتًا خاصًّا في الإذاعة المسموعة لتلك اللغات .

وكانت آخر إحصائية حول عدد الطلبة الحاصلين على الثانوية في عام 1975 تشير إلى أن الحاصلين على الثانوية بالفرنسية 300 طالب بينما الحاصلون على الثانوية المزدوجة أقل من 200 طالب ! !

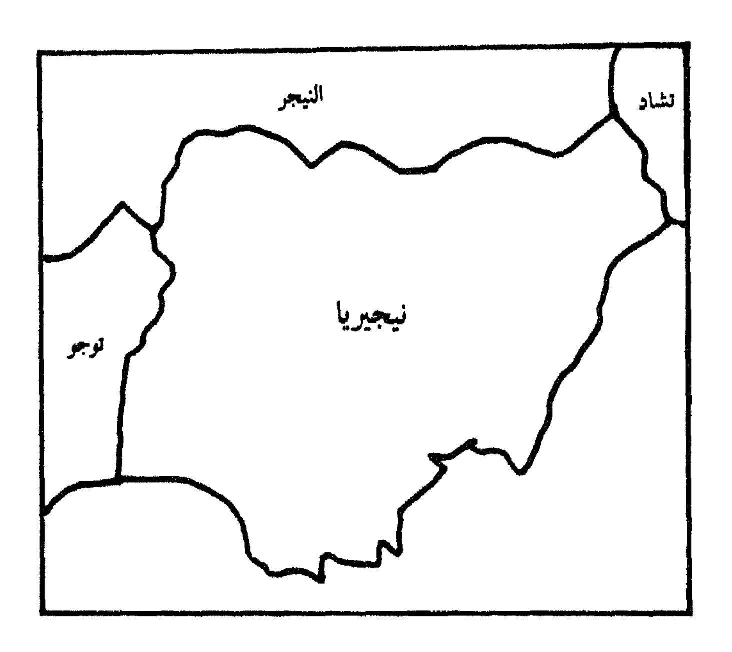
وأخذت اللغة العربية تواجه صعوباتٍ في موريتانيا العربية : فرنسة الإدارة وفرنسة التعليم ووجود اللغات الإفريقية الأخرى ، ولا تزال اللغة الفرنسية تسيطر على المكاتب الحكومية التي يوجد بها حتى الآن الرئيس الذي لا يجيد سوى الفرنسية والمرؤوس الذي لا يجيد سوى العربية .

وأصبح المجتمع الموريتاني متعدِّدَ اللغات ،وضائعًا بين العربية واللغات الإفريقية الثلاث والفرنسية ، وقد صدر قرار بإلغاء اللغة الفرنسية ابتداءً من المراحل الأولى في العام الدراسي 1984 ـ 1985 ، وأصبحت العطلة الأسبوعية منذ بداية عام 1983 يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد ، وهذا هو النظام الطبيعي .

جمهورية موريتانيا الإسلامية تضم قبائلَ عربية في الشمال وقليلاً من النازحين

من الأفارقة في الجنوب من أصول سنغالية ومالية وغيرها . . والشمال والجنوب يجمع ويوحّد بينهما الإسلام . . وتواجه موريتانيا مصاعبَ اقتصاديةً تنعكس سلبًا على الأوضاع المعيشية . . لكن أصعب المشاكل التي تواجهها موريتانيا هي تلك المحاولات المتحيزة التي تعمل بجهد لفصلها عن عروبتها و إسلامها لتبقى كمًّا مهملاً في الغرب الإفريقي تستغله الدوائر الاستعمارية كيف تشاء . . لذلك يجب على العرب والمسلمين الوقوف إلى جانبها بصدق لتأكيد عروبتها و إسلامها لتظل كما كانت في الماضي جسرًا للعروبة والإسلام إلى إفريقيا .

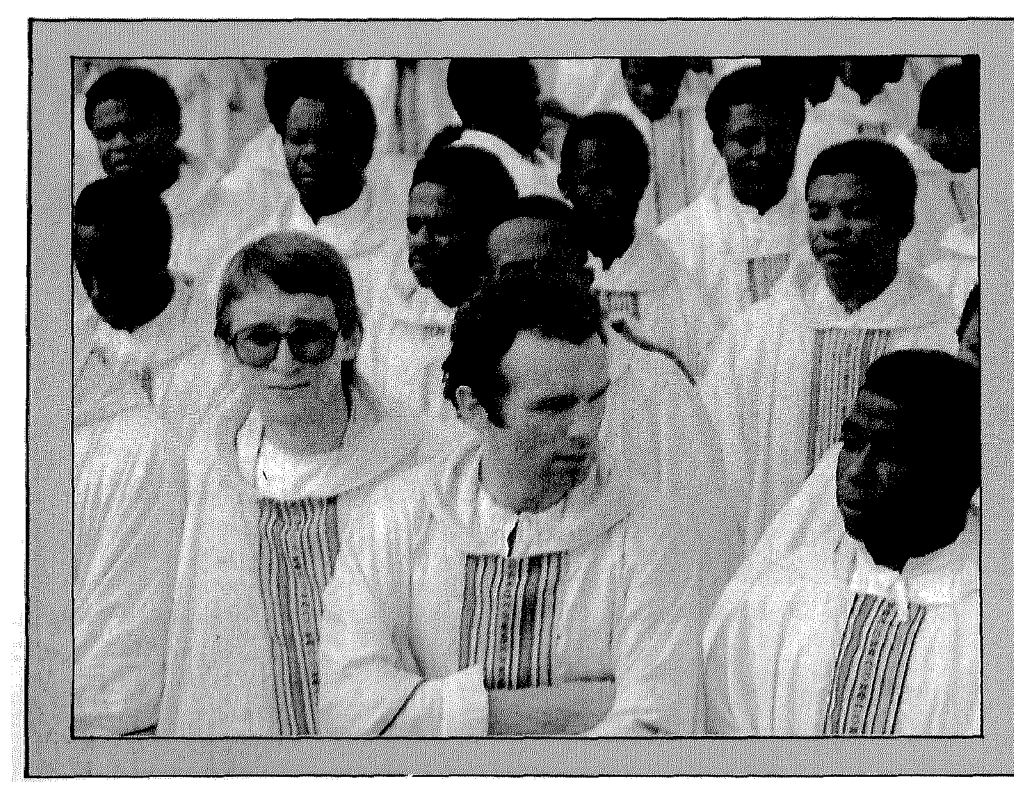
الإسلام في نيجيريا



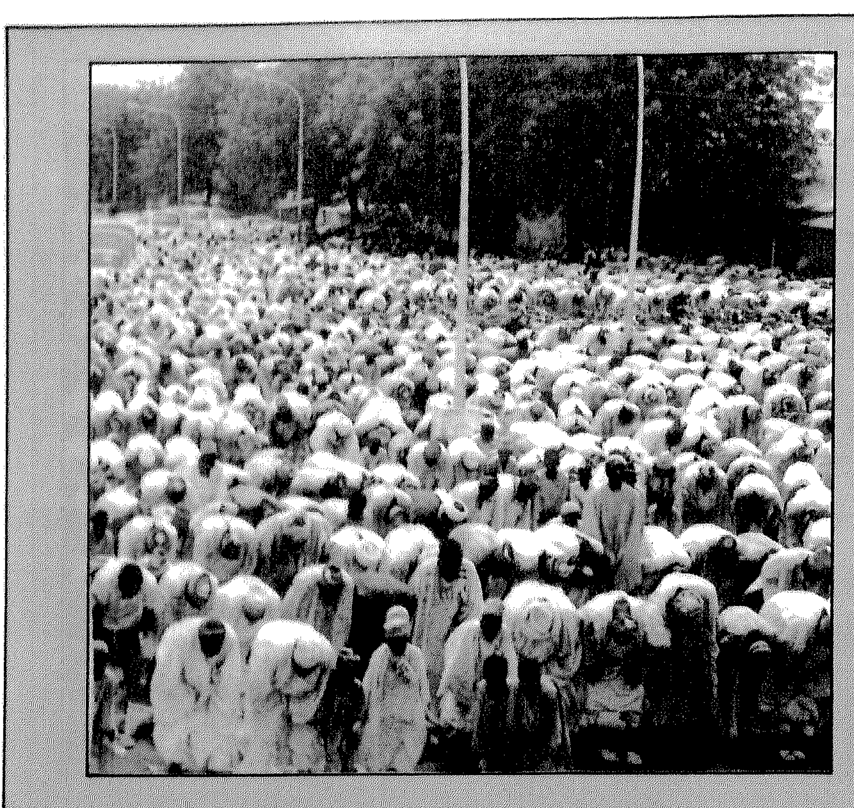


اللوح والقلم والدواة أعرق وسائل تحفيظ القرآن الكريم ماتزال منتشرة في غرب إفريقيا .

معاهد لتأهيل
الممرضات للقيام
بمهمات تبشيرية

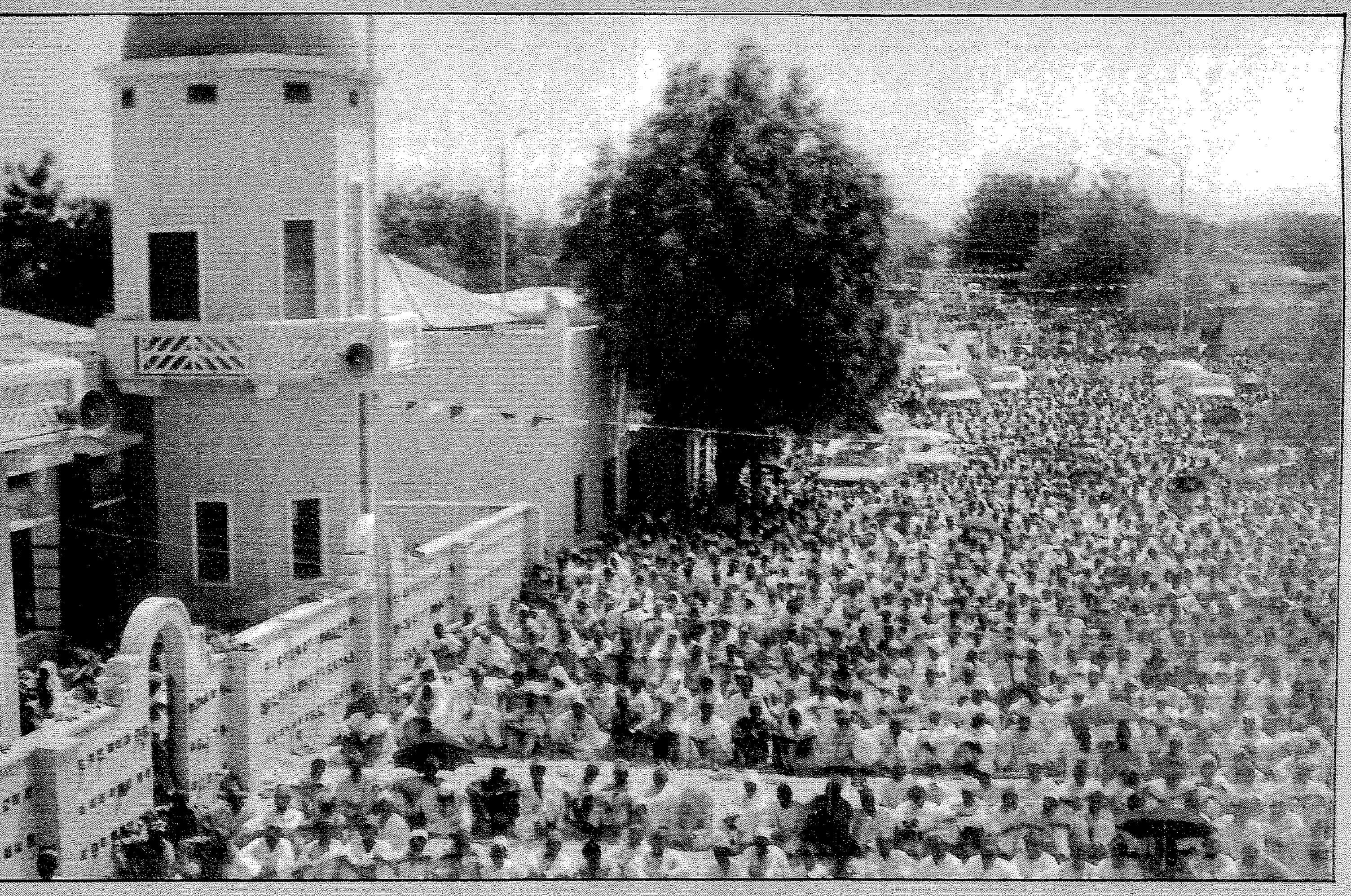


التبشير الصليبي
يكثف جهوده
بضرب نيجيريا
ذات الأغلبية
المسلمة .



برغم كثرة المساجد
فإنها تضيق بالمصلين
فيضطرون إلى
أدائها بالساحات
العامة .

ضاقت المساجد بما
رحبت من المصلين
فكانت الساحات
هي المتسع .



الاستماع إلى خطبة الجمعة بساحة مسجد « كانو » .

إذا ألقينا نظرة على خارطة القارة الإفريقية نلاحظ أن « نيجيريا » بلد متوسط يقع في المحور الإفريقي الذي ينطلق من نهر النيجر إلى المحيط الأطلسي ، ويغطي مساحات واسعة تقارب المليون كيلومتر مربع ، وتؤلِّف نيجيريا أكبر تجمع للمسلمين جنوب الصحراء ، وبذلك تمثل قلعة من قلاع الإسلام الكبرى في القارة الإفريقية . .

دخلها الإسلام منذ القرن الثامن الميلادي عن طريق التجار العرب المسلمين ، الذين وفدوا إليها من الشمال الإفريقي عبر الصحراء . ولعبت الطرق الصوفية بعد ذلك دورًا هامًّا في نشر الإسلام وتأسيس أكبر امبراطورية تسمى « امبراطورية الفولاني » أرست دعائم الدولة ، وطبقت نظامًا إسلاميًّا متحضرًا ، وعندما بدأ الاستعمار البريطاني يشق طريقه التوسعي داخل تلك الدولة ، تصدى المسلمون لتلك الهجمة الاستعمارية ، وخاضوا معارك جهادية حامية استمرت عشرات السنين ، قدموا خلالها نماذج مشرفةً من الكفاح والجهاد والفداء في سبيل الحفاظ على دينهم وأرضهم ، جعلت القوات البريطانية الاستعمارية تطلب المدد مرات ومرات لمواجهة صمود الأبطال من أبناء المسلمين .

ولولا امتداد الحركات التبشيرية والغزوات الاستعمارية الصليبية لكان سكان نيجيريا جميعًا مسلمين .

نيجيريا الموقع والسكان

تشغل « **جمهورية نيجيريا الاتحادية** » مساحة شاسعة من غربي القارة الإفريقية ، تمتد بين خطيْ عرض : **4 و 14 شمال خط الاستواء فيما بين جمهورية « النيجر » شمالاً والمحيط الأطلسي جنوبًا ، وبين جمهورية « بنين الشعبية » غربًا (والكاميرون)** شرقًا ، في مساحة تقدر بـ **924000 كيلومتر مربع** .

واسم هذا البلد الإفريقي الكبير (**نيجيريا**) أطلق عليه **عام 1914 م** إبان الاحتلال البريطاني ، وذلك نسبة إلى (**نهر النيجر**) الذي يخترق (نيجيريا) من الشمال الغربي حتى الجنوب الشرقي .

حصلت (نيجيريا) على استقلالها بعد صراع عنيف مع الاستعمار **عام 1960 م**

وأصبحت جمهورية اتحادية مقسمة إدارياً إلى تسع عشرة ولاية ، وقد وضع أساس هذا التقسيم الإداري الاستعمار البريطاني وهي : **أنمبرا** ، **بورنو** ، **بوتشي** ، **غونغولا** ، **كانو** ، **كادونا** ، **سوكوتو** ، **نيجر** ، **كوارا** ، **بينوي** ، **أويو** ، **أوغون** ، **أوندو** ، **لاغوس** ، **بندل** ، **البحار** ، **إيمو** ، **عبر البحر** ، **الهضبة** .

عدد سكان نيجيريا **100 مليون نسمة** ، **منهم ثمانون مليون مسلم** ، أما نسبة العشرين في المئة الباقية ، فهي موزعة بين **15% من المسيحيين وخمسة في المئة من الوثنيين** .

هذه الكثافة السكانية تضم 250 قبيلة لكلٍّ منها لغتها وثقافتها ودينها وعاداتها وتقاليدها الخاصة .

وأكبر هذه القبائل (**الهوسا**) تليها الإيبو ، واليوربا ، والفولان ، والكنوري .

وعملاق إفريقيا كما يسمونه بهذا العدد الهائل من السكان يمثل نسبة **واحد إلى أربعة من سكان القارة الإفريقية** ، **ويعادل كذلك عشرين بلداً مثل النيجر وساحل العاج** ، **وثلاثين بلداً مثل التوغو أو بنين** .

ومن جهة أخرى يمر هذا البلد بمعظم التناقضات التي تعرفها الدول الإفريقية الحديثة ، كما يقع تحت طائلة الجفاف والأمراض المستوطنة ، وانجراف التربة الزراعية عن طريق الزحف الصحراوي ، **ويلاحظ أيضًا** ، **أن أكثر من نصف السكان في هذا البلد لا يتجاوز سن العشرين** .

مرتكزات الاقتصاد

ويؤلِّف هذا البلد ذو الكثافة السكانية ، على الصعيد الاقتصادي ، **أهم سوق إفريقية** ، وهو كذلك بلد (نفطي) يحتل المرتبة **السابعة عالمياً في إنتاج النفط عام 1980 م** ، **ويتمتع بحصة (أوبيك) تصل إلى مليون وثلاثمئة برميل في اليوم** .

وقد لعب (النفط) الذي اكتُشف خلال السبعينات دورًا في ازدهار اقتصاد نيجيريا ، حيث توفرت للبلاد مداخيل وموارد مالية هائلة ، فتعددت المشاريع وكثرت الاستثمارات ، إلا أن طفرة النفط هذه كانت لها مشاكلها وسلبياتها الجانبية كشأن

البلاد النفطية الأخَر ، إذ إنها أدت إلى إهمال الزراعة ، وإشاعة الفوضى في البنى الاجتماعية ، وأدت إلى ظهور الهجرة من الأرياف وتهافت العديد من الأجانب على نيجيريا . وأدى هذا التهافت إلى ارتفاع معدلات الجريمة ، والتضخم المالي ، يضاف إليها الارتباك الغذائي المتصاعد ، والتزايد السكاني السريع ، وأصبحت نيجيريا التي كانت تعتمد على تصدير المنتوجات الزراعية تستورد اليوم 21% من غذائها ! !

إن خضوع الاقتصاد في بلد كثيف السكان إلى نوع واحد من الإنتاج ، يجعله حساساً للغاية لا يتحمل أية هزة ، فقد تسبب الانخفاض الأخير في أسعار النفط في أزمة كبيرة لهذا البلد العملاق ، فتراكمت عليه الديون ، وأصبح يواجه مشاكل عديدة في إطعام مئة مليون نسمة[1] .

دخول الإسلام إلى نيجيريا

تذكر المصادر التاريخية أن الإسلام بدأ يشق طريقه إلى المناطق المعروفة الآن بـ (نيجيريا) منذ القرن الثامن الميلادي عن طريق التجار العرب المسلمين ، الذين يفدون إليها من الشمال الإفريقي عبر الصحراء الكبرى ، وازداد انتشار الإسلام وعظم أمر المسلمين في القرن الثالث عشر الميلادي تأثرًا بنفوذ (الموحدين) ، و (المرابطين) الذين أقاموا دولتهم في المغرب العربي . وكان لانتشار الإسلام في الشمال النيجيري أثره على حياة السكان الاجتماعية والثقافية ، مما جعل لهم شخصية مميزة في السلوك والعادات التي انطبعت بالطابع الإسلامي بعد أن كانت أسيرة المعتقدات الوثنية .

ويؤكد بعض المؤرخين أن تلك البلاد عرفت هجرات عربية إسلامية متتالية عبر تاريخها الطويل ، فحمل المهاجرون معهم العلوم والفنون الحضارية مع الإسلام ، فكانت البلاد طوال تلك العهود محكومة وفقاً للشريعة الإسلامية ، حتى تعرضت للغزو الاستعماري الغربي في القرن الخامس عشر .

ولم يتمكن الإسلام من الوصول مبكرًا إلى الأجزاء الجنوبية من نيجيريا ، بسبب

كثافة الغابات التي تفصل بين الشمال والجنوب ، الذي بدأ يتعرض لهجمات البرتغاليين والبريطانيين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر .

أثر الطرق الصوفية في المجتمع النيجيري

لعبت (**الطرق الصوفية**) دورًا هامًّا وبارزًا في نشر الإسلام في الساحة النيجيرية بانتشارها الواسع في طول البلاد وعرضها ، وتمثل (**القادرية**) أقدم طريقة صوفية أدخلها (**الشيخ عثمان بن فودي الفولاني**) في تلك البلاد ، **واستطاع تأسيس امبراطورية إسلامية واسعة أقامت الشريعة الإسلامية ، وطبقت نظامًا إسلاميًّا محكمًا ، وتولى أبناؤه وأتباعه من بعده الحكم مدة قرن من الزمان محافظين على النهج الذي اختطه والدهم في تسيير أمور البلاد .**

ولا بد هنا من وقفة قصيرة للتعرف إلى الكفاح الطويل للطرق الصوفية في مجال نشر الإسلام ، وإنشاء امبراطورية إسلامية مترامية الأطراف .

يرى بعض المؤرخين أن (**الفولان**) قد انتشروا بالتدريج في السودان الغربي وأعالي السنغال خلال ازدهار **امبراطورية غانا** . وأنهم شقوا طريقهم إلى (بلاد الهوسا) في نهاية **القرن الثالث عشر الميلادي** ، وصاروا قوة مؤثِّرة ، **بعد نجاح حركة الجهاد الفولاني بقيادة الشيخ (عثمان بن فودي) عام 1804 م** .

ومهما تكن الآراء حول أصل الشعب الفولاني فالمهم هنا أن هذا الشعب قاد ثورة بعد تفكك (**دولة صنغي**) . فقد ساد منطقة السودان الغربي فترة من الفوضى استمرت نحو قرنين من الزمان تعرض فيها المسلمون لكثير من ألوان الاضطهاد ، حتى نهض (الفولان) بثورتهم الكبرى مع إطلالة **القرن التاسع عشر** .

فالصراع بين إمارات (بلاد الهوسا) لم يساعد إلا على التفرقة وعدم الاستقرار ، وعدم التركيز على النواحي الثقافية أو الدينية . **فصار الدين الإسلامي غريبًا بين السكان ، واختلطت العادات الوثنية بالتقاليد الإسلامية** . وصار الحكام ينضوون تحت عباءة الإسلام ويلتحفون بها شكلاً دون فهم واعٍ لأصول هذا الدين .

وعندما أحس أحد أبناء الفولاني (عثمان بن فودي) بما ألمَّ بالدين على أيدي هؤلاء الحكام شبه الوثنيين **أعلن الجهاد في سبيل الله لإصلاح المفاهيم والثقافة التي فسدت و إخلاص العبودية لله وحده** ، وصارت (**إمارة جوبير**) هي الساحة التي انطلقت منها (الثورة الإسلامية) التي غيرت مجرى الحياة في تلك المنطقة ، وأعادت للإسلام هناك مكانة لم يحقِّقها في القرون السابقة .

ومازالت (نيجيريا) الإسلامية تدين حتى اليوم لحركة ذلك المجاهد ، **الذي جعلها أكبر دولة إسلامية في إفريقيا . ولم يقف جهاد ذلك الداعية عند هذه الحدود بل تعداها إلى إقامة مجتمع إسلامي مترامي الأطراف** . وظل النظام الذي أقامه فاعلاً على مدى قرن من الزمان ، وكان لأحفاده شرف الكفاح والجهاد ضد الاستعمار البريطاني الذي غزا ديار الإسلام والمسلمين ، فكانوا حماة الدين ، وشهداء العقيدة الإسلامية في غرب إفريقيا .

كان ظهور (**الشيخ عثمان بن فودي**) في (إمارة جوبير) إيذانًا بقيام دولة إسلامية في غرب إفريقيا .

فقد نشأ (الشيخ عثمان) في بيئة دينية ، وعندما بلغ مرحلة الشباب تفتح عقله ومداركه ودُهِشَ لحال المسلمين في تلك الجهات ، حيث ظهر الدين أمام ناظريه وقد شابته البدع ، واختلطت به الخرافات ، وعبث به المضلِّلون ، وعاث الوثنيون فسادًا في الأرض .

وعندما بلغ العشرين من العمر كان قد حفظ القرآن وبدأ يرتاد حلقات العلم ، وسلك (**الطريقة القادرية**) التي كانت أكثر انتشارًا في غرب إفريقيا ، إلى جانب (التيجانية) وغيرها .

كانت حياته حافلة بالتأمل في الإسلام وحال المسلمين ، فوهب نفسه لخدمة الإسلام ، **وأعلن حربًا لا هوادة فيها ضد المشركين والوثنيين والمضلِّلين . فتوافدت عليه جموع المسلمين وزاد أتباعه يومًا بعد يوم ، الأمر الذي أقلق حاكم جوبير ولم يستطع مواجهته** .

فجاء من بعده حاكم آخر يدعى (**نافاتا**) وكان مدركًا لقوة (الشيخ عثمان) ، فما

كان منه إلاَّ أن أصدر مرسومًا يتضمن ثلاثة أمور :

1 ـ عدم السماح لأي شخص باعتناق الإسلام إلا من ورثه عن أجداده .

2 ـ لا يُسمَح لأحد بأن يلبس العمامة بعد تاريخ المرسوم ولا لامرأة أن تضرب بخمارها على وجهها .

3 ـ عدم السماح لأحد بالوعظ إلا للشيخ عثمان نفسه .

وكان الهدف من وراء ذلك الصد عن سبيل الله والحيلولة دون اهتداء الناس إلى دين الحق ، ودعوة النساء إلى التبرج والخروج عن آداب الإسلام ، وقصر الوعظ على الشيخ نفسه حتى لا تتسع دائرة الدعوة الإسلامية .

كان هذا المرسوم بداية مرحلة جديدة من جهاد المسلمين في غرب إفريقيا ويعتبره بعض المؤرخين ، **الشرارة الأولى التي أشعلت نار الجهاد .**

فقد اتخذ (**الشيخ عثمان**) مدينة (**سوكوتو**) عاصمة لدعوته ، وناصره أتباعه على درب الجهاد ، وأصدر الشيخ عثمان (**وثيقة أهل السودان**) **التي صارت إعلانًا رسميًّا للجهاد .**

فقاد الجهاد ضد (الوثنيين) واتجه إلى بحيرة (**تابكين كوتو**) ، وعلى ضفاف هذه البحيرة أطبق المسلمون على قوات البغي والعدوان ، ودارت الدائرة عليهم ، فهرب مَنْ وجد سبيلاً لذلك ، وسقط في ساحة المعركة الكثير ، وتفرق شمل الوثنيين في أول مواجهة ، وتوالى سقوط إمارات الهوسا في أيدي المسلمين ودخلوا عاصمة الإمارة وتسمى (الكالاوا) **عام 1808 م** ، وتَمَّ قتل السلطان (يونفا) وانتهت مقاومة (الوثنيين) . **وتوافدت القبائل إلى معسكر الشيخ تعلن الدخول في الإسلام** ، وتوسعت (امبراطورية الفولاني) الاسم الجديد وتكونت إمارة جديدة ، وطلب الشيخ إلى أتباعه **أن يعلنوا الجهاد في مختلف المناطق ، فتوسعت رقعة الدولة ، وعادت المنطقة إلى حكم المسلمين ، وتأصلت جذور الدعوة الإسلامية ، فنمت وترعرعت** وأقام المسلمون الشريعة الغراء ، وساد الأمن وازدهرت الحضارة الإسلامية في كلِّ أرجاء الدولة[1] .

ووقف (الشيخ عثمان) بقية حياته على التأمل والدراسة في مدينة (سيفاوا) حتى وافاه الأجل المحتوم عام **1817 م** .

ومن بعده قام (أحفاده) بدور بطولي ضد الاستعمار البريطاني الذي تكالب على

مناطق الدولة الإسلامية ابتداء من **الربع الأخير للقرن التاسع عشر** .

فمدن مثل : كانو ، ورويا ، ومارنونا وقفت بصلابة في مواجهة العدو الشرس وكبدته خسائر جسيمة وسطرت ملحمة نضال تشرّف كلّ مسلم . ملحمة بين طرفين غير متكافئين ، طرف يحمل أحدث الأسلحة وأحدث ما وصل إليه العلم من وسائل حربية متطورة في ذلك الزمان وتنظيمات عسكرية ، وجيوش مدربة على أحدث نظم القتال . وطرف آخر لا يملك سوى السهام والحراب والأسلحة التقليدية ، **ولكن إيمانهم بالاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الله هو السلاح الذي قهروا به أعداء الله** .

ومدينة (بورمي) الباسلة التي قادت المعركة الأخيرة ، **خاض سكانها أشد المعارك ببسالة وواجهوا أسلحة الأوروبيين المتطورة ، بإيمان صادق وعزيمة لا تلين ، وتحولت المقاومة في النهاية إلى لقاء وجه لوجه ، وحارب المجاهدون من شارع إلى شارع ومن بيتٍ إلى بيت ، وكان البريطانيون يشعلون النار في المنازل لوقف اندفاع المجاهدين . واضطرت القوات البريطانية إلى الانسحاب خارج المدينة بعد أن مُنِّيَتْ بخسائر فادحة في الأرواح والمعدات . بل واضطرت إلى طلب إمدادات وتعزيزات جديدة ، ودارت اشتباكات بالقرب من مسجد المدينة ، وأسفرت المعركة عن استشهاد عدد كبير من المسلمين حصدتهم مدافع العدو . وكانت تلك آخر المعارك ، وآخر مراحل المقاومة الشديدة التي واجهها البريطانيون في غزوهم لشمال نيجيريا** .

ومع غروب شمس يوم 27/7/1903 م وعلى أشلاء وجثث آلاف المجاهدين ، وبين سحائب الدخان والدمار في مدينة (**بورمي**) كانت نهاية دولة الإسلام في نيجيريا وغروب شمسها . **التي تألقت وأنارت تلك البقعة بغرب إفريقيا بضيائها الإسلامي بفضل جهاد المسلمين ، الذين بذلوا أرواحهم ودماءهم فداءً لإعلاء كلمة الله ونشر رسالة الإسلام الحنيف في تلك الربوع** .

وبالرغم من سقوط تلك الدولة الشامخة ، ودخولها في ظل الحكم الاستعماري البريطاني ، ومحاولاته الجادة لزعزعة العقيدة الإسلامية التي ترسخت في النفوس فإن كلّ تلك الجهود باءت بالفشل وبقي المسلمون يمارسون شعائرهم في نيجيريا حتى اليوم ، ومازالوا يؤلِّفون أغلبية ساحقة ، ومازالت نيجيريا أكبر دولة إسلامية في القارة الإفريقية[3] كما هي أندونيسيا في القارة الآسيوية .

كانت نيجيريا تتمتع بنظام تعليمي إسلامي جيد قبل الغزو الاستعماري . وكانت المدارس القرآنية شائعة في كلِّ أرجاء البلاد حيث كان الطلبة يدرسون القرآن ويحفظونه ، **وفي عام 1914 م كان بالبلاد 25 ألف مدرسة قرآنية بمختلف المناطق** . وكان الطلاب المتفوقون ينتقلون من مدرسة إلى أخرى ويتخرجون في نهاية الأمر علماء في الشريعة والفلسفة وغيرها . وكانت الموضوعات التي يدرسونها في مجملها تعكس حقيقة الإسلام وتأثيره في مجالات العلم والحياة .

وقد شنت بريطانيا بقوات ما يسمى بـ (شركة النيجر الملكية) حربًا على المناطق الإسلامية في شمال نيجيريا وأخضعتها للتاج البريطاني المباشر . ثم بدأت بريطانيا في إحلال ثقافتها الغربية محلَّ الثقافة الإسلامية التي **كانت سائدة في المجتمعات الإفريقية** .

وهبَّ القادة والعلماء المسلمون يحرِّضون الشعب ضد الاستعمار البريطاني ، فوقف الشعب ببسالة ضد الهيمنة البريطانية ، وتصدى لمؤامراتها ومخططاتها التغريبية ، لكن الاستعمار البريطاني واجه ذلك بعمليات قمعية ، تَمَّ خلالها تصفية أولئك القادة والعلماء ، من الثائرين المسلمين ، وحلَّ محلَّهم أشخاص من التبع المستسلمين . ثم مالبث أن نصَّب البريطانيون **رهطًا ممن يرضون عنهم لتولِّي شؤون الدين والشريعة ممن اندفعوا في تأييد السياسة البريطانية الاستعمارية القائمة على أساس ما يسمى بالحكم غير المباشر** .

وأعلن الحاكم البريطاني (لوغارد) أن الفولانيين الذين أسسوا ممالك الهوسا قبل مئة سنة من مجيء البريطانيين ، هم غير صالحين لممارسة السلطة إلا تحت الإشراف الأجنبي ، وكان من وجهة نظره أن أبناء هؤلاء وأحفادهم سيكونون حكامًا مناسبين تحت الإشراف البريطاني ، وأنه يمكن تنمية ذكائهم الخارق كمنفذين للإرادة البريطانية . وكخطوة أولى في هذا المجال تَمَّ إقناع الطبقة الحاكمة الجديدة **بأن تكتب لغة (الهوسا) بالحروف اللاتينية . وتلقينهم اللغة الانجليزية** . لتكون لسان المثقفين والمغرَّبين .

وكان الحاكم (لوغارد) ومبشر مسيحي يدعى (الدكتور ميللر) مسؤولَيْن عن السياسة

التعليمية الاستعمارية في الأراضي التي كانت تمثل (سلطنة سوكوتو) فيما مضى .
وقد تقدم (لوغارد) في تقريره السنوي للسنة **1905 ـ 1906** م بخطة من أربع نقاط لتنفيذ السياسة التعليمية الاستعمارية لحكومته وهي :

1 ـ يجب تعليم (المعلمين) من النيجيريين الحروف اللاتينية ليكتبوا بها لغة (الهوسا) والانجليزية الدارجة والحساب والجغرافيا .

2 ـ يجب تأسيس مدرسة أو كلية لأبناء الأمراء يحصلون فيها على التعليم الابتدائي ، ويجري تدريبهم على (الإخلاص والوفاء) ليكونوا حكاماً متغرِّبين .

3 ـ يجب بناء المدارس داخل المعسكرات لتعليم أبناء موظفي الحكومة .

4 ـ يجب تأسيس المدارس الابتدائية على النحو الغربي وفقاً لمناهج الغرب لتحلّ محلّ المدارس الإسلامية .

وكان الدكتور (ميللر) هو المسؤول عن تنفيذ هذه السياسة ، فاستغل الفرصة **لمصلحة التبشير** ، ووضع استراتيجيتين قائمتين على أساس (مخطط لوغارد) ، ونفذهما حرفيًّا في شمال نيجيريا .

وقامت (الاستراتيجية الأولى) على أن ينتقيَ أمير كلِّ ولاية (معلميْن) من عنده يتقنان علوم القرآن ، وأن يعيش هؤلاء ستة أشهر بالقرب من مسكن (الدكتور ميللر) يتلقون دروسًا في القراءة وكتابة الهوسا بالحروف اللاتينية ، خلال الأشهر الثلاثة الأولى ثم يقضون المدة الباقية في تلقِّي دروس الجغرافيا والنحو والحساب والصحة العامة لمدة ساعتين يوميًّا **حتى لا تثير شبهات المسلمين بأن البريطانيين يخفون دوافع وأهدافًا مسيحية تبشيرية وراء هذا البرنامج التعليمي .**

أما بخصوص المدرسة الخاصة بأبناء الأمراء فاقترح (ميللر) أن يرسل كلُّ أمير اثنين من أبنائه ممن تتراوح أعمارهم بين **13** و **16** سنة . **وكان الهدف من هذه المدارس ، تخريج موظفين إداريين مستسلمين للإرادة الاستعمارية ، وتكوين نخبة جديدة من الأمراء (الأوفياء) يخضعون لتنفيذ مخططات بريطانيا ومصالحها في تلك البلاد .**

وكتب (**لوغارد**) رسالة إلى وزارة المستعمرات بلندن ، معلقًا على استراتيجيتيْ الدكتور ميللر يقول : (لو أمكن تنشيط فهمٍ من نوع خاص بين السكان فسينتهي خطر

الثورة الإسلامية ، وستصبح الطبقات المثقفة بين المسلمين مؤيدة بقوة للحكم البريطاني كما كان الأمر دائمًا في الهند . وهذه الطبقات تظهر بالفعل إشارات تدل على هذا) ! !

كانت السياسة البريطانية التعليمية **ذات أهداف تبشيرية** ، خصُوصًا في المدارس التي أُنْشِئَتْ للمعلمين . فقد كتب (الأمين البريطاني للجمعية التبشيرية المسيحية) : **بما أننا سوف نستخدم الإنجيل ككتاب الدراسة ونستخدم فقرات مختارة منه بعناية لكتابتها على أيدي الطلبة ، فإنني أشعر أن هذه ستكون فرصة تبشيرية بصورة مؤكدة ، وكذلك عندما يشاهد الشعب هؤلاء المعلمين وهم يأتون إلينا لتلقِّي الدروس ، فسيمكننا بالتأكيد أن نفتح مدرسة أو أكثر على الخطوط التبشيرية المؤكدة** »[4] .

لقد اتبع الاستعمار البريطاني أسلوبًا (تغريبيًّا) ماكرًا في الاهتمام بتعليم المسلمين النيجيريين ليصبحوا خاضعين للغرب ثقافيًّا وفكريًّا وممسوخين حضاريًّا ، بينما هم يمارسون في نفس الوقت شعائرهم الدينية من صلاة وصوم وحج . . إلخ .

هذه السياسة (الماكرة) أدت إلى ظهور مدارس وكليات وجامعات من الطراز الغربي ، وأفرزت هذه الجامعات بالتالي نخبة جديدة تقبل التعامل مع المستعمر بشكل أو بآخر تحت مسمَّيات ومصطلحات تحديثية مختلفة ، وجرى تشجيع هؤلاء (**المتغرِّبين**) **على خلط قليل من الإسلام بالعلمانية لكي يتمكنوا من مخاطبة الجماهير المسلمة حسب المنظور الغربي** .

هذه هي (النخبة) التي تذكرها مراجعهم الغربية بأنها : (**الآباء المؤسسون للقومية النيجيرية**) التي قامت بتنمية نيجيريا وتقدمها منذ الاستقلال[5] ! !

بل الحقيقة أن هذه (النخبة المتغرِّبة) هي التي هيمنت في بعض الأحيان على الأنظمة المتعاقبة في نيجيريا واستخدمت سياستها (التغريبية) لمصلحة الغربيين ، ولقهر المسلمين ومنع أي ظهور قويٍّ للإسلام في دولة ذات أغلبية مسلمة .

لكن الحقيقة أيضاً أن ظهر بين هؤلاء مَنْ **شذوا عن القاعدة ، واستخدموا نفوذهم**

ومكانتهم (بوطنيـة) ، لكن الإطار التصوري للنظام الـمتغرِّب ، الذي يتحـركون داخلـه كان يؤثـر سلبًا على جهودهـم ويعرقل انطلاقهـم . **وقد بذل بعضـهـم جهداً لإدخال الإسلام في دستور البلاد ، وظهرت بعض برامج الأسلـمة على يد هؤلاء الذين يـنظرون إلى الإسلام كحل وحيد للـمشكلات والآلام الـمعاصرة التي تُعزَى للتـأثيـر الغربي .**

ولعل السبب في عدم نجاح القائـمين بهذه الجهود نجاحًا كبيرًا يكمـن في مواءمتهـم في بعض الـمراحل مع السلطات الـمتغرِّبة القائـمة على أمل إصلاح الـمجتمع النيجيري وفق مـنظور إسلامي . **ولو كان هؤلاء قد نسقوا مع العلـماء والـمثقفيـن والـمفكريـن وتضافرت جهودهـم الإسلامـيـة على نسق واحد ، لوضعوا نـيجيريـا ذات الأغلبـيـة الـمسلـمة في طريقهـا الإسلامي الصحيح .**

طابع نشط فـي مجال الدعوة الإسلامـيـة

يؤلِّف الـمسلـمون غالبـيـة سكان نـيجيريـا ، كما سبقت الإشارة ، ولهم ثقلهم السيـاسي والاقتصادي والديـنـي والاجتماعي سواء في عهد النضال مـن أجل الاستقلال ضد الاستعمار البريطاني أو بعد الاستقلال . **ولهـم تنظيماتهم الاجتماعيـة والديـنيـة التي تتولى رعايـة شؤونهـم والحفاظ على شخصيتهـم الإسلامـيـة ، والقيـام بواجب الدعوة الإسلامـيـة عن طريق التعليم وتأليف الكتب و إعداد الدعاة والـمرشديـن والـمعلـميـن . وتزاول نـيجيريـا نشاطًا ملحوظًا على صعيد الدعوة الإسلامـيـة ، ويظهر ذلك جليًا مـن خلال تعدد الـمساجد والجوامع والمراكز الإسلامية ، فكثـر عدد المهتديـن إلى الإسلام** ، برغم وجود حملة تبشيريـة صليبـيـة تستغل ظروف الـمسلـمـيـن في أثناء الأزمات والكوارث لزعزعة هذه العقيدة في نفوس بعض الـمستضعفيـن مـن ضحايـا الفقـر والعوز والأمـيـة .

وتبذل (جماعة الطلبة الـمسلـميـن) نشاطًا كبـيـرًا في الـمدارس والجامعات ، وكثيرًا ما تدخل في جدل مع الـمـنظمات الـمسيحيـة الـمـنافسة ، **وتفضح عدم تسامحهـا واستغلالها** لحالة الاحتيـاج والعوز عند الـمسلـمـيـن في إجبارهـم على تغييـر عقيـدتهـم . وتوجد مؤسسات إسلامـيـة معترفًا بهـا مـن قِبَلِ الجمـيع وأشهرهـا (**الـمجلس الأعلى للشؤون**

الإسلامية) الذي يترأسه سلطان سوكوتو . ويضم أهم الشخصيات الإسلامية بالبلاد .

كذلك (**جماعة نصر الإسلام**) **بنشاطها الواسع ، أسسها المرحوم (أحمد بللو) رئيس وزراء شمال نيجيريا ، ومقرها (كادونا) وتتولّى تطوير المدارس التي أنشأتها في الشمال . وتعطي اهتمامًا كبيرًا للإسلام وللمسلمين في الجنوب ، بتسيير جمعيات عديدة في مجال الدعوة .**

جمعية أنصار الدين : وهي أقدم المؤسسات الإسلامية في نيجيريا ، فقد تَمَّ تأسيسها عام **1923** م ومركزها في العاصمة (لاجوس) ، ويتبعها أكثر من مئة مدرسة ومعهد إسلامي لتخريج المعلمين والوعاظ ، كما تتولّى الإشراف على عدد كبير من المساجد .

مكتب البحوث الإسلامية : ويُعنَى بالنشر والتأليف وإصدار النشرات الدورية وتوزيعها ، كما يتولى الإشراف والتنسيق فيما يخص المنح والبعثات الدراسية للطلبة النيجيريين ومقره في (أجيشا) بلاجوس .

جمعية إزالة البدع و إقامة السنن : مقرها (جوس) في ولاية الهضبة . وهذه الجمعية لها نشاطها في مجال نشر الإسلام وتخليصه مما علق به من بدع وخرافات .

مركز التعليم العربي : ومقره في لاجوس : ويُعنَى بتعليم اللغة العربية ، وقد مضى على تأسيسه أكثر من ثلاثين عامًا تخرج فيه عدد كبير من الطلاب الذين يتقنون لغة القرآن الكريم .

وباختصار يمكن القول : إن الإسلام في نيجيريا يمثل قوة اجتماعية هامة ، وإن المسلمين يتمتعون بشعور إسلامي قوي ، ويمكن ملاحظة ذلك في الأعداد الهائلة من المسلمين الذين يقومون بأداء فريضة الحج سنويًّا حيث بلغ عدد الحجاج النيجيريين عام 1981 م 100000 حاج .

نيجيريا والتبشير المسيحي

في إطار السباق الاستعماري المحموم على القارة الإفريقية بين الدول الغربية ، وصل (**البرتغاليون**) إلى الساحل الجنوبي لنيجيريا **عام 1472 م ثُمَّ لحق بهم** (**البريطانيون**) بعد ذلك **عام 1553 م** ، كانت تلك بداية اتصال العالم المسيحي

بنيجيريا ، وعندما قُسِّمت القارة السمراء إلى مناطق نفوذ كانت (نيجيريا) من نصيب الاستعمار البريطاني . وقد صاحب هذا الاستعمار وصول **بعثات تبشيرية مسيحية إلى** مناطق الجنوب التي تسكنها قبائل (اليوربا) و (الإيبو) وغيرهما ، مما أدى إلى انتشار المسيحية في تلك المناطق في إطار المخطط التبشيري والاستعماري الذي وُضع لتحقيق هدفين :

1 ـ نشر المسيحية لتوظيفها في إيجاد قدر من التعاطف والولاء بين النيجيريين المسيحيين وبين سلطات الاحتلال البريطاني الأجنبي استناداً إلى وحدة الشعور الديني .

2 ـ تشتيت وتمزيق الشعب النيجيري بإظهار المسيحيين طبقة متميزة ومقرَّبة من سلطات الاحتلال .

وقد أفلح الاستعمار البريطاني في **بذر بذور عوامل الفرقة وترسيخ الصراع الديني في نيجيريا مما جعل المجتمع يبدو وكأنه مجتمعان منفصلان لكلٍّ منهما ارتباطاته التاريخية والحضارية ، شمال وجنوب كما فعل في السودان .**

واستمر الصراع بين المسلمين والصليبيين ، بدايةً من حرب الإبادة التي شنها البريطانيون بقوات (**شركة النيجر الملكية**) على المناطق الإسلامية في الشمال ، إلى بداية الاستقلال **عام 1960 م** .

وكان أبرز أحداث هذا الصراع بعد الاستقلال انقلاب **عام 1966 م** الذي دبرته **قيادات مسيحية متعصبة** ، ثم انقلاب **1971 م** بقيادة البروتستانتي (يعقوب غوون) . الذي كادت تتمُّ في عهده **المحاولة الانفصالية بالمنطقة الشرقية تحت اسم جمهورية بيافرا** . ودامت الحرب الأهلية التي تبعت ذلك فترة من الزمان متأججة حتى بداية (التصالح الوطني السلمي) الذي وضع حدًّا نسبيًّا لتلك الحرب .

وقد أثار هذان الانقلابان حمية المسلمين ، ولاسيما بين القوات المسلمة التي يؤلِّف المسلمون معظم أفرادها . فكانت النتيجة انقلابًا بقيادة (مرتضى الله رفاعي محمد) عام **1975 م** ، لكن سرعان ما قتل (مرتضى الله) في محاولة انقلابية قادها **ضباط مسيحيون** . بعدها تسلَّمت زمام الأمور في البلاد هيئة عسكرية غالبية أعضائها من المسلمين .

ومازالت نيجيريا تتعرض حتى اليوم لخطر داهم من قِبَلِ البعثات التبشيرية الصليبية التي تدعمها الحكومات ومجلس الكنائس العالمي ، ولعل زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلى نيجيريا عام 1982 م ومن بعده الأسقف كانتربوري دليل على تعاظم الهجمة التبشيرية الصليبية على الساحة النيجيرية . وهذا يتطلب وقفة مسؤولة وشجاعة من قِبَلِ الهيئات والمؤسسات العاملة في مجال الدعوة الإسلامية ، إلى جانب المسلمين في نيجيريا لدرء هذا الخطر الذي يهدد عقيدتهم .

لقد تضافرت على (**عملاق إفريقيا**) **جهود المبشرين والقوى الاستعمارية والصليبية والعصابات الصِّهيونية** ، وكثفت جهودها لضرب نيجيريا المسلمة لما لها من أهمية حساسة ليس في غرب إفريقيا و إنما في العالم الإسلامي باعتبارها تتميز بأغلبية إسلامية تصل إلى **80 مليون نسمة** ، **تضافرت كلُّ هذه القوى لتقويض هذا الصرح الإسلامي بشتى الأساليب والوسائل** ، منها :

رصد اعتمادات مالية هائلة لتمويل عمليات التبشير و إنشاء المدارس التبشيرية والمستوصفات والعيادات الطبية ومعاهد التمريض لتخريج دفعات نيجيرية تقوم بمَهَمَّات تبشيرية بدل المبشرين البيض الذين يواجهون نفورًا من قِبَلِ المواطنين الذين يعلمون أنهم وجه آخر لعملة استعمارية معروفة .

تقديم الخدمات والمساعدات الاجتماعية التي تتمحور حول هدف جوهري هو كسب أرضية مسيحية داخل المجتمع المسلم . **وهذه المخططات اتضح جليًّا أنها بعض وسائل الاستعمار ، وهي تخالف تمامًا المسيحية السمحة التي جاء بها المسيح عليه السلام** .

الفرق الهدامة

نتيجة لتفشِّي الجهل والتخلف وجو الخرافات والأساطير ، ظهرت عدد من الفرق التي تدَّعي الإسلام ، **لكنها في حقيقتها أبعد ما تكون عن هذا الدين القيِّم** ، الذي عملت تلك الفرق على تحريفه ودس البدع والإسرائيليات للابتعاد به عن صراط القرآن الكريم . وللدوائر الاستعمارية والمؤسسات التبشيرية دور مؤثر في انتشار خرافات تلك النِّحل داخل المجتمعات النيجيرية ، والتي سوف نورد بعض الأمثلة عليها .

القاديانية أو الأحمدية

وتعرف في نيجيريا بالأحمدية ، أسسها (أحمد القادياني) في الهند **في القرن التاسع عشر الميلادي** ، وقد غيرت اسمها عند دخولها لإفريقيا إلى (الأحمدية) لإيهام الناس أنها حركة إسلامية . ولهذه الفرقة مدارسها ومعاهدها ومستشفياتها الخاصة التي تبث من خلالها سمومها وسط المسلمين .

فرقة ميتاتسين

ظهرت هذه (الفرقة) في مدينة (كانو) النيجيرية في **الأربعينات من هذا القرن** على يد مؤسسها (محمد مروة) من (الموفي) بشمال الكاميرون وهو من الوثنيين ادَّعى أنه اعتنق الإسلام ، ومن هنا جاء اسم (محمد) وهو اسم مستعار . أما اسم (ميتاتسين) الذي اشتُهِر به وأتباعه فهو كنية نعته بها (الهوسا) (بكانو) للسخرية منه . وهي **متأتِّية** من اللعنة التي كانوا يرددونها ضده دائمًا : (**الله ياتسين ما كا البركة**) يعني : (**أزال الله عنك البركة**) . وقد طُرد من (الكاميرون) وعاش حتى عام **1969 م** بكانو مجهولاً نوعًا ما . هذا برغم طرده من هذه المدينة مرتين **وسجنه بتهمة نبوءات كاذبة وبلبلة الأوضاع** . إلا أنه عاد في السبعينات مستغلاًّ الظروف السياسية في البلاد لينشر هراءه ودجله في أجزاء من نيجيريا ، واستطاع بتأثير (**الأصابع الخفية**) التي كانت تحركه أن يكوِّن لنفسه قاعدة من الأتباع والمريدين أغرته بادِّعاء النبوءة علنًا ، **وإثارة فتن بين المسلمين راح ضحيتها آلاف الأبرياء** . فقد أنشأ قلعة له في قلب مدينة (كانو) وأخذ أتباعه يتحرشون بالمارة أكثر فأكثر وخاصة الذين يحملون أشياء من صنع غربي . وأدت الاضطرابات التي حدثت بسببه إلى مطالبته بمغادرة البلاد . وبدلاً من أن يذعن استدعى أتباعه واستطاع خلال **سبعة عشر يومًا من تخريب الحي الذي يعتصم به** ، والتصدي لقوات الشرطة ، حتى تَمَّ استدعاء الجيش فسحق معاقله وقُتل في أثناء الصدام ، ونشرت صور عديدة لجثته لوضع حد لنبوءته الكاذبة بأنه أزلي ، وبأنه لا يهزم .

وفدت هذه (الفرقة) مع الاستعمار الأوروبي ، وهي تمثل إحدى **قنوات التآمر التاريخي على الإسلام والمسلمين ، ابتداءً بالباطنية المجوسية ، إلى الصِّهيونية العالمية وأجهزة التبشير الصليبي ، وبنات الصِّهيونية ، الماسونية والليونز وشهود يهوه وغيرها .**

تغلغل الصِّهيونية في نيجيريا

تركز (الحركة الصِّهيونية) على نيجيريا باعتبارها أكبر دولة إسلامية في إفريقيا محاولةً بذلك تعويض الغياب الرسمي لوجودها في أقطار إفريقيا بعد المقاطعة الجماعية التي وُوجهت بها إثر حرب **1973** م . فهناك أكثر من **40 شركة صهيونية تختفي وراء واجهات متعددة تسلب المجتمع النيجيري ملايين الدولارات ، تجد طريقها للمصارف الصِّهيونية لتقويَ وضعها في مواجهة الثورة الشعبية الفلسطينية المتصاعدة .**

مساهمات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

ونتيجة لهذه المخاطر المتصاعدة ضد المجتمع الإسلامي في نيجيريا ، وانتشار الأفكار والفرق الهدامة التي تعمل على إفساد المعتقدات الإسلامية في الأوساط الشعبية ، سارعت **جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى بذل جهودها وتقديم مساهماتها الخيِّرة والوقوف بجانب المسلمين والهيئات الإسلامية النيجيرية في مجال الدعوة وذلك من خلال** المساهمة في استكمال بعض المساجد والمدارس والمستشفيات الصحية ، ودعم صندوق الوقف الإسلامي ، الذي يتولَّى الإشراف على عدد من المدارس والمساجد والمراكز الإسلامية ، و إيفاد عدد من الدعاة إلى مختلف الأقاليم للدعوة إلى الإسلام وتبصير المسلمين بأمور دينهم والتصدي للأفكار المشبوهة التي تنشرها الفرق الهدامة والمشعوذون والجهلة .

كما أن هناك عدداً من الجمعيات والهيئات الإسلامية النيجيرية أعضاء في المؤتمر العام للدعوة الإسلامية ، الذي انبثق عنه المجلس العالمي للدعوة الإسلامية ، وهو الآخر يضم عضواً من نيجيريا ضمن أعضائه .

ويبقى أن نشير إلى أنه ـ بفضل جهود النيجيريين وهذا الدعم اللامحدود من قِبَلِ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ـ فإن الإسلام في نيجيريا لايزال بخير ، ويضرب بجذوره العميقة في المجتمع النيجيري برغم هذه المؤامرات والدسائس التي تضافرت على نسجها البعثات التبشيرية الصليبية ، والاستعمار التوسعي ، والصّهيونية العالمية ، والحركات الهدامة لتشويه الصورة الإسلامية الناصعة في أكبر دولة إسلامية في إفريقيا . وإن المسلمين النيجيريين يتمتعون بشعور إسلامي فياض ، وحماس ديني جارف ، الشيء الذي يؤكد وقفتهم الصلبة إزاء كلٍّ المؤامرات التي حاولت ضرب الإسلام وزعزعة عقيدتهم .

ومن هنا فإن واجب الدول الإسلامية والهيئات والمنظمات العاملة في مجال الدعوة الإسلامية ، بل واجب المسلمين في كلّ مكان ، الوقوف إلى جانب المسلمين في نيجيريا ودعم صمودهم ونضالهم من أجل الحفاظ على دينهم وهويتهم الثقافية ، وصد الهجمات المتحيزة ، لتبقى نيجيريا أكبر دولة إسلامية في إفريقيا برغم كيد الكائدين .

هوامش

(1) انظر صفحة 2 من كتاب : « تحولات الإسلام في نيجيريا » لغي نيكولا .

(2) انظر صفحة 46 من كتاب : « المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا » . للدكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم .

(3) انظر نفس المصدر السابق . صفحة 73 .

(4) انظر العدد الثاني من صحيفة الهلال الدولي بتاريخ 16 ـ 1989/10/31 م .

(5) انظر نفس المصدر السابق .

الإسلام في مـالي



إذا مـا ذكر اسم « مـالي » فأول ما يتبادر إلى أذهـان العارفين والمؤرخين « تمبكتو » المدينة الإسلامية القديمة منبع الثقافة والمعرفة بتاريخها التليد ، والتي لم تعرف ديناً غير الإسلام .

أما شعب مالي فقد شبهه أحد الكتاب بعجوز طاعن في السن والتجربة ، منحته عصور المدّ والجزر ، والصعود والهبوط ، جَلَدًا وصبرًا عظيمين ، مكناه من الصمود أمام عوادي الزمن بشجاعة نادرة ، فظل قابضًا بأسنانه وأظفاره على دينه وهويته وكرامته ، متحصنًا في ذلك بأصوله الحضارية التي تقف شواهدها في أكثر من منطقة من البلاد ، وتتعمق بشكل أكبر في مدينتي تمبكتو ، وجني اللتين تلازمتا في سنوات المجد والازدهار التي أطلت في القرن الرابع عشر في العصر الذهبي لدولة « مـالي » ثم« صنغي » فقد كانت تمبكتو هي مركز القوافل التجارية القادمة من شمال إفريقيا ومصر . بل ثبت أنها كانت تتعامل مع الثغور الإيطالية وبخاصة « فلورنسة » عن طريق تونس وطرابلس في القرن الخامس عشر ، في حين كانت « جني » هي مملكة التجارة ومركزها الكبير في قلب نهر النيجر .

و إذا كان لكل من المدينتين باعها في التجارة ، فدورهما في الثقافة لا يقلُّ أهمية ، فكما كانت « جني » مركزًا للعلم والعلماء ، كذلك كانت تمبكتو ، التي وصفها ابنها عبد الرحمٰن السعدي بقوله : إنها ما دنستها عبادة الأوثان ، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمٰن ، مأوى العلماء والعابدين ، ومألف الأولياء والزاهدين ، وملتقى الفلك السيار ، فجعلوها خزانة لمتاعهم ورزقهم إلى أن صارت مسلكًا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم .

مالي في التاريخ

مالي في التاريخ الإفريقي اسم رنان وضخم ، ارتبط بقوة السلطان وبريق الذهب ، وربما يكون أبو عبيد الله البكري أول مؤلِّفي العرب الذين ذكروا مالي في القرن الحادي عشر ، و إن أشار إليها بأنها بلد اسمه « ملل » وملكهم يعرف بالمسلماني .

وليس معروفًا على وجه التحديد متى ظهرت مالي في الوجود ، و إن كان السعدي يذكر أنها كانت قائمة في عصر دولة غانة . وذلك قبل البعثة النبوية .

و إنه خلال تلك الفترة التي يقدر مداها بسنوات حكم 22 ملكًا في غانة كانت دولة مالي تنمو وتتسع تدريجيًّا في إقليم كانجابا على نهر النيجر ، لكن تاريخ دولة مالي بدأ يعرف منذ القرن السابع الميلادي ، وبلغت ذروة مجدها خلال القرن الرابع عشر ، ثم تلاشى نفوذها واختفى دورها المؤثر من المسرح الإفريقي في أواخر القرن السادي عشر .

وقدقامت مالي على أكتاف قبائل الماندنجو ، وهي القبائل الزنجية التي سادت لبضعة قرون المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي .

وفي عصر ازدهارها امتد سلطان إمبراطورية مالي حتى نقل « العمري » عن أبي سعيد الدكالي الذي عاش في مالي خمسة وثلاثين عامًا : أن طول هذه المملكة أربعة أشهر وأزيد وعرضها مثل ذلك .

في تلك الرقعة الواسعة اجتمعت لدولة مالي في عصر ازدهارها ثروات جعلت صيتها يتردد عاليًا في عالم العصر الوسيط ، إذ كانت تضم مناجم الذهب في « ونقارة » ومناجم الملح في « تفازة » ومناجم النحاس في « تكدة » .

و يذكر المؤرخون أنه عندما خرج « منساموس » أعظم ملوك مالي للحج في عام 1324 واصطحب معه موكبًا ضخمًا وكميات هائلة من الذهب ، تناقل أخباره التجار الأوروبيون الذين يعملون في تبادل السلع مع إفريقيا ، الشيء الذي يعكس ثراء مالي في ذلك التاريخ .

مساحة إمبراطورية مالي تساوي دول غرب أوروبا مجتمعة

تقدر مساحة مالي في عصر ازدهارها بما يعادل مساحة كلِّ دول غربي أوروبا مجتمعة ، ورقعتها تلك تضم الآن؛ جمهورية مالي في الوسط ، وموريتانيا الجنوبية في الشمال ، والسنغال وغينيا في الغرب ، وأراضي ساحل العاج الشمالية وبوركينا فاسو في الجنوب ، وجمهورية النيجر في الشرق .

و إذا كانت إمبراورية مالي قد احتلت تلك المكانة البارزة في التاريخ الإفريقي ، فإن تلك البقعة من الأرض كانت تعيش ــ قبل مالي ــ في ظل إمبراطورية غانة التي وصفها ابن خلدون بأنها : « أعظم أمة واضخم ملك » حتى باتت تعتبر بحقٍّ أولى حلقات التاريخ القومي

لغرب إفريقيا ، وأول تجربة ، أو أقدم ما عرف من تجارب الحكم الوطني الناجح في تلك البلاد .

ومن الجدير بالذكر أيضًا أنه في أعقاب دولة مالي ـ وفوق الرقعة ذاتها قامت إمبراطورية « صنغي » من منتصف القرن الخامس عشر إلى أواخر القرن السادس عشر ، وعرفها المؤرخون العرب باسم كوكو .

استقلال مالي

ومنذ بداية القرن السادس عشر ، كانت أساطيل الغرب الاستعمارية قد بدت تدق أبواب غرب إفريقيا متمثلة في البواخر البرتغالية في البداية ، ثم الاحتلال الفرنسي في النهاية ، والذي ثبّت أقدامه في مالي في بداية القرن الحالي ، وأطلق عليها اسم « السودان الفرنسي » ، وعندما حانت ساعة رحيل الفرنسيين حاولوا ربط مالي بالسنغال في اتحاد بين البلدين أُقيم عام 1959 م ، ولكن المحاولة لم تنجح ، فحدث الانفصال ، واستقلت مالي بقيادتها في عام 1961 م .

الحصار الاستعماري الاقتصادي

لكن شعب مالي لن ينسى لفرنسا دورها الاستعماري البغيض ، فقد ذاق الأمرّين بسبب الهيمنة الفرنسية على مقدرات البلاد ، وما زال الشعب يتحدث بمرارة عن معاقبة فرنسا لمالي لتمسكها بسياسة عدم الانحياز ، و إصرارها على الاستقلال عنها عام 1961 م وخروجها من منطقة الفرنك رفضًا للهيمنة الفرنسية ، وكيف أن باريس قطعت عنها كل معونة وسحبت خبراءها الفنيين ، وحاصرت مالي سياسيًّا واقتصاديًّا حتى عجزت أشهرًا عديدة عن دفع رواتب الموظفين ، وحتى تدهورت قيمة الفرنك المالي بصورة مفزعة ، بعد أن كان يعادل الفرنك الفرنسي عام 1960 م أصبح الفرنك الفرنسي يعادل مئة فرنك مالي مؤخرًا ! ! .

أصول الشعب المـالي

يتراوح عدد سكان مـالي بيـن ستـة وسبعة ملاييـن مـن البشر ، وأيًّا كان الرقم الحقيقي لعدد السكان فإن الوعاء البشري في مـالي يضم خليطًا مـن القبائل والأجناس ، بتعدد قسمـاته العرقيـة والاجتمـاعية بصورة مثيرة ومدهشة .

فسكان مـالي يتوزعون بشكل عام على أصليـن ؛ عربي وزنجي ، وبرغم أن هذه الأصول لا تعيش في عزلة عن بعضهـا . و إنما تداخلت تجمعاتهـا السكانيـة بقدر تشابك مصالحهـا الاقتصاديـة ، فإنه يمكن القول : إن الزنوج يتركزون فـي الجنوب ويعملون بالزراعة والصيد ، والعرب يتركزون فـي الوسط والشمـال ويعملون بالرعي والتجارة .

و إذا اقتربنا أكثر مـن الصورة فإننا سوف نجد أن هذه الأصول أفرزت عشر مجموعات مـن القبائل علـى الأقل تتعايش جنبًا إلـى جنب فـي أرض مـالي فـي الفترة الأخيرة .

مـن هذه القبائل سبع مجموعات ذات أصول زنجيـة هي : البمبارا ، والسراكولي ، وبوزو ، والـمـنيـنكا ، والصنغاي ، والرجون ، وبوبو .

والعرب من أصول عربيـة بطبيعة الحال ، ولكن الفولانييـن يختلط فيهم العنصر الزنجي بالعربي .

والبمبارا هم أكبر قبائل مـالي ، وهم يمثلون 35% مـن مجموع السكان . إلا أن اللغة البمباراوية منتشرة بقدر يفوق حجم قبائل البمبارا ، إذ يتحدث بهـا نحو 60% مـن السكان ، وفضلاً عن أنهـا لغة الشارع فـي العاصمة ، إلا أنهـا باتت لغة التجارة أيضًا برغم أن أكبر التجار مـن السراكول .

سبعون بالـمئة مـن السكان مسلـمون ، وخمسة وعشرون بالـمئة وثنيون ، وخمسة بالـمئة مسيحيون ، وتلك أيضًا نسب متداولة ومستقرة فـي دوائر الحكومة .

وصول الإسلام إلـى مـالي

مجتمـع المسلمين في مـالي يختلـف دوره مـن جـهـة لأخرى، فـالإسلام في الشمال أسبق منه في الجنوب ، و إذا كان الإسلام قد وصل إلى المناطق الشمالية منذ الفتح

الإسلامي لشمال إفريقيا في القرن السابع الميلادي ، فإنه قد انتشر في المناطق الجنوبية في عهد المرابطين في القرن الثاني عشر . ذلك أدَّى إلى أن أصبح الإسلام في الشمال أكثر رسوخًا منه في الجنوب .

ليس فقط بفعل الفارق الزمني ، و إنما أيضًا لأن مصدر التبليغ اختلف ، فقد تلقى الأولون تعاليم الإسلام من مصادره العربية الصحيحة ، برغم أن ذلك لم يمنع من تأثير هذه التعاليم واختلاطها بالعادات فيما بعد .

بينما تلقى الآخرون الإسلام على أيدي شيوخ الطرق الصوفية بما أضفوه على التعاليم من اجتهاداتهم الشخصية التي تأثرت بنمط الحياة والأعراف في تلك المناطق النائية .

فإذا كان السفور والاختلاط شائعين في الجنوب ، فإن الأوضاع عكس ذلك تمامًا في الشمال . في الجنوب تستقبل المرأة ضيوف زوجها مثلاً وتحادثهم في حضوره وغيبته ـ وهو ما لاحظه ابن بطوطة ـ بينما المرأة في الشمال لا تتحدث إلا من وراء حجاب ولا تجالس ضيوف زوجها .

الطرق الصوفية لعبت دورًا كبيرًا في المجتمع المالي

لعبت الطرق الصوفية دورًا كبيرًا في الحياة الإسلامية بمالي حيث تنتشر الطريقة التيجانية في الجنوب والقادرية في الشمال ، ويلاحظ أيضًا أن سجل هذه الطرق حافل بالذكريات المرة التي تدور حول المصادمات المستمرة بين التيجانية والقادرية طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وقد ظل الفريقان يتبادلان الاتهامات التي بلغت حدَّ التشكيك في سلامة الاعتقاد .

وبرغم تعدد السمات واختلافها في المجتمع المالي فإن ثمة قدرًا مشتركًا وواضحًا من الحرص على التمسك بشكل تعاليم الإسلام وفي العبادات بوجه خاص . وتحتل الصلاة مقدمة تلك العبادات التي لا يستطيع أحد التراخي في أدائها . فعندما ينادي المؤذن إلى الصلاة ، فإن الجميع يلبون النداء .

وكثيرون يصلون في أماكنهم إذا بعدت المسافة ، ولأهمية هذا الالتزام فإن المتكاسلين لا يستطيعون أن يتخلفوا ، لأن هذا يُعَدُّ شيئًا معيبًا في منظور القيم السائدة

ناهيك عن القيم الإسلامية .

وبالرغم من أن الجميع يدينون بدين الإسلام فإن مشايخ الطرق الصوفية قد لعبوا دورًا كبيرًا وخطيرًا بما أضافوه من اجتهاداتهم الشخصية التي وصلت إلى درجة التزمُّت فلا يصلي التيجاني خلف القادري ولا العكس .

باماكو العاصمة

باماكو عاصمة لبلدكان يُعَدُّ أحد رموز عدم الانحياز والكبرياء الإفريقي ، ودعامة للقوى الرافضة للهيمنة الفرنسية ، ثم هي بمثابة القلب فيَ بلد على مفترق الطرق بين شمال القارة ووسطها وغربها ، فضلاً عن أنها عاصمة أهم دولة زراعية في غرب إفريقيا ، بل كانت تُعَدُّ حتى وقت قريب « مخزن حبوب القارة » .

ولكن برغم ذلك فإن العاصمة لها مشاكلها التي تتمثل في الكهرباء وشبكات المياه ومشاكل المواصلات والطرق المعبدة .

وإلى جانب ذلك فإن باماكو تجسِّد حقًّا البلد الذي هدَّه الجفاف ، وأنهكه الغلاء ، وأربكه المستغلون والسماسرة ، وحاصرته المصالح والأطماع الاستعمارية الفرنسية عقابًا وتاديبًا .

وحيث يذهب المرء يسمع قصصًا عن مسلسل الحزن المخيِّم منذ حلَّ الجفاف عام 1973 م ، وحكايات عن الكساد الذي ضرب البلاد ، والإحصاءات ترسم معالم تلك المأساة بوضوح حيث تشير إلى أنه منذ ذلك التاريخ نقصت الأمطار بنسبة 70% فهلك 47% من مختلف أنواع الماشية ، بل وصلت في منطقة جاو إلى 85% وفي عام 1981 م شهد مخزن الحبوب التقليدي عجزًا قدره نصف مليون طن . هذا فضلاً عن آلاف العاطلين الذين وفدوا إلى العاصمة من المزارعين الذين هجروا الأرض بسبب الجفاف ، وما حمله هؤلاء القادمون من هموم جديدة أضيفت إلى هموم العاصمة وأحزانها .

اللغة العربية

كانت اللغة العربية هي لغة الخطاب الرسمي في مجتمعات المسلمين حتى بداية عهد

الاحتلال الفرنسي الذي جثم على قلب المنطقة منذ بداية القرن الحالي . ومن الثابت أن جميع الوثائق الهامة في الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا كانت تكتب بلغة القرآن الكريم . فضلاً عن أنها كانت لغة الحكومة والمراسلات الدولية والتجارة ، حتى يقول « توماس أرنولد » : إن اللغة العربية غدت لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة الإفريقية .

ومن الثابت أيضًا أن اللغات الإفريقية المحلية ظلت حيَّة طوال تلك العهود ، ولكن اللغة المنتشرة منها كانت تكتب بالحروف العربية مثل الهوسا ، والبمبارا ، في حين كانت بقية اللغات منطوقة ، وليست مكتوبة .

وقد كان القضاء على اللغة العربية هدفًا للاستعمار الفرنسي منذ البداية و إن قوبلت هذه السياسة بمقاومة عنيفة من قِبَلِ مجتمعات المسلمين الأفارقة .

وحينما ألح المسلمون في فتح مدارس أهلية على نفقتهم الخاصة لتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، لم تملك السلطات الفرنسية إلا أن تستجيب لذلك الضغط الشعبي ، إلا أنها وضعت نظامًا ألحقت بموجبه تلك المدارس « بوزارة الداخلية » ، وليس بوزارة التربية والتعليم كما هو معروف ! ! ولم تكن تلك المدارس وحدها هي المعتبرة « قضية أمنية » و إنما أُلحقت بها المساجد أيضًا ، حتى أصبحت رموز الإسلام ولغته من اختصاص أجهزة الأمن طوال سنوات الاحتلال ! ! .

تطور تعليم اللغة العربية يزعج كثيرًا أبناء المدرسة الفرنسية

و إذا كان موضوع التعليم العربي ومدارسه محاطًا بظروف قهرية منذ البداية فإن المدهش حقًّا هو حجم هذه المدارس ، حيث بلغت عددًا تجاوز توقعات الكثيرين ، وتطور بصورة مفاجئة سببت إزعاجًا شديدًا لأبناء المدرسة الفرنسية كافة .

وطبقًا للإحصاءات الداخلية فإن مدن مالي تضم أكثر من 200 مدرسة أهلية تدرس اللغة العربية والثقافة الإسلامية ينتظم فيها أكثر من 50 ألف تلميذ وتلميذة .

وبرغم الجهد الذي تبذله تلك المدارس فإنه مهدد بالإجهاض نتيجة لأنها تقتصر على المرحلتين الابتدائية والإعدادية ، وفي غيبة التعليم الثانوي والعالي ، فإن حامل الشهادة الإعدادية إما أن يواصل تعليمه في المدارس الثانوية الفرنسية ، حيث تنمحي تدريجيًّا

حصيلته من العربية ، أو ينخرط في الحياة العامة ليفارق مجال التعليم ، وتتحقق ذات النتيجة المؤسفة ، أو أن يحصل على منحة دراسية في بعض البلدان العربية ، والحل هو أن تنشأ مدرسة ثانوية وجامعة تسدُّ تلك الثغرة وتنقذ مستقبل اللغة العربية .

« جنـي » معقل الثقافة الإسلامية ومدينة العلم والعلماء

مدينة « جني » كانت اسمًا لامعًا وكبيرًا في المنطقة حتى القرن السادس عشر على الأقل ، وعند أي ذكر للإسلام والمسلمين كان لا بد من أن يشار إلى هذه المدينة التاريخية .

فقد كانت في البداية « ديا الصغيرة » بلدة ظهرت في قلب دلتا نهر النيجر على أنقاض إحدى مدن مملكة غانة ، ودخلت الإسلام في بداية القرن الثالث عشر بعد انتشار المرابطين في غرب إفريقيا ، ودخلت التاريخ في العصر الذهبي لإمبراطورية مالي الإسلامية .

وصفها المؤرخ عبد الرحمٰن السعدي : « بأنها مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة . جعل الله في أرضها خلقًا وجبلة ، وطبيعة أهلها التلاحم والتعاطف والمواساة . ويضيف : وهي سوق عظيم من أسواق المسلمين وفيها يلتقي أرباب الملح ، وأرباب الذهب ، وكلا المعدنين المباركين ما كان مثلهما في الدنيا كلها ، فوجد الناس بركتها في التجارة إليها كثيرًا ، وجمعوا فيها من الأموال ما لا يحصى » .

وعن فقهائها يقول : « قد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانًا من العلماء والصالحين من غير أهلها من قبائل شتَّى ، منهم « مورسغ كنكي » الذي كان فقيهًا صالحًا جليل القدر . في نصف الليل يخرج من داره إلى الجامع لنشر العلم ، فيجلس الطلبة حوله يأخذون العلم إلى الإقامة ومن بعد الصلاة إلى الزوال ، ثم يرجع لداره ، ثم من صلاة الظهر كذلك إلى صلاة العصر ، هكذا كانت عادته مع الطلبة » .

وفي إشارة إلى حجم مملكة « جني » يقول السعدي : « قيل إن في تلك الأرض سبعة آلاف وسبعًا وسبعين قرية متقاربة بعضها إلى بعض » .

وتبدو مدينة « جني » حصنًا حقيقيًّا ، حمته الأقدار بحاجز نهري يحيط به من كلِّ

جانب ، وهو الذي ساعدها على أن تظل مملكة مستقلة لعدة قرون ، وهو الذي أفشل محاولات اقتحامها من جانب ملوك مالي ، وهو الذي جعلها عصيةً على ملوك صنغاي حتى طال حصارها لسبع سنوات ، وتحول المحاصرون لها إلى مستوطنين حولها ، اضطروا للاشتغال بالزراعة ليؤمِّنوا مواردهم عبر تلك السنوات .

كان مسجدها الكبير علامة لا تخطئها العين ، فحيثما ذهب المرء يلمح جانبًا من عمارته الشاهقة المميزة .

وقيل : إن هذا المسجد كان في الأصل مقرًّا لقصر الملك « كنبرو » الذي أسلم في القرن الثالث عشر ، فهدم القصر وأقام مكانه مسجدًا .

ولم يبق من « جني » معقل الثقافة الإسلامية ومدينة علماء السودان والبيضان ـ كما قال المؤرخ السعدي ـ لم يبق شيء يذكر ، وقد أصبح في المدينة ثلاث مدارس فرنسية ومدرسة فرنسية ـ عربية « فرانكو آراب » ومدرسة أهلية واحدة لتعليم اللغة العربية . غير أن مجالس العلم والكتاتيب ما زالت قائمة ، وتؤدِّي دورها بالقدر المتاح ، وفقهاء المدينة لا يزالون يعلِّمون الناس في حلقات يعقدونها بعد صلاة العصر في بيوتهم .

تمبوكتو

إنها ليست من المدن الموغلة في القدم كما يتخيل بعض الناس فعمرها لا يتجاوز 880 عامًا . . بدأت قصتها في الصحراء حول بئر ماء كانت تقف عندها قوافل الطوارق لترتوي . . وعند هذه البئر كانت تقيم امرأة تدعى « بوكتو » عرف المكان باسمها « تمبكتو » وهي كلمة تعني في لغة الطوارق مكان بوكتو واستقر اسمها على هذا الحال بمرور الزمان .

وظل معسكر تمبكتو يتسع و يكبر حتى تحول إلى بلدة صغيرة احتلت مركزًا مرموقًا كمحطة نهائية لجميع طرق القوافل الصحراو ية القادمة من المغرب وفاس والجزائر وتونس وطرابلس إلى السودان الغربي .

وانتشر اسم المدينة وذاع صيتها إلى ما وراء إفريقيا ، عرفه أهل مكة والمدينة وبلاد المشرق والهند .

وفي أسواقها كان يلتقي المبحرون فوق رمال الصحراء ،مع الماخرين العباب على قوارب نهر

النيجر . . يأتون إليها بالزجاج ، والحرير ، والخيول ، والسيوف الدمشقية ، والملح الصخري ، ومختلف سلع سواحل البحر المتوسط ، ويحملون معهم الذهب ، والعاج ، والحبوب ، وريش النعام ، والجلود ، والعسل ، والصمغ ، وغيرها من المنتوجات الإفريقية .

ثم تحولت المدينة إلى مخزن هائل للبضائع الأوروبية والمغربية والإفريقية . وبلغ عدد تجار تمبكتو 50 ألف تاجر . . دلالين ووسطاء وتجار جملة ومفرّق .

ومع قوافل الجمال نقل الطوارق والموريتانيون الإسلام وثقافته إلى السودان الغربي .

إن طموحات أبناء تمبكتو جعلتهم لا يكتفون بمركزها التجاري المرموق ، بل عمدوا إلى استقطاب العلماء ورجال الفكر فازدهرت فيها حركة ثقافية وأدبية ودينية لم يشهد لها غرب إفريقيا مثيلاً . .

كانت تمبكتو المدينة التوأم للقيروان ، وقرطبة ، والأزهر ، شهدت في وقت واحد ثلاث جامعات كانت منارًا و إشعاعًا للعلم والثقافة ، لقد بنى تلك المدينة العرب الأوائل من موريتانيا ، وحملوا إلى تلك البقعة النائية العلم وكتاب الله . . وانتشرت فيها المكتبات ، وراجت فيها تجارة الكتب ونسخها ، وتحولت إلى ما يشبه مستودعًا ثقافيًّا للفكر الإسلامي في تلك الصحراء المترامية الأطراف . وكان عدد العلماء والدارسين وحدهم يزيد على 25000 شخص بينما عدد السكان في المدينة اليوم لا يتجاوز العشرين ألفًا .

كانت تمبكتو منارة تشع العلم والمعرفة على غرب إفريقيا بأسرها ، وكانت مساجدها ومدارسها تجتذب الناس من مختلف أرجاء العالم .

وظل اسم تمبكتو طوال عصورها تلك يلهب الخيال ويثير الرغبة في نفوس الكثيرين الذين عدُّوها مدينة مليئة بالثروات ، لاتجارها في الذهب والعاج وريش النعام ، مما أغرى كثيرين من الرحالة بالمغامرة للوصول إليها ، فقتل في سبيل ذلك الميجور لينج ، وزارها الرحالة « مارت » عام 1853 وكتب عنها الكثير بعدما وضع يديه على كثير من مخطوطاتها العربية .

وما كاد القرن السابع عشر يطلُّ حتى انطفأت شعلة هذه المدينة وخبت وراحت في سبات عميق .

كلُّ دول وقبائل المنطقة كان يسيل لعابها من أجل السيطرة على جوهرة الصحراء . . غزاة تعاقبوا عليها في موجات مدمرة.. فقد سمعت طرقات تمبكتو وقع حوافر خيول الغزاة من كلِّ حدب وصوب ، لينتهيَ مسلسل الحروب بالاحتلال الفرنسي .

فقد اكتشف الرجل الأبيض تلك المدينة وعرف دورها الثقافي الرائد و إشعاعها الحضاري فجاء غازيًا ودخلها الفرنسيون محتلين عام 1894 م وحولوا المدينة إلى أطلال ! !

وبرغم كلِّ ذلك لم تعرف تمبكتو دينًا غير الإسلام ، وصفها المؤرخ عبد الرحمٰن السعدي قائلاً : لم تعرف عبادة الأوثان ، ولم تعبد غير الرحمٰن ، وحينما سقطت قرطبة وخرج المسلمون منها فرارًا من المذابح . . كانت تمبكتو الملجأ والملاذ .

في كلِّ غزوة من تلك الغزوات كانت تمبكتو تتعرض للسلب والنهب والتدمير والضياع ، ويظن الجميع أنه لن تقوم لها قائمة بعد ذلك ، ولكن سرعان ما تلملم أطرافها وأحزانها لتنهض من جديد .

وبمرور الزمن تعب أهل تمبكتو من عمليات السلب والنهب وانعدام الأمن ، فبدؤوا رحلة العودة إلى المناطق التي جاؤوا منها .

وشلت الحياة تمامًا بعد الاحتلال الفرنسي ، ولم يبق في تمبكتو سوى الأغنياء جدًّا أو الفقراء جدًّا . . ولضمان سلامة أرواحهم عمد الأغنياء إلى عمليات تمويه لأسلوب حياتهم . . ارتدوا الملابس التي لا بريق لها وامتنعت النساء عن التزين بالحلي ، واتبع الأهالي حياة مغلقة صامتة .

تمبكتو تحتضن كنزًا من اليورانيوم

إن أهالي تمبكتو يتعذبون بتنقلهم فوق صحراء هاجرة . . لكن هذه الصحراء موعودة بمستقبل باهر إذا تكاتفت الجهود وصدقت النيات لإعادة المدينة إلى ماضيها التليد . . فقد اتضح أن أرضها تكتنز ثروات خيالية بعد أن اكتشفوا فيها أخيرًا اليورانيوم حول بلدة « قاودني » . . أما النفط فينقبون عنه حول مدينة « جاوو » .

تمبكتو اليوم تنطفيء ثقافيًّا . . كان عدد طلبتها 25 ألف طالب في القرن الخامس عشر هبطوا إلى 2500 طالب يتعلمون في ظروف صعبة .

كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، واليوم لا تجد في تمبكتو سوى أساتذة معدودين يدرسون العربية . ومأساة التعليم في تمبكتو هي جزء من مأساة التعليم في جمهورية مالي حيث تصل نسبة الأمية إلى 80% .

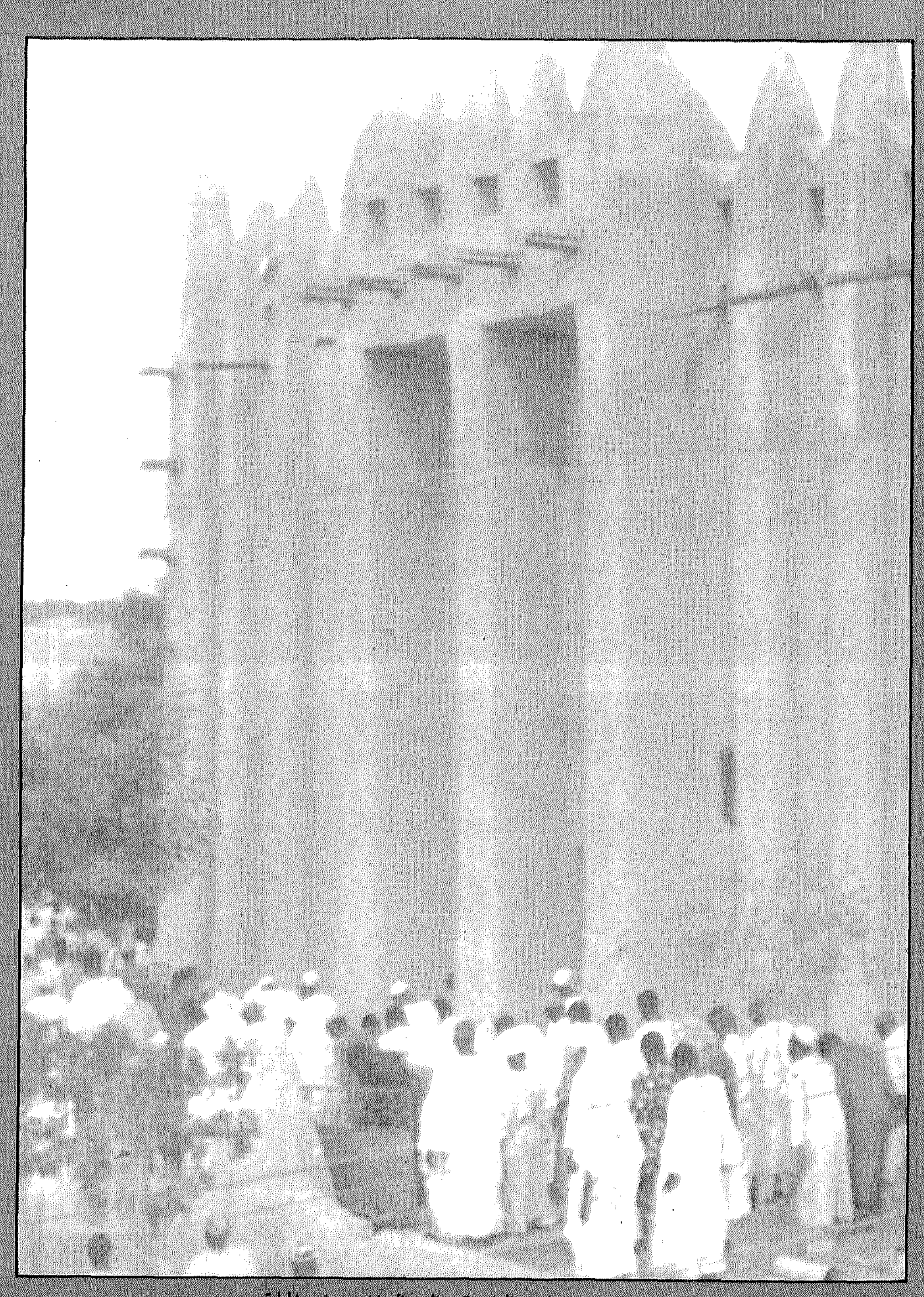
تأثير العرب في حضارة مالي

إن روابط مالي بالوطن العربي كانت وثيقة منذ قرون طويلة من الزمان، وتأثير العرب في حضارة مالي تأثير كبير يعترف به الجميع . . واللغة العربية تتحدث بها قبائل عديدة على طول الحزام الصحراوي في مالي ، وكانت هي اللغة التي دخل بها الإسلام إلى قلوب أبناء مالي . فانتشرت مدارسها . . ووقعت مالي تحت النفوذ الفرنسي ، ومع ذلك ظلت العربية مزدهرة . ثم بدأت تظهر مشكلة تعليم اللغة العربية . . نقص هائل في المدرسين ، وانعدام الكتب ، وذبذبة المناهج . .

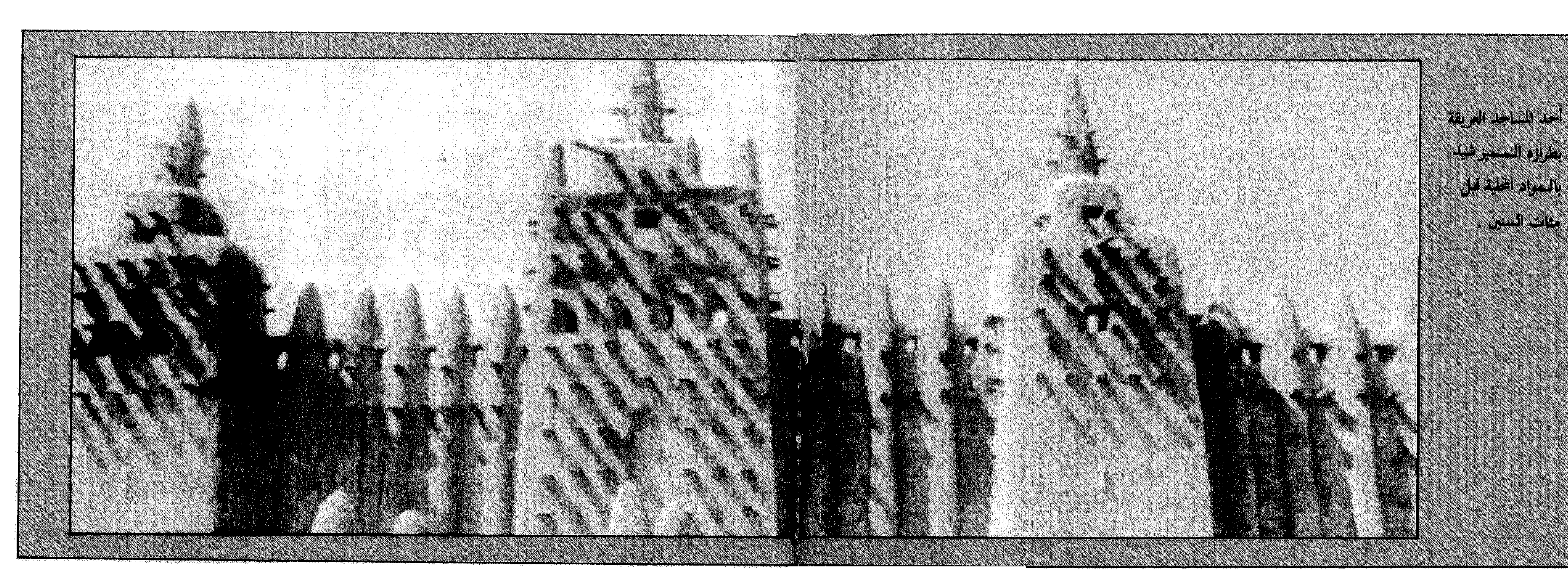
إن إحياء تعليم اللغة العربية في تمبكتو يحتاج إلى مدرسين كفاة يعملون على إعادة رغبة الطلبة في تعلم لغتنا.. إلى جانب تزويدهم بالكتب الحديثة التي تتبع منهجًا موحدًا، لأن الكتب الموجودة حاليًّا ورثوها من المدرسة القديمة عام 1966 م ، كتب قليلة العدد لا تتبع منهجًا أو نظامًا . . ويدرس كل ثلاثة طلبة في كتاب واحد .

مساجد بالمواد المحلية تجاوزت أعمارها ستة قرون

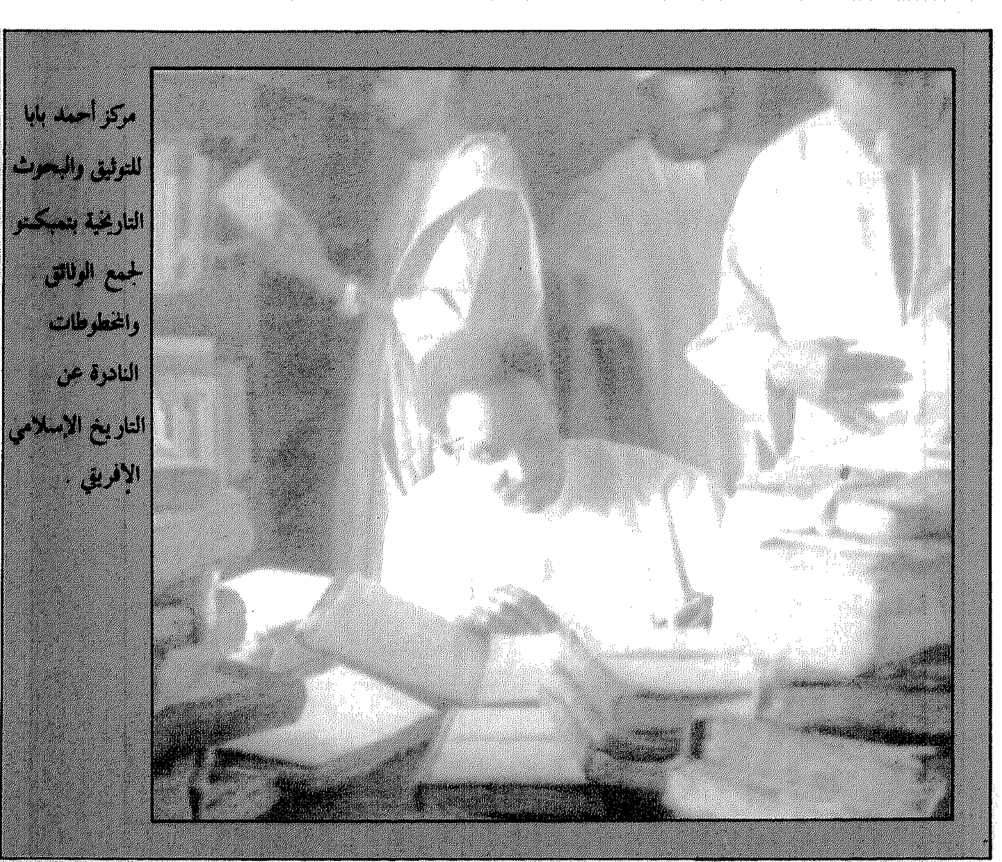
تتمتع تمبكتو بكثير من المساجد المعمرة التي تجاوزت الستة قرون وعلى رأسها المسجد الكبير « جيجاري بيل » شيده كانكو « السلطان موسى » الذي اشتهر بأنه كان يبني مسجدًا في كل مدينة تدركه فيها صلاة الجمعة . وقد شيد مسجد تمبكتو بعد عودته من رحلة الحج الشهيرة عام 1325 م ، وأشرف على بنائه أبو إسحٰق إبراهيم الساحلي الشاعر القرطبي والمهندس ، لذلك جاءت هندسته الداخلية على غرار مسجد قرطبة العظيم مع الفارق طبعًا ، أما خارجه فقد شُيِّد بالطين الصحراوي على نمط الهندسة السودانية القديمة . إلى جانب مسجد « الشيخ يحيى » .



مسجد جني بمساحته الواسعة يغالب الزمان بمواده المحلية .



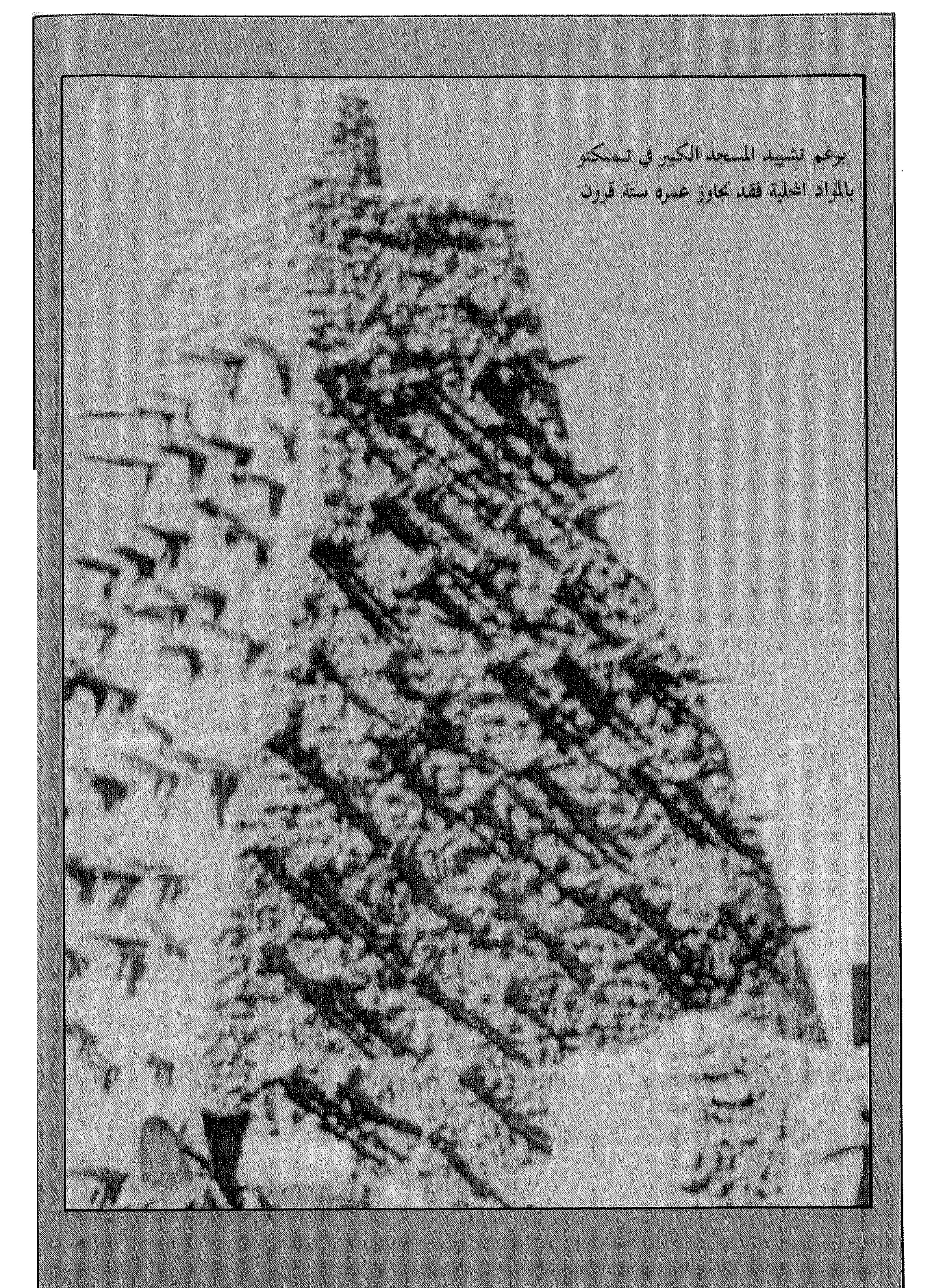
أحد المساجد العريقة بطرازه المميز شيد بالمواد المحلية قبل مئات السنين .



مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتمبكتو لجمع الوثائق والمخطوطات النادرة عن التاريخ الإسلامي الإفريقي .



الموريتانيون حملوا الإسلام إلى تمبكتو وحافظوا على لغة القرآن عن طريق هذه الكتاتيب .



برغم تشييد المسجد الكبير في تمبكتو
بالمواد المحلية فقد تجاوز عمره ستة قرون

أشهر جوامع تمبكتو الجامع الجامعة

أما الجامع الثالث فهو أشهر جوامع تمبكتو ، إنه جامع « سنكورية » الذي تقام فيه حاليًّا الصلوات فقط . في حين أنه كان في الماضي مقرًّا لجامعة سنكورية التي جعلت من تمبكتو المركز الديني والثقافي في غرب إفريقيا ، هذا الجامع يقول « صاحب تاريخ السودان » شيدته امرأة عظيمة في منتصف القرن السادس عشر بين 1578 ـ 1582 م ، ثم أُعِيدَ بناؤه ، ويقال إنه أخذ أبعاد الكعبة المشرفة .

ومن هذا الجامع الجامعة تخرج كبار العلماء في مختلف العلوم الإسلامية ، ولكن الثورات ومكائد السياسة تدخلت بين رجال العلم والحكام فكانت نهاية جامعة سنكورية في عام 1594 بطرد أساتذتها وسجنهم وقتل بعضهم ونفي بعضهم الآخر إلى بلاد المغرب .

ومن هؤلاء كان المؤرخ العالم أبو العباس أحمد بن أحمد المعروف بأحمد بابا السوداني ، ألف ما يزيد على الخمسين كتابًا في مختلف العلوم وما يزال معظمها مخطوطًا حتى اليوم .

وتكريمًا لهذا العالم فقد أُطْلِقَ اسمه على عدة منشآت على رأسها « مركز أحمد بابا » للتوثيق والبحوث التاريخية . وقد اختارت « اليونيسكو » مدينة تمبكتو مقرًّا لهذا المركز لأهميتها التاريخية من جميع النواحي الدينية والعلمية والتاريخية والحضارية .

بدأ مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية نشاطه منذ عام 1977 وتمكَّن المسؤولون فيه من جمع أكثر من ألف مخطوط عن طريق الشراء أو الإعارة أو الهبة ، والعدد الأكبر من المباني القديمة المهجورة يتساقط عندما يأتي موسم الأمطار فتظهر المكتبات والكتب النادرة .

وكلُّ أسرة في تمبكتو تمتلك مكتبة عامرة بالكتب ، وكان الناس يحفظونها في غرف مقفلة بدون نوافذ ، وقد أمكن إقناع أصحابها بضرورة فتح نوافذ في تلك الغرف على نفقات المركز حفاظًا على المخطوطات الموجودة فيها .

ويهدف المسؤولون إلى تحويل هذا المركز ليصبح شبه جامعة لتأخذ مكان جامعة سنكورية القديمة .

ووافقت كثير من الدول العربية على تقديم مساعدات مالية لتحقيق هذا الهدف الكبير .

النهوض بمدينة تمبكتو وإحياء التراث الإسلامي بها

وفي إطار أهداف جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الرامية إلى نشر الدعوة الإسلامية وتعميق المفاهيم الإسلامية الصحيحة وإحياء التراث الإسلامي وإيجاد الحلول لمشاكل المسلمين في مختلف أنحاء العالم ودعمهم في مواجهة التحديات المعاصرة أكدت الجمعية تقديم دعم مالي للمساهمة في صيانة ثلاثة مساجد بمدينة تمبكتو ، ومساعدة « أمانة الهجرة النبوية » التي تكونت عقب اختيار منظمة المؤتمر الإسلامي لمدينة تمبكتو من بين 12 مدينة لتقام فيها مهرجانات ومؤتمرات إسلامية احتفالاً ببداية القرن الخامس عشر الهجري .. مساعدة هذه الأمانة ودعمها وتزويدها بالمواد الإعلامية المسموعة والمرئية والمكتوبة لإثراء البرامج الإسلامية التي تقدمها الأمانة من خلال وسائل الإعلام المختلفة .

إلى جانب المساهمة في مجال المحافظة على المخطوطات الإسلامية والعناية بها وطباعتها والاستفادة منها في إثراء المكتبة الإسلامية ، بالإضافة إلى المساهمة في إنجاز مشروع « معهد تأهيل معلمي اللغة العربية والثقافة الإسلامية» نظرًا لما يمثله هذا المعهد من أهمية في نشر الثقافة الإسلامية وترسيخها في عقول الأجيال ، وقيامها أيضًا بإيفاد قافلة طبية إلى منطقة تمبكتو خلال شهر التمور « اكتوبر » 1989 في إطار المساهمة في حل المشاكل الصحية التي تتعرض لها تلك المنطقة .

مالي تحظى بعناية ثورة الفاتح الإسلامية

والجدير بالذكر أن جمهورية مالي قد حظيت بعناية فائقة من قِبَلِ ثورة الفاتح الإسلامية ، حيث حمل الثائر المسلم معمر القذافي لمالي ولإفريقيا في زيارته في عام 1986 المدرسة والمصنع والمزرعة والمستشفى والمكتبة والمسجد لمساعدة إفريقيا للوقوف في وجه أعداء الحياة والتقدم ، وقد تزامنت تلك الزيارة واتحد مضمونها ودلالتها

مع انعقاد الاجتماع الرابع للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية العالمية بمدينة باماكو عاصمة جمهورية مالي . . وهو أول اجتماع للمجلس يُعقد في مدينة إسلامية غير عربية . وقد اختيرت مالي لما كان لها من تاريخ حافل في الثقافة ، والحضارة الإسلامية في منطقة غرب إفريقيا .

وخلاصة القول : إن هذا التاريخ العريض الذي استعرضناه لم يبق منه لتمبكتو اليوم سوى بعض المنشآت المتمثلة في بعض المساجد والمكتبات القديمة والمدارس الفقيرة ، ومركز « أحمد بابا » للمخطوطات الذي يتولّى عملية جمع وصيانة ثروة المخطوطات الموجودة في تلك المنطقة .

هذه المنشآت المتبقية تشهد بتاريخ وعظمة ومجد تلك المنطقة كمركز لانتشار الثقافة الإسلامية إلى مجمل دول غرب إفريقيا .

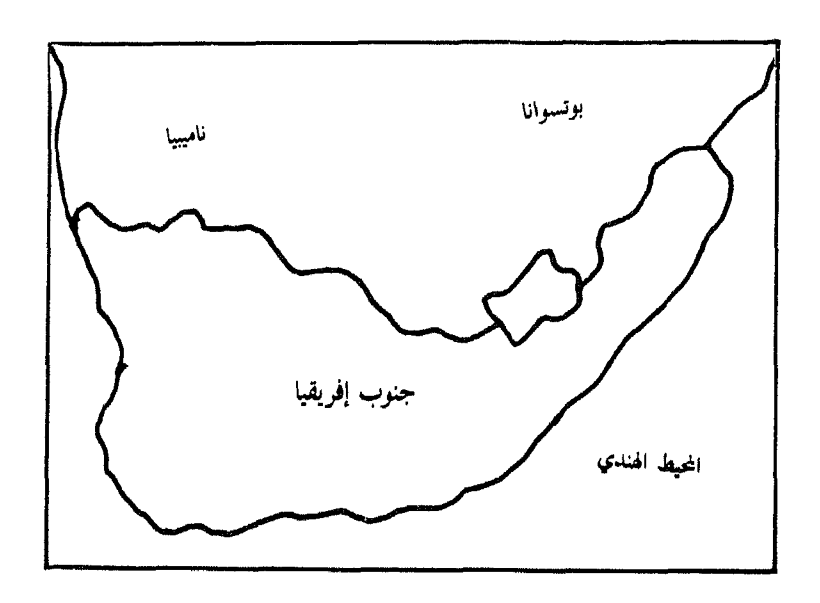
و إذا كان هذا هو واقع تمبكتو التي تقع في قلب الصحراء ، فإنها تتعرض اليوم للجفاف والتصحر والجوع ، وزحف الكثبان الرملية التي تغمر آثارًا إسلامية عزيزة متصلة بتاريخ إفريقيا السمراء .

و إذا كان رؤساء الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي قد اتخذوا قراراً بمشروع يقضي بإعداد احتفالات كبرى بمناسبة مرور خمسة عشر قرنًا على هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وعُهِدَ إلى جمهورية مالي بالاعداد لهذه الاحتفالات في مدينة «تمكبتو» موضع الحديث.. فإنها لفرصة سعيدة تضع على عاتق المسلمين في كلِّ مكان، دولاً وهيئاتٍ ومؤسساتٍ وأفرادًا، واجبَ تكثيف الجهود وتوفير الإمكانات لإعادة الوجه المشرق، والضياء إلى منارة الإسلام في غرب إفريقيا.

المصادر

* **مجلة العربي العدد 244 لعام 1979 م.**
* **مجلة العربي لعام 1982 م.**
* **مجلة الفكر الإسلامي العدد الخامس لعام 1979.**
* **صحيفة الدعوة الإسلامية بتاريخ 1988/7/22 م.**
* **مجلة رسالة الجهاد العدد 40 لعام 1986 م.**
* **مجلة رسالة الجهاد العدد 67 لعام 1988 م.**

الإسلام فـي جنوب إفريقيـا العنصريـة



العنصرية داء عضال ومرض مهلك ، تحدث عنه الجميع ، وكتب حوله الكثير . . هذه الظاهرة التي تبرز في الحياة الأوروبية اليوم ، وتتجسد أكثر فأكثر في نظام جنوب إفريقيا العنصري ضد الأفارقة ، وفيما يسمى بالكيان الصِّهيوني القائم على الاستعمار الاستيطاني والتمييز العنصري ضد العرب . . هذه الظاهرة تثير اهتمام الجميع . . مفكرين وسياسيين وعلماء دين وحكومات ونقابيين وأجهزة إعلام ، وهذا الاهتمام نابع بلا شك من مجمل الأخطار والكوارث التي نلاحظها كلَّ يوم . . . فقد أسالت العنصرية دماء كثيرة ، وأزهقت أرواحًا بريئة ، ودمرت مجتمعاتٍ عديدةً ، وأفنت أممًا بحالها . ومع ذلك ظلت التحليلات الإيديولوجية والفلسفية والأخلاقية والسلوكية عاجزة في الجوهر عن الإمساك بالطابع الحقيقي العميق لهذه الظاهرة ، كما أن علم النفس باعتباره علم معرفة وتفسير سلوك ومظاهر سلوك للإنسان ككائن اجتماعي ، قام هو الآخر بدراسة هذه الظاهرة نظرًا لكونها تتعلق مباشرة بسلوك إنساني معين وسلبي ، لكن تحليل الحالات الفردية بشكل منفصل لم يوصل إلى نتائج قاطعة وثابتة نظرًا لتباين الدوافع وردود الأفعال السلوكية بين فرد وآخر ممن أُخْضِعُوا إلى التجريب والتحليل ، وقد انتهى علماء النفس إلى استنتاج « أن ظاهرة العنصرية بعيدة جدًّا عن أن تكون ظاهرة فردية » أي بكلمة ، لا يمكن أن توجد عنصرية بدون وجود مسبق للجماعة والمجتمع .

ودينا الإسلامي بنظرته العادلة للإنسان هو ضد العنصرية ، إذ إن تنوع الشعوب والقبائل من حيث الألوان والألسن والأعراق وما إلى ذلك ، هو من إرادة الله تعالى الذي خلق الإنسان من ذكر وأنثى هما آدم وحواء : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (لتعارفوا) على أساس من المساواة التي ينتفي معها كلُّ أنواع التفرقة والميز العنصري .

ولذلك ، وانطلاقًا من هذا المفهوم العادل : فإن النضال ضد التمييز العنصري والتفرقة بين الشعوب والقبائل لا لشيء إلا لمجرد الاختلاف في اللون واللغة والعرق ، ولأسباب تتعلق بهيمنة أرباب السياسات العنصرية ، هو نضال واحد يجب ألاَّ يتجزأ مهما تعددت جبهاته ، وتفرقت ساحاته ، وتجبر دعاته .

مواجهة أسوأ نظامين عنصريين

ويواجه العالم اليوم أسوأ نظامين عنصريين هما ؛ جنوب إفريقيا ، والعدو الصِّهيوني ، ويعتبران مثالين صارخين من أنظمة الاستبداد العنصري القهري . وأوجه الشبه بين هذين النظامين لا حصر لها ، فكلاهما يقوم على أساس الاستعمار الاستيطاني ، ويستمدان سياستهما من الاعتقاد بتفوُّق عنصر بشري على آخر ، ويعملان على زعزعة السلام والأمن ليس في المناطق المحيطة بهما فحسب بل في العالم أجمع ، **وكلا النظامين يستمد الدعم ، بل يرجع السبب في وجودهما إلى الدول الغربية الاستعمارية الكبرى ، مما يمكنهما من الاستمرار في تطبيق سياستهما العدوانية والعنصرية والتوسعية والاستعمارية .**

وسنحاول خلال الصفحات التالية إعطاء فكرة عن تاريخ سيرورة هذا الكيان العنصري ابتداءً من القرن السابع عشر عند وصول أولى الدفعات من المستوطنين الأوروبيين البيض ، وأهدافهم ومخططاتهم الاستعمارية لإنشاء أبشع نظام عنصري في جنوب القارة الإفريقية، مع إعطاء صورة لوضع الإسلام والمسلمين الذي درجنا عليه برغم شح المصادر التي تناولته.

الجذور الأولى للنظام العنصري

تتفق العديد من المصادر أنه في يوم 1652/4/5 م وصل نحو مئة رجل هولندي إلى « **رأس الرجاء الصالح** » في جنوب إفريقيا لكي يقوموا بمهمَّةٍ محددة ، هي إقامة قاعدة لتقديم الخدمات التقنية للسفن الهولندية السائرة على الطريق البحري بين هولندا وجزر الهند الشرقية . ولم يكن هؤلاء الرجال قادمين في الأصل ، كما هو ظاهر للعيان ، من أجل مهمَّةٍ استعمارية بالمعنى المعروف للتسمية ، بل قدموا كمجرد عاملين وموظفين . وكان ممنوعًا عليهم الاختلاط أو الاقتراب من السكان الأفارقة ، أو الاعتداء على ممتلكاتهم . لكن هذه الجماعة الأوروبية تحولت ــ مع مرور الزمن ـ إلى فئة من التجار ، وأخذت أعدادها تتضاعف ، وراح قسم منها يتجه نحو الزراعة لتلبية الحاجات

الحيوية ، بعد أن كفَّت عن العمل المأجور للشركة البحرية الهولندية ، أو العمل التقني الذي أتت من أجله . فالعمل في الزراعة أخذ يتطور باستخدام الأيدي العاملة الإفريقية الرخيصة ، وهكذا تدريجيًّا أخذت تتكشف حقيقتهم ، عندما انقسمت هذه الجماعة إلى فئتين مختلفتين : **الأولى** تطورت إلى برجوازية تجارية متجهة بأنظارها إلى الخارج ، **والثانية تطورت إلى امتلاك المزراع والماشية المتجهة أكثر فأكثر نحو العمق الإفريقي ، ومع هذه الأخيرة تحولت الجماعة الأوروبية إلى الاستيطان الفعلي فاتحةً الطريق أمام الهجرة المتزايدة للأوروبيين من مختلف البلدان** .

وخلال القرن الثامن عشر كانت الأقلية البيضاء تكبر أكثر ، وتكبر معها مساحات واسعة من الأراضي الخاصة بها . إلا أن نشاطها لم ينحصر في الجانب الاقتصادي ، بل راحت تتصرف كطليعة قادمة لنشر الحضارة الأوروبية ، والديانة المسيحية ، لكن هذا التمايز عن الأفارقة « **السكان الأصليين** » صار ـ فيما بعد ـ حجر الأساس في تطور الظاهرة العنصرية ، والشعور بالتفوق ينتهي بقيام ما يسمى « **بالدولة الاتحادية** » تحكمها الأقلية البيضاء وحدها والتي وضعت **دستورًا يحرم المساواة بين البيض والأفارقة** ، برغم أن الأفارقة أغلبية ساحقة ، وبرغم أنهم سكان البلاد الأصليون ، فإنهم لا يتمتعون بأي حقوق سوى العمل في المستوطنات الزراعية كرقيق لمصلحة **الإقطاعيين** البيض .

مقاومة إفريقية مبكرة

وقد بدأت المقاومة الإفريقية للاستيطان الأوروبي منذ الفترات الأولى للوجود الأوروبي هناك . إلا أن هذه المقاومة المبكرة لم تحسم المشكلة بسبب بدائية السلاح الإفريقي ، وضعف التنظيم ، والجهل بمطامع الاستعمار الأوروبي ، الشيء الذي عزز من قوة البيض وأتاح لهم مجالات استغلال أخرى ، حيث عمدوا إلى تجارة الرقيق المزدهرة في تلك الفترة لتطوير اقتصادهم وفرض سيطرتهم ، وفي أثناء ذلك كانت جذور العنصرية البغيضة تزداد عمقًا ورسوخًا . **ثم جاء التدخل البريطاني فحسم الصراع لمصلحة الأقلية البيضاء ، وفتح أمامها آفاقًا استعمارية أرحب استمرت حتى اليوم** .

التدخل البريطاني

كانت الامبراطورية البريطانية قد أضحت سيدة العالم بأساطيلها وقوتها الحربية من جهة ، وبثورتها الصناعية وثرواتها المالية من جهة أخرى ، لذلك بدأت أنظارها تتجه نحو السيطرة على منطقة « **الرأس الإفريقي** » لوقوعها على الطريق إلى الهند ولتراجع القوة الهولندية الاستعمارية .

في البداية اصطدمت بالأقلية البيضاء الموجودة هناك ، لكن البريطانيين نجحوا في عقد اتفاقيات مع تلك الأقلية ، خاصة بعد العثور على مناجم الذهب والألماس وغيرهما من المعادن . ومع هذه الاكتشافات الثمينة كانت الهجرة الأوروبية تتزايد بشكل ملموس مصحوبة بتحولات هامة في البنية الاجتماعية للأقلية البيضاء ، حيث تحول المستوطنون الأوائل إلى قطاع من الجهاز الإداري المحلي ، وعلى هذا الجهاز اعتمدت بريطانيا الاستعمارية في تغلغلها بشكل لم تجد معه حاجة للقيام بغزو عسكري مباشر ، وإنما شجعت الهجرة إلى هناك بأعداد كبيرة .

ضمن هذا التعايش تحت ظل الاستعمار البريطاني تطورت البرجوازية البيضاء ، وراحت تمدُّ سيطرتها على القطاعات المختلفة للمنطقة ، وحصلت نتيجة لذلك على أرباح هائلة ، مكنتها من الحصول على أراض واسعة سخرتها للإنتاج الموجه نحو الأسواق العالمية ، أما العاملون في الزراعة ، وتربية الماشية فقد اتجهوا نحو إقامة اقتصاد زراعي قائم على التوظيف الواسع للأيدي الإفريقية العاملة كرقيق .

تبلور القوانين العنصرية وفقًا للون البشرة

ثم جاء تزايد استخراج الذهب والألماس في القرن التاسع عشر ليزيد من أطماع البريطانيين والاستعماريين الغربيين الآخرين بجنوب إفريقيا ، وساعد ذلك « **البرجوازية** » المحلية من البيض على الاستفادة من الدعم الاستعماري الغربي لتعزيز سيطرتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية وبالتالي تحقيق وحدة ما يسمى « **بدولة جنوب إفريقيا** » ، **ووضعوا لها دستوراً يقضي بعدم المساواة في الحقوق والمكانة بين**

الأوروبيين البيض والشعوب الملونة على الصعيد السياسي والاجتماعي والديني في أكبر عملية عنصرية عرفها التاريخ الحديث ، حيث أفرزت مؤخراً ما يسمى بمسيحية الأسياد ومسيحية العبيد ، وبإله أسود ومسيح أسود ، وما يسمى بالكنائس متعددة الجنسيات ، والكنيسة السوداء ، وكنيسة ن ك ج آن أفريكان ، وكنيسة سندنيغكرك الخاصة بالمهجنين . بمعنى أنه ليس هناك ثمة إمكانية لرؤية اللون الأسود كعطاء من الله من الوجهة الدينية بل كلعنة بيولوجية من البيض ، تَمَّ من خلالها تحويل ما يعرف باللاهوت المسيحي إلى إيديولوجية عنصرية استعلائية .

كما أن الدستور لا يسمح لأي ملون بأن يقطن أو يوجد في المناطق الخاصة بالبيض ، حتى المرور يتطلب الحصول على ترخيص خاص . ويحكم القانون بالقتل على الإفريقي الذي يخترق الحدود الخاصة بالأقلية البيضاء .

واعتبرت الأغلبية الساحقة من السكان الأصليين من « **القبائل الرحل**» وطردت بالتالي من المناطق المجاورة للبيض . ولسد الحاجة من الأيدي العاملة . كانت الأقلية البيضاء تقوم بجلبها بشكل منظم من موزمبيق وشرق إفريقيا ضمن شروط صارمة ومعاملة استبدادية استعبادية قاهرة . وضمن هذه الشروط الظالمة تبلورت القوانين العنصرية القائمة على إيديولوجية واضحة وصريحة تضع لون البشرة مقياساً في تحديد الانتماء الخاص بالفرد، بغض النظر عن مكانته الاجتماعية والإنسانية وغيرهما .

الزنوج في أمريكا عانوا من نفس المشكلة

والمعروف أن زنوج أمريكا عانوا من نفس المشكلة ومن نفس القوانين العنصرية ، وخاضوا كفاحًا طويلاً قدموا خلاله مئات الضحايا في سبيل المساواة مع الشعب الأمريكي . . وإذا كانوا قد استطاعوا تحقيق نوع من المساواة في بعض الحقوق الاجتماعية والاقتصادية التي كانت محرمة عليهم بنص القوانين الأمريكية . . فإن الطريق مازال طويلاً وشاقًّا ولا بد من تصعيد الثورة ، والتضحية من أجل المساواة الكاملة بين بني البشر في الحقوق والواجبات ، وفي إنسانية الإنسان .

وهكذا تحولت جنوب إفريقيا إلى نظام مكون من أقلية بيضاء تستحوذ على حقوق

الملكية ، والمشاركة في المؤسسات ، وفي السياسة العامة ، وفي صنع القرار ، والسيادة ، بينما تقتصر الأغلبية الإفريقية على مجرد بيع نتاج عملها للبيض ، والعيش في مناطق معزولة أشبه بالسجون . وقد قامت الحكومة العنصرية بإنشاء « كيانات قبلية» مصطنعة للمبالغة في تشريد وتشتيت قوى الشعب الإفريقي في أكبر عملية تهجير لاإنسانية في هذا العصر ، حيث أرغمت الحكومة العنصرية الملايين من المواطنين الأفارقة على « الهجرة الجماعية» من المدن واستيطانهم فيما يسمى « بالبانتوستان» أي مستوطنات إفريقية خالصة لا يسكنها أحد سواهم . فقد ساقت من قبل ثلاثة ملايين كما استعدت لتهجير مليونين آخرين ، وهكذا . . وهكذا . . وذلك للقضاء النهائي كما تنتظر على أية فرصة أو حجة للاعتراف لأي إفريقي بالمساواة في الجنسية في جنوب إفريقيا .

المجتمع الدولي يرفض « البانتوستان»

وقد رفض المجتمع الدولي بأكمله سياسة « البانتوستان» لدى إعلانها في عام 1976 و إقامة المستوطنة الأولى في « ترنسكاي» . ونددت الجمعية العامة للأمم المتحدة بنظام جنوب إفريقيا العنصري ، وأعلنت أن المشروع باطل ، وغير شرعي ، وطلبت إلى حكومات العالم عدم الاعتراف به ، أو إقامة أية علاقة بهذه الكيانات المفتعلة والممسوخة ، والتي يُعَدُّ قيامها عدوانًا على مباديء وروح ميثاق الأمم المتحدة .

والسؤال الذي نحن بصدده هو : ما وضع الإسلام والمسلمين داخل هذا النظام ، وأمام هذه القوانين العنصرية الجائرة؟

بصفة عامة نستطيع أن نقول : إن الإسلام وصل إلى القارة الإفريقية عمومًا منذ أكثر من عشرة قرون ، و إنه اليوم دين حي ينتمي إليه ويمارسه نحو مئة مليون إفريقي أو أكثر « جنوب الصحراء» ، أي أننا نستطيع أن نؤكد بثقة أن « إفريقيا إسلامية» تضم بلدانًا ذات أغلبية سكانية مطلقة ، وأخرى يبلغ عدد المسلمين فيها نحو نصف إجمالي سكانها ، وثالثة يؤلِّف المسلمون فيها أقليات مهمة ونشطة . « والمسلمون في جنوب إفريقيا» العنصرية والذين نحن بصددهم الآن يقعون وسط هذه الدائرة الأخيرة ، برغم الظروف

العنصرية المأسوية التي يعيشونها .

دخول الإسلام إلى جنوب إفريقيا

لم يدخل الدين الإسلامي إلى منطقة جنوب إفريقيا كما حدث في بعض دول القارة بشكل عادي ، بمعنى أنه لم تتم أسلمة فئة عرقية كاملة هناك أو إدخالها في الدين الإسلامي عن طريق الدعوة . كما حدث في مناطق عديدة كالسنغال وغيرها . و إنما الذي حدث هو وصول أول دفعة من المسلمين إلى منطقة **رأس الرجاء الصالح** عام 1667 من جزر أندونيسيا عن طريق مَنْ يعرفون « بتجار العبيد» من الهولنديين الذين جاؤوا بهم لبيعهم للشركة الهولندية الشرقية التي أقامت مركزًا تموينيًا لأسطولها في **رأس الرجاء الصالح** . أما المجموعة الأخرى فقد وصلت إلى هناك عن طريق الهجرة القادمة من جنوب الهند للعمال المسلمين إبان القرن التاسع عشر ، ثم راحت هذه الطائفة الإسلامية تنمو وتكبر وتحاول أن تتأقلم مع الجو الإفريقي الجديد والتربة الجديدة التي أقاموا عليها .

الطائفة الماليزية

لم يكن المسلمون الماليزيون القادمون من الجزائر الأندونيسية يمتلكون ثقافة إسلامية كبيرة ، وكان من الممكن أن يضيعوا وسط الفئات الأُخَرَ القادمة من القارة الإفريقية ، أو من مدغشقر ، أو سيلان ، لولا أنهم نظموا من قبل بعض الشيوخ الأندونيسيين المتدينين جدًّا ، . وكان هؤلاء الشيوخ قد أُبْعِدُوا عن جزيرة « جافا» لمقاومتهم الاستعمار الهولندي هناك ، ولذلك السبب نفاهم الهولنديون إلى منطقة « **رأس الرجاء الصالح**» وفور وصولهم سارعوا إلى تجميع المسلمين في تلك المنطقة وألفوا طائفة منهم سميت فيما بعد « **بطائفة الماليزيين**» ، وهم المؤسسون الحقيقيون لهذه الطائفة التي حافظت منذ القرن السابع عشر وحتى الآن على خصوصيتها وعلى تقاليدها وأخلاقها الإسلامية ، بل تتمايز أيضًا عن الطوائف الإسلامية الأُخَرَ من أصل هندي وباكستاني

الذين جلبهم البريطانيون إلى جنوب إفريقيا وتمركزوا بشكل خاص في إقليم « ناتال» وقد استخدمهم البريطانيون كأيدٍ عاملة رخيصة من أجل زراعة قصب السكر .

لم يكن عدد المسلمين كبيرًا في البداية ، وكان المستعمرون الهولنديون من البروتستانت يمنعونهم من مزاولة شعائرهم الدينية أيًا كانت ، حتى الصلاة جماعة ولو في غير مسجد كانت تقع تحت طائلة القانون .

وقد استمر هذا الوضع حتى عام 1806 عندما أوشكت الحرب أن تندلع بين الهولنديين الذين كانوا يحكمون البلاد في ذلك الوقت ، وبين البريطانيين الذين جاؤوا لانتزاعها ، لموقعها الهام ، لسفنهم التي كانت تجوب البحار والمحيطات وتمضي إلى الهند والشرق من هذا الطريق . فاتصل البريطانيون بالمسلمين طالبين منهم المساعدة في التخلص من الهولنديين ، فوافق المسلمون على ذلك شريطة أن تعطَى لهم الحرية في مزاولة شعائرهم الدينية ، وبناء المساجد ، وتخصيص مقبرة للمسلمين ، وتعليم أبنائهم وفق المنهج الإسلامي .

وحارب المسلمون إلى جانب البريطانيين على هذا الأساس في معركة عرفت باسم « **الجبل الأزرق**» وانهزم الهولنديون ، فأعطى البريطانيون المسلمين وثيقة بأنهم أحرار في دينهم . . ومن ذلك بناء المساجد والتجمع للصلاة .

الوضع الحالي للمسلمين في جنوب إفريقيا

واليوم لا يكاد المرء يدخل حيًّا من أحياء الملونين والأفارقة دون أن يجد مسجدًا مشرفًا ظاهر المنارة ، ومن أكبر المساجد « **مسجد برهان الدين**» بمدينة « **كيب تاون**» رأس الرجاء الصالح . الذي رسم على سقفه حلية على شكل زهرة في طرفها سفينتان ، ترمزان إلى السفينتين اللتين حملتا أوائل المسلمين الذين جاؤوا إلى منطقة رأس الرجاء الصالح من جنوب شرقي آسيا . ويمتاز هذا المسجد بالسجاد الفاخر الذي لا مثيل له في كلِّ مساجد إفريقيا . ويوجد في ركن من المسجد ملابس نظيفة معلقة أعدت للعمال الذين يريدون الصلاة وعليهم ملابس العمل غير النظيفة ، فيخلعونها ويرتدون الملابس النظيفة الطاهرة ويصلون بها ، وهذه الظاهرة موجودة في كل المساجد بجنوب إفريقيا .

تقيدهم بتعاليم الإسلام

معظم المسلمين في جنوب إفريقيا يتمسكون حرفيًّا بكلٍّ تعاليم الدين الإسلامي ، ومعظمهم يحافظ على تأدية الصلاة في مواعيدها ، وأداء الزكاة أيضًا . أما فيما يخص صوم رمضان فيلاحظ أن هناك تقيدًا صارمًا به خصوصًا لدى كبار السن ، وفيما يخص فريضة الحج فمعظمهم يتطلعون لأدائها ، ولكن قسمًا قليلاً منهم يستطيع أداءها بسبب التكاليف المادية . وعمومًا إذا ما قيس الوضع الديني هناك بما يحصل في بعض البلدان الإسلامية فإن المسلمين في جنوب إفريقيا أكثر تقيدًا بتعاليم الدين من غيرهم ، ولعل ذلك راجع ـ كما يرى بعض المعلقين ـ إلى كونهم أقلية تعتصم بدينها من أجل المحافظة على كيانها وهويتها ووجودها وسط المجتمع العنصري الذي لا يرحم .

عادات الزواج وتقاليده

يصر المسلمون في جنوب إفريقيا على ضرورة زواج المسلم من المسلمة والمسلمة من المسلم ، ويكتب عقد الزواج في المسجد بحضور واحد من أفراد عائلة العروس ، ويتم دفع المهر طبقًا لمباديء التشريع الإسلامي ، وينبغي على المرأة المتوفَّى زوجها أن تتربص أربعة أشهر وعشرة أيام أو أن تضع حملها إن كانت من ذوات الأحمال طبقًا لتعاليم القرآن الكريم ، ثم يحق لها أن تتزوج بعد ذلك . أما الطلاق فهو قليل جدًّا في أوساط مسلمي جنوب إفريقيا . وجماعة علماء الدين هي التي تبت في مسائل الطلاق ، والخلاف بين الزوجين إذا ما حدث

ويلاحظ عدم وجود وظيفة القاضي هناك . فالزواج مثلاً يخضع للقانون المدني العام ، وبعد أن يحتفل المسلمون بالزواج في المسجد يتم التصديق عليه في المحاكم المدنية . ولكن يوجد تشريع إسلامي ضمني بشكل موازٍ للتشريع المدني الرسمي . وهو تابع للمجلس الشرعي الإسلامي ، وهي مؤسسة مؤلَّفة من رابطة أئمة المساجد . وبقية الشخصيات الإسلامية المسؤولة عن شؤون الطائفة الإسلامية .

المواطنون الأفارقة في جنوب إفريقيا العنصرية كانوا إلى وقت قريب ممنوعين من سماع صوت الحق ، فلم يكن يسمح لذوي الألوان الأخرى بالدعوة إلى الإسلام وسط الأفارقة ، ولا بالدخول إلى الأحياء التي يقطنون بها ، وهذه من أكبر الأسباب في عدم انتشار الإسلام بين الإفريقيين هناك ، يضاف إلى ذلك بالطبع المعضلة الكبرى وهي تعصب العنصريين ضد الإسلام بوجه عام ، ولكن ما يبشر بالخير أنه نتيجة للصحوة الإسلامية والشعبية ضد التفرقة العنصرية في البلاد ونتيجة لضغوطها المتوالية ، وللضغوط السياسية العالمية على نظام جنوب إفريقيا العنصري أبدى بعض التخفيفات للقيود غير الرئيسة . فسمحت للملونين بالذهاب في أوقات محددة إلى أماكن الأفارقة ، وقد أتاح ذلك لبعض الإخوة المسلمين من ذوي الأصول الهندية والأندونيسية وغيرهم عدا ـ البيض طبعًا ـ أن يذهبوا إلى أحياء الأفارقة ويبدؤوادعوة إسلامية يتوقع لها أن تثمر وتزدهر في المستقبل .

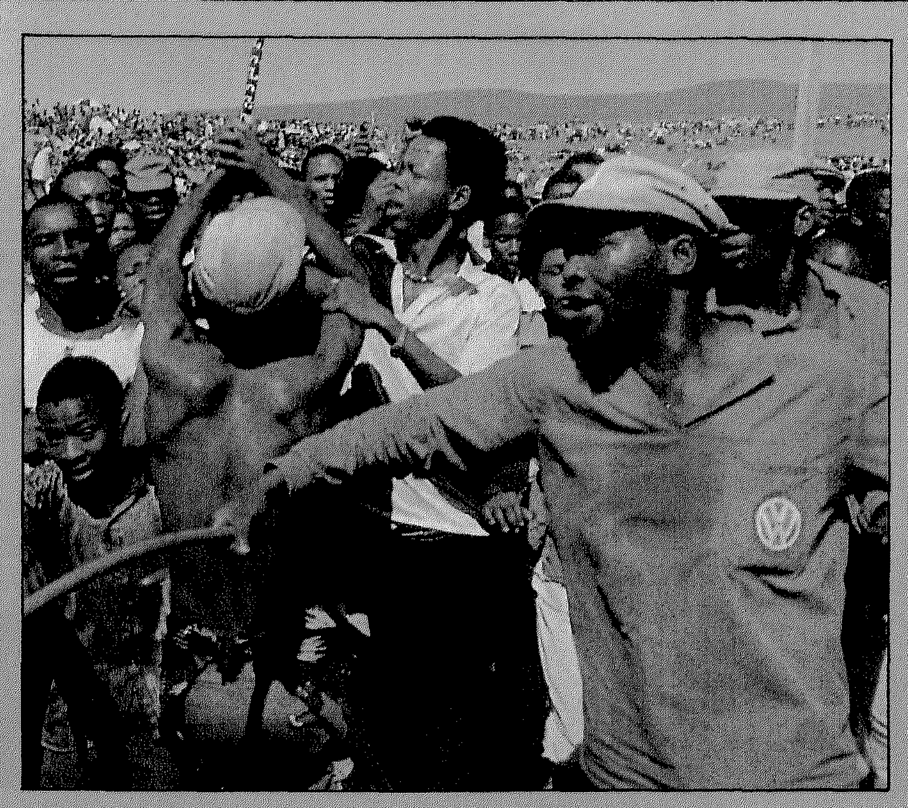
ويبلغ عدد المسلمين في جنوب إفريقيا العنصرية اليوم نحو أكثر من 400 ألف مسلم يتمركزون في المناطق المحيطة بمدينة رأس الرجاء الصالح ، ومعظمهم من أصل أندونيسي وماليزي وهندي ، ومن بعض الأقطار الآسيوية الأخرى ، وهذه الأقلية متمسكة بهويتها الإسلامية وطابعها الديني وعاداتها المتميزة .

وفي عام 1975 تَمَّ توحيد الطوائف الإسلامية ، وأنشيء المجلس الإسلامي الذي يضم كلَّ المنظمات الإسلامية في البلاد ، والتي خاضت معارك ضارية ضد الأقلية العنصرية للحفاظ على الأراضي والممتلكات الإسلامية ، وتوفير التعليم الإسلامي لأبناء المسلمين .

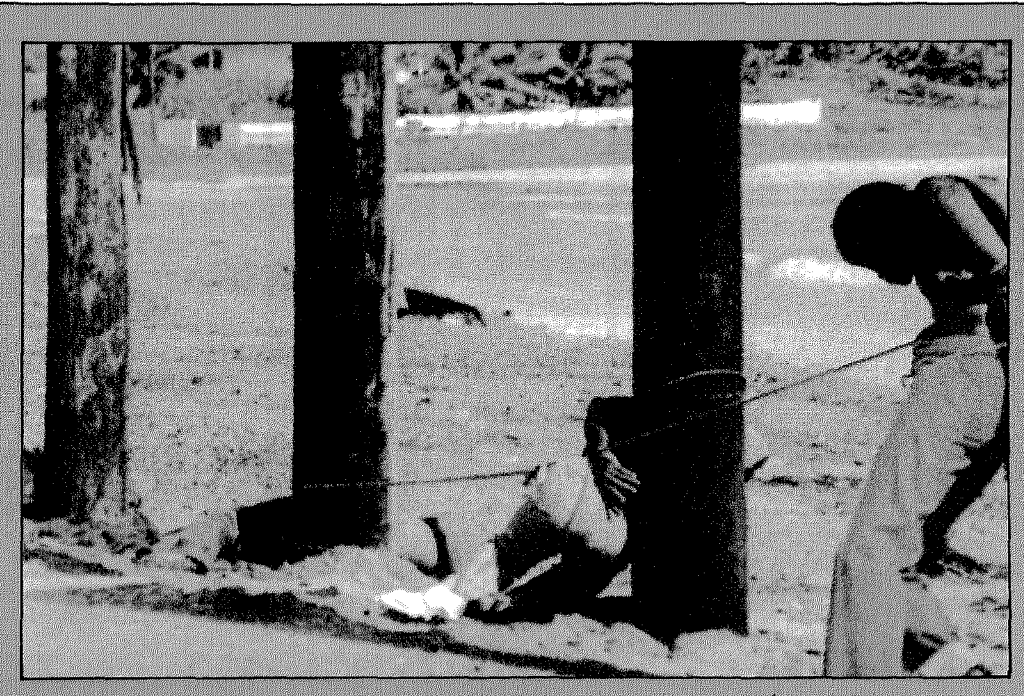
وخلال القرن الأخير أنشأ المسلمون ثلاثمئة مسجد بينها ثمانون مسجدًا في السنوات الأخيرة ، كلها تمتاز بالاتساع والفن المعماري الإسلامي الحديث .



المسلمون في جنوب إفريقيا يشيعون أحد شهداء الحرية.



خرج الشعب عن بكرة أبيه وقرر ألاَّ يعود إلا منتصرًا



سُكب دم غزير من أجل حرية إفريقيا وسيكون الثمن غاليًا ولا شك .

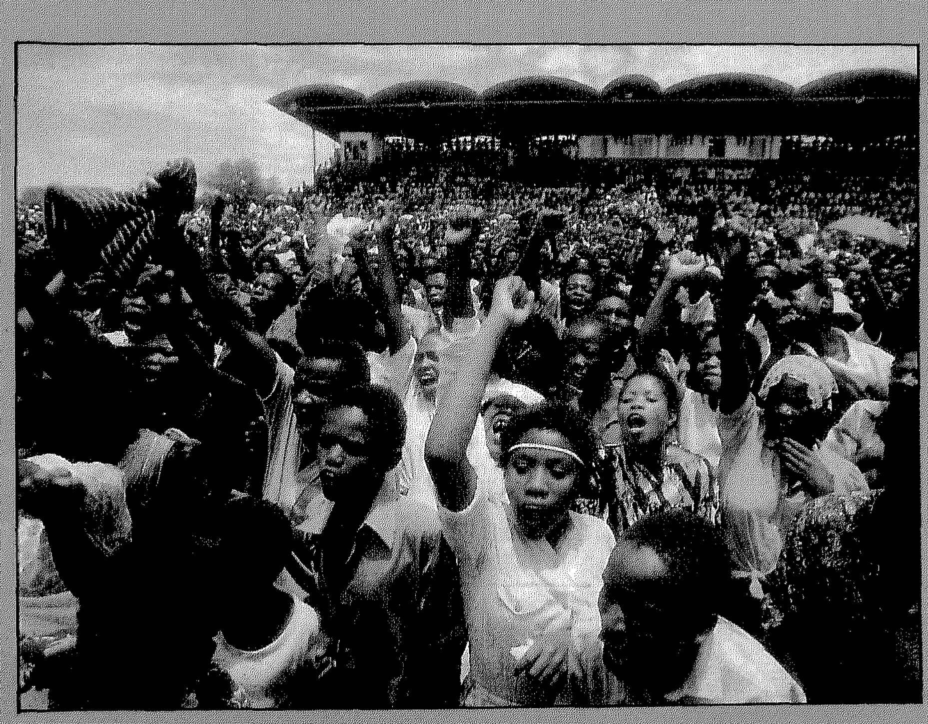
العنصرية في
أبشع صورها
وممارساتها .



مسلمون في جنوب
افريقيا يستمعون
الى خطبة الجمعة



سرت الشرارة واندلع الحريق ولم يعد أحد يستطيع إطفاءه .



التظاهرات في كلِّ مكان ضد النظام العنصري الاستعماري .

النشاط الثقافي

تشهد جنوب إفريقيا العنصرية نشاطًا كبيرًا في مجال الدعوة الإسلامية فجميع المؤسسات الإسلامية تخصص وقتها وأموالها ونشاطها لخدمة الإسلام والمسلمين والدعوة إلى دين الله ، وتقوم بطبع وتوزيع النشرات والكتب التي تحتوي التعاليم والثقافة الإسلامية على المجتمع الإفريقي ، وهناك ما يقرب من مئتي مؤسسة تقوم بالوعظ والإرشاد الديني . . جميع أعضائها من المتطوعين ، وهنالك صحف ومجلات ونشرات إسلامية متعددة تصدر في جنوب إفريقيا ، وتوزع في أنحاء العالم مثل مجلة «مسلم دايجست» التي تصدر منذ أكثر من أربعين عامًا ، وجريدة أخبار المسلمين «مسلم نيوز» في مدينة رأس الرجاء الصالح ، و«مجلة القلم» التي تصدر في «دربن» ، ومجلة الخليل الشهرية باللغة الانجليزية التي تقدم تفسيرًا للقرآن الكريم .

وضع المسلمين الاقتصادي

أما وضع المسلمين الاقتصادي فلا بأس به ، حيث يعمل نحو 20% من مسلمي جنوب إفريقيا بالتجارة ، كما يعمل بعضهم في مجال الصناعة و40% منهم فنيون ، أما المهنيون كالأطباء والمحامين والمدرسين والمحاسبين فإن نسبتهم تصل إلى 15% والبقية الباقية تعمل بصفة شبه فنيين وعمال عاديين .

اللغة الإفريكانية

تعتبر اللغة الإفريكانية إحدى اللغتين الرسميتين في جنوب إفريقيا العنصرية . . والثانية هي اللغة الانجليزية . . والبيض والملونون يعتبرون «الإفريكانا» هي اللغة الوطنية لأنها كانت موجودة ومستعملة في البلاد قبل وصول البريطانيين إلى جنوب إفريقيا .

وهذه اللغة الإفريكانية تكتب بالحروف العربية . والسبب في ذلك أنها في بداية نشأتها لم تكن تكتب ، لأنها نشأت في هذا الجزء من إفريقيا بين الطوائف المختلفة التي

كانت موجودة هناك . وإن كان عمادها من اللغة الهولندية إلا أنها ليست بالهولندية . لأن أول من عمد إلى كتابتها هم المسلمون عندما أرادوا تعليم أبنائهم تعاليم القرآن فكتبوها بالحروف العربية لغة القرآن الكريم ، واستمروا على ذلك حتى وصل بهم الأمر إلى طبع كتاب بها . بعنوان «بيان الدين» .

توحيد الجهود الإسلامية

في بداية السبعينات تَمَّ توحيد الطوائف الإسلامية المتعددة على صعيد واحد وأُنشيء المجلس الإسلامي الذي يضم كلَّ المنظمات والهيئات الإسلامية بالبلاد ، وذلك لتقوية الصف الإسلامي وتكثيف جهوده لخوض معارك عنيفة ضد النظام العنصري لرفع الظلم وتحقيق المساواة وتوفير التعليم الإسلامي لأبناء المسلمين .

وقد شهدت مدينة «جوهانسبرج» أكبر مظاهرة إسلامية عرفتها جنوب إفريقيا العنصرية منذ عشرين عامًا اشترك فيها 20 ألف مسلم احتجاجًا على سياسة التمييز العنصري التي تمارسها حكومة الأقلية البيضاء العنصرية ضد المواطنين الأصليين .

واندلعت هذه المظاهرة في أثناء تشييع جنازة أحد المسلمين الذين استشهدوا برصاص الشرطة العنصرية واسمه «إبراهيم كايليس» واشترك فيها زعماء الجاليات الإسلامية الذين أكدوا عزمهم على مكافحة العنصرية والتصدِّي لكلِّ الذين يحاولون فرضها على السكان .

دور المسجد في إذكاء روح النضال

للمسجد دور فاعل في إذكاء روح الجهاد والنضال في أوساط المسلمين ضد النظام العنصري الدموي ، فكثيرًا ما خرجت المظاهرات عقب صلاة الجمعة من المساجد تهز أركان النظام .

ففي مسجد رأس الرجال الصالح تحدث إمام المسجد أمام ألفيْ مسلم محرضًا على ضرورة التصدِّي لسياسة التمييز العنصري التي يمارسها نظام بوتا ضد السكان الأفارقة

أصحاب الأرض الأصليين . وقد دعت المنظمة الإسلامية المعروفة باسم «القِبْلَة» إلى ذلك التجمع الإسلامي الحاشد ، وقد حث الإمام التجمع على ضرورة التمسك بالتراث الإسلامي العتيد والشريعة الإسلامية الغراء التي تحارب الظلم والاضطهاد والتفرقة .

وقد أخذ الشعب عهدًا على نفسه بأن يسقط نهائيًّا النظام العنصري في جنوب إفريقيا لتصبح إفريقيا للإفريقيين وحدهم .

وهكذا استطاع المسلمون إثبات وجودهم في البلاد على الرغم من الاضطهاد المزدوج الذي تعرضوا له بصفتهم أقلية عرقية وأقلية دينية على السواء . فكثيرًا ما تعرضوا في الماضي لاضطهاد الكنائس المسيحية وخصوصًا البروتستانتية ، ولكنهم لم يتخلّوْا أبدًا عن دينهم ، وأصالتهم ، وتراثهم ، ثم اضطهدوا من قِبَلِ النظام العنصري الجنوب إفريقي نظرًا لاختلافهم العرقي . ولكنهم في الحالتين بقوا أكثر تمسكًا بعقيدتهم وتقيدًا بتعاليم الإسلام . وتصديًا للنظام العنصري الدموي .

العلاقة بين المقاومة الوطنية في جنوب إفريقيا وحركات التحرر العربية

يقول الدكتور « آرشي معارجي » أبرز مفكري الحركة الوطنية في جنوب إفريقيا : « لنا تاريخ وتراث طويل مع حركات التحرر العربية ، فقد كانت ثورة يوليو 1952 بالنسبة لنا نفحة قوية من الهواء النقي ، ورياح ثورة وصلت إلينا . . ففي سنة 1956 خرجنا جميعًا كل طلبة المدارس والجامعات احتجاجًا على العدوان الثلاثي . وأصبحت أحداث القاهرة والجزائر محور اهتمامنا الأول . . وبعدها امتد اللهب ، لهب الثورة إلى القارة ، وأصبحت القاهرة عاصمة الثورة العربية والإفريقية .

وقد استولى علينا الأسى والمرارة وفقدنا الثقة ، خلال عهد السادات ، كانت غصة بالنسبة لنا ، وقال الجميع لقد اتفقت مصر مع « إسرائيل » ومع الولايات المتحدة ، أي انتقلت إلى معسكر الأعداء . . . ونحن نضع « إسرائيل » **في صدر قائمة الأعداء ، ونعرف دورها في تخريب حركتنا الوطنية وكل حركات التحرر الإفريقية ، ونعرف دورها الأساسي في تدعيم النظام في جنوب إفريقيا .**

ويقول المسؤولون في « المؤتمر الوطني الإفريقي » : إن الدول العربية ـ ومنذ

بداية النضال ضد حكومة بريتوريا العنصرية ـ قدمت مساعدات لحركات التحرر التي تناضل من أجل الاستقلال وإزالة التمييز العنصري ، وأشاروا إلى أن **بعض الدول العربية ، وخاصة الجماهيرية العظمى تقدم « للمؤتمر الوطني الإفريقي » مساعداتٍ ماديةً ومعنويةً كان لها أكبر الأثر في الاستمرار ومواصلة النضال ضد نظام جنوب إفريقيا العنصري** ، ويأملون من الدول العربية الأُخَرَ في أن تحذوَ حذوَ هذه الدول . وأضافوا : إن بعض الدول العربية تقدم تجهيزات عسكرية لتنظيمهم الذي استطاع أن يقيم له قواعد داخل جنوب إفريقيا تمارس حاليًّا نضالها العسكري المسلح . وأكدوا **أن هناك قاسمًا مشتركًا بين نضال الغالبية الإفريقية التي تسعى للإطاحة بحكومة الأقلية البيضاء العنصرية ونضال الشعب العربي الفلسطيني الذي يسعى لنيل حقوقه الوطنية** . كما أشادوا بدعوة الجامعة العربية لتنظيمهم للمشاركة في جلسات الجامعة العربية ، واصفين هذا التوجه بأنه خطوة مهمة في تعزيز التعاون بين الوطن العربي والغالبية الإفريقية في جنوب إفريقيا .

ويؤكدون ، أن « **كلينا مكمل للآخر ونواجه عدوًّا واحدًا . . . ولا بد من أن ندرك جميعًا ـ نحن العرب والإفريقيين ـ أننا إزاء حلف ثنائي يائس لا يتورع عن شيء ولم يوقع معاهدة عدم انتشار الأسلحة الذرية . . كلانا يواجه الهجمة الوحشية المكثفة للاستعمار الجديد . الذي قال أحد أقطابه** : « إن الغرب يعتمد على قائمين هما ؛ كنز الطاقة في شبه الجزيرة العربية والخليج ، ثم كنز المناجم والمعادن في وسط وجنوب إفريقيا . **ولهذا لا بد من أن تتكامل جهودنا وكفاحنا لنحرر الكنوز المغتصبة ونردها لأصحابها الشرعيين** » .

النضال التحرري ضد الاستعمار

بدأت المقاومة الشعبية العامة لسكان جنوب إفريقيا العنصرية مع مطلع الغزو الاستعماري ، وقد تطورت أشكال هذه المقاومة ومخططاتها وفقًا لمراحل مختلفة . إلا أن هذا النضال لم يقف أبدًا ، بل تطور وأخذ أشكالاً نضالية عديدة . حتى توج « بالكفاح المسلح» الذي زلزل أركان نظام بوتا العنصري.

ففي الفترة الأولى من المقاومة كانت القبائل تعيش طريقتها القديمة في الحروب ، وبرغم أنها لم تقف لحظة واحدة فإن الأوروبيين تمكنوا من بسط سيطرتهم القوية خلال تلك المرحلة . ولكنها أكسبت في نفس الوقت الجماهير الإفريقية إدراكًا جيدًا بطبيعة الأقلية البيضاء ونياتها الشريرة ، وبأهمية التنظيم الثوري الوطني . أما المرحلة الثانية فقد تميزت ـ كما هو شأن باقي مناطق إفريقيا ـ بظهور الحركة الوطنية الملتفة حول النخبة المثقفة وعلماء الدين التي قامت عام 1912 م بتأسيس « **المؤتمر الوطني الإفريقي** » **الذي دعا ـ لأول مرة ـ لوحدة شعب جنوب إفريقيا في النضال ضد الهيمنة الأجنبية والاستعمار . هذه المنظمة كانت الأولى من نوعها في إفريقيا التي استحقت تسميتها** « **بالحركة الوطنية** » **لأن برنامجها وأهدافها كانت تشير إلى ذلك بوضوح فقد رفعت شعار** : « **إننا شعب واحد** » **وطالبت بالحقوق المتساوية لكلّ الأفارقة** ، إلا أن الشيء الذي فات على هذه الحركة هو توجهها إلى محاولة إقناع البيض والسلطات البريطانية باحترام حقوقها ناسيةً أن الاستعمار لا يحترم أيًّا من الحقوق أو المُثُل ، ولا يهمه سوى مصالحه فقط . **ولكن مهما يكن من أمر فإن هذه الحركة نجحت في توحيد جميع الأفارقة حولها وألّفت الطليعة الإفريقية الأولى المطالبة بحقوق الأغلبية الساحقة من المضطهدين .**

حركة النضال المسلح

كانت الطبقة العاملة الإفريقية تتركز في عمال المناجم ، وبفضل هذا التركيز قامت هذه الطبقة بأول إضراب لها في عام 1920 م حيث شارك فيه نحو 40 ألف عامل ، إلا إن قوات الشرطة العنصرية هاجمت المضربين وقمعتهم بقوة السلاح . وفي العام التالي جرى تأليف أول اتحاد عمال نقابي . وهكذا ظهرت الطبقة العاملة لأول مرة تحت هيئة نضالية تجمعها وتطالب بحقوقها .

وفي عام 1928 م كانت نقابة العمال الإفريقية تضم 200 ألف عامل وكانت إضراباتهم تأخذ طابع الاستمرارية أكثر فأكثر .

وهكذا كانت الحركة النقابية والوطنية خلال الفترة بين الثلاثينات والستينات تزداد

نشاطًا ، ومعها كانت الحكومة العنصرية تلجأ إلى القمع والإرهاب ، مما قاد إلى تصعيد « النضال المسلح » الذي أفقد الحركة النضالية خيرة عناصرها وأكثرها ثوريةً وفهمًا لأسرار هذا الطريق .

ففي نهاية عام 1963 م اعتقلت السلطات العنصرية المناضل « نيلسون مانديلا » ومجموعة من رفاقه بتهمة التآمر للإطاحة بنظام الحكم وأصدرت حكمها بسجنه مدى الحياة ، ومنذ ذلك التاريخ لم ير مانديلا النور ، و إن كانت مبادئه ومواقفه لا تزال مشهودة حتى وهو وراء القضبان ، تلهب حماس الجماهير وتؤجج روح النضال والكفاح حتى النصر .

لا خيار لنا إلا أن نرد الضربة بقوة

وفي البيان الذي أُعْلِنَ فيه قيام هذه الحركة النضالية الإفريقية ، قال مانديلا : **في حياة أية أمة يأتي زمن لا يبقى فيه إلا خياران ؛ الخضوع أو النضال . ولقد حان هذا الزمن الآن في جنوب إفريقيا ، فلن نخضع ، ولا خيار لنا إلا أن نرد الضربة بقوة بجميع الوسائل التي في طاقتنا دفاعًا عن شعبنا ومستقبلنا وحريتنا .**

لقد أصبح مانديلا رمزًا للكفاح والنضال ، ومثالاً يُحتذَى في الثبات على المبدإ من أجل الحرية والاستقلال وكرامة الشعوب . . وقفت إلى جانبه الحكومات الوطنية والمؤسسات والمنظمات والشعوب في نضاله العادل تطالب نظام جنوب إفريقيا العنصري بإطلاق سراحه ، وأمام سجن « بولسمور » في مدينة رأس الرجاء الصالح تدخلت قوات جنوب إفريقيا العنصرية بكلِّ ثقلها وفظاعتها لتفرقة أكثر من 4 آلاف من المواطنين الأفارقة الذين تظاهروا مطالبين بإطلاق سراح المناضل الإفريقي مانديلا .

وقد قرأ أحد علماء الدين الرسالة التي وجهها المتظاهرون لمانديلا داخل سجنه . وجاء فيها :

رسالة إفريقية

إذا كنت يا مانديلا أنت والزعماء السياسيون داخل السجون فإن شعب جنوب إفريقيا ليس حرًّا . . . و إذا كان الشعب يعاني من الظلم ، فإن جنوب إفريقيا سيظل

تحت وطأة العنف والغضب المتصاعد . . إن جدران الظلم بدأت تتهدم ، فحينما يكون الزعما في السجون ، فلن يكون في الشوارع سوى الثورة ، فلن تهدأ حتى تتحرر .

لكن بوتا العنصري أصر على أن يعلن المناضل الإفريقي مقدمًا تخلِّيه عن سياسة العنف والكفاح المسلح الذي عُرف به في مناهضته للنظام العنصري ، والمطالبة بحقوق الأفارقة ، وأن يتقاعد في أحد المعازل الإفريقية . أي على مانديلا الخضوع والكف عن النضال بعد هذه الفترة التي امتدت إلى أكثر من 25 عامًا لم ينقطع فيها عن النضال حتى وهو وراء القضبان .

وقد جاء رد مانديلا بالرفض لكلٍّ مقترحات الرئيس بوتا العنصرية الخداعة ، **ومن داخل سجنه أعلن مانديلا رفضه التخلِّي عن سياسة الكفاح المسلح ، واعتبرها السبيل الوحيد لحصول الأغلبية الإفريقية على حقوقها** ، وتراجع الأقلية البيضاء عن احتكارها للسلطة واحتقارها للأفارقة . كما رفض فكرة التفاوض مع « بوتا » العنصري ورفض أيضًا فكرة عقد مؤتمر تشارك فيه جميع الاتجاهات لمناقشة الإصلاحات المطلوبة . وعلَّل ذلك بأن « حزب المؤتمر الوطني » طرح هذه الأفكار منذ وقت بعيد ، وكان الرد عليها هو اعتقال زعماء الحزب منذ أكثر من 25 عامًا ، **وأكد أن ما ينبغي أن يطرح للمناقشة هو نقل السلطة إلى أصحابها الحقيقيين وليس مجرد بحث مجموعة إصلاحات تحمل في مظهرها أكثر مما يحويه الجوهر .**

أرقام وحقائق

يملك الإفريقيون 13% من الأرض بمقتضى قانون صدر عام 1913 م وعُدِّل عام 1936 م ، ولا يحق لهم تجاوز هذه النسبة قط .

وتضم أفقر أراضي جنوب إفريقيا وأقلها خصوبة و إنتاجية ، وباعتراف الجميع فإنها لم تعد تسدُّ حاجات الإفريقيين الذين تبلغ نسبتهم 73% من السكان .

عدد السكان : 31305706 عدد الإفريقيين : 22803688 ، عدد الملونين : 2803174 ، عدد البيض : 4822745 .

التصاريح

يحمل كل إفريقي دفترًا مثقلاً بالتصاريح ، ولا يحق له مثلاً أن يظل أكثر من 72 ساعة خارج المستوطنة التي تحددت له ، ولا بد من أن يخرج ويدخل بتصريح ، ولا بد من أن يحمل كلٌّ إفريقي بطاقة تحمل جميع المعلومات التفصيلية عنه ، ويعتقل كل عام ما بين 200 ألف إلى 300 ألف من الأفارقة الذين وجدوا أو تسللوا إلى أحياء البيض . ويحكم عليهم بالغرامة أو السجن أو إعادتهم إلى المستوطنات وسحب التصاريح .

التعليم

يحصل 2% من الأفارقة على تعليم ابتدائي وثانوي ، وتنفق الحكومة ثمانية أضعاف ما تنفقه على تعليم الطفل الإفريقي على طفل أبيض .

العمل

لا يحق للعامل الإفريقي تغيير عمله إلا في أضيق الحدود ، وبناء على تصريح بذلك . وتبلغ نسبة البطالة بينهم 20% إلى 30% على الأقل .

الخدمات والمرافق

توجد مجموعة من القوانين العنصرية تحدد التفرقة في جميع المرافق : القطارات ، الحافلات ، سيارات الأجرة ، المستشفيات ، الحدائق ، الفنادق ، المسارح ، المطاعم ، النوادي ، حتى في المصانع هناك باب للبيض ، وآخر للأفارقة ، وثالث للملونين .

تُعدُّ جنوب إفريقيا العنصرية الأولى في إنتاج الذهب والكروم ، والأولى في إنتاج معدن المنجنيز . والثانية في العالم في إنتاج الماس ، والثالثة في إنتاج اليورانيوم والستنانيوم وهي المواد الاستراتيجية للصناعات الذرية والنووية .

وتُعَدُّ الخامسة في العالم في إنتاج الفحم والاسيبستوس ، ولهذا يقال إن الغرب ورخاء الغرب يعتمد على كنز الطاقة في الخليج العربي وكنز المعادن في جنوب إفريقيا .

التحالف العنصري بين نظام جنوب إفريقيا والعدو الصِّهيوني

على الرغم من السرية الكبيرة التي يحرص العدو الصِّهيوني على إضفائها حول العلاقات التي تربطه بنظام جنوب إفريقيا العنصري ، فإن هذه العلاقات ليست أكيدة وحسب ، بل أيضًا عريقة وعميقة ومتشعبة في مختلف الميادين جرى إرساؤها وتطويرها بشكل دؤوب عبر اتصالات قامت بين الكيانين . ووجدت تأكيدها بتبادل التمثيل الدبلوماسي ، وبالحماس المثير الذي يظهره العدو الصِّهيوني والمنظمات الصِّهيونية الدولية لفك العزلة التي تفرضها دول إفريقيا والدول العربية والعالم على نظام التمييز العنصري .

والحقيقة أن العدو الصِّهيوني ينتمي إلى نفس الأصل الذي تنتمي له الأقلية البيضاء العنصرية ، وهذا الانتماء المشترك هو الذي يفسر طابع العدوان والإرهاب والقول بالتفوق العرقي الذي يمارسه العدو الصِّهيوني ضد العرب والشعب الفلسطيني خصوصًا . والذي يمارسه نظام جنوب إفريقيا ضد السكان الأفارقة في جنوب إفريقيا وعموم القارة السمراء والذي يعكس في النهاية كونهما معًا مجرد أداتين من أدوات الاستعمار .

وقد قام قادة نظام جنوب إفريقيا باديء ذي بدء بالإعلان عن اعترافهم بما يسمى « بدولة إسرائيل » منذ الساعات الأولى لإعلانها ، مدركين جوهر التشابه بين كيانهم العنصري والكيان الصِّهيوني ، ومنذ ذلك الحين والعلاقات مع العدو الصِّهيوني لا تكف عن التطور ، متحولة إلى ما يسمى « بالحلف المقدس » بين العنصرية البيضاء ، والعنصرية الصِّهيونية ، الأولى ضد الأفارقة . والثانية ضد العرب .

منذ مطلع القرن العشرين أدركت بريطانيا حساسية منطقتي جنوب إفريقيا وأرض فلسطين لمصالحها والمصالح الغربية عمومًا ، وتبعًا لذلك راحت تخطط للهيمنة عليهما بشكل ثابت ودائم ، ولذلك ليس غريبًا أن يرتبط الجنرال « سميث » مندوب جنوب إفريقيا في مجلس المستعمرات البريطانية في عام 1917 م ، ورئيس أول نظام عنصري فيها ، بصداقة متينة مع حايم وايزمان رئيس الحركة الصِّهيونية في بريطانيا وأول رئيس للكيان الصِّهيوني في فلسطين المحتلة ، وطوال حياته السياسية كان « سميث » هذا صريحًا في تأييده للحركة الصِّهيونية ومخططاتها في فلسطين ، لأنه مؤمن بأهمية فلسطين للمصالح البريطانية ، التي لم يكن « وعد بلفور » إلا تجسيدًا لها . فبالنسبة له فإن الصهاينة هم الضمان الوحيد لإبقاء فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني . وهو ما كان يؤكده هرتزل ثم وايزمان الذي قال في أحد تصريحاته : « إن فلسطين يهودية ستؤلِّف بالنسبة لانكلترا نقطة حماية لمصالحها خصوصًا فيما يتعلق بقناة السويس » .

وهكذا في فلسطين المحتلة وجنوب إفريقيا كانت الحركة الصِّهيونية والعنصرية البيضاء على التوالي بمثابة « دركي الحراسة » للمصالح البريطانية تحت ذريعة التبشير بالحضارة الغربية وحمايتها من « البربرية الآسيوية والإفريقية » وهذه الحضارة ليست في الجوهر بالطبع سوى الهيمنة الاستعمارية الغربية ، والتي ستقودها أمريكا فيما بعد .

إذًا فالتشابه والتجربة المشتركة هي القاعدة التي قامت عليها العلاقات الصِّهيونية ــ الجنوب إفريقية ، لكن هذا التشابه والتجربة المشتركة اقترنا أيضًا بوحدة إيديولوجية ، فالصِّهيونية هي أيضًا إيديولوجية عنصرية تقوم على احتقار الشعوب الأخرى ، وبالتالي فإن الكيان الصِّهيوني مثل الكيان العنصري ــ الجنوب إفريقي يقومان على إيديولوجية ذات طابع عدواني هيمني توسعي من الطراز النازي .

و إذا كانت الحركة العنصرية في جنوب إفريقيا تبرر دعواتها بمزاعم دينية غيبية مستمدة من الكتاب المقدس ، فإن الصِّهيونية تفعل نفس الشيء حيث تستند إلى القول بـ « الشعب المختار » و« أرض الميعاد » لتبرير نظريتها القائلة « بالتفوق العرقي » ، و« الحق التاريخي » اليهودي في فلسطين .

وهو أمر معروف بتفصيلاته المختلفة ، الأمر الذي يجعل الصِّهيونية والعنصرية تقفان

على نفس القدم في رفض وحدة الجنس البشري . وتجسيدًا لـهذه الحالة نجد أن العنصريين في جنوب إفريقيا يضعون مثال « إسرائيل » في تبرير نظامهم القائم على التمييز العنصري ومشروعهم الاستيطاني في جنوب القارة .

ومن جهة أخرى فإن مناهج التربية والتعليم تتشابه بشكل مذهل في النظامين في ترويج الأطروحات العنصرية والتركيز على تفوق العنصر الأبيض هنا ، وتفوق العنصر اليهودي هناك بالنسبة للأفارقة والعرب على التوالي .

الأمم المتحدة : الصِّهيونية إيديولوجية عنصرية

وعندما صوتت الدول الإفريقية في هيئة الأمم المتحدة بعد حرب 1973 م على المشروع الخاص باعتبار الصِّهيونية إيديولوجيةً عنصرية ، لم يتردد العدو الصِّهيوني وصحافته من نعت الأفارقة بالتخلف والدونية العرقية . ففي عام 1974 م صرح وزير خارجية العدو الصِّهيوني أبا إيبان قائلا : « إن قيام عدد كبير من البلدان الإفريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع « إسرائيل » وتضامنها مع العرب إثر حرب 1973 م هو موقف يكشف حقيقة انحطاط ودونية العرق الأسود » مقارنًا ذلك في ازدراء بين يهود الولايات المتحدة الأمريكية الذين يحتلون المراكز العلمية البارزة ، وبين الزنوج الذين يرزحون في التخلف ! !

والحديث عن الحلف العنصري بين نظامي جنوب إفريقيا والعدو الصِّهيوني يطول ويطول ، ولكن يجب ألاَّ يفوتنا هنا أن نذكر أنه في عام 1957 م قام عدد من العسكريين الصهاينة بزيارة إلى جنوب إفريقيا ، ومن بين هؤلاء «إيغال آلون» ، و« موشي ديان » ، للاعتراف ورد الجميل بالمساعدة التي قدمتها جنوب إفريقيا للعدو الصِّهيوني في عدوانه على العرب عام 1956 م ، كما في عام 1948 م ، وقد تزايدت بشكل كثيف بعد ذلك الزيارات والاتفاقات بين الكيانين في مختلف الميادين ، تجارية ودبلوماسية ، وثقافية ، وعلمية ، وعسكرية وغيرها ، أما بالنسبة للتعاون في المجال العسكري فإنه يتمحور حول ثلاث نقاط هي : المساعدات المتبادلة في نطاق الأسلحة ، وإرسال المتطوعين من جنوب إفريقيا إلى الكيان الصِّهيوني للتدريب على مقاومة مقاتلي

العصابات ، و إرسال الخبراء الصهاينة إلى جنوب إفريقيا لتقديم الخبرات الصِّهيونية في المجال النووي ، والاستخبارات . وقد أعلنت جنوب إفريقيا العنصرية عن رغبتها في تمويل الأسلحة الصِّهيونية بغرض تطويرها والاستفادة منها ،وأيضاً في تزويد العدو الصِّهيوني باليورانيوم مقابل الحصول على طيارات « كفير » وبعض الأسلحة المتطورة المخصصة للقتال في حرب العصابات .

وباختصار فإن تلك الزيارات كانت تقترن في الغالب بشن عدوان صِهيوني على الدول العربية حيث يستدعي نظام جنوب إفريقيا لتقديم المساعدات ، أو عندما تواجه النظام العنصري صعوبات داخلية أو في السياسة الخارجية تتطلب المساعدة الصِّهيونية ككسر عزلة النظام العنصري ، وهو ما يظهر بشكل واضح في مجال التعاون الدبلوماسي والدولي .

إذًا فالعلاقات التي تربط الكيانين ليست بسيطة أو طارئة أو اعتيادية إنما علاقات تعكس وجود « حلف عنصري » بينهما ، حلف واضح الأسس والأبعاد ، خطير في نتائجه على شعوب العالم خصوصًا شعوب إفريقيا والوطن العربي .

لذلك ، فإن هذا الحلف العنصري ، يجب أن يجابه بحلف تحرري إنساني بين العرب والأفارقة وجميع الشعوب التائقة للتحرر والاستقلال للتصدّي لهذين الكيانين العنصريين التوسعيين في كلِّ لحظة وفي كلِّ مجال .

النضال الإفريقي ينتزع مبررات استمرارية النظام العنصري

إن مجتمع نظام جنوب إفريقيا الذي استعرضناه والقائم في الأساس على التمييز العنصري ، هو مجتمع طارىء وغريب التكوين والهوية ، وبالتالي فهو يعيش أزمة دائمة تقوده بخطوات حثيثة نحو الانهيار ، خصوصًا وأن تطور حركة النضال الإفريقي ، تنتزع منه كلَّ يوم مبررات الاستمرارية . إذا كانت الأقلية البيضاء قد نجحت طوال القرون الماضية في احتكار السلطة والثروات والامتيازات على حساب استغلال واستعباد الأفارقة فإنها اليوم لا تجد نفس العوامل والظروف التي ساعدت على بقائها حتى الآن . . . إنها أزمة تتصاعد يوميًّا . . بفضل انبعاث حركة الاحتجاج والنضال المسلح من جديد وبطريقة مدروسة ومبرمجة ، وبأسلوب يعرقل الصيرورة الاقتصادية للبلاد بشكل واضح ،

متمثلاً في الإضرابات المنظمة التي تندلع من حين لاخر منذ مطلع السبعينات وحتى اليوم ، وآخرها الإضراب الذي قام به عمال مناجم الذهب والفحم والذي نفذه أكثر من 350 ألف عامل في العاشر من شهر هانيبال « أغسطس » عام 1987 م والذي شلَّ العمل كليًّا في كلِّ المناجم في البلاد .

والأقلية البيضاء العنصرية لن تتنازل بطيب خاطر عن امتيازاتها وممارساتها الاستغلالية بحق الأفارقة ، إنما على العكس فإن ما تثبته الأحداث الأخيرة يدل على أن هذه الأقلية ستقوم بالرد العنيف عساه يمد في عمر نظامه المتآكل . غير أن ما كان ممكنًا في الوضع الدولي قبل قرون لا يمكنه النجاح في هذا العهد ، حيث الوعي المتعاظم لدى الأفارقة الذي تبلور بشكل ملموس في الكفاح المسلح الفاعل الذي أخذ يوجه ضرباته لهذا النظام بصورة فاعلة ومؤثرة .

الصوت الإفريقي الجديد

لن نختتم الحديث في هذا الوضوع قبل أن نستمع إلى ضربات طبول الأفارقة والصوت الإفريقي الجديد المنبعث من الأعماق التي أضناها العذاب ، والذي آمن بأنه لا بديل سوى الثورة . . الثورة التي تدق الأبواب وتزلزل أركان النظام .

يقول الإفريقيون :

حانت الساعة التي قرر فيها الشعب كلُّ الشعب أن يصفِّيَ الحساب مع أشد نظم العالم وحشية ودموية . . أن يريح الإنسانية عامة من هذا الكابوس الذي يلوث خارطة العالم . . والذي تُجْمِعُ صحف العالم على تسميته « بالنظام الجريح » وهو مثخن بالجراح حقًّا . . ويكون الوحش عادة في أقسى حالات هياجه عند « جرح الموت » ، ولهذا لا يتورع النظام عن شيء ، وما تنشره أجهزة الإعلام العالمية هو مجرد نقطة في بحر من الدم ، والإرهاب ، والإعدام ، والاختطاف والتعذيب يصل في معظم الحالات إلى حدِّ الهوس والجنون .

إن العنف الرسمي الذي تمارسه حكومة بوتا ، فجر عنفًا شعبيًّا عامًّا ، ولن تستطيع الحكومة أن تواجه شعبًا قرر أن يخرج بأجمعه لكي ينتقم . . فقد كنا فيما مضى نخرج

ونموت ، ولكن اليوم نخرج ونموت ونقتل عدونا الذي يقتلنا .

لقد صممنا على أن نجعل حكم جنوب إفريقيا مستحيلاً حتى نحصل على ما نريد كاملاً ، وقد تدفق دم جيل جديد في الكفاح هو دم الشباب ، وتأكدت ثقتنا في المستقبل ولا أحد يخالجه أدنى شك . .

لقد سرت الشرارة واندلع الحريق ، ولم يعد أحد يستطيع إطفاءه ، إن الشهداء يسقطون كلَّ يوم ، وقد بلغ عددهم الآلاف ، ولا يمكن أن تضيع دماؤهم هدراً . ولا يمكن التراجع قط ، وسوف يكون الثمن غاليًا ولا شك . . باهظًا ولكن ليس هناك خيار . .

إن الشعب كله في المعركة ، والجماهير كلها في الشارع تتدفق حماساً و إيمانًا ، ونحن واثقون بالنصر . . لن يتراجع أحد قبل أن يسقط الحكم العنصري مهما يكن الثمن . . وقد سُكِبَ حتى الآن دم يكفي لسقي شجرة الحرية ومدِّها بالنماء والحياة ومقاومتها للذبول .

نحن نعيش اللحظة النادرة الحاسمة في تاريخ أي شعب ، حينما يخرج عن بكرة أبيه ، ويقرر ألاَّ يعود إلا منتصراً . .

ولا شيء يسعد المناضل ، ويلهب حماسه ، ويثبت إيمانه وصموده مثل شعوره بأن هناك رفاقًا له و إخوة يقفون معه . . .

فهل نحن مدركون ؟ ؟

المصادر

كتاب : جنوب إفريقيا تاريخ أزمة للكاتب رينيه لوقور .

كتاب : الحلف العنصري الإسرائيلي ـ الجنوب إفريقي للكاتب : عبد القادر بن عبد الله .

اللاهوتية السوداء في الولايات المتحدة وفي دولة جنوب إفريقيا ـ دراسة •

مجلة « رسالة الجهاد » العددان 55 و 58 .

ملحق
إطلاق سراح المناضل الإفريقي الثائر
نلسون مانديلا

بعد مضي 27 عامًا في غياهب سجون نظام جنوب إفريقيا العنصري تَمَّ إطلاق سراح المناضل الإفريقي الثائر (نلسون مانديلا) في اليوم الحادي عشر من شهر النوار « فبراير » 1990 م .

وقد رأينا أن تُضَمَّن طبعتُنا هذه ، هذا (الحدثَ الكبيرَ) الذي يعتبر انتصارًا لجميع شعوب القارة الإفريقية ، ولمحبي الحرية والعدالة ، وكل القوى والشعوب المناضلة من أجل انتزاع الحرية والاستقلال الوطني .

فقد أعلن الزعيم التاريخي (للمؤتمر الوطني الإفريقي) نلسون مانديلا في أول خطاب له منذ أكثر من 27 عامًا ألقاه عقب خروجه من السجن أمام 50 ألف شخص :

«إن الكفاح المسلح ضد نظام جنوب إفريقيا العنصري سوف يستمر» .

وأكد مانديلا ذلك بقوله : « **إن لجوءنا إلى الكفاح المسلح عام 1960 م مع إنشاء الجناح العسكري (للمؤتمر الوطني الإفريقي) (حربة الأمة) كان عملاً دفاعياً محضًا ضد عنف الفصل العنصري . ونظراً لأن العوامل التي كانت وراء كفاحنا المسلح لا تزال موجودة فليس لدينا أي خيار آخر سوى الاستمرار** » .

وأضاف : لقد حان الوقت لتكثيف هذا الكفاح على جميع الجبهات ، والتهاون الآن في هذا الكفاح سيكون خطأ لن تغفره لنا الأجيال القادمة .

وأعلن مانديلا ـ كشرط مسبق لبدء المفاوضات مع النظام ـ رفع جميع القيود التي فرضتها حالة الطوارىء ، وإطلاق سراح جميع السجناء السياسيين بدون استثناء ، **وأكد أن القضاء على الفصل العنصري أمر لا مفر منه .**

وقال : **إنني سأقف ما بقي من عمري على تحقيق أهداف شعبنا . . وكرر قوله: إن الكفاح المسلح يجب أن يستمر فلا بديل له ، والعقوبات الدولية يجب أن تستمر لعزل نظام التمييز العنصري .**

إن العالـم كلّه يحيّي بإعزاز شـموخ وصمـود (مـانديلا) أشهر وأعظم سجناء العالـم في التاريخ الحديث ، الذي دخل السجن في ريعان الشباب ، وخرج منه شيخاً جاوز السبعين من العمر . . لم يفاوِض ولـم يعترف ولـم يستسلم . . ضَحّى بحريته من أجل شعبه ووطنه بل من أجل كل الشعوب المتطلعة للحرية والاستقلال والكرامة .

لقد أصبح (مـانديلا) رمزاً للكفاح والنضال ، ومثالاً يحتذى في الثبات على المبدأ ، فمبادئه ومواقفه ظلت ـ وهو وراء القضبان ـ تلهب حماس الجماهير وتؤجج روح نضالها . وها هو يطل من جديد (71 عاماً من العمر) ليحمل شعلة الكفاح والنضال حتى النصر .

اللجنة الدولية لجائزة القذافي :

إطلاق سراح مـانديلا

تعبير عن إرادة المقاومة الشعبية العالمية

عبرت اللجنة الشعبية الدولية لجائزة القذافي لحقوق الإنسان عن سرورها وابتهاجها بحدث إطلاق سراح المـناضل الإفريقي نلسون مـانديلا مـن سجون نظام المـيز العنصري بجنوب إفريقيا .

وقالت في بيان أصدرته بطرابلس في شهر النوار (فبراير) 1990 م : إن هذا الحدث يعبّر عن إرادة المقاومة للشعوب ضد الاستعمار و إن هذه الإرادة لا بد من أن تنتصر .

وأكدت في بيانها الذي أصدرته بمناسبة إطلاق سراح مـانديلا أن حقوق الإنسان والحرية قضية واحدة لا تتجزأ وأن مؤسسة جائزة القذافي ترى أن الجائزة التي منحتها لمـانديلا يوم 1989/6/1 م كانت فاتحة خير و إيذانًا بالتحرير لهذا البطل الإفريقي الكبير .

من جهة أخرى عبرت الأمانة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي عن ابتهاج الجماهير العربية ومنظماتها الشعبية بحدث إطلاق سراح مـانديلا من سجون جنوب إفريقيا .

وقالت في بيان أصدرته بهذه المناسبة في طرابلس : إن الإفراج عن مـانديلا لـم يكن هبة من أحد و إنما جاء بفعل الصمود البطولي لهذا البطل الإفريقي والتضحيات التي قدمها شعب جنوب إفريقيا بقيادة المؤتمر الوطني الإفريقي .

ودعت الجماهير العربية ومنظماتها الشعبية إلى الاحتفال بهذا الانتصار الذي حققه شعب جنوب إفريقيا عندما فرض على النظام العنصري الإفراج عن القائد التاريخي نيلسون مانديلا .

المسلمون فرحون بالإفراج عن مانديلا

أعربت منظمة المؤتمر الإسلامي عن ارتياحها بالإفراج عن نيلسون مانديلا ووصف المؤتمر في بيان أصدره المناضلَ الإفريقيَّ بأنه رمز الحرية والمدافع عنها وأنه وقف حياته على التمسك بالقيم النبيلة التي تتطلع الشعوب المحبة للحرية والعدالة لتحقيقها .

وأضاف البيان : إن العالم الإسلامي يؤكد من جديد في هذه المرحلة الدقيقة تضامنه مع شعب جنوب إفريقيا ومساندته لكفاحه العادل .

وأهابت منظمة المؤتمر الإسلامي في ختام بيانها بالمجتمع الدولي مواصلة تقديم دعمه الكامل لشعوب جنوب إفريقيا حتى يتمكن من تحقيق أهدافه في الاستقلال والحرية .

الفصل الثالث

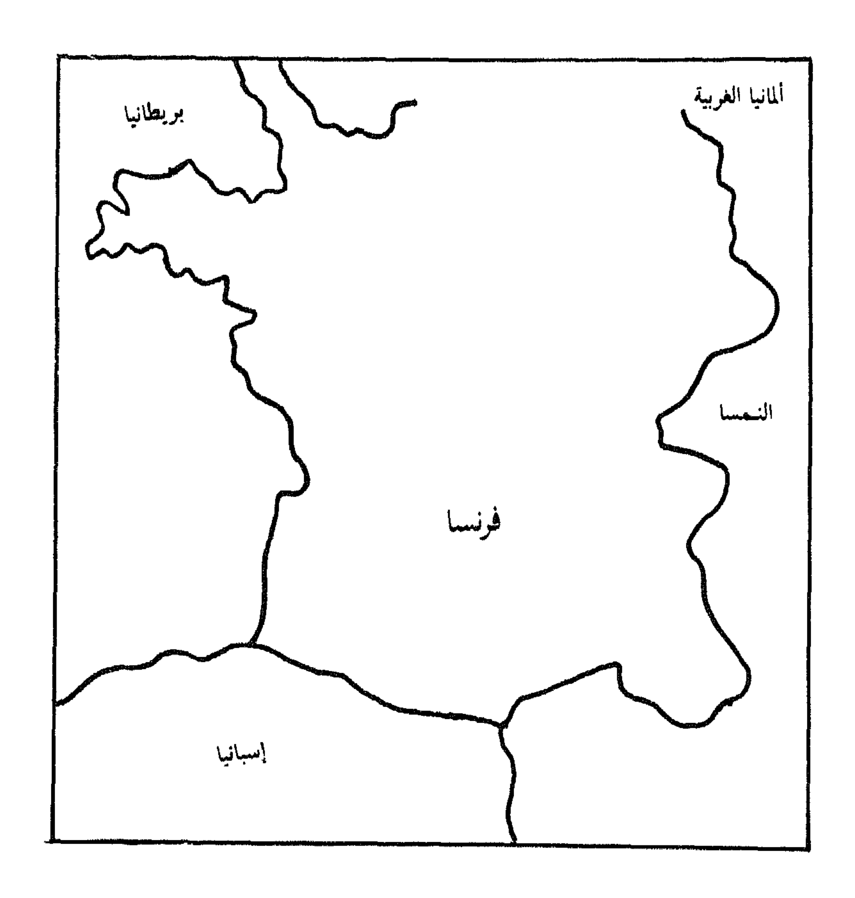
المسلمون في أوروبا

(1) المسلمون في فرنسا .

(2) الإسلام في الأندلس .

(3) المسلمون في اليونان بين الميز العنصري والتهجير.

المسلمون في فرنسا



فرنسا أرض «الثورة» التي نادت بالحرية والمساواة والإخاء.. والتي احتفلت عام 1989م بالذكرى المئتين لتفجيرها كأول ثورة شعبية في العصر الحديث عمت شهرتها الآفاق من أجل حرية الإنسان وسعادته . . لم تلبث أن تفسخت فيها هذه الشعارات الأخاذة ، وتحولت إلى نقائضها تماماً . . حيث انطلقت بآلاف من أبنائها تغزو العالم وتكبله بقيود الذل والفقر والاستعباد . . ويكفيها فقط أنها لم تخرج من أرض الجزائر إلا بعد أن دفنت في ترابها مليون شهيد ناهيك عن ضحاياها الأبرياء في كلٍّ مستعمراتها وليست « كاليدونيا » عنا ببعيدة.

لقد أضحت « باريس » التي تسمى عاصمة النور والديمقراطية ، اليوم أرضًا لأكثر من 4.5 مليون مواطن عنصري هم حصيلة مؤيدي موجة اليمين المتطرف ، والحركة العنصرية التي يقودها « لوبان » من أجل الوصول إلى البرلمان ، واغتيال كلٍّ شعار للثورة الفرنسية إذا بقي لها شعار .

باريس أرض « الحرية » تنام وتصحو على جرائم التطرف والإرهاب والعنصرية وكراهية الجنس العربي المسلم بالذات ، والذي لا ينكر أحد مشاركته مشاركةً فاعلة في مسيرة التنمية ، وإقامة المنشآت الصناعية والزراعية في فرنسا . . هؤلاء أصبحوا اليوم مستهدفين وتتركز عليهم الحملات العنصرية لأنهم مسلمون بالدرجة الأولى . .

إنهم يخافون الإسلام

ولكن كيف دخل الإسلام إلى فرنسا؟

أما بالنسبة لدخول الإسلام إلى فرنسا ، فيذهب المؤرخون ، إلى أن فتح الأندلس لم يكن آخر أعمال المسلمين في الفتوحات الإسلامية في الجناح الغربي للدولة الإسلامية ، بل بلغ من همة الجيش الإسلامي الجهادية أن تخطى بقواته جبال الأبواب أو البرتات ، أو ألبرت المسماة بالبرانس ، وأراد فتح بلاد « غالة » ، ويراد بها فرنسا .

ويشيرون إلى أنه خلال عصر الولاة ، تولى الأندلس واحد وعشرون واليًا أولهم عبد العزيز بن موسى ، قام ثلاثة عشر منهم بأعمال الفتوح في غالة . ولم تقف حركة الدفع الإسلامي إلا بعد انسحاب المسلمين في موقعة « بلاط الشهداء » التي تسمى عند أهل الغرب بموقعة « بواتييه » عام 732 م . وبرغم ذلك ظلت حامية إسلامية في « أربونة »

جنوب غربي فرنسا نحو عشرين سنة ، محتفظة بذلك البلد ، وبجانب كبير من سبتمانية ، ولم ينسحب المسلمون من « غالة » تمامًا إلا بعد قيام الدولة الأموية الأندلسية عام 756 م وقرار « عبد الرحمٰن الداخل » سحب بقية قوات المسلمين من غالة ، والاكتفاء بشبه الجزيرة .

وكان دافع المسلمين الأول إلى عبور جبال ألبرت هو أن ولاية سبتمانية وهي شريط من الأرض يمتد بمحاذاة ساحل البحر المتوسط جنوبي فرنسا ، ويمتد حتى مصب نهر الرون ، ويضم ما يعرف اليوم بالريفييرا الفرنسية ، وجزءًا من الريفييرا الإيطالية ، حتى حدود ما يعرف بولاية الألب البحرية ، وهذه الولاية كانت تتكون من سبع وحدات إدارية ، وكانت من أملاك القوط الغربيين سادة شبه الجزيرة الإيبيرية ، فكان لا بد للعرب من الاسترسال ، ووضع يدهم على سبتمانية وعاصمتها مدينة « ناربوت » ، التي يسميها المسلمون « أربونة » . وبالفعل قام بذلك الوالي الحر بن عبد الرحمٰن الثقفي عام 719 م ودخل مدينة أربونة وجعلها قاعدة الفتوح في غالة .

وكانت بلاد غالة هذه مقسمة بين أربع وحدات سياسية : مملكة الفرنجة الميروفنجيين وتشمل معظم الغالات وعاصمتها باريس ، ودوقية أقطانية ، وقاعدتها بروال ، ومملكة برغندية وتشمل حوض الرون ، ثم سبتمانية هذه .

وتتابع الولاة المسلمون في فتح بلاد الغالات هذه منطلقين من قاعدة الفتوح أربونة فقام « عنبسة بن سحيم الكلبي » بفتح قرقشبونة ثم نيمية ثم سار مع حوض الرون شمالاً حتى وصل أوتان ، وكانت آنذاك أعظم بلاد مملكة برغندية واحتلها وعقد مع أهلها حلفًا . وعندما بلغ مدينة « ليون » احتلها ثم احتل « ماكون » ثم « شالون » ، وهناك تفرع جيشه فرقتين إحداهما دخلت « ديجون » ، والثانية وصلت إلى « صانص » على أحد فروع السين على بعد 70 كيلومترًا جنوبي باريس .

ومع أن عنبسة هذا كر راجعًا بعد ذلك ، فإن وصوله إلى هذا الحد ، أوقع الرعب في قلب « شارل مارتل » حاجب القصر لملوك الميروفنجيين . الذي استنفر الناس وجمع جندًا كثيرًا ؛ بل إن جيشًا من اللومبارديين خف لعونه بإيعاز من البابوية ، لوقف اندفاع جيوش المسلمين بقيادة عبد الرحمٰن بن عبد الله الغافقي الذي تولى أمر الأندلس للمرة الثانية عام 732 م والذي دخل بلاد « غالة » وسيطر على « بردال » القاعدة كما

سيطر على آرل ، وبوردو ثم اتجه إلى « تولوز » واحتلها ، وعندما أوغلت قوات المسلمين في أرض الغال بعد مدينة بواتييه صدتها جيوش الفرنجة في أرض غابات وأحراش ، واشتد هطول الأمطار عام 732 م فعجزت خيل المسلمين عن الثبات . ودامت رحى معركة طاحنة استمرت أيامًا استشهد فيها صفوة الجيش الإسلامي وفي مقدمتهم عبد الرحمٰن الغافقي ، وفي الليل انسحب المسلمون جنوبًا عائدين إلى « أربونة » .

وكان اللقاء في موضع يقع شمال « بواتييه » في الطريق إلى « تور » عند قرية تسمى اليوم Moissais Bataille على الطريق الروماني المبلط الذي يسميه المسلمون بالبلاط ، ولهذا تعرف المعركة عند المسلمين « ببلاط الشهداء » .

وعندما تولى عقبة بن الحجاج السلولي عام 740 م اتسع أمامه الوقت لتنظيم أمور المسلمين في غالة ، ودخل آرل ثم أبنيون ، التي يسميها العرب « صخرة أبنيون » وبذل أقصى جهده في تثبيت سلطان المسلمين في حوض الرون .

وفي عام 756 م قرر القائد الإسلامي عبد الرحمٰن الداخل سحب بقية قوات المسلمين من بلاد غالة « فرنسا » لأنه وجد أنه يكفيه أن يقوِّيَ مركزه في الأندلس .

إذا كان ذلك عن كيفية دخول الإسلام إلى فرنسا ، فما وضع الإسلام اليوم في فرنسا ؟

وكالة الصحافة الفرنسية أوردت تحقيقًا عن هذا الموضوع جاء فيه :

في السنوات الأخيرة أخذ الإسلام ينتشر بين الأوساط الفرنسية حتى إن عدد الذين اعتنقوا هذا الدين يتراوح بين 30 و 50 ألف فرنسي من جميع الأوساط الفرنسية الاجتماعية ومن جميع الاتجاهات .

ولا تبدي الكنيسة الكاثوليكية قلقها من هذا الرقم فحسب بقدر **قلقها من عمق إيمان هؤلاء ، والأسباب التي أدت بغالبيتهم إلى ترك أو تجاهل الكاثوليكية والاتجاه نحو الإسلام ، هذا الدين الذي يمتد بلا وقوف .**

وقد بلغ هذا التحول حدًّا جعل كلاًّ من المجلة الكاثوليكية الكبيرة « لاكتواليتيه روليجيوز » (الوقائع الدينية) وصحيفة « ليموند » ، ومجلة « فرانس بي آراب » (فرنسا والدول العربية) تخصص عدة مقالات لبحث هذا الأمر .

وذكرت المجلة الكاثوليكية التي أعدت ملفًا ضخمًا بشأن هذه المسألة ، أن هؤلاء المنتمين الجدد إلى الإسلام يختلفون تمامًا عن المسيحيين الذين كانوا يتحولون إلى الإسلام قبل ذلك . وأبرزت المجلة أن هذه الهجرة إلى الإسلام في الماضي كانت مقصورة أساسًا على العسكريين الذين عايشوا الإسلام خلال حقبة كاملة من الوجود الفرنسي في شمال إفريقيا ، والمنطقة العربية إجمالاً . أما هذه الظاهرة فجديدة تمامًا على المجتمع الفرنسي .

ويقول شاب فرنسي اعتنق الإسلام ، وهو سليل أسرة عسكرية تقليدية :السبب في إيمانه يرجع **إلى تضامن المؤمنين وجاذبية مقوِّمات الشجاعة والشرف التي تتضمنها التقاليد الإسلامية العربية** .

وتتألف المجموعة الأخرى من معتنقي الإسلام من المفكرين المستشرقين الذين درسوا النصوص الروحية والفلسفية الإسلامية من أمثال رينيه جينيون عام 1886 ـ 1951 م الذي جذبته القيم الروحية في الإسلام .

وتضيف المجلة : « إن الأشخاص الذين يتحوَّلون حاليًّا إلى الإسلام ينتمون إلى الحركة الأكثر انتشارًا المعروفة باسم « العودة إلى الروحانيات » ، ولإشباع ظمئهم الروحي راح هؤلاء الأشخاص يبحثون في آن واحد عن الحقيقة والانضباط فضلاً عن العقيدة بعيدًا عن الكنيسة ، وعن السلطة الوضعية ، وقد خاب ظنهم نتيجة التقلبات التي عاشتها الكنيسة الكاثوليكية منذ إنشاء مجمع الفاتيكان » .

وهؤلاء الأشخاص بالطبع اجتذبهم الإسلام ببساطته ، وبأنه دين حي يتسم بالقناعة والزهد ، وبما يتيحه من إمكانية التوجه إلى الله دون وسيط . وقد وجد شخص كان يريد أن يصبح راهبًا طريقه الروحي إلى الإسلام بعد تجربة فاشلة في دير كاثوليكي ، وتحول آخرون بدافع رفضهم لما تبيحه الأديان الغربية الغارقة في الملذات الدنيوية .

ويحتل المسلمون في فرنسا المرتبة الثانية بعد المسيحيين من حيث الوزن الاجتماعي ، **ويوجد من بين** 4.5 مليون مهاجر نحو مليونين ونصف المليون مسلم ، ويؤلف الجزائريون أغلبية إلى جانب المغاربة والتونسيين والأتراك والباكستانيين والإيرانيين والأفارقة واللبنانيين وبقية الجنسيات الأخرى ، ويقال إن هنالك العشرات الذين يدخلون الإسلام يوميًّا في فرنسا حاليًّا ، والمسلمون بهذا الحجم يؤلِّفون ثقلاً كبيرًا

ويؤثرون في المجتمع الفرنسي تأثيراً مباشراً مما حدا في كثير من الأحيان بالمتعصبين والعنصريين الفرنسيين إلى اتخاذ مواقف عدائية عنصرية خاصة أولئك الذين يرفضون معاملة من أسموهم « بالمهاجرين الأجانب » كأشخاص آدميين مثل غيرهم ، ووصلت هذه المعاملة العنصرية إلى حدِّ إزهاق الأرواح ومنعهم حقهم في الحياة الكريمة ، وكنتيجة طبيعية لهذه المعاملة أللاإنسانية التي يلاقونها من العنصريين وأصحاب المصانع والشركات نظم في الأعوام السابقة نحو مئة ألف من المهاجرين المسلمين تظاهرات طافت أنحاء باريس ، وتجمعت في ساحة « الباستيل » رافعين شعارات عديدة ضد العنصيرية المتزمتة ، وقابلوا رئيس الجمهورية بهذا الصدد في محاولة لصد الهجمة العنصرية ووقف ممارساتها العدوانية الظالمة .

المهاجرون المسلمون لفظتهم فرنسا بعد أن امتصت شبابهم

ويرى الكثيرون أن **مشكلة المهاجرين العرب في فرنسا، سببتها الإدارات الفرنسية السابقة التي وعدتهم في أوطانهم بتأمين العمل والسكن والمستقبل في فرنسا، عندما كانت في حاجة إلى سواعدهم وجهودهم في بناء الاقتصاد الفرنسي ، وحينما بدأت الأزمات الاقتصادية وأزمة البطالة تأخذ بخناق فرنسا تصاعدت نقمة المتعصبين منهم وأصبحوا يحمِّلون « المهاجرين » مسؤولية مشكلاتهم وأزماتهم ، متجاهلين أن هؤلاء أصبحوا جزءًا من مجتمعهم يؤثرون فيه ويتأثرون به ويقاسمونهم نفس الهموم والمشكلات ، علاوة على آفات المجتمع الفرنسي الغربي الغارق في الملذات ، والذي يؤثر سلبًا على أجيالهم المسلمة** . مع أنهم في نهاية المطاف جزء من هذا المجتمع يتأثر بقضاياه بدءًا بغلاء المعيشة والبطالة ، مرورًا بالتعليم والصحة ، وانتهاءً بالأمن والسكن والضرائب وهي مواضيع تعني كلَّ مقيم في تلك البلاد .

سكن المهاجر العربي مشكلة

فمسألة المسكن التي تعتبر أولى مقومات الاستقرار ظلت مشكلة المشاكل ، واتحاد العمال العرب فى فرنسا يطالب بما هو أدنى بكثير مما تطالب به النقابات العمالية الأخرى بل أي شخص في أي بلد كان .

فالعربي المرفوض غالبًا كمستأجر لمجرد كونه « عربيًّا » بات لا يقف في الصفوف الطويلة أمام المنازل المعروضة للإيجار لعلمه سلفًا أنه لن يكون صاحب النصيب .

ويؤكد الكثيرون أن مشكلة إيجاد مسكن هي الهمُّ الأول لفئة كبيرة من المهاجرين

العرب ، وهذا الهمُّ بدأ بتحول إلى هاجس مؤرِّق ، والسبب أن الذين استقروا من قبل في مساكن يطردون منها بشكل مخالف للقوانين كما أن بعض الإدارات المحلية « البلديات » تعلن أنها ترفض سكن الأجانب في نطاقها « بلدية نوازي لوغران مثلاً في ضاحية باريس » .

حجة الطرد هي تجديد الأحياء العتيقة في باريس التي يسكنها مهاجرون عرب مثل أحياء باريس وبلفيل ، بطريقة تصفها « رسالة » اتحاد العمال العرب بالتعسفية وعدم مراعاة حقوق الإنسان .

وهذه الرسالة وجهت إلى جامعة الأقطار العربية في العام 1988 م حيث تقول:

يتعرض آلاف العمال العرب وعائلاتهم في نطاق تجديد إحياء باريس وبلفيل لحملات الطرد التعسفية دون سابق إنذار مع تعرضهم للعنف الشديد والشتم واللكم من جانب الشرطة الفرنسية . ومازالوا مشردين يبحثون عن سكن ، **بل وتستعمل السلطات الفرنسية أساليب لاإنسانية وغير شرعية لإجبار السكان على إخلاء منازلهم دون التمتع بحقهم في التعويض والسكن اللائق فتعمد إلى قطع الماء والكهرباء عن العائلات ، والعمارات التي تَمَّ تجديدها والتي كانت تسكنها عائلات عربية تسكنها الآن عائلات من كل الأجناس ، إلا العربية ، ليس لها الحق في ذلك ! ! !**

العنصرية استهدفت العرب والمسلمين بشكل خاص

المدُّ الإسلامي في فرنسا آخذ في الانتشار والتوسع تؤكد ذلك الإحصائيات التي تشير إلى أن المساجد وأماكن العبادة تقارب الألف موزعة في الأحياء الفرنسية ومناطق المهاجرين ، وفي قلب باريس العاصمة وفي الحي اللاتيني يقع « مسجد باريس » العريق الذي تَمَّ تشييده وافتتاحه عام 1926 م ويعتبر من أبرز المعالم الإسلامية في الدول الغربية ، و إذا تجاوزنا مسجد باريس شاهدنا العديد من المراكز الإسلامية ومدارس حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية .

و إقامة المساجد ليس من السهولة في بلد أوروبي كفرنسا ، تتصارع فيها العقائد وتضج فيها مظاهر الحياة الآثمة ، هذا المجتمع يرى في إقامة المساجد وتجمع المسلمين بأعداد هائلة لأداء الشعائر الدينية نوعًا من الإزعاج العام و إقلاق الراحة . والشيء الذي يقلقهم أكثر فأكثر ، أنه ما من مسجد أو جامع أو زاوية صغيرة تكون قائمة في مبنى بسيط إلا وتؤلِّف عروة دينية وثقافية واجتماعية يتجمع في داخلها المسلمون من أهل الحي في وحدة متماسكة ، ويرى بعض المراقبين في ذلك بداية « إسلام فرنسي مقيم » بدلاً من مهاجر .

كما يرون في الهجرة العربية الإسلامية على خلاف كلِّ الهجرات أنها تنزع إلى التشكل كمجموعة دينية ثقافية مميزة ، ذات هوية خاصة في إطار المجتمع الفرنسي ، ولذلك يتذمرون من تمسك هؤلاء بعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم ، ويغمزون بشكل أو بآخر في « القناة الدينية » معتبرين أن المسلمين المقيمين ليسوا على دين فرنسا وعاداتها وتقاليدها ولغتها . .

ويرد أحد المسلمين على دعاة الانصهار بأن مشكلة الاندماج في المجتمع الفرنسي الذي يركزون عليه . والتصرف على غرار ما يتصرف الفرنسيون ، لا تحل أزمة الجيل الجديد حتى لو ألصقوا هوياتهم الفرنسية على جباههم ، لأن شكلهم هو أوضح بطاقة شخصية ، فالمشكلة كما يقول عنصرية ودينية أولاً وأخيرًا . .

ويقول آخر : إن ما قدمته طائفتنا المسلمة لفرنسا من تضحيات وعرق وشباب ، وما تبديه من إخلاص لها ، لا يجب أن يقابل بالتمادي في الظلم والإهمال على كل الأصعدة الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية ، ناهيكم عن الاستعداء والتطرف واللامبالاة ، وعندما يجرؤ أحدهم على التحدث عن إنصاف ما فإن ذلك لا يتعدى الوعود المستقبلية التي تبقى لفظًا في الهواء أو حبرًا على ورق . هل يعقل ألاَّ يكون في عدادنا نحن المليوني فرنسي مسلم إلا النادرون من الممثلين المحليين وبعض قليل من كبار الموظفين ؟ ! ! !

ويضيف : إن طائفتنا لم تعد تعاني ظلمًا متراكمًا فحسب ، بل هي أصبحت هدفًا لاقتلاع يتغذى بموجة من التمييز العنصري الفرنسي ، لقد نسي هؤلاء أن فرنسا كانت منذ فجر تاريخها بلد التعددية ، كما أن الامبراطورية الرومانية لم تبلغ أوج مجدها إلا بتفاعلها وحضارات الشعوب التي أخضعتها لسلطانها ، والشيء نفسه يقال في الولايات المتحدة الأمريكية و « بريطانيا العظمى » وغيرها . .

ويضيف : وفرنسا اليوم مدعوة لتحديد موقفها من أولادنا الذين يسهمون مع سواهم في بناء فرنسا وتقدمها ، فإما أن تحتويهم في جنباتها وعلى قدم المساواة مع الآخرين فتنقذهم وتنقذ نفسها ، وإما أن تختار الطلاق وفي ذلك كارثة . ولا شك في أن الحل الأول والعادل يتطلب جرأة هي في مستوى المواقف التاريخية المشهورة ، **إذ لا يعقل أن نبني مجتمعًا متوازنًا إذا نحن أبقينا جزءًا فاعلاً منه بعيدًا ، يعاني عقدة الرفض والعزل على الرغم من كلِّ الصفات المؤهلة التي يتمتع بها .**

إذا كانت أعمال العنف والجرائم العنصرية قد تصاعدت بين عامي 1981 و 1983 م خاصة في منطقة « ليون » فإنها أخذت تتخذ أكثر فأكثر طابعًا أهليًا وسياسيًا ، فبدت هذه الأحياء وكأنها في حالة حرب مع قوات الشرطة ، إضافة إلى أنها كانت سني الاعتداءات العنصرية التي ذهب ضحيتها أكثر من ستين قتيلاً ، وتحوَّل الاضراب عن الطعام الذي قام به عشرة من الشباب العرب في ضاحية « ليون » عام 1983 م في حي « المنغيت » الذي شهد صدامات متواصلة ، تحوَّل إلى تحرك سياسي طال كلَّ فرنسا ، وبرزت للمرة الأولى مطالب اجتماعية وثقافية وسياسية للجيل الثاني للهجرة : إعادة النظر في القوانين المتعلقة بالأجانب ، المساواة في الحقوق بين المسلمين والفرنسيين ، سياسة إسكان وإنماء اجتماعي تضع حدًّا للاستبعاد .

وكان هذا التحرك الذي خصصت له الصحف المحلية صفحاتها الأولى ، بدايةً لمفاوضات بين الحكومة والشبان العرب المسلمين ، انتهت بتعهد « كلامي » من رئيس الحكومة باتباع سياسة جديدة ، لم تر التطبيق حتى الآن . وأظهرت الصحف أن هذا الجيل الثاني للهجرة بدأ يدخل « سن الرشد » الاجتماعي والسياسي والثقافي ، حيث عبَّر عن ذلك بالمسيرة التاريخية ضد العنصرية ، ومن أجل المساواة في الحقوق التي بادر إلى تنظيمها شبان ليون انطلقت من مرسيليا عام 1983 م **وعبرت فرنسا سيراً على الأقدام لمدة قاربت الشهر وانتهت في باريس بتجمع ضم أكثر من مئة ألف عربي وفرنسي ، استقبل رئيس الجمهورية منظميها معلناً مجموعة من الإجراءات بشأن المهاجرين العرب لم تدخل إلى حيز التطبيق أيضًا . .**

هذا النمو الإسلامي وتحركه بهذا المستوى رأى فيه العديد من السياسيين الفرنسيين ـ ناهيك عن المتعصبين العنصريين ـ خطرًا على فرنسا ، ولكن ثُلَّةً منهم أي من السياسيين اعتبروا المهاجرين العرب نعمة على فرنسا لا نقمة ، بل أصبح واقع المسلمين ـ سلبًا وإيجابًا ـ أحد المواضيع الأساسية المطروحة في كلِّ مناسبة سياسية أو ثقافية أو اجتماعية أو دينية .

مشكلة المهاجرين المسلمين تتصدر الانتخابات الفرنسية

ومع تصاعد هذه القضية كان لا بد من أن تطرح نفسها كقضية أساسية في الصراعات الحزبية ، ومن ثَمَّ دخلت ساحة الانتخابات من أوسع أبوابها فالمرشحون

للانتخابات البلدية الأخيرة توزعوا إلى حدٍّ مابين مؤيد للمهاجرين ومناهض لهم .

والمعروف أن المهاجر صار يعني في ذهن الفرنسي « العربي في فرنسا » كما أكدت ذلك مجلة « لونوڤيل أوبسرفاتور » الفرنسية في استفتاء أجرته حول هذا الموضوع .

ففي انتخابات مدينة « درو » القريبة من باريس والتي أضحى فيها العرب المسلمون يؤلِّفون 25% من السكان ، مَحْوَرَ فيها اليمين العنصري حملته الانتخابية حول شعار : « فرنسا للفرنسيين والعرب خارجًا » .

هذه المدينة عاشت خلال أسابيع الانتخابات الفرنسية حالة هستيريا من التوتر والعنف لم تعرفها أي من المدن الفرنسية الأخرى ، فقد جرت محاولات عديدة للاغتيال والاعتداءات المتطرفة التي طالت المرشحة التي فازت بفارق ثمانية أصوات ضد تحالف اليمين المتطرف والديغولي عام 1983 م في انتخابات بلدية « درو » إذ اتهم اليمين المتطرف هذه المرشحة « ببيع المدينة للعرب » خاصة وأن أحد مساعديها جزائري .

وكان يسمع في أنحاء متفرقة من المدينة صدى إطلاق رصاص . وقد تجنب العرب قدر إمكانهم الخروج من بيوتهم والظهور في الأماكن العامة ، وسجلت المدارس نسبة غياب مرتفعة للتلاميذ من أصل عربي ! !

ولاحظ الصِّحافيون عشية الدورة الثانية للانتخابات وفي اليوم الثاني أن شوارع المدينة قد خلت تمامًا من السكان العرب الذين بقوا في منازلهم تجنبًا لتعرضهم لردَّات فعل أوساط اليمين العنصري ، خاصة أنه حدثت عدة جرائم عنصرية في مناطق أخرى من فرنسا ضد العرب المسلمين. لم تمض إلا شهور قليلة حتى بدا أن ما حصل في مدينة « درو » ليس حدثًا محليًّا فقط ، بل إن اليمين العنصري الذي يتزعمه الإرهابي « جان ماري لوبان » أخذ ينتشر ويقوى في كلِّ المدن الفرنسية حائزًا في انتخابات البرلمان الأوروبي عام 1984 على 10 في المئة من الأصوات ، وفي الانتخابات النيابية لعام 1986 م على 11 في المئة من الأصوات ، **وتحوَّلت ظاهرة الوجود العربي المسلم والموقف منها إلى محور الصراع بين وداخل الكتل والأحزاب السياسية .**

وفي انتخابات الرئاسة عام 1988 م ، أجمع المراقبون والسياسيون على أن الحدث الأهم في تلك الانتخابات لم يكن انتصار اليساريين ولا هزيمة مرشحي اليمين التقليدي ، **وإنما حصول زعيم اليمين العنصري « لوبان » على 14 في المئة من الأصوات ، من تحت رأس الهجرة الإسلامية .**

« الإرهابي لوبان » نزل الانتخابات ليغذيَ نزعة العنصرية المتطرفة في المجتمع الفرنسي تحت شعارات تتركز أساسًا ضد العرب والمسلمين مهدِّدًا بالعمل على إجلائهم عن الأراضي الفرنسية في حالة فوز حزبه اليمين المتطرف وعبر برنامجه : « **المذبحة ـ لطرد الغرباء** ،

وشعار : **ادعم لوبان حتى لا تصبح فرنسا دولة إسلامية إرهابية »** .

كيف؟؟

في ليلة 1988/12/19 م كان العمال العرب المسلمون هدفًا للتفجيرات العنصرية التي ما فتئت تتفشّى هنا وهناك . . كان الانفجار الأول ينفث شحنته العنصرية ، ثم الانفجار الثاني ينفجر بعد لحظات فقط ، الهدف كان مقر سكن خاص بالعمال العرب المسلمين ناحية مدينة « نيس » الفرنسية « فوابيه سوناكوترا » ، ضحية واحدة من أصل روماني لفظ أنفاسه . (وهو ليس مسلمًا) ، مع أن المسلمين هم الذين كانوا الهدف ! ! ، وعشرون فقط جريحًا هذه المرة من المسلمين . . . وسقط جدران المسكن بالكامل فنجم عنه أضرار مادية هامة . . و . .

« الإسلام يجب أن يُهزَمَ » الإمضاء : « ماسادا » .

كلمة يحسبها القاريء لأول وهلة « موساد » مع أنهما لا يختلفان في الجوهر . **هذا موساد من نوع آخر « ماسادا » : حركة عنصرية يمينية متطرفة ، نبتت كما تنبت أمثالها عبر كامل التراب الفرنسي تحت رعاية العنصري « جان ماري لوبان »** .

هذه أمثلة بسيطة فقط ، والواقع أكبر وأكبر . .

كل هذا يحدث في فرنسا التي تدَّعي أنها أمُّ الحريات والدساتير ، وأرض الثورة الفرنسية : حرية ، مساواة ، أخوة . وأرض الفكر والفن والثقافة ، بل وعاصمة النور ، أضحت اليوم تضج بأكثر من 4.5 مليون مواطن عنصري ! ! . . والشيء الذي يقلق الكثيرين هو ازدياد عدد ركاب سفينة لوبان الإرهابية العنصرية كلَّ يوم .

شاهد من أصل فرنسي على حقيقة المهاجرين في فرنسا

موجة التطرف هذه ، وصفحات العنصرية المغطاة بجثث عشرات الضحايا من أبناء الأمة الإسلامية ، في ما يسمى بأرض الحرية وعاصمة النور ، وجدت مَنْ يتصدَّى لها من أبناء فرنسا نفسها ، ويكشف أهدافها ويعرِّي توجهاتها ، عبر كتاب صدر عام 1984 م بباريس ، تحت عنوان : « **الهجرة نعمة على فرنسا** » ، للنائب البرلماني « برنار ستازي » من تكتل حزب التجمع الديغولي الذي يتزعمه جاك شيراك . وبرغم الطابع اليميني



مسجد باريس من أبرز المعالم الإسلامية في الدول الغربية .



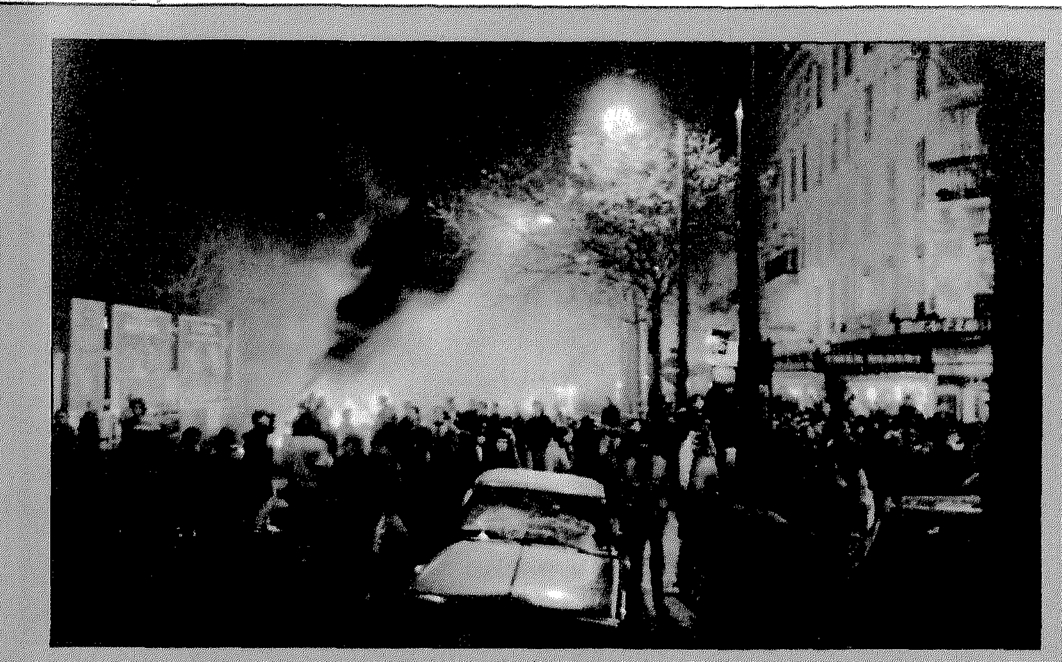
تظاهرة العمال العرب ضد الحملات العنصرية تتكرر من حين لآخر .



إحدى أمهات ضحايا الجرائم العنصرية تحمل صورة ابنها في المظاهرة التي أقيمت أمام وزارة العدل الفرنسية .

صلاة الجماعة في مدينة إيفري بضواحي جنوب باريس.

تجَلّى الفن المعماري الإسلامي في مساجد باريس .



نار الاضطرابات في باريس .



أحد ضحايا الجرائم العنصرية من المسلمين .

لمواقف هذا الحزب حول قضية المهاجرين ، فإن برنار ستازي يطرح نفسه كأحد الذين لا يترددون في اتخاذ مواقف مختلفة تماماً مع المواقف الرسمية للحزب تجاه حقيقة المهاجرين في فرنسا .

يدين برنار ستازي في كتابه هذا كلّ الدعوات العنصرية ضد العمال العرب والمسلمين بشكل خاص ، ويدعو إلى حلّ مشكلة المهاجرين بشكل إنساني و إيجابي قائم على الاعتراف بحقوقهم والاهتمام بالعمل على الانفتاح عليهم .

يقول « برنار ستازي » :

إن الهجرة نحو فرنسا هي ظاهرة قديمة جدًّا . وكانت عبر العصور ، عنصرًا إيجابيّاً ومصدر خير لفرنسا في مختلف الميادين . والهجرة هذه حالة طبيعية نظرًا لوحدة منطقة البحر الأبيض المتوسط عبر التاريخ ، والمهاجرون حاليًّا لا يختلفون جوهريًّا عمن سبقهم ، سوى في كون الفترة الحالية هي فترة أزمة عامة ، **وسوى لكونهم من العرب المسلمين . فالنتائج السلبية للأزمة والصراع الأوروبي ضد الإسلام أثّرًا بشكل ضار على هؤلاء المهاجرين ، وأوجد ضدهم حالة من العداء تغذيها التيارات الرجعية ، سياسيًّا و « أيديولوجيًّا » ، في حين أن هذه الحالة تضر بفرنسا نفسها لأن وجود مهاجرين هو نعمة وثراء لفرنسا . .**

ويضيف ، إن مشكلة المهاجرين الأجانب هي في فرنسا اليوم مشكلة معقدة ومتشعبة الوجود ، كما أنها تمر بظروف سلبية غير ملائمة تجعلها تحمل أبعادًا ستكون وخيمة النتائج إن لم يجر التصدّي لها ، لمحاولات استغلالها من قِبَلِ هذا وذاك . وهذه النتائج الوخيمة ستصيب فرنسا بالضرر وتحوِّل ظاهرة الهجرة من مصدر نعمة وخير إلى مصدر شرور وخراب .

ويقول ، هذا ما دفعني إلى كتابة رأيي بصراحة ووضوح وجرأة ، لأن أكثر الذين تصدوا لمشكلة الهجرة والمهاجرين افتقروا إلى الوضوح والجرأة والأمانة ، واهتموا بمصالحهم الذاتية سواء من قوى اليمين أو اليسار الفرنسية على حدٍّ سواء . إنني لا أرفض الآراء المخالفة لرأيي حول هذه القضية بل أحترمها شرط توفر الصدق والأمانة ، وبالمقابل أدين وأرفض كلّ رأي ينبثق من أرضية أنانية لا يهمها سوى استغلال كلّ شيء من أجل تحقيق مكاسب سياسية وانتخابية ، فهذه الأخيرة تعكس روحية غير نبيلة على أقل تقدير .

ويؤكد : إن مشكلة المهاجرين في فرنسا ليست مشكلة على الإطلاق بالنسبة للمجتمع

الفرنسي الذي تعوّد تاريخيًا استقبالَ موجات المهاجرين إليه . ففرنسا والولايات المتحدة الأمريكية هما من بين الدول الصناعية الكبرى التي تضم نسبة عالية من السكان المنحدرين من أصول مهاجرة . وحسب معلومات وزارة الداخلية الفرنسية عام 1982 م هناك 18 مليون مواطن فرنسي من أصول مهاجرة إذا رجعنا إلى الجيل الثالث فقط من آبائه . وهذا يعني أن ثلث مواطني فرنسا هم من أبناء المهاجرين .

والأمر لا يقف على ذلك فقط ، فسكان اللورين وجزيرة كورسيكا ومناطق أخرى لم يلتحقوا بالمجتمع الفرنسي إلا في الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر . وقبل ذلك استقبلت فرنسا موجات عديدة من المهاجرين بينهم البلجيكيون والإيطاليون والإسبان والبولونيون والبرتغاليون والمغاربة وغيرهم . .

أكذوبة الحفاظ على نقاء الدم الفرنسي

ويكشف « برنار ستازي » ادعاءات المتطرفين بقوله : **بعد هذا التوضيح ، إذاً فإن إدعاءات اليمين المتطرف بالحفاظ على « نقاء الدم الفرنسي » هي اتجاهات هزيلة وخاطئة وعنصرية . إذ إن اليمين المتطرف يعرف ذلك جيداً لكنه لا يريد أخذه في الاعتبار مندفعاً وراء مصالحه ومكاسبه الانتخابية ضارباً مصلحة فرنسا عرض الحائط ، ويصر على إقناعنا بضرورة طرد المهاجرين وحماية المجتمع الفرنسي العريق ، هذه الخرافة وغيرها تؤلّف اعتداء صارخاً على الحقيقة التاريخية ، وتشوه حقيقة أن هؤلاء لعبوا دوراً هاماً ومؤثراً في مصلحة فرنسا وفي بناء و إثراء مجتمعنا في الماضي البعيد والقريب .**

ويتابع : **إن إدانة موقف اليمين المتطرف من مشكلة المهاجرين ، يجب ألاّ تعفيَنا من انتقاد الحزب الديغولي الذي أنتمي إليه في تحالفه مع هذا اليمين في الانتخابات البلدية في « درو » في أواخر عام 1983 م . وكنت شخصياً أفضل خسارة بلدية « درو » على الفوز عبر التحالف مع اليمين العنصري الذي يحاول توظيف أي شيء لتطوير مركزه ، وهنا أيضًا لا بد من انتقاد اليسار الفرنسي الحاكم على وعوده السخية السابقة للمهاجرين ، ثم تراجعه عنها عندما وصل إلى الحكم ، كان يجب ألاّ يقطعَ وعوداً لا يمكن له تحقيقها .**

ويؤكد « ستازي » أن المهاجرين الذين يواجهون الصعوبات ، وتتركز عليهم الحملات العنصرية المعتادة من اليمين العنصري أو غيره هم بالتحديد مهاجرو المغرب العربي المسلم ، **والسبب الذي يجعل المجتمع الفرنسي قليل الانفتاح والتسامح إزاء هؤلاء ليس ذا محتوى اقتصادي ، وإنما هو ذو محتوى نفسي ، وبالتحديد « ديني ثقافي » بشكل خاص ، يعشّش في اللاوعي العام للمجتمع ، لكن لا يتجرأ أحد على الاعتراف به .**

فجميع الذين تصدوا لطرح مواقفهم حول مشكلة المهاجرين حاولوا العبور على « البعد الديني » ، على الرغم من أنه جوهر المشكلة ، فاليسار يتحدث عنها بمفردات الصراع الطبقي ، والكنيسة الفرنسية فعلت ذلك أيضًا برغم أنها مؤسسة دينية كما لو كانت تتهرب من مواجهتها ، وكذلك الحال بالنسبة للدولة الفرنسية ، **وجوهر الأمر هو أن جميع هذه المؤسسات لا تريد الاعتراف بالحقيقة الروحية المتميزة للإسلام الذي يعتنقه هؤلاء المهاجرون ، ويجدون فيه رواءهم الروحي ، وهو حق طبيعي خصوصًا في المجتمعات الديمقراطية .**

أما هذا الخوف من الإسلام فيعود إلى قرون بعيدة في التاريخ ، قرون الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية وغيرها ، أي أن الحملات العنصرية المضادة للمهاجرين العرب ، ليست حملات موجهة ضدهم لمجرد كونهم مهاجرين ، **وإنما هي ضدهم لأنهم مسلمون بالدرجة الأولى ـ وهذا هو بيت القصيد ـ** وبالتالي من الصعب عليهم أن يمتلكوا الاستعداد النفسي للانصهار في مجتمع لا يحترمهم كطائفة دينية ، والحال أن الإسلام هو في فرنسا اليوم ثاني ديانة يعتنقها الفرنسيون ، وبالتالي يجب أن نمتلك وعيًا واضحًا وإيجابيًّا في مواجهة هذه الحقيقة ، وهذا يعني أن نقوم أولاً بالاعتراف الكامل بمواطنية المسلم الفرنسي دون مواربة أو دوران ، وبكل ما يترتب على ذلك من حقوق للطائفة الإسلامية في فرنسا ، وتغيير موقفنا الحذر وأحيانًا المعادي للإسلام .

وثانيًا : الاعتراف بالإسلام كثاني ديانة في البلاد ما دام هذا هو الواقع ، وبتحقيق ذلك نخلق الظروف الإيجابية أمام المسلم لخدمة بلادنا عن رغبة وإخلاص .

إذ كيف يستطيع هذا المواطن أن يقدم تلك الخدمة ما دام محرومًا من الاعتراف به وبهويته

الثقافية والدينية ، ومادام لا يواجه إلا العدوان اليومي على هذه الهوية .

إن عدد المساجد وأماكن العبادة الإسلامية قليلة في فرنسا على الرغم من أن الإسلام هو دين لعدة ملايين فيها ، وعندما تسعى جماعة من المسلمين للحصول على إجازة لافتتاح مسجد لها تجد نفسها في مواجهة شتّى الصعوبات والاتهامات بالإرهاب وغيره ، وبالطبع فإن العدوان يبدو بشكل أكثر عنفًا إزاء أبناء المهاجرين ، فهؤلاء الذين يشبون في بيوتهم على التربية الإسلامية لا يجدون في الشارع الفرنسي والحياة العامة أية نظرة إيجابية لهم ولهويتهم الدينية ، في حين يستطيع أبناء البرتغاليين والإسبان والبولنديين الذهاب إلى أية كنيسة ، أو مؤسسة دينية مسيحية وهي كثيرة جدًّا لإشباع حاجتهم الروحية .

ويضيف ، **إنني لا أدعو الدولة الفرنسية بالدعاية للإسلام ، إنما فقط بالاعتراف بالحقيقة الدينية الإسلامية في فرنسا ، وحق المواطن في أن يختار الديانة التي يشاء لا كقضية شخصية بالطبع** ، لأن الإسلام والمسيحية واليهودية ديانات جماعية وليست فردية ،أي أن هذه الجماعة أو تلك من المؤمنين لا بد من أن تحصل من الدولة على التسهيلات اللازمة لإقامة شعائرها وعباداتها ضمن أجواء طبيعية وجماعية . **ولنعترف بأننا نخاف من الإسلام ، ولذلك لا نقدم له تلك التسهيلات . ولقد وجب على الطائفة الإسلامية أن تناضل طويلاً لتحصل على عشر دقائق فقط لتقديم برنامج ديني لها بعد أن كان حكرًا على المسيحية واليهودية ، ومع ذلك يظل هذا المكسب صغيرًا جدًّا نظرًا لحجم الطائفة الإسلامية في فرنسا .**

يجب ألاَّ نخاف من الإسلام

ويقول برنار ستازي في الختام :

إن معالجة هذه القضية ضرورية جدًّا الآن نظرًا لأن حجم الطائفة الإسلامية يتزايد في فرنسا بفعل سرعة نموهم السكاني . وبكلمة : يجب ألاَّ نخاف الإسلام . ويجب أن ننسى قرون الصراع القديمة من أجل بناء الحياة وليس العكس .

لقد أصبح بشكل واضح أن الحملات المضادة للمهاجرين هي حملات مفتعلة ومردودة وتتناقض مع الحقائق التاريخية ، وأن المهاجرين لا يسرقون الخبز الفرنسي ، إنما يساهمون

بشكل مباشر وكبير في خدمة فرنسا وبنائها و إغنائها . إن مستقبل فرنسا يتطلب اعتماد سياسة جديدة تقوم على احتضان المهاجرين الموجودين والانفتاح عليهم مع الاعتراف بكل الحقوق بما في ذلك حقهم في الاحتفاظ بهويتهم الدينية والثقافية ، والتعبير عنها بشكل طبيعي وبلا أي صعوبات .

إن المجتمع الفرنسي في حاجة ماسة لهؤلاء المهاجرين ، فقد كانوا على الدوام مصدر خير لها ديموغرافياً واقتصادياً وثقافياً .

إن المجتمع الذي يغلق أبوابه في وجه الأجنبي هو مجتمع يغلق أبوابه في وجه المستقبل ، وهذا هو مايجب مصارحة جميع الفرنسيين به ودعوتهم لتغيير جميع الأحكام الخاطئة حول مشكلة المهاجرين .

أحقًّا إن كلَّ هذه الحملات العنصرية بسبب الخوف من الإسلام ، دين الحق والعدالة والحرية والكرامة الإنسانية؟

معنى ذلك أن مشكلة المسلمين ستظل تؤرّق المجتمع الفرنسي طويلاً . ألم تتصدر هذه القضية أهم مسألة في الدولة وهي الانتخابات البرلمانية؟ فإذا كانت فرنسا قد احتفلت في العام 1989م بذكرى مرور مئتيْ عام على قيام الثورة الفرنسية ذات الشعارات الإنسانية « حرية ، مساواة ، إخاء » ، فإنها يجب أن تتذكر أن هناك 15% من مواطنيها يغتالون هذه الشعارات يومياً في مذبح التطرف والعنصرية غير مبالين بمستقبل فرنسا . هؤلاء ينبغي أن يغيّروا أفكارهم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين ، وينبغي أن يقتنعوا بأنهم لا يسرقون رغيف خبزهم ، بل إن هؤلاء جزء مؤثر في الحياة الفرنسية ومستقبلها ، وينبغي أن تَفِيَهُمْ حقهم كاملاً .

ملحق

بعد كتابة موضوع : (المسلمون في فرنسا) وفي شهر التمور « أكتوبر » 1989 طرأت قضية (الحجاب) التي ظلت لعدة شهور قضيةَ الساعة على الساحة الفرنسية وذلك حين رفض مدير إحدى المدارس الفرنسية السماح لثلاث طالبات يرتدين الحجاب بدخول المدرسة ، وقد اتخذت هذه القضية أبعادًا واسعة لم تكن متوقعة : انتبهوا أيها السادة . . الإسلام بدأ يدق أبوابنا . . المسلمون قادمون . . . اليوم الحجاب وغدًا يقف العمل من أجل الصلاة . . . هذه العبارات وغيرها كثير ، احتلت عناوين الصحف والإذاعة المرئية ، وهبَّت الأطراف المختلفة تناقشه بعصبية وتوتر وانفعال . . . فشارك فيه كل صاحب رأي وغرض ؛ الصحافيون ، والمفكرون ، والسياسيون ، والكتَّاب ، والمؤرخون ، والتربويون ، ورجال القانون ، بينما تعالت بعض الأصوات داعية لإدراجها ضمن جدول أعمال الجمعية الوطنية (البرلمان) لمناقشتها ووضع القوانين اللازمة لضبط التعامل معها . . . وأحيلت إلى مجلس الدولة ليقول كلمته فيها ، والتي جاءت لمصلحة المحجَّبات . .

وكان الثائر المسلم معمر القذافي قد بادر بإرسال برقية إلى الرئيس الفرنسي ميتران بهذا الخصوص ، معبراً عن قلق الأمة الإسلامية إزاء تصاعد تلك الحملة ضد الإسلام والمسلمين في فرنسا هذا نصها :

برقية من الثائر المسلم معمر القذافي إلى الرئيس الفرنسي ميتران

نحن نأسف على الحملة التي تعرَّض لها المسلمون في فرنسا . وأنقل إليكم قلق الأمة الإسلامية على ذلك . إن فرنسا كدولة متمدينة ومتسامحة نستغرب أن يتعرَّض فيها المسلمون للاضطهاد لمجرد كونهم مسلمين . وقد تصاعدت هذه الحملة حتى وصلت

إلى حدٍّ تهديم المساجد الإسلامية من طرف بعض البلديات في المدن الفرنسية . ولا أعتقد أن حكومتكم الصديقة تسمح لليهود بأن يسخّروا فرنسا في حرب دينية صليبية جديدة ضد الإسلام . إنه يؤسفني حقاً إذا تمكن هؤلاء من جرِّ البرلمان الفرنسي والحكومة الفرنسية إلى معركة دينية عنصرية وأعتقد أن موسى وعيسى ومحمداً أبرياء من مثل هذه الممارسات . إن مئات الآلاف من الطالبات المسلمات يساورهن القلق على مستقبلهن الدراسي وعلى تمتعهن بحقوقهن الإنسانية في فرنسا . إن هذا القلق هو الذي أدّى إلى مناقشة هذه القضية في الجمعية الوطنية الفرنسية ، وسأظل مستمراً في متابعة حالة المسلمين في فرنسا بقلق شديد إلى أن أطمئن وتطمئن معي الأمةُ الإسلاميةُ على مصيرهم وتمتعهم بحقوقهم الإنسانية .

معمر القذافي

وكان الثائر المسلم معمر القذافي قد تطرق لمشكلة المسلمين في فرنسا في خطابه الذي ألقاه في الاجتماع الأول للقيادة العامة المؤقتة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية في طرابلس بالجماهيرية العظمى بتاريخ **1989/12/20 م حيث قال** :

إنني أرحب بكم مرة ثانية في طرابلس هذه المرة ، وأحمد الله أنه بعد لقاء بنغازي لم تحدث أي عراقيل تذكر ، ولو أن بعض الدوائر المعادية تحركت بعد ذلك اللقاء ، وعقدت المخابرات الأمريكية مؤتمراً إسلامياً في أمريكا ، ويبدو أنه حتى المخابرات الأمريكية أصبحت مسلمة ! ! فتحمست وعقدت مؤتمراً ، ويجري العمل لعقد مؤتمرات أخرى لإيجاد عمل مضادٍّ لما تمخض عنه مؤتمر بنغازي .

وأوضح الأخ الثائر المسلم معمر القذافي في كلمته المهمة **أنه حصلت بعد ذلك مشكلة للمسلمين في فرنسا حيث تعرض مئات الآلاف من الطالبات للمضايقة والتهديد والفصل من الدراسة في الجامعات الفرنسية . وقال : لقد بعثت باسمكم ببرقية للرئيس الفرنسي ليتدخل في هذه المشكلة .**

وتساءل الأخ الثائر المسلم معمر القذافي بقوله : **أين حقوق الإنسان التي يتكلم عنها الأوروبيون ويتشدقون بها أمام هذا الاضطهاد الديني العنصري ؟ ! موضحاً أن أجهزة الإعلام العربية الليبية نشرت البرقية التي بعث بها إلى الرئيس الفرنسي ملاحظاً أنه**

قبل تلك البرقية أصدر الفرنسيون قراراً برفع الحظر عن المعدات العسكرية الفرنسية إلى الجماهيرية العظمى .

وقال : إنه بعد هذه البرقية أصدروا قراراً بإرجاع الحظر على المعدات العسكرية الليبية الموجودة في فرنسا ، و إنه حتى هذا الوقت رفضوا تسليمها نتيجة للبرقية ، ولكن الجماهيرية العظمى مادامت تتصدَّى لهذه المسؤولية يجب عليها أن تتحمل التبعات التي تترتب على ذلك .

وأضاف الأخ الثائر المسلم معمر القذافي يقول في كلمته المهمة : **لقد ردَّ علينا الفرنسيون وقالوا : هذه مسألة داخلية ، وهذا تدخل في الشؤون الداخلية لفرنسا . فقلنا لهم : أنتم تقلبون الدنيا كلَّها باسم حقوق الإنسان ، وتتدخلون في شؤون دولة ، وتفرضون على أخرى عقوبة باسم حقوق الإنسان ، وتتدخلون في شؤونها باسم تلك الحقوق وهو مجرد مبرر للتدخل في شؤون الغير .**

وأكد الأخ الثائر المسلم معمر القذافي **أن حقوق الإنسان بالنسبة للغرب تعني أن الجماعات الموالية للغرب يجب أن تأخذ حريتها وأن الردَّة والعمالة والتبعية والرأس مالية والاستغلال والمعاداة للتقدم والارتباط بالغرب الذي تمارسه تلك الجماعات هي وحدها لها الحرية .**

وأضاف الأخ الثائر المسلم معمر القذافي يقول : **لقد أبلغت الرئيس الفرنسي أنه كيف يكون ما حدث مسألة داخلية وهناك مئات الآلاف من الطلبة والطالبات يتعرضون للاضطهاد . بعد ذلك قال : رسالة شخصية أو ثنائية ، فقلت له : هذه ليست شخصية وليست ثنائية هذه رسالة أممية وليست ثنائية لأنني أكلمك باسم المسلمين كلِّهم الذين اجتمعت قياداتهم في بنغازي ووحدوا كلمتهم . فردَّ قائلاً : إن طيارات الميراج التي اشترتها الجماهيرية العظمى من فرنسا وجاءت للتصليح يمنع تسليمها ورفضوا تسليمها حتى الآن .**

واستطرد الأخ الثائر المسلم معمر القذافي يقول : **لا نعرف عما إذا كانت تلك البرقية قد نشرت في كلِّ وسائل الإعلام ، وسمعت أنه كان لها صدى كبير في الأردن ونحن طلبنا أن تنشر في كلِّ وسائل الإعلام الإسلامية وفي المساجد حتى يتم الضغط على فرنسا من جميع أنحاء العالم الإسلامي لكي ترفع اضطهادها عن المسلمين في فرنسا وحتى تتأكد**

فرنسا أن المسلمين أصبح لهم كلمة واحدة وموقف واحد .

وأكد الأخ الثائر المسلم معمر القذافي أن أي شيء يصدر يجب أن نتناوله جميعًا من المسجد إلى الصحيفة إلى الإذاعة إلى أي موقع جماهيري نحن موجودون فيه ، وقال : يجب أن ننشر ما نريد نشره بأنفسنا .

الأمانة العامة المؤقتة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية تتبنى موقف قائد ثورة الفاتح الإسلامية وتدين الحظر الفرنسي على الجماهيرية العظمى .

وكانت الأمانة العامة المؤقتة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية قد حيت في اجتماعها الأول في طرابلس بالجماهيرية العظمى بتاريخ 1989/12/20 م الدور الريادي الشجاع الذي اضطلع به الأخ الثائر المسلم معمر القذافي قائد ثورة الفاتح الإسلامية في الدفاع عن الأقليات الإسلامية المضطهدة في أوروبا ، وتبنِّي قضاياها العادلة ، وأعلنت الأمانة العامة المؤقتة تبنِّيها والتزامها بمواقف الأخ الثائر المسلم التي ضمَّنها برقيته إلى الرئيس الفرنسي ميتران دفاعًا عن حقوق الجالية الإسلامية في فرنسا في الحفاظ على ثقافتها الإسلامية وهويتها الحضارية .

وأدانت الأمانة العامة المؤقتة القرار الفرنسي باستئناف الحظر على الجماهيرية العظمى الناجم عن المواقف الإنسانية الشجاعة لثورة الفاتح الإسلامية .

وكان المشاركون في الندوة السنوية الرابعة لمجلة « رسالة الجهاد » تحت عنوان : (**نحو مشروع حضاري إسلامي معاصر**) التي انعقدت في « مالطا » في شهر الحرث « نوفمبر » 1989 م قد وجهوا في جلستهم الأخيرة برقية إلى قائد ثورة الفاتح الإسلامية الثائر المسلم معمر القذافي ، تبنت فيها الموقف الذي اتخذه في مواجهة الحملة المتحيزة التي تعرض لها المسلمون في فرنسا .

كما وجه المشاركون في الندوة برقية للرئيس الفرنسي ميتران أعربوا فيها عن القلق الشديد من امتهان حقوق المسلمين في فرنسا ، وحذروا من مؤامرة صهيونية لطعن العلاقات الإسلامية الفرنسية ، ومن ثَمَّ لضرب التفاهم بين المسلمين والمسيحيين .

نص البرقية

الأخ العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح الإسلامية .

المشاركون في ندوة « رسالة الجهاد » : « نحو مشروع حضاري إسلامي معاصر » المنعقدة بمالطا ، بعد أن تدارسوا واقع العالم الإسلامي وكيفية مواجهة التحديات التي تواجه نهضة المسلمين ووحدتهم انطلاقاً من استلهام الشريعة الإسلامية واستنباط أحكامها المواكبة لروح العصر يتقدمون إليكم بأصدق مشاعر التقدير لمواقفكم ومبادراتكم الصادقة الهادفة إلى تحقيق وحدة العمل الإسلامي المشترك والتخلص من واقع الانقسام والتمزق الذي يعاني منه المجتمع الإسلامي .

لقد اطلع المشاركون في الندوة على نصّ البرقية التي وجهتموها إلى الرئيس الفرنسي بشأن الحملة المتحيِّزة التي تعرَّض لها المسلمون في فرنسا وهم - إذ يؤيدون كُلَّ ما ورد فيها - يضمون أصواتهم إلى صوتكم محذِّرين من الفتن الدينية العنصرية التي تفتعلها الصِّهيونية عدوةُ الإسلام والمسيحية للإساءة إلى علاقات المسلمين بفرنسا ومحاولة نسف جسور التفاهم بين المسلمين والمسيحيين .

وفقكم الله وسدَّد خطاكم لما فيه وحدة الأمة العربية والإسلامية .

المشاركون في الندوة

جمعية المسلمين في فرنسا تبارك اهتمام الثائر المسلم معمر القذافي بوضع المسلمين في فرنسا

جمعية المسلمين في فرنسا تبارك للأخ الثائر المسلم معمر القذافي اهتمامه الإعلامي بوضع المسلمين المستضعفين في فرنسا وخاصة رسالته الثورية التي وجهها إلى رئيس الجمهورية الفرنسية .

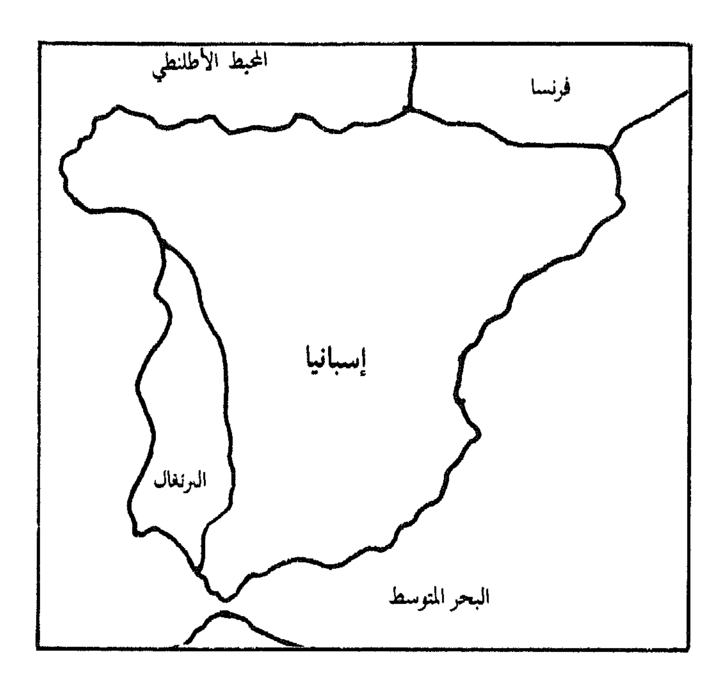
إن خطوة كهذه لو انطلقت من جميع العواصم العربية والإسلامية لأجبرت اللوبي

الصليبي الصِّهيوني في فرنسا على التراجع عن حملته العلمانية المسعورة ضد بناتنا وأخواتنا المحصنات المؤمنات .

ولإفشال الخطة الهمجية ضد الإسلام بهذه الديار فإننا نلتمس من الأخ الثائر المسلم معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر التعجيل بفتح فرع لكلية الدعوة الإسلامية بفرنسا تعطى فيه أولوية التسجيل للبنات اللائي يحارَبْن في عقيدتهن ولباسهن ﴿ . . . وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ ٱللَّهِ . . . ﴾ .

إن فتح فرع كلية الدعوة الإسلامية بفرنسا سيؤلِّف ـ بإذنه تعالى ـ قفزة نوعية مباركة في مسيرة الدعوة الإسلامية . . . و إلى الإمام جميعًا لنشر راية القرآن في كلِّ مكان .

الإسلام في الأندلس



لاشك في أن محنةالمسلمين في أندلس الأمس ،إسبانيااليوم،من أكثر المحن في تاريخ الإنسانية إيلاماً وتأثيراً في النفوس ، لما لاقوه من اضطهاد وحرق ودمار ونهب وتنكيل استمر مدة مئة وعشرين عاماً، وكان الخيار (التنصير أو الذبح) حتى إنه لم يبق في أواخر عام 1610 م إلا القليل من عددهم البالغ ثلاثين مليوناً. وذلك على النقيض تماماً لما عرفه الإسبان في ظل ازدهار الحضارة الإسلامية من التسامح وحسن المعاملة، ليس معهم فحسب بل كان ذلك دَيْدَن الإسلام مع أهل الذمة في كلٍّ الأمم الراغبة في العيش بسلام.

لقد استمر المسلمون في إسبانية ثمانية قرون ازدهرت في عهدهم الحضارة الإسلامية، وملأت سمعتها الآفاق، وأنشأ المسلمون خلالها أروع المساجد والمدن، والقصور، والقلاع، والحصون، فتألّقت في جنباتها مختلف المعارف والفنون، والتمدن والتحضر.

وعندما سلم « أبو عبد الله الصغير » آخر ملوك الأندلس مفاتيح الحمراء وغادر المدينة إلى غير رجعة ، دخلها فرناندو و إيزابيلا في يوم بارد حزين من شهر أي النار « يناير » 1492 م . عندها سقطت مدينة غرناطة الباسلة في يد الإسبان . . وانتهت في تلك الليلة أعظم دولة في ذلك الزمان ، بعد أن عانت في سنواتها الأخيرة الضعف والتفكك ، وضاعت أرقى حضارة إنسانية كانت ملء السمع والبصر ، شيدها المسلمون بدمائهم الغزيرة التي روَّت تلك الأرض ، وأرواحهم المؤمنة التي استشهدت في سبيل أن تقوم دولة الإسلام . .

سقطت غرناطة ، وخرج المسلمون ، لكن الإسلام لم يخرج ، بقيت آثاره إلى اليوم برغم الحقد الأعمى الذي مورس تجاهه . . بقيت شاهداً على عظمة ما خلفه العرب المسلمون ، بل لا تزال من أهم مناطق الجذب السياحي لإسبانيا ، ولولاها كما يقول الكثيرون لما تجشم أحد المسير إليها . .

أندلس الماضي والحاضر

يطلق اسم الأندلس اليوم على الجزء الجنوبي من إسبانيا ، ويقع جنوبي نهر الوادي الكبير ، وهو يضم سبع محافظات هي: قرطبة ، أشبيلية ، قادش ، جيان ، غرناطة ، مالقا ، وولبة .

هذه المحافظات السبع تسمى اليوم « أندالوثيا » فإذا قيل فلان أندلسيٌّ ، كان المراد أنه من إحدى هذه المحافظات .

و إذا قيل إن هذه القطعة الموسيقية أندلسية ، فالمقصود أنها من الجنوب تحمل روحه وطابعه في اللحن والأداء .

أما العرب فكانوا يطلقون لفظ الأندلس على ما شمله سلطانهم من شبه الجزيرة الايبيرية .

وفي وثبة الفتح الأولى عام 710 ـ 715 شمل لفظ الأندلس شبه الجزيرة كله من جبل طارق في الجنوب إلى جبال ألبرت الفاصلة بين فرنسا و إسبانيا ، وهي التي تعرف اليوم باسم « البرانس » و إلى الساحل الشمالي المطل على خليج بسكايه ، وهو المعروف بساحل كنتربريه.

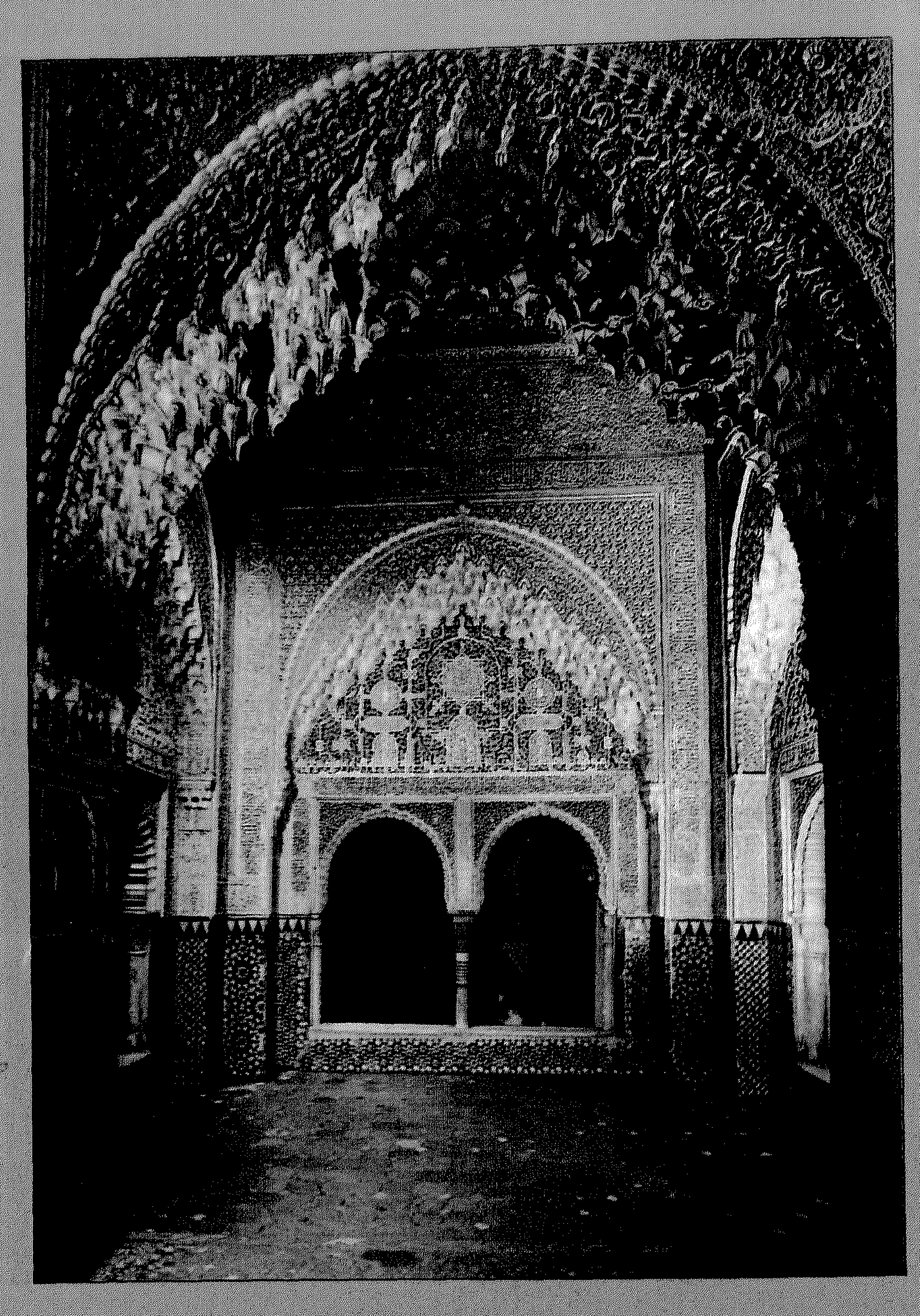
والأندلس ليس هذه الحدد الجغرافية أو الخلجان أو السواحل فقط ولكنه حضارة إنسانية شامخة ومتكاملة .

وصفها الدكتور حسين مؤنس المؤرخ الشهير في كتابه: « رحلة الأندلس الفردوس الموعود » عند زيارته لها بقوله:

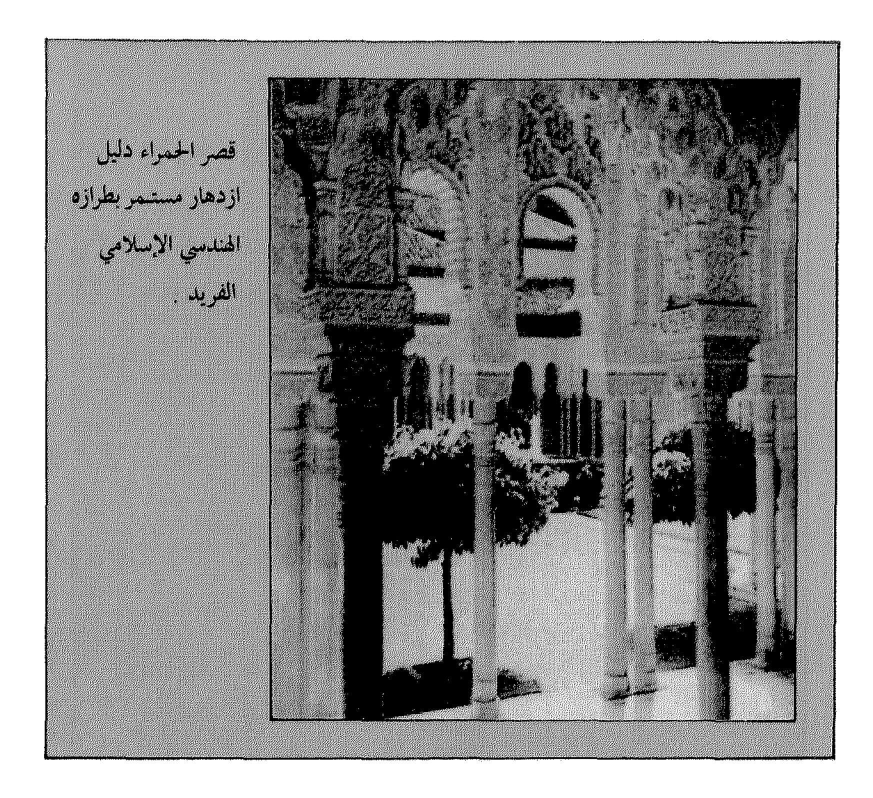
« الأندلس ، ليس آثارًا ماضية . . ليس جامع قرطبة ، وقصر إشبيلية ومنارة الخيرالدا ، وحمراء غرناطة . إنه كائن لا يزال حيًّا ، لا يزال يتنفس ، إنه أرض الأندلس وشجره وجباله وصخوره ، ووديانه وبلدانه ، إنه كائن حي كامل ، لا بد من أن تراه كاملاً لتعرف من هو . . وهذه الآثار الباقية هي شيء من الزينة التي كان يتحلى بها ، أو بعض الملابس التي كان يرتديها ، والزينة والملابس قد تدل على جانب من الرجل ، ولكنها ليست الرجل » .

إسبانيا والفتح الإسلامي

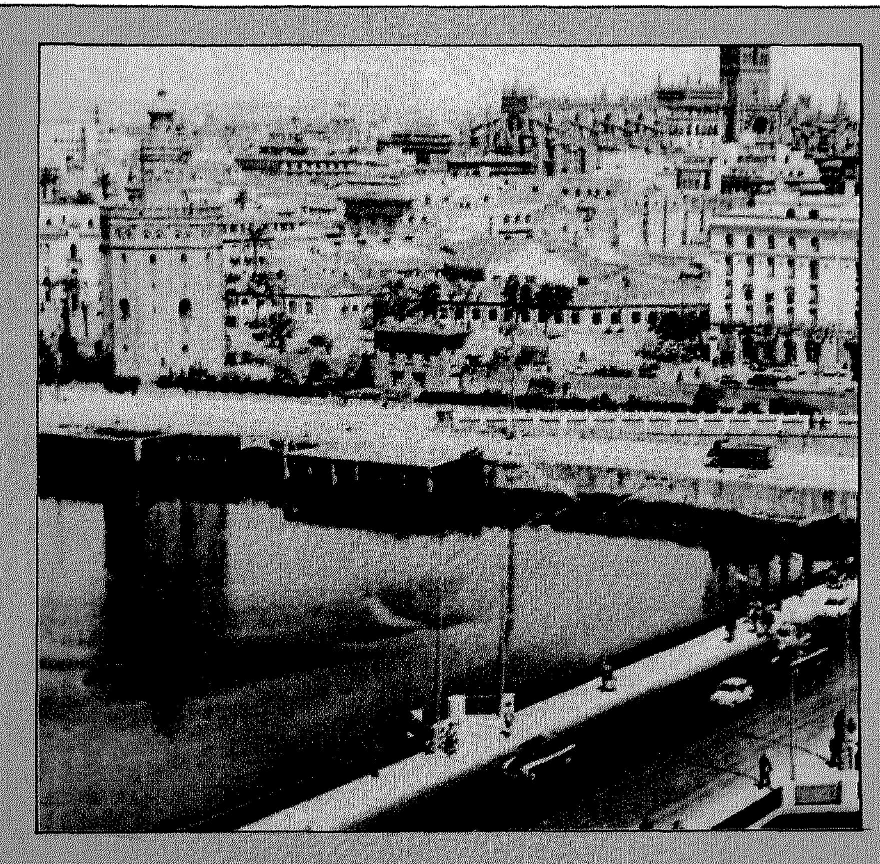
مضى المسلمون في فتوحاتهم التي امتدت في الشرق إلى الهند وبلاد ما وراء النهر . . ووصلوا في زحفهم غربًا فاجتاحوا الشمال الإفريقي كلَّه حتى وصلوا إلى المغرب الأقصى .. و يطول الحديث عن المعارك العسكرية والجهادية التي دارت في ساحة القتال في الشرق والغرب ، ولكننا بصدد الوقوف على أهم الأحداث والمحاور التي غيرت مسار التاريخ الإنساني كلِّه .



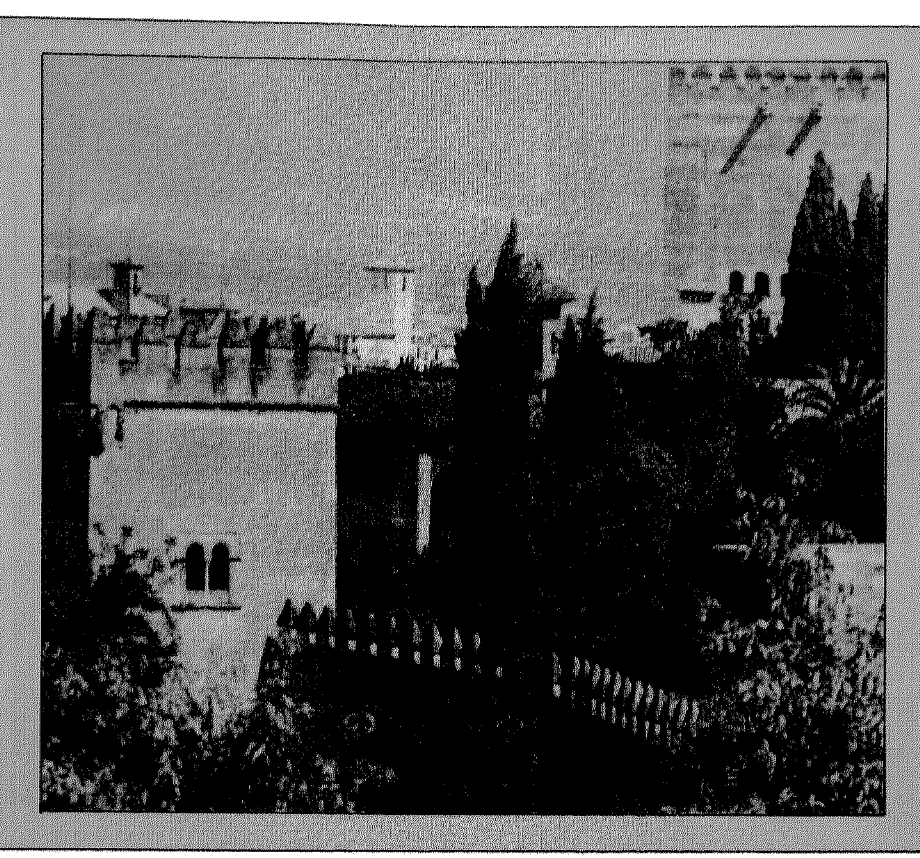
قاعة الملوك (أو المحكمة) حيث يتجلّى الفن المعماري



قصر الحمراء دليل
ازدهار مستمر بطرازه
الهندسي الإسلامي
الفريد .

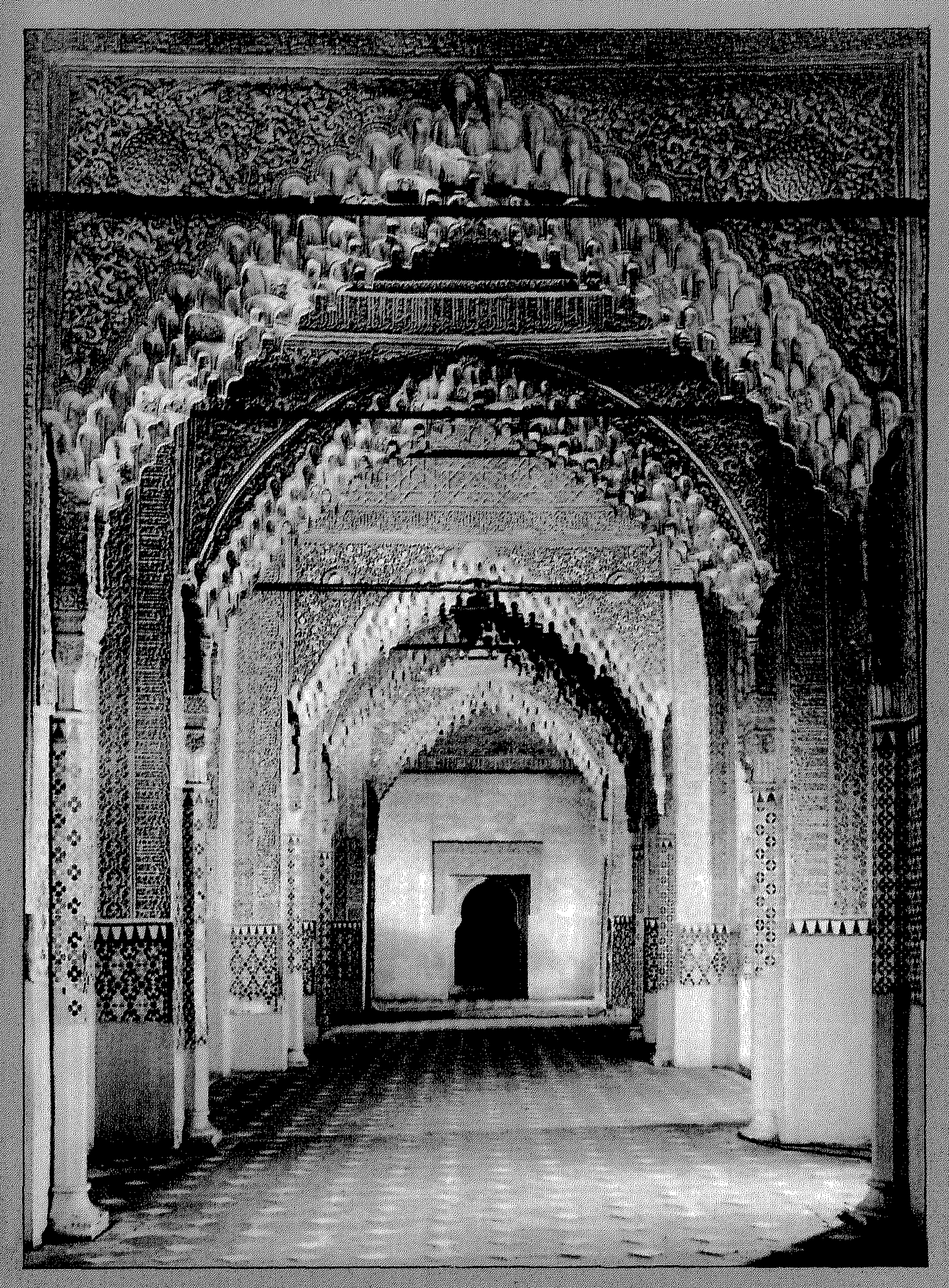


أضخم كنيسة أقيمت
على أنقاض مسجد
إشبيلية لإخفاء
اي أثر له



أحد الأبراج القرمزية التي انتشرت في العصر الإسلامي للأندلس .

عربات سياحية تحمل الزائرين إلى الآثار الإسلامية .



مدخل قاعة الأختين يقف أمامه السياح بدهشة وإعجاب كبيرين .

فقد تتابعت الفتوحات الإسلامية منذ انطلاق الفتح الإسلامي الأول ، فإذا بجيوش المسلمين تنطلق من مصر في العهد الأموي بهدف نشر نور الإسلام على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط والدول المطلة عليه حتى بلاد المغرب ، ويحدث مدٌّ وجزر . وهزائم وانتصارات . . تنتهي بوصول « **عقبة بن نافع** » إلى المحيط الإطلنطي ، وينشيء مدينة « القيروان » لتكون نقطة ارتكاز للفتوحات الإسلامية ، وعندما يصل إلى « **بحر الظلمات** » ، المحيط الإطلنطي . . يجري بحصانه على الشاطيء ويرفع كفيه إلى السماء وفي عينيه دموع وفي قلبه خشوع . . يناجي ربه قائلاً :

« **اللهم إني لم أخرج بطرًا ولا أشرًا . . وإنك لتعلم أني أطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين وهو أن تُعْبَدَ ولا يشرك بك . . اللهم لو كنت أعلم أن وراء هذا البحر أرضًا لخضته في سبيلك** » .

وأخذت هذه الفتوحات شكلاً أكثر عمقًا عندما تولى قيادة الجيوش الإسلامية البطل « **موسى بن نصير** » ، واستطاع أن يقنع الخليفة في دمشق بفتح إسبانيا . كان موسى بن نصير طموحًا إلى أقصى ما يكون الطموح ، جريئًا ، حصيفًا يفكر في الأمر قبل أن يقدم عليه تفكيرًا طويلاً ويقلِّب الأمور على جميع وجوهها . . وقد قرر وعينه على أوروبا عن طريق إسبانيا « الأندلس » أن يكوِّن أسطولاً حتى يمكِّنه من السيطرة على الشمال الإفريقي برًّا وبحرًا . واستطاع بالفعل أن يجعل جزر ميورته ، ومنورته ، والبليار تحت سيطرة البحرية الإسلامية . في نفس الوقت الذي أخمد فيه ثورات المغرب . وزحف بجيوشه حتى مدينة « طنجة » التي استولى عليها وعين عليها قائده الشهير « **طارق بن زياد** » .

وكان يتابع ما يجري في الأرض الإسبانية من صراعات على السلطة ويعرف ما يعانيه الشعب من ظلم واضطهاد وضرائب باهظة . وكان يعرف أهمية إسبانيا كطريق لنشر الإسلام من خلالها عبر القارة الأوروبية ، وكان يتحين الفرص ويدرس الأوضاع ، وقد واتته الفرصة . وكعادته لم يندفع ، وإنما أراد أن يكشف قوة عدوه فأمر أحد قواده من البربر يدعى « **طريف بن مالك** » أن يعبر ومعه أربعمئة رجل ومئة فارس إلى الأرض الإسبانية للاستطلاع ، واستطاع « **طريف** » أن يحقق أول انتصار إسلامي على الأرض الإسبانية مما دفع « **بموسى بن نصير** » أن يكلِّف قائده المقدام « **طارق بن زياد** » أن يستعد لعبور مضيق جبل طارق الذي سُمِّيَ باسم هذا الفاتح العظيم فيما بعد . وينطلق باسم

الله ليفتح البلاد الإسبانية .

ولا يزال وسيظل المسلمون يذكرون بمزيد من الفخر والإعزاز قائدهم المفدى « **طارق بن زياد** » وهو على صهوة جواده يتطلع في وجوه رجاله فيقرأ الهول في عيونهم . وهم يشاهدون ضخامة جيوش الأعداء ، وينطلق صوته فجأة كالرعد فتنحبس الأنفاس وتهدأ حركة الخيل ، وتشرئب الأعناق كي لا يفوتها كلمة من كلمات القائد الذي أحرق السفن بعد أن وصل إلى الشاطيء الآخر ونزل جنوده إلى البر قائلاً :

« **أيها الناس إنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام ، ولا مفرَّ فالبحر من ورائكم والعدو من أمامكم ، أقواته وفيرة ، وأرزاقه كثيرة ، أما أنتم فلا ملجأ لكم إلا سيوفكم ، ولا قوت لكم إلا ما تستخلصونه من عدوِّكم بهذه السيوف ، واعلموا أن النصر على هذا الجيش الجرار ممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وأنا لا أطلب منكم شيئًا أنا عنه بنجوة ، ولا أحملكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي ، وفور التقاء الجمعين سأحمل على طاغية القوم وإني لقاتله بإذن الله ، فاحملوا معي ، فإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي فإنهم بعد قتله سينخذلون** . . » .

كلمات صادقة مؤمنة لا يمكن لمن يحملها أن ينهزم . . فما أن أنهى طارق خطبته حتى كان الموت أحب إلى رجاله من الحياة ، إنهم رسل الإسلام في أوروبا المظلمة شعارهم « **النصر أو الشهادة** » . . وما هي إلا ساعات حتى كانت فلول الإسبان تتعثر في الرعب والهزيمة . وولت هاربة لا تلوي على شيء تبحث عن النجاة من صاعق الموت ، وكان النصر الذي اهتزت له فرحًا القلوب في سائر شمال إفريقية والعالم الإسلامي .

فتقاطر الناس على عبور البحر باتجاه البلاد الجديدة يتقدمهم القائد الكبير « **موسى بن نصير** » على رأس جيش أُلِّف مع جيش طارق فكي كماشة سرعان ما ابتلعت في زحفها المنتصر مدن إسبانيا والبرتغال الواحدة تلو الأخرى . . ويسجد « **ابن نصير** » لله شكرًا ، وترتسم في مخيلته خطة عملاقة طموح . . لماذا لا يواصل زحفه حتى جنوب فرنسا ، ثم يكتسح بجيوشه أوروبا ضامًّا إلى الدولة الإسلامية المترامية الأطراف فرنسا وإيطاليا وألمانيا والبلقان ، ويُسقط القسطنطينية نفسها عاصمة الدولة البيزنطية ، ويعبر بجيشه الظافر مكتسحًا آسيا الصغرى وبذلك يتمكن من الوصول إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية عن طريق أوروبا . .

ولو تحقق هذا الحلم لتغيرت خريطة العالم تماماً ، ولأصبحت أوروبا كلها في دائرة العالم الإسلامي ، ولكن الخليفة الأموي رفض اقتراح « **موسى بن نصير** » ، وطالبه أن يثبِّت دعائم الإسلام في البلاد المفتوحة ، بل استدعاه **وطارق بن زياد** فيما بعد إلى العودة إلى دمشق .

وهكذا أصبحت إسبانيا « الأندلس » في دائرة العالم الإسلامي ، حدث ذلك في نفس الوقت الذي كانت الجيوش الإسلامية في الشرق الإسلامي قد وطدت أقدامها في شبه القارة الهندية .

الصليبيون يتجرعون الهزائم

ثم تتابعت هزائم جيوش الصليبيين بعد ذلك في معركة « **الزلاقة** » مع **يوسف بن تاشفين** الذي قتل فيها ملك قشتالة الفونس السادس عام 1086 م ، ثم انتصار **المنصور** في معركة « **الأرك** » القاصمة ، حيث قتل فيها من جيوش الأعداء أكثر من مئة ألف وأسر عشرات الآلاف ، ولم يستطع الإسبان أن يهضموا هذه الهزيمة المرة ، فحاولوا الأخذ بالثأر غير أن « **المنصور** » أوقع بهم هزيمة نكراء ، وناموا على الجرح الملتهب يجترون الهزائم ويهيئون أنفسهم للثأر الكبير في الوقت المناسب .

لقد حقق الخليفة الموحدي **المنصور بالله يعقوب بن يوسف** انتصاراً كبيراً على الإسبان في معركة « **الأرك** » كما ذكرنا سابقاً ، لا يقل عن انتصار المرابطين في « الزلاقة » ، وتمكنوا من ضبط أمور الأندلس لفترة قصيرة من الزمان ، ولكن أعباء دولتهم التي شملت المغرب العربي ثقلت عليهم ، إذ لم يلبثوا أن انهزموا في معركة العقاب « التل » وتسميها الروايات الإسبانية « لاس نافاس دي تولوزا » عندما استنجد الإسبان بإخوانهم المسيحيين في أوروبا فجاءهم عدد كبير من المتطوعين الألمان والبريطانيين والفرنسيين ، وتعتبر معركة التل نهاية حكمهم الفعلي في الأندلس . ورمز انهيار حدود الدولة الإسلامية هناك . وفي أثناء الصراع المرير بين المرابطين والموحدين سقطت بلاد إسلامية كبرى في أيدي ملوك النصارى .

ولكن كيف تمَّ ذلك وما الأسباب ؟؟ :

لقد فطن الإسبان إلى أن خير وسيلة لكسب الحرب هي الانقضاض التدريجي على بلاد المسلمين وقضمها قطعة قطعة ، والإيقاع بين ملوكها ، تلك الخطة التي نجحت كثيرًا في تفتيت عضد الدولة الإسلامية في الركن القصيِّ من العالم .

غرناطة الباسلة قاومت أربع ممالك إسبانية

وسط هذا الطوفان من الانهيارات حاول الكثيرون منهم وقف الخطر الداهم دون جدوى ، فأسرع بعضهم إلى مواضع حصينة واعتصموا بها ، من هؤلاء « **محمد بن الأحمر** » كان فارسًا شهمًا بعيد النظر ، أسرع برجاله فاحتل حصن غرناطة القديم الذي كان يسمى الحمراء القديمة . وأنشأ إمارة عربية إسلامية وحصنها تحصينًا قويًّا .

استطاع الرجل بمهارته أن ينشيء مملكة تشمل كلَّ الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة جنوب نهر الوادي الكبير ، إلى تلك المنطقة وفد العرب المسلمون من البلاد التي استولى عليها الإسبان ألوفًا بعد ألوف حاملين معهم خلاصة حضارة الأندلس .

وفي ذلك الركن الجنوبي الصغير عاش الأندلسيُّ العربي المسلم وانحصر في زهاء قرنين ونصف قرن من الزمان . . تلك هي مملكة غرناطة الإسلامية التي ظلت تقاوم وحدها أربع ممالك إسبانية حتى عام 1492 م .

أسباب انهيار الدولة

ظل نور الإسلام يشع في سهول الأندلس بالهدى والعلم والحضارة ثمانية قرون ،كان في نصفها الأول شديد السطوع والشيوع لأنه كان ينبثق من مصدر متحد ، ويشرق في صحو كامل وشامل ، ولكنه في النصف الثاني تفرق الرأي ، وانفرط العقد المنظوم، وانقسمت الدولة إلى دويلات يتنافس حكامها في الحكم ويتخاذلون في الشدة ، ويتواطؤون مع العدو . في حين كانت إسبانيا الأوروبية تتقارب وتتجاذب حتى اتحدت ممالكها الخمس في مملكة قشتالة ، وأخذت تغير على إسبانيا الإسلامية مستعينة على إخضاعها وابتلاعها بما يسمى « بالطابور الخامس من العرب والبربر » حتى لم يبق

في أيدي المسلمين منها إلا غرناطة .

كان الملك في هذه المدينة الباقية قد استقر في بني الأحمر ، وانتهى إلى آخرهم أبو عبد الله الصغير الذي تآمر حتى على والده . .

فقد كان السلطان « أبو الحسن » في ذروة صراعه مع الإسبان الذين تكالبوا عليه من كلِّ صوب فلم يكن يرتاح من حرب إلا ليدخل في حرب ، ولا يعود من فتح حتى يتهيأ لفتح آخر ، وبينما هو راجع من أحد فتوحاته مكسورًا يضمد جراح نفسه ، وجد ابنه « أبو عبد الله الصغير » هذا قد أقفل في وجهه أبواب غرناطة مانعًا إياه من الدخول إلى عاصمته وبيته وأهله . . هذا ما آل إليه الحال في تلك الفترة ! !

مدن كبرى لها في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية والعالم مجلدات . . وقفت في العراء أمام حرب صليبية يقوم بها ملوك وراء كلٍّ منهم ألوف الفرسان مدرعين بالحديد . . ومن وراء جبال ألبرت « البرانس » أقبل ألوف آخرون من المحاربين الصليبيين تدفعهم البابوية وتؤجج النار في قلوبهم ، ومن وراء البحر أقبلت أساطيل الجمهوريات الإيطالية : جنوة وبيزا وأمالفي ، مشحونة برجال حريصين على ألاَّ تفوتهم الغنيمة ، هؤلاء جميعًا ومعهم محاربون من فرنسا وبريطانيا وألمانيا تقاطروا ليدعموا « فرديناند » بجيوش سدت الآفاق للقضاء على كلِّ عربي ومسلم في تلك الأرض .

ومع ذلك فقد دافع أهل البلاد واستبسلوا ، وقف أهل قرطبة وأهل جيان ، وأهل أشبيلية وبلنسية ، ومرسية ، وأهل البليار يدافعون ولم يستسلموا إلا بعد أن تلاشى آخر أمل في الثبات .

وكان « أبو عبد الله الصغير » آخر ملوك غرناطة لم يكد يعلم أن الصليبي فرديناند الخامس ملك قشتالة قد مدَّ عينيه إلى « غرناطة » ، عروس الأندلس وموضع الحمراء ، وآخر ما بقي من الفردوس المفقود حتى أشفق على نفسه وملكه ، وأرسل إلى العدو من يفاوضه سرًّا على أن يقتطعه بعض الأرض ليحكمها تحت لوائه وفي ظله ، وأبرمت المعاهدة في الظلام ، وحان موعد التسليم ، **إلا أن جماعة من فرسان غرناطة فيهم نخوة العروبة وجذوة الإيمان احتفظت لنا صفحات التاريخ بأسمائهم وعلى رأسهم موسى بن أبي الغسان ، ونعيم بن رضوان ، ومحمد بن زائدة وألوف من الجنود المجهولين ، عارضوا الاستسلام ، ووقفوا ودافعوا واستشهدوا استشهاد الأبطال .**

الغساني فارس الفرسان

كان « موسى بن أبي الغسان » مثلاً للفروسية العربية التي خلدت صفحات ناصعة في التاريخ الإسلامي ، كان منقطع النظير في أدب السيف وأدب اللسان ، وبطولاته الجهادية كانت حديث المجالس في إسبانيا الإسلامية والنصرانية . .

قال « ابن أبي الغسان » للملك الهلع في لهجة الغضبان الأنوف :

« يا ملك المسلمين ! قل لملك النصارى : إن العربي لا يقبل الحيف ، ما دام يحمل السيف ، و إن الأبيَّ الحرَّ يفضل أن يكون له قبر في أنقاض غرناطة ، على أن يكون له قصر في رياض أندلسي » .

فلم يسع أبا عبد الله الصغير إلا أن يتزل على حكم السادة والقادة ، فطوى المعاهدة ، واتخذ الأهبة للدفاع ، وأصبح الناس ذات يوم فإذا هم يرون ثمانين ألفًا من جنود قشتالة يقصدون برج غرناطة ليحاصروها . وكان موسى قد قسم الدفاع عن المدينة بين القادة وتولى هو قيادة الفرسان يعاونه محمد بن أبي زائدة ، ونعيم بن رضوان واتقدت نار الحرب ، وكان لفروسية الغساني صولات وصولات مظفرة أرهقت قوات العدو وعاقت إمدادته ، ولكن القشتاليين أحكموا الحصار فيما بعد على غرناطة وأهلكوا ما حولها من الزرع وحالوا بينها وبين المدد من البر والبحر . وأوشك الصبر أن ينفد ، فتقدم حاكم المدينة وقرر أن الجوع آت لا ريب فيه وأن الدفاع عناء لا جدوى منه .

فابتدره « موسى الغساني » بقوله : « **إن نفوس المجاهدين الصابرة لا تعرف اليأس** » .

ثم أمر ففتحت الأبواب وخرج بكتيبته إلى لقاء العدو وجهًا لوجه وقال لفرسانه : « **لم يبق لنا من الأندلس كلِّها إلا الأرض التي نقف عليها . فإذا فقدناها فقدنا الوطن والحرية** » ثم حمل بهم على المحاصرين حملة صادقة فكشفوهم عن المدينة ، ولكنهم عادوا فأطبقوا عليها .

واستمرت المعركة أيامًا على المد والجزر حتى مسَّ الجنودَ الإعياءُ وساورهم اليأس ،

فارتدوا إلى المدينة حتى لم يبق في المعركة غيره !

وفي المساء عقد الملك مجلساً من الفقهاء والزعماء والقادة ، قَلَّبُوا فيه الأمر على وجوهه المختلفة واجتمع رأيهم على التسليم .

هناك نهض « موسى الغساني » وحده يفنِّد الرأي و يعارض الاستسلام و يحاول أن يبعث في النفوس القانطة روح الرجاء والأمل فقال :

« يا قوم ؛ إن وسائلنا الدفاعية لم تنفد بعد ، فما زلنا نملك الوسيلة التي تبطل المستحيل وتصنع المعجزات ، فلْنُحْيِ في نفوس الشعب روح التضحية ، ولنضع في أيديه السلاح . ولنقاتل نحن وهو حتى نفنى جميعاً . و إذا لم يجد كلٌّ منا القبر الذي يواريه فإنه لن يعدم السماء التي تغطيه ، ولخير لنا أن نحصى فيمن جاهدوا وقتلوا ، من أن نحصى فيمن سلَّموا وسلِموا ! » .

ولكن بلاغة الغسانيَ وكلماته الواعدة لم تصادف هذه المرة هوى في النفوس . فقد آثر الجميع الاستسلام . .

فلما رأى بعض القادة يخرجون ليفاوضوا العدوَّ في تنفيذ المعاهدة ، ثار الدم في عروقه وقال :

يا قوم لا تخدعوا أنفسكم ، ولا تظنوا أن الإسبان إذا عاهدوكم يفون . إن الموت أقل ما تخشون ، وسترون إذا سلمتم أن مدينتنا تخرَّب ، وأموالنا تنهب ، ونساءنا تستباح ، ومساجدنا تدنس ، ونواصينا تذل ، وأجسادنا تساط ، ودماءنا تراق ، وبقيتنا تنفى ، سترون كلَّ ذلك وأفظع منه يا من تضنُّون بنفوسكم على الموت الكريم ، أما أنا فوالله لن أراه ! » .

ثم خرج مسرعاً فاجتاز « بهو الأسود » من قصر الحمراء ومضى لا يلوي على أحد حتى دخل داره فلبس سلاحه وركب جواده وتستر بدرعه وحمل سيفه منطلقاً من أحد أبواب غرناطة يخترق جيش الأعداء يحصدهم حصداً حتى تكسر السيف في يده وخرَّ صريعاً بعد أن قتل من فرسان الأسبان عدداً كبيراً . .

لقد دافعت غرناطة قبل سقوطها دفاع الأبطال وروَّى أرضَها دماءُ المجاهدين البُسْل ، واستشهد في ميدان الشرف من فرسانها وأهلها الكثيرون وسجل الغساني و إخوانه صفحات ناصعة في سجل التاريخ .

وفي يوم بارد حزين من أيام شهر أي النار « يناير » عام 1492 م سلم « أبو عبد الله الصغير » مفاتيح الحمراء والحصون الأخرى للملك « فرديناند » ليدخل الصليبيون غرناطة من كلِّ الأبواب ! !

ووقف « أبو عبد الله الصغير » عند جبل الريحان لِيُلْقِيَ على غرناطة آخر نظرة ، ويسمِّي الإسبان المكان الآن « آخر زفرات العرب » ، وتذكر الروايات أن أمه عائشة سألت عنه فقيل لها : إنه يبكي فقالت : ـ

ابك مثل النساء مُلكًا مضاعًا

لم تحافظ عليه مثل الرجال

ماذا بعد الاستسلام سوى توقيع المعاهدات ! ! ؟

إننا لا نصوغ هذا إلا من أجل الدروس والعبر لو نعتبر . .

جاء في المعاهدة أن تكون للعرب المسلمين حرية العبادة والسكن ، وأن لهم الأمان في بيوتهم ، ولا يحق لإسباني أن يدخل هذه البيوت ، كما يعاد إلى غرناطة كلُّ أسرى المسلمين من جميع أنحاء إسبانيا ، وأقسم الملك والملكة وأعوانهما على احترام هذه المعاهدة والعمل بموجبها إلى الأبد ! !

لكن شيئًا من هذا لم يحدث ! !

وتحقق ما قاله فارس الفرسان « موسى بن أبي الغساني » عندما رفض الاستسلام ! !

إذ لم يمضى وقت طويل حتى أصدرت الملكة « إيزابيلا » قرارًا مهينًا موجهًا إلى جميع العرب المسلمين في كلِّ بلاد الأندلس تعرض عليهم واحدًا من خيارين : إما الجلاء ، أو اعتناق المسيحية . . أمران أحلاهما مر .

هب وثار الناس في كلِّ مكان على هذا القرار المهين ، فقام الإسبان بهدم المنازل والمساجد على من فيها و إحراقها ، وأجبروهم على التنصير عن طريق القهر والعنف ، فتظاهر الكثيرون بذلك ، ولكن الكنيسة لم تتركهم كذلك بل فرضت عليهم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، وحضور القداس في الكنائس ، وعدم الاختتان ، بل وساقتهم بعد ذلك إلى ما عرف « بمحاكم التفتيش » وكان ديوان التحقيق أفظع آلة جهنمية للتعذيب عرفها تاريخ الإنسانية .

وكانت نتائج هذه المراسيم الظالمة أن قامت الثورات ضد هذا الذل في كلِّ مكان ،

لكن سرعان ما أُخْمِدَت وقمِعت بمنتهى الوحشية كثورة « جبال البشارات » التي استمرت عامين كاملين حتى أُخْمِدَتْ بفظائع لا يصدقها البشر تحت شعار « لا أسر بل قتل بلا هوادة » ، فذبح الشيوخ والنساء والأطفال ، وأحرق الفرسان بالنار ، وخنقوا بالدخان حتى ظنوا أن كلَّ صوت قد أُخمِد .

على أن جميع هذه الأساليب الجائرة ، لم تحمل عرب الأندلس على التخلي عن دينهم ولغتهم وقوميتهم وعاداتهم . فمارسوا دينهم سرًّا وأقاموا المساجد الصغيرة خفية داخل منازلهم يجتمعون فيها ويقيمون الصلاة ، وعلموا أطفالهم دينهم ولغتهم ، ونشَّؤوهم على التقاليد العربية الكريمة والأخلاق الإسلامية الحميدة ، كانوا يتهربون مما تفرضه عليهم الكنيسة ما وسعهم ذلك ، وكانوا لا يستدعون القساوسة إلى بيوت مرضاهم إلا بعد أن يكونوا قد فارقوا الحياة أو فقدوا القدرة على النطق لكيلا يتركوا للقساوسة مجالاً لتلقينهم شيئًا يتنافى مع مبادىء الإسلام قبل وفاتهم .

وكانوا إذا اضطروا إلى عقد زواجهم في الكنيسة ، عادوا إلى بيوتهم فعقدوه وفقًا للشريعة الإسلامية .

كان الملوك ورجال الكنيسة يعتقدون أنهم سيقضون على كلِّ أثر للإسلام والعرب في شبه الجزيرة الإيبيرية بعد مرور جيل أو جيلين ، وأن الآباء إذا لم يجعل « التعميد » منهم مسيحيين ، فإن الأبناء سيكونون كذلك ، ولكنهم وجدوا بعد مرور أكثر من مئة عام أن العرب المسلمين مازالت أنسالهم عربًا مسلمين كما كان آباؤهم وأجدادهم من قبلهم ، لذلك اعترفوا بفشلهم في القضاء على حيوية هذا الشعب ، واعترفوا بأنهم لم يحققوا أي نجاح في جعله مسيحيًّا .

لذلك قرروا عام 1609 م إخراج جميع من تبقَّى من إسبانيا من نسل عربي دون تمييز ، وباشروا ذلك بعنف وحقد شديدين حتى زعموا أنه لم يبق بشبه الجزيرة الايبيرية عربي عام 1610 م ! !

ولكن الحقيقة كما يؤكد الكثيرون أن التعصب الإسباني هذا لم يستطع أن يجتث من أرض الأندلس أصول الحضارة الزاهرة التي أقامها العرب وخلفوها هناك ، وهي حضارة ثمانية قرون من العمل الدؤوب المستمر .

و إذا كان السائحون يسافرون من مختلف أنحاء العالم اليوم إلى إسبانيا ، فذلك لأنهم

يـريدون أن يقفوا على مـا خلفه العرب الـمسلـمـون مـن جمـيل التراث مـازال بـاقيًا يقاوم عاديـات الزمـان .

وأكثر مـا فـي مـأساة عرب الأندلس مـن إيلام ، هو أن الإسبـان الذيـن اضطهدوهم وأمعنوا فـي تعذيبهم والإساءة إليهم ، كان أسلافهـم فـي غالبيتهم العظمى مـن رعايـا عرب الأندلس ، الذيـن عاشوا فـي ظل الدولـة الإسلامـيـة أحرارًا مكرمـيـن ، ولاقوا مـن الـمسلـمـيـن أحسن معاملة وأعدلها ، ونعـمـوا بـمـمـارسة حريـاتـهم بشكل لـم يعهدوه فـي أيٍّ مـن الحكومـات التي توالت على إسبـانـيـا قبل دخول الإسلام إلى شبه الجزيـرة الايبيريـة ، كما لـم تعهده أوروبـا فـي ذلك الحيـن .

حضارة الإسلام فـي الأندلس

لقد كان فتح الـمسلـمـيـن للأندلس بدايـة لانطلاق حضارة الإسلام وقيـمه ومثله إلى القارة الأوروبـيـة ، فقد ازدهرت هذه الحضارة ازدهـارًا رائعًا ، علـمًا وأدبًا وفلسفةً بجانب علـوم القرآن ،ونقلت أوروبا نُقْلَةً حضاريـة لـم يعرف التـاريخ لها مثيلاً .

لقد أظهر الـمسلـمـون بعد الفتح فـي إسبـانـيـا تسامحًا ديـنـيًّا واجتـمـاعيًّا جعل القلـوب مـن كلِّ الطوائف تتعلق بهم . حتى صار النـاس مـن كلِّ الأصقاع يفدون إلى ذلك الركن الـمضيء مـن أوروبـا يـنهلـون مـن العلوم والأدب ومعطيـات الحضارة .

الآثار العربـيـة الإسلامـيـة

ويقول الدكتور حسيـن مـؤنس فـي كتـابه « رحلـة الأندلس » :

« و إلى شمـال شبه الجزيـرة ـ حتى جبـال البُـرت الـمعروفة بـالبرانس ـ كان يـمـتد الأندلس ، والـمدائـن اللطيفة التي تلقاك هنـاك نحن أهلهـا ، وأجدادنـا بُنـاتـهـا : لارِدَة ، وشقة ، وتطيلـة ، وبنـبلـونة . . . وغيـرهـا كثير ، كلُّهـا كانت بلادًا عربـيـة ، ومـازالت إلى اليـوم تحتفظ بروحهـا العربـي ، ومـا تبقى فـيهـا مـن آثارنـا يـبدو لك وكأنه حطام طافٍ على الـمـاء مـن سفـيـنة ضـخمة غالتهـا الأمـواج . . . ومع هذا فالأندلس ، هذا البعيد العزيز

قريب منك . . يعيش معك وفيك . . وما سطره الأندلسيون في سجل حضارة الدنيا يفرضهم على الأجيال . .

ويتابع : دعنا من آثارهم ، في الفكر والعلم ، فذلك كتاب معروف ، ولدينا من الشواهد على ذلك ما يغنينا عن البحث في دواوين الأدب وسجلات العلم والنور ، بل إن حضارة الأندلس لم تقف عند حدود شبه الجزيرة الايبيرية ، فقد امتدت وفاضت حتى شملت المغرب العربي إلى حدود تونس ، والكثير جدًّا من ثغور المغرب انشأها الأندلسيون ، تطوان ، وتلمسان، ووهران ، وتنس ، وجزائر بن مزغنا التي تعرف اليوم بمدينة الجزائر ، وغيرها كثير ، وفي داخل المغرب تحدثك فاس عن نصيب الأندلسيين في إنشائها ، وتنبئك مكناس بأثر العمارة الأندلسية ، وفي شاون إلى جنوب تطوان تجد مدينة أندلسية الهيئة والروح ، وكأنها حي من أحياء غرناطة .

ومن شبه الجزيرة عبرت هذه الحضارة المحيط الأطلسيَّ كلَّه . . وهنا في بلادنا يعيش الأندلس في وجداننا ينبض بالحيوية والشباب كأنه بلد عربي معاصر . . . ويجاهر بالقول : إن الأندلس بالفعل عضو في الجامعة العربية الكبرى ، عضو له صوت كبير يتخطى القرون . . .

وهذا الصوت الجهير صاحب فضل كبير في المكان الرفيع الذي تحتله حضارة العرب بين حضارات العالمين . .

والأوروبي الذي يفكر في أن يفاخر علينا بما تعلمناه منه في العصر الحديث ، يخفض من صوته عندما يذكر أن أساتذتنا الأندلسيين علموا أجداده في جامعات أوروبا كلها ، حتى الفاتيكان لا ينسى أن أحد بابلواته من تلاميذ قرطبة وشيوخها الجِلَّة .

و إذا كان قمم الأدب الأوروبي العليا أربعًا : دانتي ، وتيرفانتس ، وشكسبير ، وجيته . فإن اثنين منهم تلميذان للأندلس العربي ، أخذ الأول من أصل الكوميديا الإلٰهية ، وروى الثاني فصولاً من الدون كيخوتة على لسان عربي يسمى حامد بن النخيلي ، والرابع جيته تلميذنا من ناحية أخرى ، وديوانه الشرقي شاهد صريح على استلهامه شعراءنا المشرقيين .

وهذا الأندلس الخالد لا يحيا في قلوب العلماء فحسب بل في قلوب عامة الناس أيضًا ، ولافتات مثل مكتبة الأندلس وقهوة الأندلس ، عادية مألوفة في كلِّ بلد عربي .

وفي المغرب يعزفون إلى اليوم موسيقا الأندلس وينشدون موشحات ولدت في قرطبة وغرناطة . .

ويؤكد الدكتور مؤنس أن الموضع الوحيد في الدنيا الذي التقى فيه الشرق والغرب التقاء حقيقيًّا كان الأندلس . .

هناك ضربت أشجار عربية جذورها في تربة أوروبية ، فأخرجت ثمرًا لونه غربي وطعمه شرقي . .

هناك كان الناس جميعًا ، من الخليفة والوزير والقاضي إلى البائع والمغني ، يتحدثون في البيت والطريق لغة أوروبية ، فإذا قرؤوا أو كتبوا فبالعربية . .

هناك عكف ابن رشد على شرح أرسطو ، وترجم الناس شروحه إلى اللاتينية وقرؤوها في هذه اللغة أكثر مما قرأناها نحن في العربية . .

هناك لم يكتف الشرق والغرب بالالتقاء ، بل أصبحا شيئًا واحدًا فريدًا في بابه في التاريخ . . ومازال هذا الشيء الفريد في بابه في التاريخ قائمًا إلى اليوم ، فإن وجوه الناس الذين نلقاهم هناك إن هي إلا صور مما ترى حولك في بلدك العربي . . » .

ويذهب صاحب كتاب « قرطبة في التاريخ الإسلامي » إلى أبعد من ذلك حين يقول :

« إن الفتح الإسلامي لشبه جزيرة إيبيريا لم يكن حدثًا من الأحداث السياسية أو الحربية التي كانت دومًا تظهر على مسرح الحياة فحسب ، ولكن هذا الفتح قد تبلور في شكله إلى حدث ثقافي رائع أهَّل الإنسان لاكتشاف الكثير من المجاهل التي لم يطرقها عقل من قَبْلُ ، ثَمَّ حفز هذا العقل على التنقيب والاختراع والابتكار ، وفسح له الطريق ليسير بخطواته وأبحاثه واكتشافاته بما لم يتيسير للإنسان في يوم ما . . ويشهد بذلك ما أنتجته العبقرية الإنسانية في إسبانيا الإسلامية تحت رعاية الخلفاء وأرباب الدولة في أعوام قليلة إذا قورنت بعمر التاريخ المديد . .

وهكذا نشرت الفتوحات الإسلامية أنوار العقيدة الإسلامية في كلِّ مكان . . ومدت أضواء الإسلام إلى أقصى مدى يمكن أن يتخيله عقل . . ويتساءل : ترى لماذا لا نعيد أمجاد الأجداد . . . بالعمل والتضحية والفداء . . . والأخذ بأسباب التقدم العلمي والحضاري حتى لا نصبح مجرد أمة لها تاريخ وليس لها حاضر ؟

وبعد مضيٍّ تلك السنين الطويلة على سقوط غرناطة لا تكاد تجد بها اليوم ما يوحي بالأمس سوى قصور الحمراء التي اجتازت تلك العصور وكأنها تعيش على هامش التاريخ لا تؤثر فيها الأحداث ولا ينال منها الزمان . ومن منا لم يسمع بقصور الحمراء تلك ؟

أما مدينة غرناطة اليوم ، فتخترقها الشوارع الفسيحة ، وترتفع فيها العمارات الشاهقة . .

وأكثر ما يشد السائح العربي تلك الشعارات الحائطية المعبرة عن تضامن سكان المدينة والشعب الإسباني عمومًا مع قضية العرب المركزية ، قضية فلسطين . إذ كتب على جدران مختلفة ومتباعدة شعارات مثل : « نتضامن مع الشعب الفلسطيني . وعاش كفاح الشعب الفلسطيني » ، كما توجد شعارات أخرى عن التضامن مع نيكاراغوا ، والتشيلي ، كذلك هناك شعارات عديدة ضد القواعد الأمريكية في إسبانيا . إلى جانب تلك الكلمات المكتوبة قرب قصر الحمراء والتي يقول فيها أعمى متسول : « **تصدق . . فليس في الحياة أبدًا أنكى من أن تكون أعمى في غرناطة** » .

أما إذا خطر على البال البحث عن الماضي البعيد ، وعن الحضارة الإسلامية التي حاولوا إخفاءها من خلال التشويهات ، فلا بد إذًا من الابتعاد عن وسط المدينة العصرية المزدحمة ، والذهاب إلى رياضها في الجزء الشمالي الذي يسمى « ربض البيازين » الذي حافظ على بيوته الصغيرة ذات الجدران السميكة ، وأزقته الضيقة النظيفة ، فالبيوت هناك كلها عربية الطراز ، والمجتمع مازال « أندلسيًّا » لا فرق بين الغني وجاره الفقير ، كلُّهم إخوة متساوون ، كما كانوا أيام العرب ، وبكلمة واحدة لايزال حي البيازين عربيًّا ، **في ذلك الحي الشعبي القديم يمكن الوقوف على الماضي بكلٍّ ذكرياته الإسلامية العريقة الحبيبة إلى النفس ، والتي وقفت عبر الزمن شاهدًا على عظمة الحضارة الإسلامية . . وعندها تصيبنا الحسرة والندم على تفريطنا في تلك الثروة التاريخية الثمينة من أيدينا .**

مسجد قرطبة . . . أقاموا في وسطه كنيسة
وغيروا اسمه إلى كاتدرائية ! !

وعندما يكون الحديث عن التراث الثقافي العربي الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية فإن « مسجد قرطبة » يكون دائمًا أول ما يخطر بالبال ، هذا المسجد دون شك هو أضخم عمل معماري قام به العرب في الشرق أو الغرب على حدٍّ سواء ، إذ إن مساحة الصحن المسقوف 4868 مترًا مربعًا فإذا أضفنا إلى ذلك الفناء غير المسقوف ـ وهو بقية صحن المسجد يحيط بها سوره ـ كانت مساحته 12189 مترًا مربعًا أي نحو ثلاثة أفدنة . . هذا المسجد متوج بغابة من الأعمدة ظلت باقية إلى اليوم وهي تزيد على 1200 سارية ! ! . . إنه معجزة الفن الإسلامي في الأندلس .

وتتجلى العبقرية الهندسية إذا تأملت كيف حمل المهندس سقفًا ارتفاعه نحو تسعة أمتار على عمد رفيعة لا يزيد قطر الواحد منها على 25 سنتيمترًا . .

لقد احتاج مهندس نوتردام إلى عمد من الحجر قطر الواحد منها أربعة أمتار ليطمئن على مثل هذا السقف ! !

لكن هذا التراث الإسلامي العريق فرطنا فيه . . . ففعل به الغير ما فعل . . أقاموا في وسطه كنيسة ، حولوا مئذنته إلى برج للنواقيس ، غيروا اسمه من مسجد إلى كاتدرائية ! !

وغضبنا وصرخنا ونحن نعرف أننا مسؤولون عما أصابنا .

تصحيح صورة الإسلام داخل إسبانيا

والمسلمون في إسبانيا اليوم يسكنون المدن العريقة مثل غرناطة و إشبيلية ومالقا وقرطبة ، ويحاولون برغم قلة عددهم 200 ألف مسلم بالنسبة لعدد السكان البالغ 40 مليون نسمة ، يحاولون تصحيح صورة الإسلام في نظر السكان بعد أن أضحت الصورة مشوهة وقاتمة لدى الغالبية هناك ، خاصة بعد أن طرد الإسبان أحفاد مسلمي الأندلس الأصليين من البلاد كما ذكرنا سابقًا .

ويحاول المسلمون ـ بصبر شديد ـ ترغيب الإسبان في الدين الإسلامي ، لأن ظروف الإسلام في إسبانيا تختلف كثيرًا عن أي بلد أوروبي آخر . فالمسلمون في أية دولة أوروبية يمكنهم تقديم الدين الإسلامي والتعريف به والدعوة له على اعتبار أنه دين جديد على أهل البلاد الأصليين ولكن في إسبانيا الوضع مختلف تمامًا . فهناك حساسية شديدة ضد كلمة الإسلام نظرًا لحكمهم الأندلس وتاريخهم الحافل بالفتوحات الإسلامية والهزائم المتلاحقة التي ألحقوها بالإسبان ، إضافة إلى الدور الخطير الذي لعبه المبشرون في تشويه صورة الإسلام لدى تلك الشعوب ، ونَكْءِ جروح الماضي ، حتى أصبح تغيير بعض العقول المتعصبة ضد الإسلام أمرًا عسيرًا ومهمة صعبة يكافح المسلمون ـ بصبر وأناة عن طريق الحجة والموعظة الحسنة والسلوك المثالى ـ من أجل بعث الإسلام من جديد في نفوس الإسبانيين .

والحقيقة أن تعصب الإسبان الكاثوليك في الماضي ضد الأديان قد قضى على معظم الديانات التي برزت على الساحة الإسبانية ، إلا أن عدم تسامحهم الديني هذا لم يمنعهم من تقدير بعض إبداعات الفكر والعلم والفن العربي الإسلامي . . كما أتاحت لهم معاشرتهم الطويلة لدولة الأندلس . معرفة التراث الإسلامي والاستفادة منه في جميع مجالات حياتهم ؛ العلمية والفكرية والمعمارية .

عروس الأندلس إشبيلية

فإذا تحولّنا إلى «إشبيليا» عروس الأندلس ـ كما يحلو للبعض أن يسميَها ـ كدنا نلمس لمس اليد ما كانت عليه في أيام العرب، يوم أن كانت مدينة الفن والجمال والغناء والموسيقا، وملتقى الشعراء ومجمع الموسيقيين وأهل الفن وأرض الموشحات.. كتب فيها «بنو عباد» أرق الشعر وأعذبه، لياليهم الطويلة كانوا يقضونها في مطارحة الشعر، والمنايا تطل عليهم صباح مساء وتتخطف رجالهم، ومع ذلك فقد وجدوا وقتًا ينظمون فيه الشعر! وخير شاهد مخاطبتهم بعضهم لبعض، حتى رسائلهم لأعدائهم، كانت شعرًا!!

وفي « ميدان النصر » « تريومفو » وحوله تتجمع أكبر المعالم الرئيسة : قصر إشبيلية البديع ، الكنيسة الكاتدرائية ، منارة الخيرالدا ، دار محفوظات الهند الغربية ،

وعلى مقربة منه قصر بيلاتوس ، كنيسة السلفادور ، برج الذهب ، حي سانت كروت .

وهذه الكنيسة لا يمكن تصور ضخامتها ، كتلة هائلة من الحجر تمثل قلب البلد كلِّه حيثما اتجهت وجدتها أمامك ، وكل شيء بداخله موشًّى بالذهب الحقيقي.

والسؤال : لماذا أقاموا هذا البناء الهائل الضخم ؟

السبب : إنهم أرادوا إخفاء كل أثر لمسجد إشبيلية شقيق مسجد قرطبة العظيم .

و إذا شئت قلت : إن هذه الكنيسة الهائلة تجثم على رفات مسجد عظيم ، مسجد لا يقل رواء وفخامة عن مسجد قرطبة ، ولو بقي لكان مجدًا من أمجاد العمارة في تاريخها كلِّه .

لكن لم يبق من المسجد إلا قاعدة مئذنته ، وهي اليوم برج الكنيسة ! !

أما إشبيلية اليوم . . فنجدها مكتظة بالسكان الذين تشابه طباعهم وعاداتهم الطباع العربية ، ويمتاز مسلمو إشبيلية بأنهم يمارسون حياة وأنشطة إسلامية أكثر . . وتؤدِّي المراكز الإسلامية عمومًا دورًا هامًّا في حياة المسلمين حيث يتلقون فيها دروسهم الدينية وعلوم القرآن ، إلى جانب أجنحة خاصة بالمسلمين العابرين أو الذين يودون البقاء لفترة قصيرة في إسبانيا ، ويؤم هذه المراكز الطلاب العرب المسلمون الذين يدرسون في الجامعات والمعاهد العليا ، والبعثات التخصصية . ويحاول المسلمون الاستفادة من هؤلاء الطلاب بمخالطتهم للوصول إلى معرفة الإسلام والاستزادة منه ، خاصة من أولئك المتفقهين في الدين . فقد اختاروا منهم أئمة لمساجدهم ومعلمين للدروس الدينية واللغة العربية . إنهم بالفعل في حاجة ماسة إلى الدعاة والفقهاء ليأخذوا بأيديهم إلى رحاب الإسلام المبرأة من كلِّ تشويه وخلط .

والإسلام كدين لا يدرس في المدارس الإسبانية ، و إنما يدرس تاريخ العرب في إسبانيا ، وبصورة مخالفة تمامًا لحقائق التاريخ ، لذلك كان لزامًا على المسلمين البحث عن مصادر أخرى أكثر دقة وصدقًا ليعرفوا حقيقة التاريخ الإسلامي ، وعدالة الإسلام وسماحته ، وأصالة قيمه الإنسانية .

ونظرًا لقلة هذه المصادر باللغة الإسبانية فليس أمامهم سوى قراءتها بالفرنسية والإنجليزية ، والرجوع إلى المصادر التي كتبت بهاتين اللغتين ، وهو أمر مؤسف للغاية لأن الأغلبية المسلمة لا تتقن هاتين اللغتين ، لذلك بدؤوا في تنظيم دروس للغة العربية والدين الإسلامي لأطفالهم حتى لا يقعوا في نفس المشكلة عندما يشبوا عن

الطوق ، ويحاولون جلب المؤلَّفات الإسلامية عن طريق المراكز الإسلامية .

والمشكلة الأخرى أنه لا توجد مطبوعات تعرِّف حديثي الإسلام بهذا الدين وتعاملهم كمبتدئين فيه ، وإنما في الغالب تكون المطبوعات موجهة إلى المسلمين الذين ولدوا وشبوا على الإسلام . . .

كل هذا يحدث في بلاد كان الإسلام دينها الرسميّ في يوم من الأيام ، ويحدث هذا في بلد « كغرناطة » التي أنجبت أشهر علماء المسلمين مثل : « أبي مروان بن زهر » آخر كبار علماء الطب بعد « الرازي » وابن سينا ، الذي أحرزت في عصره علوم الطب تقدمًا كبيرًا ، وكان المسلمون يحترفون العمليات الجراحية الخطيرة كجراحة العين بالإبر الدقيقة ، ويرجع هذا التقدم العلمي إلى استنادهم إلى التجربة والعقل لتفسير الأمراض واكتشاف الأدوية ، بينما بقيت أوروبة زمنًا طويلاً تفسر الأوبئة بشتى التعاليل الواهية والخرافات السحرية . غير أن الكتب العربية أخذت تتسرب إليها في القرن الحادي عشر عن طريق الترجمات . فأخذت أوروبا من العرب المسلمين العلوم العقلية والإنسانية . وترجمت كتب الرازي وابن سينا إلى اللاتينية ، وأصبحت من أهم الكتب والمراجع في جامعات أوروبا .

وقد لعبت « قرطبة » بوجه عام في هذا المجال دورًا هامًّا كمركز إشعاع لكلِّ أنواع المعارف والحضارة الإسلامية التي انتقلت إلى المدن والقرى الإسبانية الأخرى .

مازالت أمامنا مدريد ومالقا وطليطلة وغيرها . . والحديث يطول ويحتاج إلى صفحات وصفحات ، لكن يكفي القول : إن آثار الإسلام والمسلمين فيها جميعها تحدثك عن ماضيها الإسلامي الزاهر . . بل إن هذه الآثار تعتبر من أهم عوامل الجذب السياحي ، حيث تستقبل إسبانيا سنويًّا نحو 54 مليون زائر . . أكثر من عدد سكانها البالغ 40 مليون نسمة . . واستطاعت عائداتها من السياحة في العام 1988 والتي بلغت 16.7 بليون دولار أن تغطِّيَ العجز التجاري الذي وصل إلى 15.9 بليون دولار ! !

معرض إشبيلية فرصة للعرب

وقبل أن نختتم الحديث عن إسبانيا والذي يطول ويطول لا من بد أن نذكر هنا ، أن

مجلس جامعة الأقطار العربية قد أقر في دورته في العام 1988 م مبدأ مشاركة الأقطار العربية في المهرجانات التي تنظمها إسبانيا بمناسبة مرور خمسمئة سنة على اكتشاف أمريكا ، وأيضًا في معرض إشبيلية الدولي الذي ينظم سنة 1992 م باعتباره أكبر تظاهرة حضارية عالمية ، ويمثل بالنسبة للأقطار العربية مناسبة طيبة لتجسيد مدى ما ساهمت به الحضارة العربية الإسلامية على مدى قرون متوالية في الحضارة الإنسانية ، وخاصة تأثيرات الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، فيما توصلت إليه إسبانيا من اكتشاف « لأمريكا » اعتمادًا على العلوم العربية الإسلامية .

فهذا الترابط الحضاري يتيح الفرصة للأقطار العربية كي تبرزه في معرض إشبيلية ، كما يتيح للرأي العام العالمي الاطلاع عليه . ويسمح بربط ماضي الحضارة العربية الإسلامية وتطلعاتها حاضرًا ومستقبلاً .

لقد حرصت الحكومة الإسبانية على أن تكون المشاركة العربية في هذه التظاهرة كبيرة وفاعلة ، وغنية في تعريفها بالحضارة العربية الإسلامية والحضارة المشتركة العربية الإسبانية .

مدينة غرناطة عاصمة للثقافة العربية

وقدمت اللجنة العربية المختصة في هذا المجال عرضًا مفصلاً لبرامج لجنة الأندلس 1992 م وهي التي ألفتها الحكومة الإسبانية للعناية بالثقافة والتاريخ العربي الإسلامي في إسبانيا وأعلنت لهذا الغرض مدينة « غرناطة » عاصمة للثقافة العربية .

لقد أعلنت اثنتا عشرة دولة عربية رغبتها في المشاركة في معرض إشبيلية الدولي

وهي : المغرب ، الجماهيرية العظمى ، سورية ، العربية السعودية ، تونس ، عمان ، الكويت ، الأردن ، العراق ، الجزائر ، الإمارات العربية وموريتانيا .

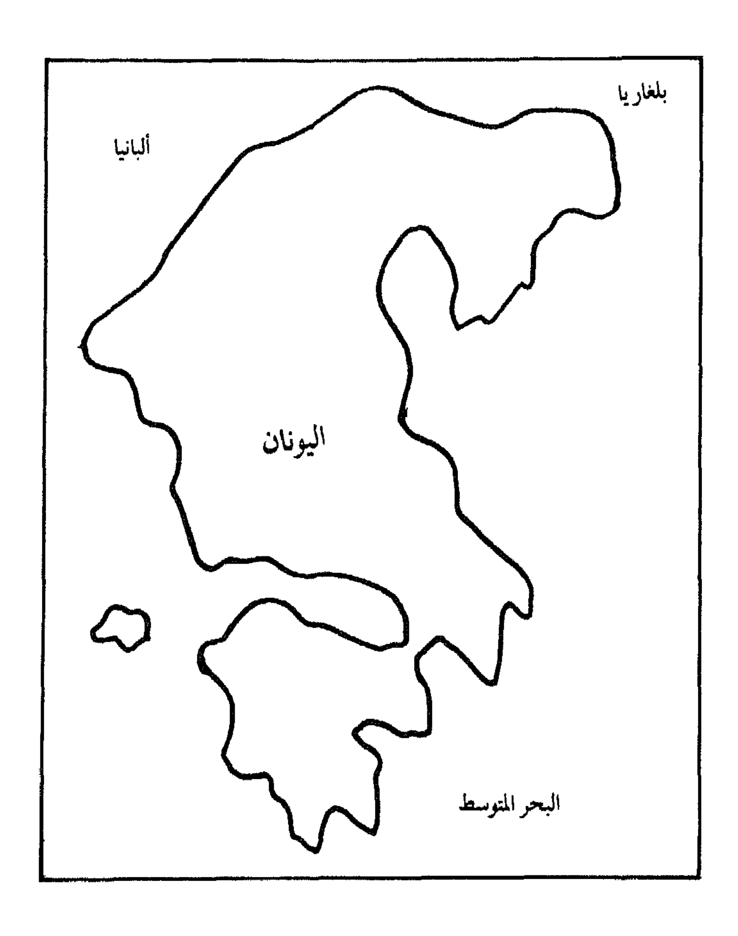
إن إلقاء الضوء مجددًا على البعد العربي الإسلامي ودورهما في حضارة إسبانيا ، وحضارة أوروبا ، ومساهمة المجتمع الأندلسي المسلم في الحضارة الإنسانية عمومًا ، والدور الريادي الذي قام به المسلمون طوال قرون عديدة سيؤلّف في الوقت

نفسه مواجهة ضرورية وفاعلة للمشروعات التي ينهض بها العدو الصِّهيوني والصِّهيونية العالمية في إسبانيا والتي تستهدف بالخصوص تشويه الوجود الحضاري العربي الإسلامي في إسبانيا وتهميشه وطمسه ، لتحقيق ما يتماشى مع مطامع الصِّهيونية ، وترسيخ المكانة اليهودية في إسبانيا .

لقد فعل أعداء الحضارة الإسلامية ما فعلوا.. وخرج المسلمون من أرض الأندلس قبل ما يقرب من خمسة قرون.. لكن بقي الإسلام هناك.. لم يستطيعوا أن يجتثوا من أرض الأندلس أصول الحضارة الإسلامية وفنونها ومعطياتها، فقد بقيت حية ثابتة في تلك الأرض وفي ذاكرة العرب، وفي خيال البشرية جمعاء.. شاهدة على أن العرب المسلمين كانوا بناة حضارة عظيمة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً.

إن الأندلس لا يمكن أن يكون قد ضاع، إذا كنا قد استوعبنا الدرس واستفدنا من العظات والعبر، وتعلمنا كيف يكون بناء الحضارات وتعلمنا كيف تتفسخ وتضمحل.. إذا استوعبنا كلَّ ذلك، استطعنا أن نعيد روح الإسلام وسماحته وعطاءه إلى تلك المنطقة.

المسلمون في اليونان بين الميز العنصري والتهجير



اليونان أو بلاد الإغريق وأرض الفلاسفة : سقراط وأفلاطون وأرسطو . . . تلك البلاد القديمة الحديثة بتاريخها وحضارتها ، السابحة بجزرها العديدة في مياه البحر الأبيض المتوسط ، عرفها العرب قبل مجيء الإسلام في طريقهم من شبه الجزيرة العربية وبالعكس ، متنقلين بتجارتهم بين شواطئها وعبر حدودها ، وبعد بزوغ فجر الإسلام حاملين إليها مشاعل الدعوة والحضارة في صدر الإسلام ، تاركين بصماتهم واضحة من خلال المعالم الإسلامية والمنارات الحضارية التي لم يبق منها اليوم شيء يذكر ، بفعل الهدم الذي مورس ضدها على مرِّ الأيام . . وتعيش الأقلية المسلمة هناك اليوم ظروفًا صعبة في مناطق فقيرة ، ولا تختلف أوضاعهم كثيرًا عن أوضاع إخوانهم في بلغاريا، يتعرضون فيها للاضطهاد وطمس الهوية الإسلامية، ومختلف الضغوط لاضطرارهم إلى الهجرة..

ويقول هؤلاء بصوت مرتفع : نحن مواطنون يونانيون لا نرغب في مغادرة موطننا اليونان ، و إن اضطرتنا السلطات إلى ذلك . كل ما نريده هو الحصول على حقوقنا ، وهي ذات الحقوق التي يتمتع بها كل مواطن يوناني ، بعيدًا عن أية اعتبارات دينية أو عرقية أو سياسية . . .

اليونان بلد الثلاثة الآلاف جزيرة

تقع اليونان في الناحية الجنوبية من البلقان وتمتاز بأطول شواطيء في أوروبا ، ولا تزيد مساحة اليابسة فيها على **131 ألف كيلو متر مربع** بما في ذلك جزائرها التي تزيد على الثلاثة الآلاف جزيرة سابحة في مياه **البحر الأبيض المتوسط** .

تعداد سكانها نحو **عشرة ملايين نسمة** يعيش نصفهم تقريبًا في العاصمة (**أثينا**) وهي مشكلة تفاقمت على مرِّ السنين ، فلم تكن العاصمة الصغيرة التي تبلغ مساحتها **أربعمئة كيلومتر مربع** مستعدة لإيواء هذا العدد الضخم من السكان . . . ولكنها مشكلة كل الدول النامية التي تحولت من مجرد **مجتمع زراعي إلى مجتمع زراعي صناعي** ، ومع هذا التحول يبدأ النزوح من الريف إلى المدينة ، حيث الحياة أجود وأنضر والكسب أسهل وأوفر كما يخيل لسكان الأرياف . .

في بداية هذا التحول من **مجتمع زراعي** إلى **مجتمع زراعي صناعي** ، كاد اليونانيون ينسون الأرض وخيرها ، ولكنهم سرعان ما عادوا إليها يصلحونها ويهتمون بها من جديد حتى بلغت نسبة الأراضي المزروعة أكثر **من 28**% من مجموع المساحة الكلية ، فهي بلد زراعي صناعي إن صح التعبير .

أكبر حاصلات اليونان ، **الزيتون والتبغ والفواكه** ، ثم **القمح** الذي فاض على كفايتهم .

العلاقات العربية اليونانية

وتصدر اليونان منتوجاتها إلى دول السوق الأوروبية المشتركة ولكن **عيون اليونانيين تتجه إلى الوطن العربي وإلى السوق العربية** ، كما يؤكد ذلك الدكتور (**يوانيس يورغاكييس**) الذي يتولى مهمة تطوير هذه العلاقات التاريخية القديمة بين العرب واليونانيين حيث يقول :

« نحن أولى بحكم الجوار ، وبحكم ما كان يربط بيننا من علاقات ، وما نحمله لكم في قلوبنا من **محبة وتآلف** ومشاركة ، **وهي مشاعر كانت ومازالت تربط بيننا منذ مئات السنين** » ويؤكد أيضًا أن هناك مئات المشاريع العربية اليونانية التي بدأت تخرج بالفعل إلى حيز التنفيذ[1] .

ويضيف : إن تاريخ الاتصال بين الشعبين العربي واليوناني **تاريخ فكري وحضاري وتجاري** ، وهو يرجع إلى قرون عديدة ، فقد كانت العلاقات تشمل جميع النشاطات البشرية . . **كانت القاعدة قائمة . وكل ما حدث هو عودة طبيعية إلى حالة كانت قائمة فعلاً** ، ولكن بصورة أخرى تفرضها بطبيعة الحال ، التغيُّرات التي طرأت على حياة الإنسان ومتطلباته في هذا العالم الجديد المتطور . . . هذه النظرة إلى العلاقات العربية اليونانية يؤكدها أيضًا (ماروذاس) الناطق بلسان الحكومة اليونانية ووزير الإعلام في نهاية السبعينات حيث يقول:

إن العلاقات العربية اليونانية قديمة ومتأصلة ، ونحن نشعر بأننا أقرب إلى العرب من سواهم ، ويمكننا القول : إن اليونان هي امتداد للوطن العربي . واليونانيون بصورة

عامة يشعرون بأنهم أقارب العرب . إن دوافعنا لتنمية العلاقات اليونانية ـ العربية ليست اقتصادية لأن تجارتنا مع أوروبا أكبر بكثير من تجارتنا مع العرب .

أما (مدير معهد الدراسات العربية الإسلامية) (**إسكندر قدسي**) فيقول : « **لا تنسوا أن شمس الديمقراطية قد غابت عن اليونان لأكثر من ثماني سنوات منذ أن قامت الحكومة العسكرية عام 1967 م حتى عودة الحياة النيابية عام 1974 م** ثم لا تنسوا ما هو أهم من ذلك . . . **لقد بدأ العالم الخارجي من حولكم يحس بالعرب** ، **وقدرة العرب العسكرية والاقتصادية بعد حربكم ضد** (**إسرائيل**) **في أكتوبر 1973 م فقد أدرك الغرب والدول المتقدمة أن العرب مصدر الطاقة الرئيس** (**النفط**) **فلماذا لا نكون على علاقة أفضل معهم** » .

الاهتمام بتنمية **العلاقات مع الوطن العربي** بدأ عام 1974 م ، ولم يقتصر الاهتمام على النشاطات الاقتصادية فحسب ، بل شمل أيضًا النواحي الثقافية والفكرية ، ولأول مرة في تاريخ اليونان تأسس (**معهد دراسة اللغات**) في ذلك العام ، وأقبل الطلبة **اليونانيون** من مختلف الكليات الجامعية في أثينا على دراسة اللغات الأجنبية (**واللغة العربية بصفة خاصة**) **بعد أن أدركوا أنها الجسر الوحيد الذي يوصلهم إلى معرفة ثقافة العرب وحضارتهم وكل شيء عنهم** .

ثم ما لبثوا أن سمحوا بقيام (**معهد لتدريس اللغة العربية**) أصولها وآدابها وتاريخها لكلِّ الشباب ، لأنهم وجدوا أن الترابط بين الشعوب وتوثيق العلاقات لا يمكن أن يتم إلا عن طريق التفاعل الحضاري بينها .

المدرسة العربية الليبية

وفي **أثينا قامت المدرسة العربية الليبية في** أحد الأحياء القريبة وهو حي (أرجيروبوليس) ومعناها المدينة الفضية على بعد تسعة كيلومترات من قلب العاصمة ، وقد بدأت الدراسة فيها عام 1976 م وهي تضم العديد من أبناء العرب والمسلمين المقيمين على الساحة اليونانية .

وفي جامعة أرسطو بمدينة (**سالونيك**) اليونانية يدرس أكثر من **ألف طالب عربي من مختلف الأقطار العربية** ، وفي هذه الجامعة قدمت إحدى الباحثات العربيات ، وهي **الدكتورة فاتن عبد الباريء** رسالة لنيل درجة الدكتوراه عن **التلاقح الفكري بين العرب واليونانيين** ، أثبتت من خلالها « **أن الكندي أول فلاسفة العرب أثر في الفلسفة اليونانية كما تأثر بها ، وأوضحت خطأ الفكرة السائدة عن فلسفتنا الإسلامية عند بعض الباحثين الغربيين ، وجانب من الباحثين الشرقيين أيضًا ـ في تاريخ الفلسفة ـ الذين يرون أن الفلسفة الإسلامية ما هي إلا صورة من الفكراليوناني ، وأن فلاسفة الإسلام أمثال : الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ، ماهم إلا مراكز يونانية في العالم الإسلامي ، و إن فلسفتهم خلت من الجِدةّ والأصالة والابتكار ، وانتهت من هذا البحث الأكاديمي إلى نتيجة مؤدَّاها أن فلسفة الكندي فلسفة اختيارية ، وهو قد استفاد من جميع التيارات الفكرية السائدة في عصره ، وأن فلسفته في جوهرها تعبر بصدق عن مباديء وروح الإسلام ، برغم ما يُلمح فيها من يونانية ، وهو شيء طبيعي كما أكدت الدكتورة ، ولكن الخطأ كلّ الخطإ أن يعتبر ذلك نوعًا من النقل أو الترجمة كما كان سائدًا عند بعض الباحثين .**

وقد علقت الدكتورة (**فالالاس**) أستاذتها بالجامعة « بقولها : **لقد تفوقت علينا وأتت بما لم تأت به الكتب** » . **وأعلنت أنها تستحق درجة الدكتوراه بامتياز .**

لا شك في أن المتتبع لأقوال الساسة والمفكرين والكتاب والمؤرخين اليونانيين يلحظ وجود النبرة الهادئة والصلات الطيبة ، وكلمات مثل : **التآلف والمحبة والمشاركة والقرب** ، تحتل جزءًا كبيرًا في حديثهم عن علاقتهم (**بالعرب**) ، **وعن تاريخ امتزاج الفكر والحضارة بين المؤرخين والفلاسفة اليونانيين والعرب المسلمين .**

ولكن هذه النبرة الهادئة تأخذ طابع **الشدة والهجوم عندما يجيء ذكر (الأتراك) المسلمين** ، وتطفح كلمات مثل : **الاستبداد** ، **الاحتلال** ، **الاستعمار التركي** ! !

والكثيرون الذين زاروا اليونان لاحظوا هذه الكراهية (**للأتراك**) وتناقلوها في

رواياتهم ، حتى إن (**القهوة التركية**) الشهيرة ، أضحت تسمى (**بالقهوة اليونانية**) **وسييء** الحظ من ينسى أو ينزلق لسانه ويطلب (**قهوة تركية**) . . **عندها قد تجد القهوة طريقها إلى ملابسه بدلاً من الفنجانة ! !**

ولكن أليست مأساة في هذا العصر ، أن تتعرض فئة معينة في مجتمع ما إلى المعاناة والاضطهاد بسبب الدين أو اللون أو العرق ، وكل القوانين والأعراف والاتفاقيات والوثائق تتحدث عن ضمان الحريات واحترام حقوق الإنسان ؟ !

فمن أين جاءت هذه الكراهية للأتراك ؟

يذهب بعض المؤرخين إلى أن الإسلام وصل إلى اليونان في وقت مبكر ، إبان الصراع الدائر بين الدولة الإسلامية ودولة الروم ، حيث **فتح المسلمون بعض الجزر اليونانية في عهد الأمويين منها جزيرة رودس ، ثم فتح الأندلسيون جزيرة كريت عام 827 م بقيادة أبي حفص عمر البلوطي** . .

غير أن الوصول الفعلي للإسلام بدأ مع سيطرة الأتراك العثمانيين على شبه (**جزيرة البلقان**) ، في أثناء **الصراع** الذي دار بين **العثمانيين والدولة البيزنطية** ، ومعها التحالف الصربي البلغاري . . حيث فتح **السلطان بايزيد بن مراد الأول منطقة (تساليا) ثم استولى على وسط اليونان وشبه (جزيرة المورة) ، ثم جزيرة رودس ، وكذلك جزيرة كريت . وخضع اليونانيون لحكم الدولة العثمانية لعدة قرون . وهاجر إليها العديد من الأتراك ، ثم البلغار والألبان المسلمون ، ومن هنا استمد مسلموها صفتهم التركية برغم أن كثيراً منهم لا ينتمون إلى الأصل التركي تماماً كما هو واضح .**

وقد أدى الصراع الموروث بين **تركيا واليونان** إلى أن يصبحوا (**أداة ضغط**) يستخدمها اليونانيون ، ومحلَّ تهمة وشك دائم . فاليونان دخلت الحرب مع الأتراك أول مرة **عام 1821** م من أجل الحصول على الاستقلال ولكنها عاشت ثورة قصيرة ، مالبثت الجيوش العثمانية أن أخمدتها . .

وبعد ذلك بخمسة أعوام **وجد اليونانيون** سندهم في **بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية** التي تدخلت لمصلحتهم وانتزعت لهم استقلالهم من السلطان العثماني ، وظهرت مملكة اليونان المستقلة .

ولم يقف الصراع بين الدولتين عند ذلك الحد بل استمر حتى الحرب العالمية

الأولى . فدخلت اليونان في صف (الحلفاء) ضد عدوها التقليدي تركيا ، واستطاعت القوات اليونانية التوغل داخل الهضبة التركية نظرًا للضعف الشديد الذي آل إليه حال الحكم العثماني ، حتى كادت القوات اليونانية تدخل (أَنْقِرَة) عاصمة تركيا الحديثة .

ولكن الجيش التركي نجح في جمع قواته ـ بعد انتهاء الحرب العالمية ، وهزيمة ألمانيا ـ وأضحت الحرب بين تركيا واليونان حربًا إقليمية ، استطاع الأتراك دفع اليونانيين خارج البر التركي .

ثم تدخلت الدول الأوروبية إلى جانب اليونان ضد تركيا ونتج عن التدخل الأوروبي حروب عديدة انتهت باستقلال اليونان عن الحكم التركي .

ومن هنا جاءت الكراهية اليونانية للأتراك نتيجة للحروب الكثيرة والحكم العثماني الذي دام لعدة قرون ، وهجرة الأعداد الكثيرة من الأتراك إلى اليونان كما يقولون .

وفي 24 من شهر ناصر « يوليو » عام 1923 م عقد مؤتمر للسلام في مدينة (لوزان السويسرية) شاركت فيه كل من اليونان وتركيا إضافة إلى بريطانيا وفرنسا و إيطاليا ورومانيا ويوغسلافيا ، ووقع البلدان (معاهدة لوزان) الشهيرة . وهي لا تخص العلاقات اليونانية ـ التركية فحسب بل تسوي جميع القضايا المتعلقة بالمنطقة . وتتكون المعاهدة من 142 م مادة وخمسة أجزاء . تقرر فيها تصفية المشاكل القائمة بين البلدين ، وبتلك المعاهدة ضُمت (تراقيا الغربية) أرضًا وشعبًا إلى دولة اليونان ، وبالتالي حمل أتراكها وهم مسلمون صفة (المواطنة) اليونانية . وطرد اليونانيون الألبان المسلمين من منطقة (جنينة) كما طردوا المقدونيين المسلمين ، ونتيجة لذلك هاجر مئات الألوف من المسلمين إلى تركيا . ووصل عدد المهاجرين المسلمين إلى مليون ومئتي ألف نسمة ، وبذلك قلَّ عدد المسلمين باليونان ، ويقدر عددهم حاليًّا بأكثر من مئتي ألف نسمة بعد أن كانوا يمثلون أكثر من ربع السكان حتى العام 1920 م .

وهذه الأقلية المسلمة في اليونان تعاني من كثرة الضغوط لإجبارها على الهجرة . وتحاول اليونان تفسير (معاهدة لوزان) بينها وبين تركيا . من طرف واحد ، لهذا

تمارس الضغوط على المسلمين وتمنعهم من بيع أراضيهم لأعضاء طائفتهم ، ولا تسمح لهم بالبيع إلا لغير المسلمين ، كما تحرم عليهم زيادة مساكنهم على طابق واحد ، وتحرمهم من بناء المساجد ، واستخدام الوسائل العصرية في الإنتاج ، ليظلوا متخلفين ، لهذا يعيش المسلمون وضعًا اقتصاديًّا متدهورًا هناك .

وقد حكم على الشيخ (أبي يوسف صبي) إمام المسجد في تراقيا بدفع غرامة مالية باهظة بسبب قيامه بتعليم القرآن الكريم لأطفال المسلمين أيام الجمع . كما حكم على إمام آخر هو (الشيخ حافظ نيازي) بالغرامة والسجن ، ذلك أن قانون التعليم في اليونان يمنع تعليم أطفال المسلمين أكثر من ساعتين للدروس الدينية أسبوعيًّا ! !

معاهدة لوزان : الأقلية المسلمة أفراد في الدولة اليونانية

معاهدة لوزان تنص في موادها بدءًا بالمادة (37) وانتهاء بالمادة (45) على أن الأقلية المسلمة في اليونان أفراد في الدولة اليونانية . كما تنص على أنه ليس من حق دولة اليونان أن تصدر قوانين أو قرارات من شأنها أن تنقص شيئًا من حقوق الأقلية المسلمة في اليونان ، وأن على دولة اليونان أن تفتح للمسلمين الأتراك مدارس وأن تقيم لهم مساجد ومؤسسات خيرية .

وعلى دولة اليونان في المادة 38 من معاهدة لوزان ضمان حياة وحرية السكان المسلمين فيها بشكل تام دون النظر إلى دينهم وقوميتهم ، ونصت المعاهدة في مادتها هذه أيضًا على أن يكون لكل شخص الحق في أداء واجبات دينه وعقيدته ومذهبه علنًا . . وقالت هذه المعاهدة في مادتها (39) إن الرعايا الأتراك المسلمين في اليونان لهم حق الاستفادة من جميع الحقوق المدنية والسياسية التي للمواطنين اليونانيين ، والجميع الأتراك المسلمون والنصارى من اليونانيين الأروام سواسية أمام القانون اليوناني بغض النظر عن أديانهم . وفي المادة 39 جملة تقول : إن الاختلاف في الدين أو المذهب لا يجوز أن يمنح حق العمل أو أي حقوق سياسية لليونانيين دون الأتراك المسلمين . وفي المادة 42 من المعاهدة – وهي دولية –

تعهدت الدولة اليونانية بضمان المحافظة على جوامع ومساجد المسلمين ، وأفراحهم ، ومدافنهم ، ومؤسساتهم الدينية وأوقافهم الموجودة في اليونان . وتعهدت كذلك بتقديم المساعدات للمؤسسات الإسلامية مثلما تساعد المؤسسات اليونانية[1] .

تعهدت الدولة اليونانية بكل ذلك في (**معاهدة لوزان**) أمام جميع دول العالم ، وأمام ما يسمى (**بعصبة الأمم**) . في ذلك الوقت **لكن بعد المعاهدة أخذت الدولة اليونانية تتنكر لكل ما تَمَّ الاتفاق عليه ، ووضعت برنامجًا لتفريغ اليونان من المسلمين بدفعهم و إجبارهم على الهجرة وترك أراضيهم وممتلكاتهم . « وذلك شبيه بما يحدث للمسلمين في بلغاريا كما أوردنا في موضوع: «مأساة المسلمين في بلغاريا»، مع** فارق بسيط هو أن **النظام البلغاري مارس ذلك في وضح النهار وطرد آلاف المسلمين خارج أراضي بلاده ، أما اليونان فتسعى للهدف نفسه إنما بالنفس الطويل عن طريق قوانين تخرج بين الحين والحين ، لوضع المسلمين أمام الأمر الواقع وهو الهجرة كما يقولون** . .

نريد أن نرى الصليب معلقًا على أعناقكم

فالحكومة اليونانية لا تسمح بتعيين مواطنيها المسلمين في الدوائر الرسمية بصرف النظر عن مؤهلاتهم . ويقول الضابط اليوناني المدعو (**زوخوس الفتيريوس**) مخاطبًا المسلمين : « **إننا سنمنح حق الحياة لليونانيين النصارى في هذه الأرض ، و إذا أردتم أن تكونوا مواطنين محترمين فإننا نريد أن نرى الصليب معلقاً على أعناقكم** »[4] ! !

طمس الهوية ومصادرة الممتلكات والإجبار على الهجرة

ولعل **خير شاهد** على وضع **الأقلية المسلمة** ما نقله عضو البرلمان اليوناني المستقل **الدكتور صادق أحمد** ، وهو أول مسلم ينتخب في الجهاز التشريعي

اليوناني ، يصمم على إلقاء الضوء على ما تحاول الحكومة إبقاءه في الظلام من مشاكل ومعاناة تتعرض لها الأقلية المسلمة حين يقول :

إنهم يصادرون حقنا في هويتنا القومية ، إنهم يفضلون تسميتنا أقلية مسلمة ، لكن تراثنا ولغتنا وثقافتنا إسلامية .

ويضيف : الوضع في اليونان نفس الوضع في بلغاريا ، والحكومتان تفعلان الشيء نفسه .

وقد **صادرت الحكومة** جوازات سفر العديد من أبناء الأقلية المسلمة **وحرمتهم فوق ذلك من الحصول على أي وثيقة سفر** ، ولا يستطيع المواطن اليوناني المسلم منهم الحصول على وثائق السفر لمدة خمسة أعوام كغيره من المواطنين اليونانيين . بل تصرف لهم وثائق سفر مميزة لا تتجاوز مدة صلاحيتها العام الواحد ، **كما إن بعضهم يحصل على تأشيرة خروج فقط ، مما يعني أنه محروم في معظم الأحيان من العودة ، لذلك لا تجد بين هؤلاء من هو على يقين بأنه سيرى موطنه مرة أخرى .**

وتمثل العوائق أمام امتلاك الأراضي وحق البناء والصيانة همومًا أخرى أمام الأقلية اليونانية المسلمة . فبالرغم من أن الدستور يمنح كل مواطن يونانى حق امتلاك العقار . **فإن السلطات تتعمد مصادرة ممتلكات المسلمين من الأراضي وتعرقل أي محاولة من جانبهم لإقامة مبنى ، كما أنها تذهب إلى حدٍّ منعهم من صيانة منازلهم ومدارسهم ومساجدهم** ، الشيء الذي يجعل التمايز بين مباني المسلمين وجيرانهم من أهل البلاد أكثر من واضح .

ويروي **الدكتور صادق أحمد** تجربته مع السلطات اليونانية في أثناء الانتخابات فيقول : لقد تعمدت الحكومة إغلاق الحدود مع تركيا خلال الانتخابات ، **الأمر** الذي استحال معه عودة المسافرين من الأقلية المسلمة للمشاركة في الانتخابات .

ويؤكد أيضًا أن الحكومة حينها حاولت التلاعب بعملية الانتخابات بإغلاقها الحدود و إرسال جنود للتصويت محل المسلمين المسافرين .

ويقول **الدكتور صادق** : إنه حاول الاجتماع بقادة الأحزاب السياسية اليونانية لبحث أوضاع طائفته ومعالجتها غير أن زعيم حزب الديمقراطية الجديدة (محافظ أكبر الأحزاب حاليًّا) المدعو (**قستنطين ميتسوتاكيس**) رفض ثلاث مرات الاجتماع به .

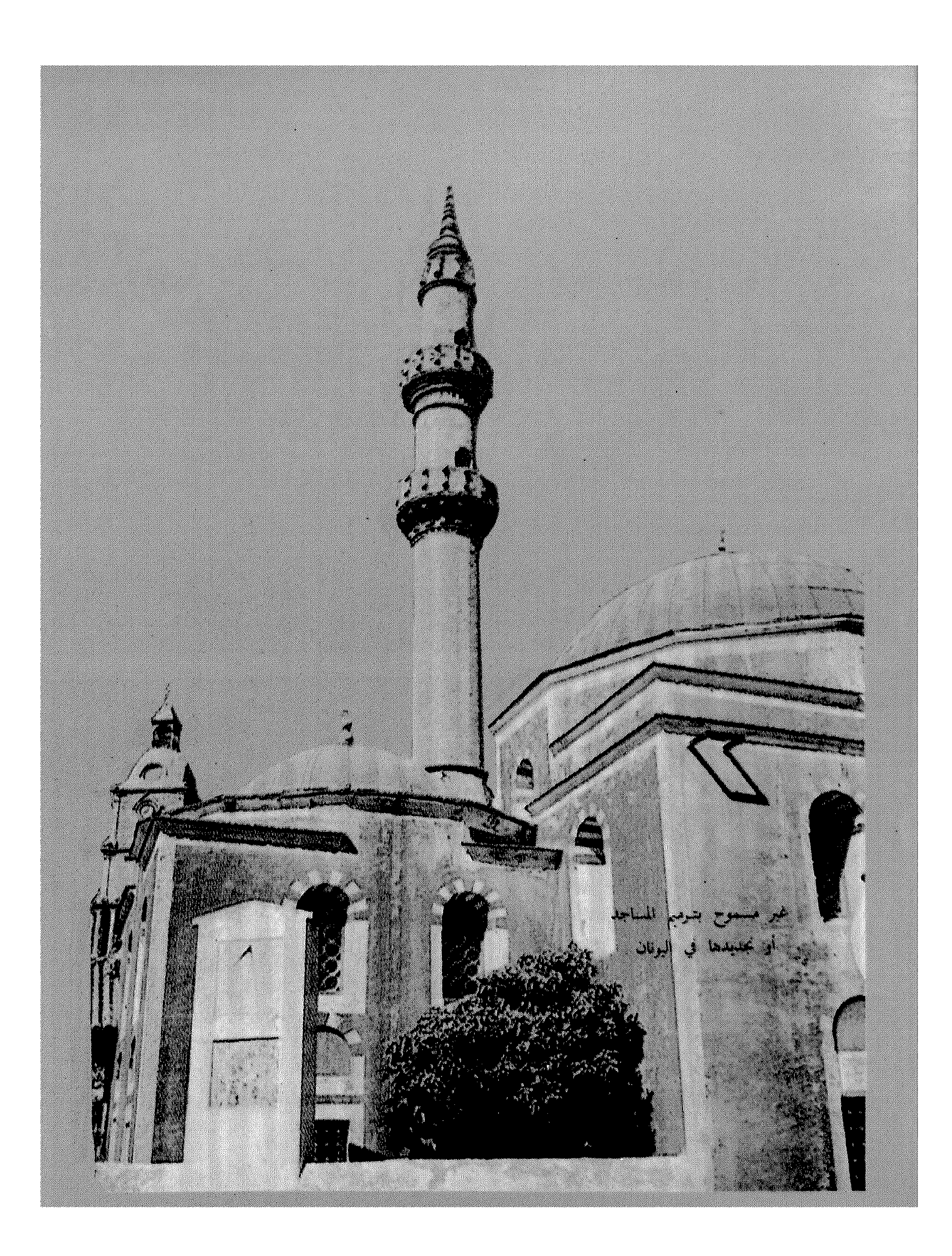
ويؤكد **دكتور صادق** ، أن الوضع صعب وحرج ، وسأذهب إلى البرلمان الأوروبي ، أو المحاكم الدولية إذا تطلب الأمر ذلك . **نحن لا نرغب في مغادرة اليونان فهي وطننا حتى لو سعت السلطات إلى إجبارنا على المغادرة ، وكل ما نطلبه هو الحصول على حقوقنا**[5] .

حولت المساجد إلى كنائس ومتاحف ! !

المعروف أن الوجود الإسلامي في اليونان والذي دام قرونًا طويلة من الزمان خلَّف **مئات المعالم الإسلامية والمنارات الحضارية من مساجد وأبراج ومكتبات وأحياء سكنية . لم يبق منها اليوم شيء يذكر ، ففي الغالب إما حولت إلى أماكن للسياحة واللهو** كما هو الحال في **حي (البلاكا) بأثينا** أو حوِّلت **إلى كنائس ومتاحف** كما في مدينة **(سالونيك) أو هدمت عمدًا كما حدث لمسجد (تاباك) في مدينة (اكسانتي) أو تركت لعاديات الزمان وتقلبات البيئة كما في جزيرة (رودس)** .

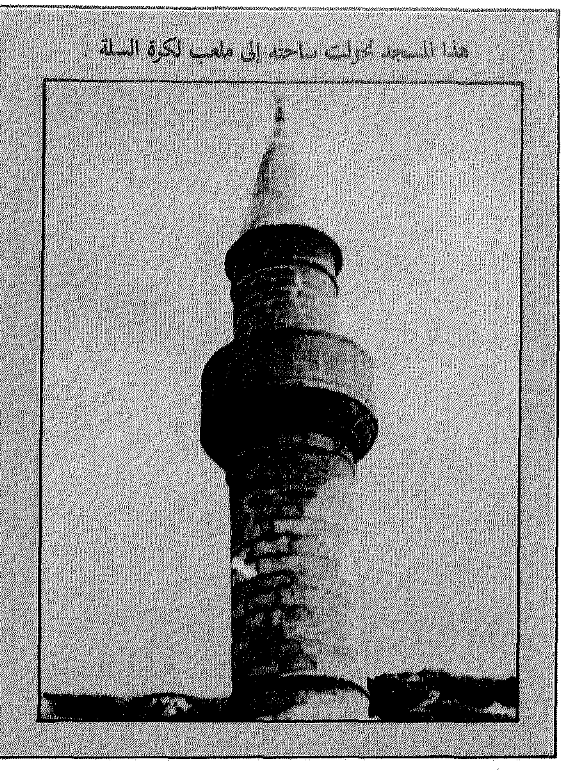
أما **إدارة الأوقاف** التي كانت من شأن المسلمين فقط فقد حولتها السلطات اليونانية إلى غيرهم ، ويقول أبناء مدينة **(كوموتيني) : إن أوقافهم الإسلامية دخلت مؤخرًا تحت إشراف (السلطات الأمنية اليونانية) ، كما يؤكد الكثيرون أن السلطات اليونانية قامت ببيع كثير من الأوقاف خاصة في منطقة (رودوب) ونزعت أوقاف قرية (قالانجة) وأعطتها للكنيسة ، ولم يصدر حكم بشأن القضية التي رفعها المسلمون منذ زمن طويل في هذا الخصوص .**

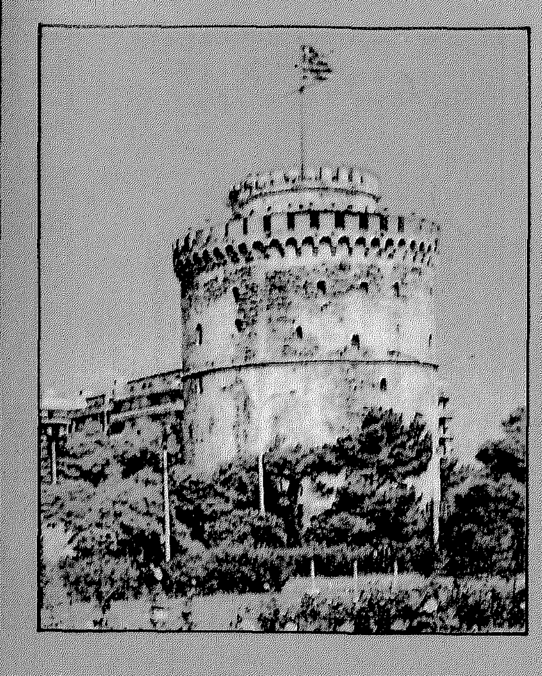
كما إن السلطات اليونانية لا تسمح بإنشاء مساجد جديدة أو ترميم القديم منها ، وإذا حدث أن تقدم المسلمون بطلب لإجراء ترميمات أو تحسينات أو إضافات جديدة لمساجدهم على حسابهم الخاص ، أو إنشاء مساجد جديدة ، فإن طلبهم هذا يحال إلى الأسقفية الأرثوذكسية بالعاصمة أثينا للنظر فيه ، وتوجد عشرات الطلبات في هذا الشأن لم يُبَتّ فيها حتى الآن ، وعلى سبيل المثال لا الحصر طلب مسجد صمدلي (سيموولا) وطلب مئذنة مسجد (قراجا أو غلان) .



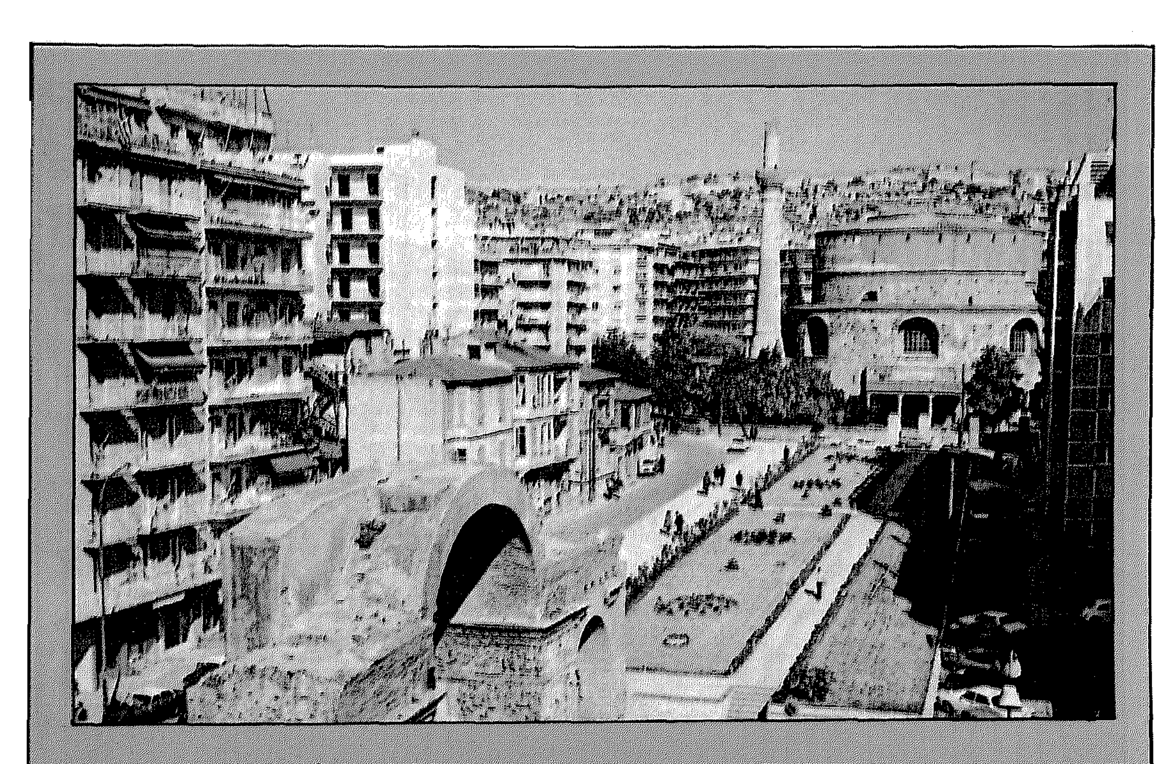
غير مسموح بترميم المساجد
أو تجديدها في اليونان

هذا المسجد تحولت ساحته إلى ملعب لكرة السلة .

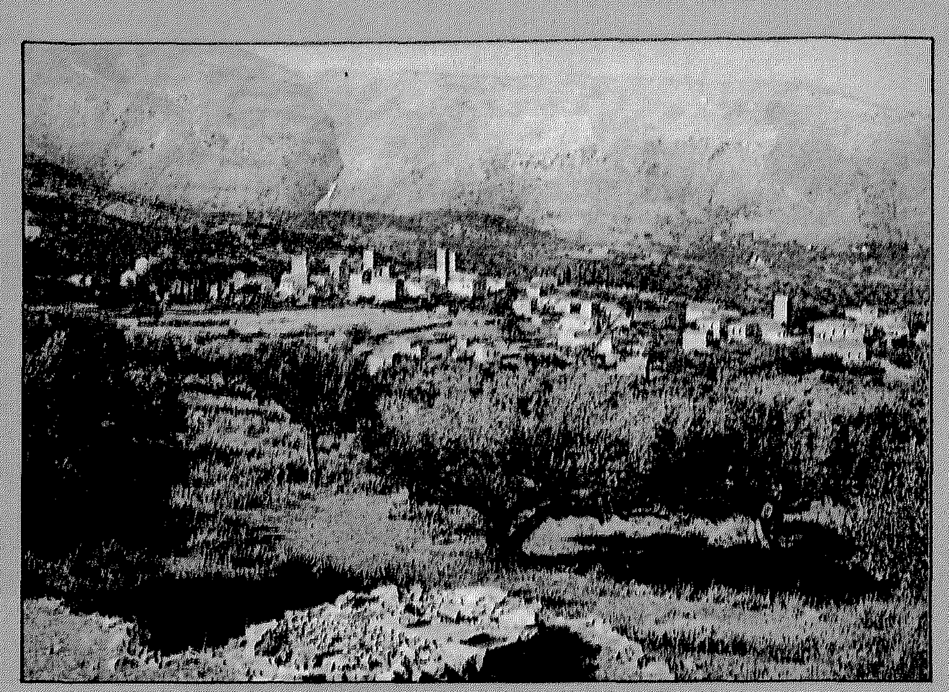




البرج الأبيض أحد المعالم الإسلامية في اليونان .



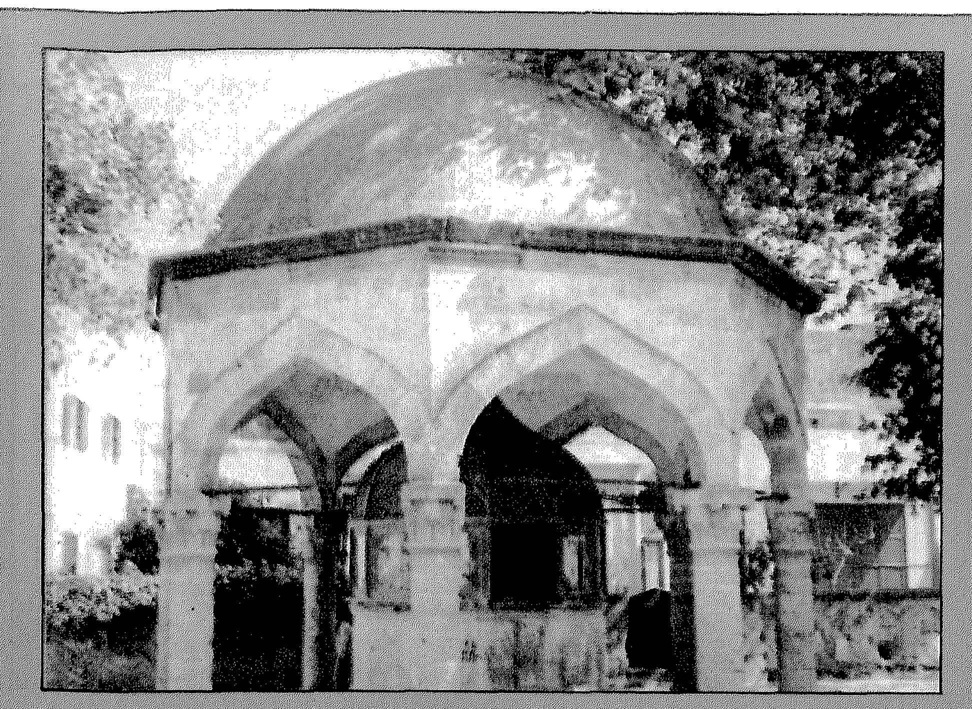
بقايا مسجد في مدينة « سالونيك » هُدمت مئذنته وفي طريقه ليصبح مُتحفاً !!



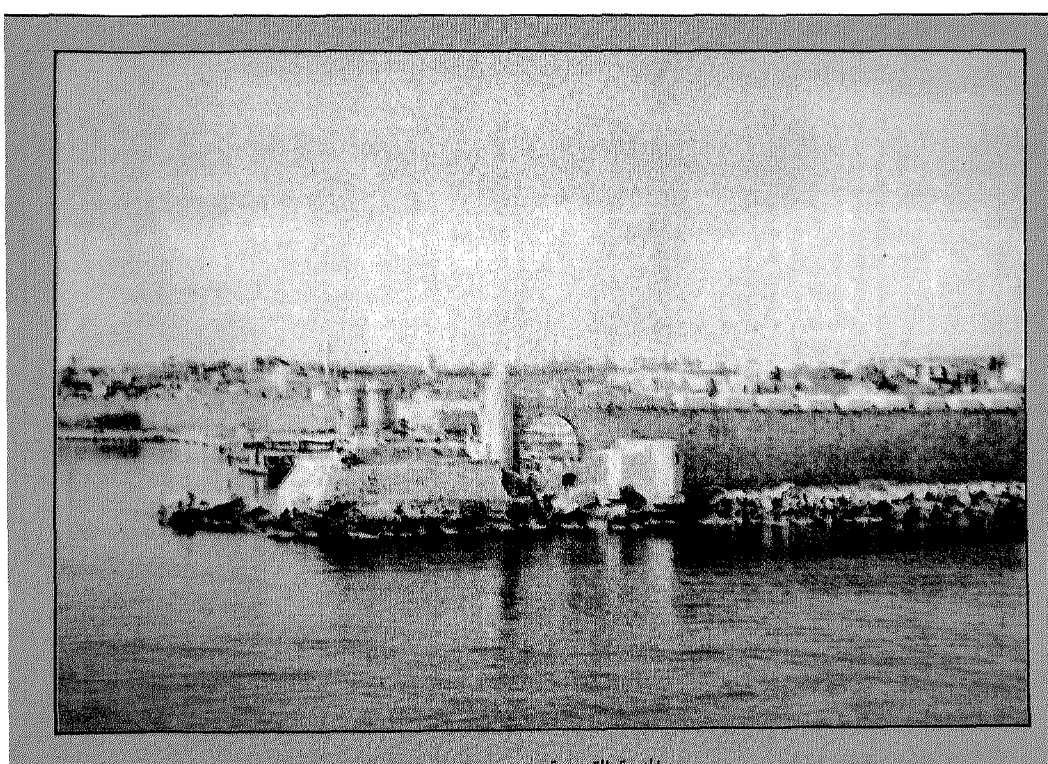
الشمال اليوناني حيث يوجد المسلمون .



المدرسة العربية الليبية التي تضم العديد من أبناء المسلمين على الساحة اليونانية .



قبة أحد المساجد المهجورة ، تحولت ساحته إلى ملعب



المدينة القديمة « رودس » .

بل إن طلب (**مسجد أثينا**) الذي ظل ستة عشر عامًا من المطالبة العربية ، والمماطلة اليونانية ، يقف شاهدًا على مشكلة المساجد في اليونان . . (**فأثينا**) **هي العاصمة الغربية الوحيدة بلا مسجد ، برغم وجود عشرات الألوف من المسلمين فيها سواء كانوا مواطنين أو من الدارسين وغير الدارسين من أصحاب الشركات والمحلات التجارية إضافة إلى أعضاء البعثات الدبلوماسية العربية والإسلامية .**

فأثينا لاتزال تماطل وتتهرب من الاستجابة للطلب المقدم من الأقطار العربية بالسماح لها بإقامة مسجد للمسلمين في العاصمة اليونانية برغم أن الطلب العربي أكثر رجاحة من الطلب اليوناني الذي استجيب له بالفعل في الكويت مثلاً وغيرها من البلاد العربية التي لا يزيد فيها الحضور المسيحي الأرثوذكسي المؤقت عن بضع مئات في الوقت الذي يتجاوز فيه عدد المسلمين المقيمين إقامة دائمة في اليونان عشرات الألوف في أثينا ، عدا السائحين الذين يضاعفون هذه الأرقام في مواسم الصيف والسياحة .

ومشكلة المسجد في أثينا تعبر عن التزمت والتعصب البغيض في تلك البلاد بالمقارنة مع السماحة الإسلامية في الدول العربية والإسلامية . .

وتبدأ هذه المشكلة في عام 1973 م حيث تقدم مجلس السفراء العرب في العاصمة اليونانية بأول طلب رسمي للحكومة اليونانية للموافقة على ترخيص ببناء مسجد للمسلمين . **إذ لا يوجد مسجد في مدينة تضم ما لا يقل عن مئة ألف مسلم** في حين أن اليهود لا يزيدون على خمسة آلاف شخص ولهم معابدهم ومدارسهم وجمعياتهم الدينية والثقافية ، كما إن هنالك كنائس للطوائف المسيحية الأخرى برغم ضآلة أعدادهم ولاسيما البروتستانتية ! !

في أثينا كانت هناك مساجد كثيرة في غابر السنين ، ولكنها حُولت إلى كنائس بعد الاستقلال ، ومازال في قلب أثينا مسجد تاريخي كبير مغلق ومهمل وشبه آيل للسقوط ، (يقع في ساحة مونستراكي) شاهدًا على الماضي العريق للمسلمين بطرازه الإسلامي الزخرفي الجميل ، برغم أن مئذنته قد دمرت تمامًا وحولت قبته إلى قبة

كنيسة ! !

وثمة مسجد آخر قديم وصغير مغلق ومهمل أيضًا . وهكذا ظلت أثينا منذ عشرات السنين بلا أي مسجد . . كل الدول الأوروبية بها مساجد **إلا (أثينا) التي بقيت العاصمة الأوروبية الوحيدة التي لم توافق على بناء مسجد فيها** . .

لم ترفض حكومات اليونان المتعاقبة منذ عام **1973** م حتى الآن صراحة الطلبات المتكررة لمجلس السفراء العرب ، ولكنها ماطلت وتلكأت بأعذار وحجج واهية منها دراسة الطلب ، والبحث عن مكان ملائم ، والتمهل لاستصدار قانون من البرلمان وغير ذلك ، **(ستة عشر عامًا)** ! !

في مطلع الثمانينات عرض الجانب المصري على السلطات اليونانية السماح لهم باستخدام حقهم في بناء مسجد على قطعة أرض يملكها الشعب المصري في قلب العاصمة أثينا ، لكنها رفضت ذلك ، وهددت باستصدار قانون بامتلاك قطعة الأرض المذكورة إذا أصرت مصر على استخدامها لبناء المسجد فتراجعت مصر .

وفي السنوات الثلاث الأخيرة كثف السفراء العرب مراجعاتهم بشأن موضوع المسجد ، فاضطرت السلطات تحت الضغوط المتواصلة إلى الموافقة ، ولكن في منطقة بعيدة عن العاصمة مسافة أكثر من ثلاثين كيلومترًا ، وفي منطقة جبلية نائية يصعب على سكان أثينا ارتيادها ! ! وفوق ذلك فإن المكان يعج بالملاهي وعلب الليل بحيث لا يصلح أصلاً لإقامة المسجد ، واضطر السفراء العرب للاعتذار عن ذلك المكان ، ويبدو أن ذلك ما كانت تنتظره السلطات المحلية .

وبعد مراجعات وملاحقات أخرى **قدم اليونانيون** مكانًا آخر ولكنه صغير جدًّا بالقرب من العاصمة ، فاضطرَّ **السفراء العرب** أيضًا للاعتذار عن قبوله نظرًا لأنه لا يعقل أن يقيموا بعد كل هذا الانتظار مسجدًا صغيرًا لا يسع المسلمين ، **وهم يطالبون بمسجد كبير يكون مركزًا إسلاميًّا يضم مدرسة ومكتبة وروضة أطفال وما إلى ذلك كما في باقي الدول** .

ونظرًا لحاجة المسلمين الماسة لأداء شعائرهم الدينية فقد تبرع أحد المواطنين العرب المقيمين في أثينا باستئجار شقة لتصبح مصلى صغيرًا يوم الجمعة ـ كما هو الحال في بعض البلدان ـ ولكن السلطات اليونانية داهمته في مطلع **صيف 1989** م وأغلقته بالقوة بحجة أن عقد الإيجار ينص على استئجارها كمنزل للسكن .

وهكذا فإن **السلطات في أثينا** مازالت بعد **ستة عشر عاماً** من المطالبات المتواصلة والوعود المتكررة تماطل وتتهرب من الموافقة على **بناء مسجد للمسلمين** في العاصمة أثينا . الأمر الذي يتطلب تدخلاً عربيًّا جادًّا لحسم هذا الموضوع المعلق ، **على أقل تقدير للمعاملة بالمثل بعد أن افتتحت الكنيسة الأرثوذكسية خلال مدة الستة عشر عامًا الماضية كنائس عديدة في بلدان عربية مختلفة** .

معاناة المسلمين هل هي وليدة اليوم ؟

هذه **المعاناة** التي يتعرض لها **المسلمون** في مجملها ، بعض المسؤولين اليونانيين **يؤكدون** أنها **موروثة من العهد الدكتاتوري السابق ، ولكن المسلمين يؤكدون أن العهد الراهن لا يختلف عن سابقه كثيراً ، ففي العهدين ذاق المسلمون الأمرَّيْن** . .

فنائب وزير الخارجية اليوناني (**كابسيس**) يقول : « **نحن نحاول الآن أن نحل بعض المشكلات التي يعاني منها المسلمون خصوصًا تلك التي ورثها اليونانيون من عهد الدكتاتورية** » .

الشيخ (مصطفى حلمي) مفتي مدينة اكسانتي منذ عام 1949 م شاهد على العهدين يقول : إنه الموظف الوحيد المسلم ، وإن راتبه لا يتجاوز **12 ألف دراخما** في حين يتقاضى أقل مستخدم يوناني **30 ألفاً** . ويضيف : يوجد بمدينة (اكسانتي) **أكثر من 50000 مسلم وجميعهم يعانون من الفقر والجهل** . وأن هناك ثلاثة مكاتب تابعة لهيئة رسمية يونانية هدفها الضغط على المسلمين . **فقد بدأت الدولة في الاستيلاء على أراضي المسلمين وأوقافهم الإسلامية** وبدون دفع حتى بعض التعويضات ، وضرب لذلك مثالاً ، مصادرة **2300 هكتار** في قرية (إيغلالوس) قبل ثلاث سنوات ، وإن المسلم لا يستطيع بيع أرضه لأخيه المسلم بينما يتم بيعها إلى المسيحي ، وأنه إذا ادعى اثنان من المسيحيين بأن أرضًا ما تخصهما فهذه الأرض تعطى لهما ! !

ويؤكد المفتي : لقد عانينا كثيراً من الاضطهاد والظلم خلال فترة الحكم العسكري الفاشي عام 1967 م ، ولكن بالرغم من سقوط ذلك النظام ، وعودة الحياة

البرلمانية للبلاد ، فإننا لم نلمس تغييراً جدياً في المعاملة . فقد تقدمت دار الإفتاء بطلب بتاريخ 1973/5/2 م للسماح ببناء مسجد عوضًا عن المسجد الذي هدم . ولكن حتى اليوم لم نتلق أي جواب .

كما أن المعالم الإسلامية التي أزيلت من ساحة مدينة (اكسانتي) خلال الحكم العسكري تم بناء معهد فني على أنقاضها.

ويقول في نهاية حديثه :

إننا نعاني هنا من التمييز في كلِّ شيء بالرغم من أننا مواطنون يونانيون ، ومستعدون للتعاون مع الحكومة بكلِّ إيجابية شريطة عدم التدخل في شؤوننا الدينية ، والضغط علينا بشكل مباشر أو غير مباشر للتساهل فيما تفرضه علينا عقيدة الإيمان بالإسلام . . . إننا مواطنون يونانيون ، ويجب أن تكون لنا ذات الحقوق التي يتمتع بها أي مواطن يوناني بعيداً عن أية اعتبارات دينية أو عرقية أو سياسية .

أما مسلمو جزيرة (رودس) فيقولون :

إن نظرة واحدة إلى أوضاعنا تنبئك بما نحن فيه من الفقر والجهل والتخلف والإهمال . المساجد مقفلة ومهملة ، علاوة على أن المكتبة الإسلامية الزاخرة بمئات الكتب المخطوطة والقيِّمة لم تَعُدْ أكثر من مُتْحَف يرتاده السياح ، ساحة المسجد الواقع ضمن مقبرة المسلمين أصبحت ملعباً لكرة السلة[6] . . .

أحد المسلمين في العاصمة أثينا يتطرق في حديث مطول إلى الحالة السيئة التي يعيشها المسلمون في اليونان فيقول :

لقد تقدمنا بطلب رسمي للجهات المختصة لشراء المسجد الوحيد والمقفل في حي (البلاكا) بغية ترميمه وإصلاحه وفتح أبوابه للمسلمين في العاصمة باعتبار أنه لا يوجد أي مسجد آخر ، ولكن الجواب جاء بالاعتذار ، خشية إثارة المشاعر اليونانية وتذكيرهم بعهد الاحتلال التركي على حدِّ تعبيرهم ؟ !

ثم يتساءل : لماذا ترتبط مظاهر الجهل والتخلف بالأماكن والمناطق التي يعيش فيها المسلمون ؟

هل هي خلاصة استعمار فكري طويل حرص أصحابه على تكريس كل الأفكار الخاطئة والهواجس الكاذبة التي أدخلوها على الإسلام ؟ أو هي مؤامرة اشترك فيها الجهل

والخبث الاستعماري لخنق الأفكار والمبادىء الحقيقية للإسلام في التحرر والتقدم والنهوض ؟

ويستطرد : لقد **أثبت الإسلام ـ كما جاء في شريعة الله ـ** أنه صالح لكلِّ زمان ومكان ، وأنه رحب ومتسع لأبناء الأرض جميعًا ، وأنه دين **الحضارة الإنسانية** الكاملة بدليل هذا الإقبال على **الإسلام** من خيرة العلماء والمثقفين في الغرب ، وهم أناس لا تنقصهم الشهرة ولا تعوزهم الحاجة في ظلِّ مجتمع بلغ شأوًا كبيرًا في ميادين التقدم العلمي والتقنية الحديثة .

ويقول : متى نشاهد اللوحات التي تقول عن مناطق المسلمين إنها **أراض معطاء** . كما شاهدت ، وأنا في طريقي إلى شمال اليونان حيث يتجمع المسلمون ـ لوحة كتب عليها باليونانية (**سيرباس**) **أي أراضٍ فقيرة ! ! أو منطقة جافة ! !**

فليمنحوا المسلمين الفرصة ليثبتوا للعالم أجمع أن الإسلام هو دين العلم والعمل والمعرفة والنور الذي يملأ الدنيا بالحب والخير والعطاء غير المحدود[7] .

استغلال ظروف المسلمين لتنصيرهم

وفي مقال للكاتب المسلم (**لطيف مراد**) في جريدة MILLI GAZETE التي تصدر في اسطنبول تحت عنوان : (**الحكومة اليونانية وتنصير المسلمين**) **يقول : إن الحكومة اليونانية تقوم بمحاولة للقضاء على هوية الأتراك المسلمين بتنصيرهم** ، ويضيف بأن التركي المسلم في اليونان يعامل معاملة **المواطن المنبوذ** برغم تعهد الحكومة اليونانية في (معاهدة لوزان) بمعاملة المسلمين معاملة تتعادل مع معاملتها لليونانيين النصارى ، و**إن الحكومة تقوم بالدعاية للنصرانية بين مسلمي (تراقيا الغربية)** ، وتَعِدُ المسلمين الذين يتنصرون بالمال الوافر ، وإيجاد عمل ، والحياة المرفهة ، وذلك من خلال نشرات التنصير التي توزع على المسلمين بشتى الوسائل . **كما إن الحكومة اليونانية تستغل ظروف المسلمين هناك وحرمانهم من العمل ، لكي تنشر النصرانية بينهم** . ويؤكد أن الحكومة ترسل إلى منطقة (تراقيا الغربية) **منصرين من الموظفين الرسميين لديها للقيام بالدعاية الخاصة بالنصرانية**

بين المسلمين . وأن هؤلاء يطرقون منازل المسلمين منزلاً منزلاً هناك ويحدثونهم بصراحة : إن من يعتنق النصرانية ستزول عنه معاملة مواطني الدرجة الثانية ، وبالتالي سيتمتع بكلِّ الحقوق التي يتمتع بها اليوناني ! !

أما الدكتور صادق أحمد العضو البرلماني المسلم فيقول في هذا الصدد : إن المجتمع المسلم في (تراقيا) يفكر في مراجعة كلِّ الجهات الرسمية اليونانية في أثينا ، وتنظيم المؤتمرات الصحفية للصحافة العالمية بصفة عامة والصحافة الإسلامية بصفة خاصة ، بهدف الكشف عن معاناةالمسلمين ، وكذلك إرسال وفد من مسلمي اليونان إلى أوروبا للتحدث عن مشاكل الأقلية المسلمة فيها ، كما سيتولى بنفسه شرح ظروف مجتمعه المسلم في البرلمان اليوناني بوصفه عضواً انتخبه المسلمون هناك نائباً مستقلاً .

هذه لمحات وبعض المشاهد من الواقع المؤلم والمحنة التي يعيشها المسلمون في اليونان ، وهو واقع يتكرر كل يوم وتعيشه الأقليات المسلمة في مختلف أنحاء الكرة الأرضية . . الظلم والاضطهاد ، ومحاولات تشويه الثقافة ، ومصادرة الهوية الإسلامية ، والتهجير والطرد والتنكيل . . من الفليبين إلى أندونيسيا ، ومن يوغسلافيا إلى بلغاريا ، ومن فرنسا إلى اليونان . . إلخ . فإلى متى يبقى المسلمون صامتون وهم مليار مسلم ، يؤلِّفون ثلث سكان المعمورة ، ودينهم قد قدم أعظم حضارة بنيت على التسامح والعدل والمؤاخاة الإنسانية ؟ ! !

المصادر

(1) مجلة العربي ، العدد 252 عام 1979 م .

(2) نفس المصدر السابق .

(3) صحيفة المسلمون ، بتاريخ 15 ـ 1989/9/21 م .

(4) نفس المصدر السابق .

(5) صحيفة الشرق الأوسط ، بتاريخ 1989/10/27 م .

(6) صحيفة الشورى ، بتاريخ كانون « ديسمبر » 1984 م .

(7) صحيفة الشورى ، العدد السابق ذكره .

الفصل الرابع

المسلمون في أستراليا

(1) الإسلام أول دين سماوي عرفته قارة أستراليا .

الإسلام أول دين سماوي عرفته قارة أستراليا



أستراليا القارة السادسة المعزولة ، وآخر القارات وأحدثها اكتشافاً . أقامت عام 1988 م احتفالاً ضخماً بذكرى مرور قرنين من الزمان على إعلان قيام الدولة الأسترالية عام 1788 م . .

دخلها المسلمون مع الأفواج الأولى من المهاجرين الأوروبيين الذين جاؤوا ليكتشفوا مجاهلها . وقد استخدم المسلمون الجمال التي جلبوها من سهول الهند وجبال أفغانستان ، وعلى ظهور هذه الجمال نقلوا الحملات الاستكشافية واقتحموا القارة المستعصية على الأوروبيين ، ووصلوا بين أطرافها وشقوا الطرق وسط أدغالها وصحاريها ومجاهلها . .

ومع هذه القوافل دخل الإسلام إلى القارة الجديدة ، وعلى الخريطة التاريخية الأسترالية حفر الرواد المسلمون الأوائل أسماء وآثاراً تخلد ذكراهم ، وترمز إلى ما ساهموا به من جهود في اكتشاف أعماق القارة . و إعدادها للحياة ، فالإسلام أول دين سماوي عرفته القارة المعزولة .

أستراليا كما هي معروفة لدى المؤرخين أحدث قارات العالم اكتشافًا ، أو هي القارة الجديدة القديمة ـ كما يقول الدكتور « علي الحديدي » الأستاذ الزائر في جامعة ملبورن بأستراليا ـ الجديدة بالنسبة لنا نحن سكان العالم القديم ، لأنها لم تكتشف إلا في القرن السابع عشر ، ولم تبدأ المدنية في غزوها وتعميرها إلا في القرن التاسع عشر ، ومع جدتها وحداثة معرفتنا بها فهي قديمة قدمَ الزمان الضارب في بطون الماضي السحيق . وكانت تتصل بآسيا وأمريكا الجنوبية ثم فصلتها الزلازل والبراكين وعوامل الانفصال الجغرافية قبل 45 مليون عام ، وعزلها المحيط الهندي من ناحية والباسفيك من ناحية أخرى فتوارت عن الأنظار ، ودخلت عالم النسيان ، ثم مالبثت أن كانت الأرض ، وكان الحيوان ، وكان الإنسان .

هذه القارة المعزولة المنسية لم يكن وجودها مجهولاً تمامًا لدى جيرانها القدامى من سكان « الملايو » بل كانت معروفة لديهم معرفة مشوشة غير محددة ، فقد حدثت زيارات متعددة على مرِّ الزمان لساحل أستراليا الشمالي من بعض سكان الملايو وأندونيسيا ، وهي زيارات تقليدية تحدث حتى اليوم ، وسواء كانت هذه الزيارات اختيارية لصيد السمك واللؤلؤ من الشاطيء الشمالي وهو غني بها ، أم كانت اضطرارية حين تدفع

الريـاح والأنواء القوارب فتضل حتى تصل إليه . فقد وجد العلـمـاء آثارًا ومخلفاتٍ لزيـارات قصيرة أجنبيـة عن البلاد ، أثبت البحث العلـمـي أنها مخلفات تنسب إلى سكان الـملايو ، وشعب « الأبوريجينـيز » وهو الشعب الأصلي لأستراليا ويقال عن اكتشاف قارة أستراليا : إن الهولنديين أول من اكتشفها من الأوروبيين عام 1606 م ، وأطلقوا عليها اسم « هولندا الجديدة » ولكنهم كانوا في شغل عنها بمستعمراتهم الواسعة الثراء في آسيا كأندونيسيا وجزر الهند فأهملوها وظلت مهملة حتى عام 1770 م حين وفد إليها « جيمس كوك » الانجليزي وطاف حولها ، وعرف شواطئها الأخرى . واكتشف صلاحيتها للزراعة والحياة فرفع فيها العلم البريطاني معلنًا ـ باسم صاحبة الجلالة ـ ملكية تلك الأرض للامبراطورية .

وبعد أن استقلت أمريكا عن بريطانيا ، وأقفلت معتقلاتها ، لم تجد الامبراطورية البريطانية أفضل من القارة الأسترالية لتحولها إلى سجن للمجرمين من محكومي الأشغال الشاقة ، حيث لا يمكن لأي سجين الهرب .

وفي 1788/1/18 م جاء الكابتن البريطاني « فيليب » لينزل بأول مجموعة بريطانية إلى القارة ـ المنفى ـ المعتقل . وكانت البداية 717 سجينًا وحراسهم وضباطهم . وظلت كذلك حتى عام 1840 م فأزالت عنها هذه الوصمة وأعلنتها مستعمرة للأحرار ، وفتحت أبواب الهجرة إليها لمن يشاء من مواطنيها ، وبدأت القارة تأخذ نصيبها من الحياة الحرة .

سكان أستراليا الأصليون

أما الحديث عن سكان أستراليا الأصليين فتذكر بعض المصادر أنه في البدء لم يكن الإنسان الأسترالي أبيض البشرة ، كما يزعم الكثيرون ، فقد كانت أستراليا بلادًا للسود قبل أن تكون قارة للبيض .

سكانها الأصليون الملقبون « أبوريجينـيز » كانوا موجودين هناك قبل 40 ألف عام ، على هيئة قبائل من الرحل تعتمد على الصيد ، وتعيش في العصر الحجري ، وتتوزع على نحو 500 إثنية تتحدث أكثر من 400 لهجة . ومع قدوم البريطانيين كانت هذه القبائل تعيش

حياة أقرب إلى البدائية ، وتقدس أماكن خاصة بها من أشجار ومغاور وصخور ، وتتنقل حسب المواسم القاحلة في كلِّ البلاد بحرية . . . إلى أن وصل البريطانيون ونزلوا بها ، وبدؤوا في ارتكاب المجازر ضد السكان الأصليين الذين يقدسون أرضهم ، وقد حاولوا الدفاع عنها ، إلا أن ميزان القوة لم يكن في مصلحتهم ، فخسروا الكثير من الأرواح ، وحدث لهم ما حدث للهنود الحمر في أمريكا .

ومع مرور الزمن أخذ هؤلاء السكان يستيقظون ، ويعون هويتهم الوطنية . وتحركت في داخلهم عناصر الحنين إلى أرضهم ومنابعهم الأولى التي أُجْلُوا عنها قسرًا . فبدؤوا نضالهم لاستعادة حقوقهم كمواطنين أسياد في وطنهم .

وقد أقاموا مؤخرًا موكبًا ضخمًا أطلقوا عليه « يوم أستراليا » للتذكير بأنهم مازالوا موجودين ، وأنهم يعيشون في الصحارى والغابات ، و إحياء المدن الفقيرة التي لم تصل إليها رياح الحضارة الحديثة ، ساروا في موكب احتفالي هادر رجالاً ونساء وأطفالاً ، وطافوا شوارع مدينة سيدني يرددون الهتافات بهدف إعادة العالم بالذاكرة إلى أنهم هم الذين يمتلكون أستراليا ، وأنهم سيواصلون نضالهم من أجل استعادة حقوقهم كاملة . . بل إنهم يطالبون باستعادة أرضهم وبلادهم ويقولون : « أعيدوا لنا أرضنا نحن بحاجة إليها . أنتم تعرفون جيدًا أن هذه الأرض هي ملك لنا ، ولم نغادرها على الإطلاق ، إننا هنا باستمرار وسنبقى هنا » .

هذا ما قاله « غاري فولي » الناطق باسم السكان الأصليين الذين يعيشون في أحد الأحياء الفقيرة في مدينة سيدني ، الذي يضيف : إننا نرفض الاستسلام والتنازل عن حقوقنا ، يجب على الحكومة أن تحترم حقوقنا ، لا نريد أن نرميَ البريطانيين في البحر ، ولكننا نريد أن نحدد مستقبلنا بحرية . . إننا لم نلجأ إلى بيع أرضنا للبيض ، لقد سرق العنصريون والمستعمرون البيض هذه الأرض . ويتابع « فولي » : نحن نريد تحقيق الاستقلال عن البيض ، وأن نحكم أنفسنا بأنفسنا ، إن سائر شعوب العالم تتمتع بهذا الحق .

ويقول « جون كيث » وهو أحد المتحدثين باسم السكان الأصليين الذين يعيشون في المنطقة القطبية الشمالية : نحن نرفض أن نظل عبيدًا للعنصريين البيض الذين يحاولون تشويه الحقائق التاريخية .

ويذكر أن نتائج الدراسات والأبحاث التاريخية الحديثة تؤكد أن السكان الأصليين يعيشون في هذه البلاد « أستراليا » منذ ما يزيد على أربعين ألف سنة وأنه خلال هذه المرحلة الطويلة ، نشأت في هذه المجتمعات القبلية تصورات ميثولوجية لتنظيم العالم ، وهم يعيشون في ظل هذه التصورات التي لاتزال راسخة في أذهانهم حتى اليوم .

إنهم يعتقدون أن الإنسان هو ابن الأرض ، وأن الأرض تنتمي للإنسان، إنها جدلية أسطورية : الأرض بدون الإنسان مثل الطفل اليتيم ، والإنسان بدون الأرض ليست له أي قيمة ، إنه لا يساوي شيئًا ، الأرض هي ملك لهم ليست ملكية مادية بل كملكية روحانية . كذلك فهم يقتلون الشخص الذي يدنس الأرض ، وهم يعتبرون أن كلَّ الأراضي الأسترالية هي أراض مقدسة .

إن ثقافتهم تنبع من الصحراء والغابات وشظف العيش ، ويؤكدون أن المستعمرين البريطانيين أطلقوا على سكان أستراليا الأصليين عدة أسماء ويعرفون اليوم باسم « أبوريجينيز » كما قاموا ـ تلبيةً لرغبة الملك ـ بارتكاب مجازر القتل والإبادة الجماعية ضدهم .

ويقول أحدهم ويدعى « نيفونغ » في سياق حديثه عن هذا الموضوع : إن هذه الحالة لاتزال قائمة ولم يطرأ عليها أي تغيير ، إنهم يواصلون محاولاتهم الهادفة إلى إبادتنا ، وهذا يعني أن وجودنا مازال عرضةً للخطر ، ولذلك قررنا أن ندافع عن أنفسنا وحضارتنا » .

بناء دولة أستراليا

لكن هذه الدولة لم يبنها السجناء البريطانيون كما يتبادر إلى الذهن ، بل المهاجرون من كلِّ حَدَبٍ وصوب برغم أنه وصل إليها بين عام 1788 و 1868 م آلاف السجناء . تبعهم عدد من البريطانيين المهوسين بهواجس الثروة وأحلام امتلاك الأراضي الشاسعة بعد اكتشاف خيرات تلك الأرض من الذهب ، وبدأ الهجوم السكاني عليها من مختلف القارات الأخرى .

في أستراليا تكثر المساحات الشاسعة غير المأهولة تتخللها 742 بحيرة هنا وهناك

و 16 مليون نسمة يتوزعون على 7.8 ملايين كيلومتر مربع . . . بأقل كثافة سكانية في العالم ، بمعدل شخصين في كل كيلومتر مربع .

ومعروف أن أستراليا تتميز باعتمادها على تربية الماشية وتشتهر بتصدير اللحوم التي تؤلّف 80% من الصادرات ، إلى جانب تصدير الصوف الذي يغطي 40% من استهلاك العالم . وتمتاز أستراليا بأكبر مزارع في العالم تصل الواحدة منها إلى 300 ألف هكتار . ويوجد بها 150 مليون رأس من الغنم . ويقال إنه يتم جمع الماشية بالطيارات والدراجات النارية .

كما تملك أستراليا احتياطيًّا ضخمًا من المعادن على أنواعها ، مثل اليورانيوم والنفط والغاز الطبيعي والذهب ، مما يثير حفيظة المهاجرين من كلِّ الجنسيات إلى هذا البلد طمعًا في الثروة ، حتى تحولت أستراليا ـ **كما يقولون ـ إلى شبه منظمة أمم وشعوب : 142 جنسية تتحدث أكثر من 100 لغة** .

هذه الثروات تجعل من الأرض التي كانت قادرة في الماضي على إطعام 300 ألف « أبورجينيز » سكانها الأصليين أصبحت قادرة أيضًا على استقبال 80 مليون نسمة .

وأستراليا برغم ما يقال عنها تعتبر أكثر دول العالم اهتمامًا بالمدن بمعنى أن 80% من سكانها يقطنون المدن و 54% منهم يسكنون في عواصم ولاياتها الست . وتضم مدينتا سيدني وملبورن 45% من عدد السكان . وتعتبر سيدني من أجمل مدن العالم بفضل خلجانها وانسياب البحر داخلها مسافات طويلة ، وجمال شطآنها .

المسلمون هم مكتشفو القارة

يحدثنا التاريخ أن العرب كانوا يعبرون المنطقة الغربية من المحيط الباسفيكي عندما كانوا يسافرون بتجارتهم من الجزيرة العربية إلى الصين ، وبالتالي كانوا يعرفون تلك المنطقة ، ولكنهم لم يستقروا في جزر المحيط الباسفيكي كما فعلوا في جزيرة جافا وسومطرة في أندونيسيا .

وفيما بعد ، عندما اعتنق شعب أندونيسيا الإسلام أخذ العديد من مسلمي الجزر الأندونيسية يزورون بانتظام الشاطيء الشمالي لأستراليا . بالإضافة إلى الجزر المجاورة .

وقد ذكر المستكشفون الأوروبيون الأوائل وجود المسلمين وخصوصًا في أستراليا ، فمثلاً عندما زار المستكشف الإسباني « توريز » جزيرة « غينيا الجديدة » عام 1606 م ذكر أنه **توجد حضارة عالية في الجانب الغربي من الجزيرة سببها اتصال أهلها بالمسلمين القاطنين في الجزر القريبة** . وعندما زار المستكشف « ماتيور فلاندرز » الجزء الشمالي الغربي من شاطيء أستراليا وجد هناك صيادين مسلمين آتين من جزيرتي تيمور وسولوازي . مما يعني أن الحضور الإسلامي في المحيط الباسفيكي سابق على الاستعمار الأوروبي دون أدنى شك . كلُّ هذا في التاريخ البعيد .

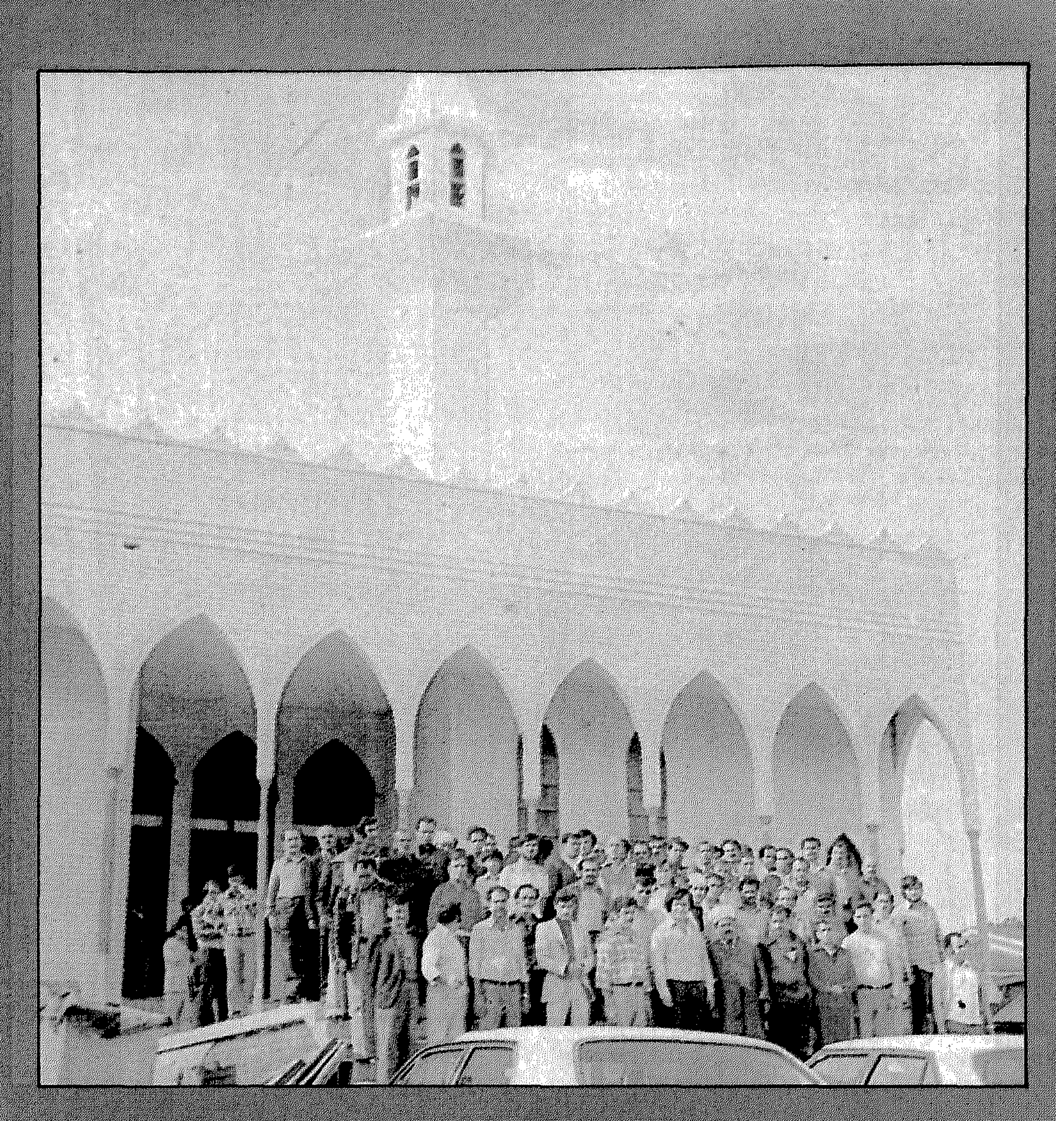
ذلك لأن دخول الإسلام إلى أستراليا قد بدأ مع إشراقة الحياة الجديدة في تلك القارة بعد اكتشافها في التاريخ القريب ، فقد دخلها المسلمون مع الأفواج الأولى من المهاجرين الأوروبيين الذين جاؤوا ليكتشفوا مجاهلها ويعدوها لإنشاء وطن في مستعمرة جديدة وعاصروا وساهموا في مراحل تطور القارة السادسة المجهولة .

تاريخ الهجرة الإسلامية إلى أستراليا

يُقَسِّمُ الدكتور « علي الحديدي » تاريخ الهجرة الإسلامية لهذه القارة إلى عصور ثلاثة :

1ـ **عصر الرواد** : فبعد أن سمحت بريطانيا عام 1840 م بالهجرة للمدنيين العاديين إلى أستراليا ، وفد إليها طلاب الثروة والباحثون عن المغامرات ، وهاجر إليها ألوان شتَّى من العلماء والمكتشفين والهاربين من الاضطهاد الديني كالكاثوليك . ومن الاضطهاد السياسي كالاسكتلنديين والإيرلنديين . وسكن هؤلاء القادمون الجدد ومن عُفِيَ عنهم من السجناء المنفيين ، سواحل القارة الشرقية والجنوبية والغربية . وذلك لوفرة المياه فيها وصلاحية أراضيها للزراعة وسهولة المواصلات بينها وبين الوطن الأم بريطانيا ، بطريق البحر . ثم أخذت أنظارهم تتجه إلى قلب القارة الغني بثرواته ، ولكن عاقتهم مشكلة المواصلات . ولم يستطيعوا اختراق غاباتها وجبالها ، وعجزوا عن عبور الصحراء المترامية في شمالها وغربها .

ولكنهم لم يستسلموا لليأس ففكروا في سفن الصحراء « قوافل الجمال » فكانت

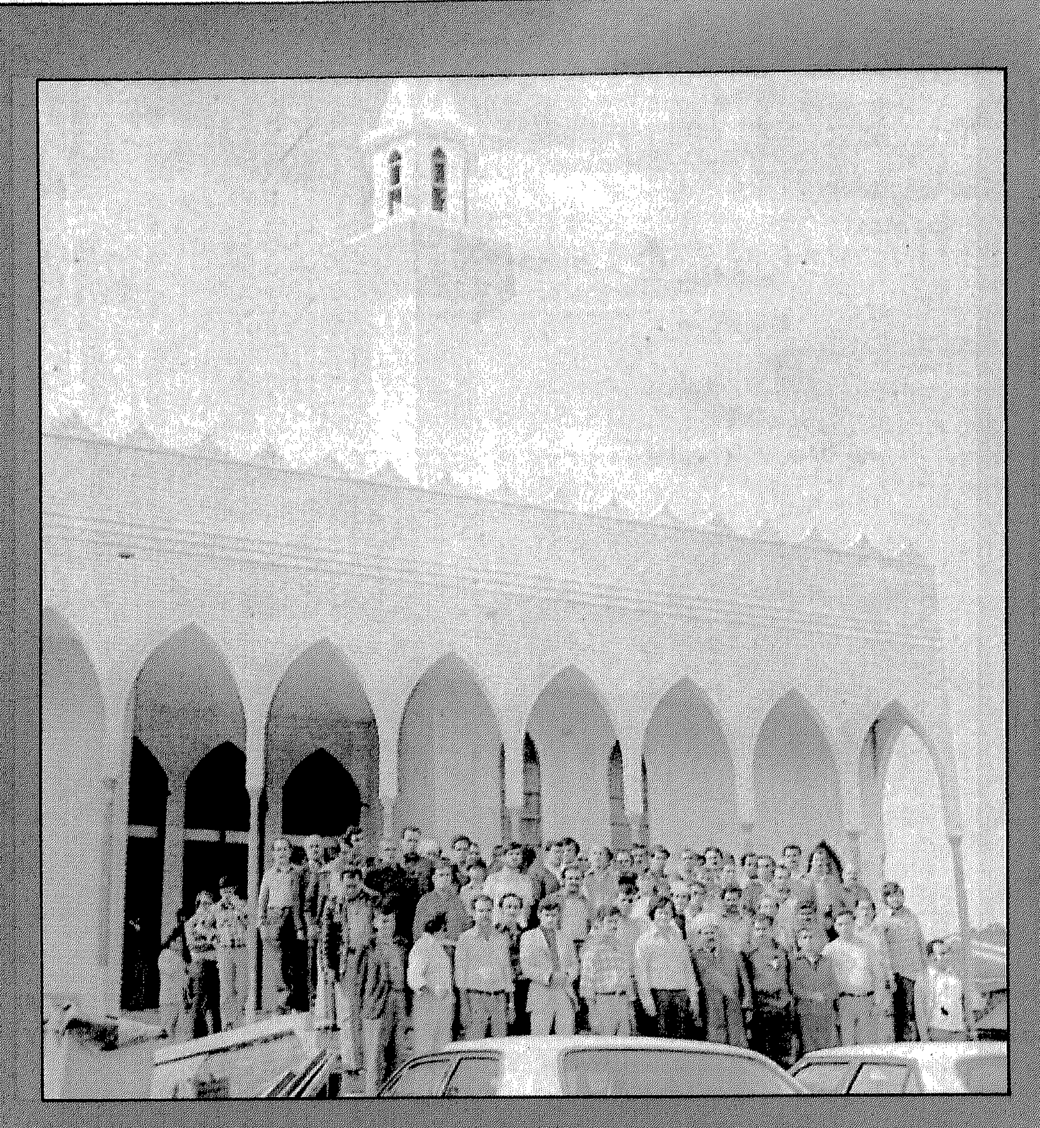


مسجد الإمام علي بسدني .

برج أستراليا .



غرس اللغة العربية
والديانة الإسلامية
في النفوس المسلمة
المهاجرة .



مسجد الإمام علي بسدني .

برج استراليا .

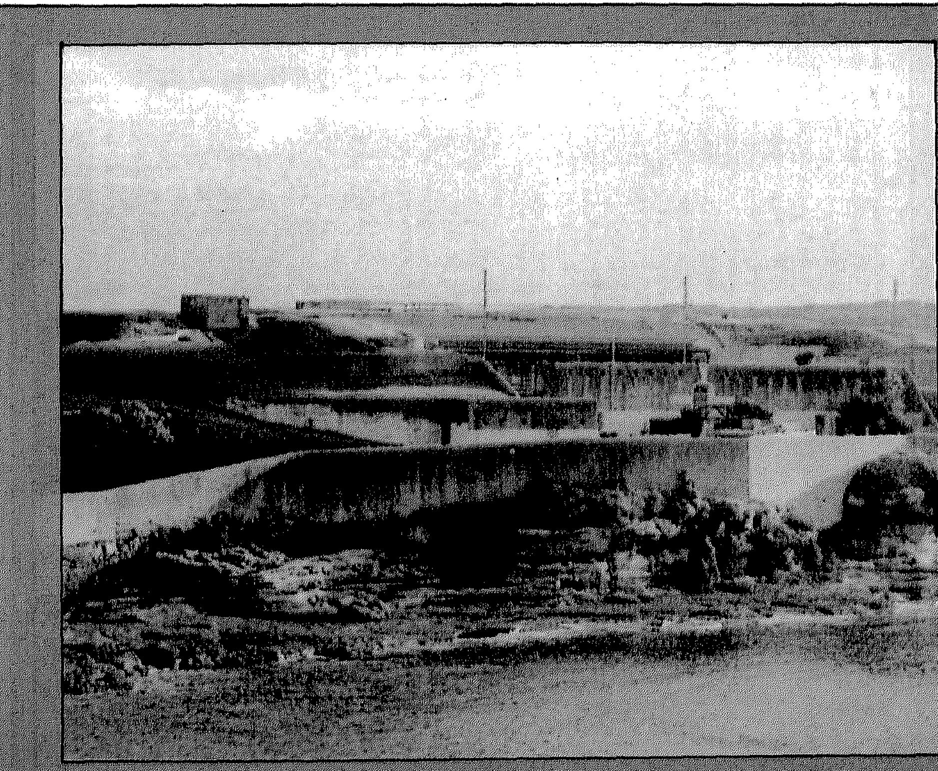


غرس اللغة العربية
والديانة الإسلامية
في النفوس المسلمة
المهاجرة .

الجمالون . .
الدعاة الذين حملوا
الإسلام إلى القارة
الجديدة .

« إيرز روك » الصخرة التي يقدسها سكان أستراليا الأصليون .

جانب من المسلمين في أثناء صلاة العيد .



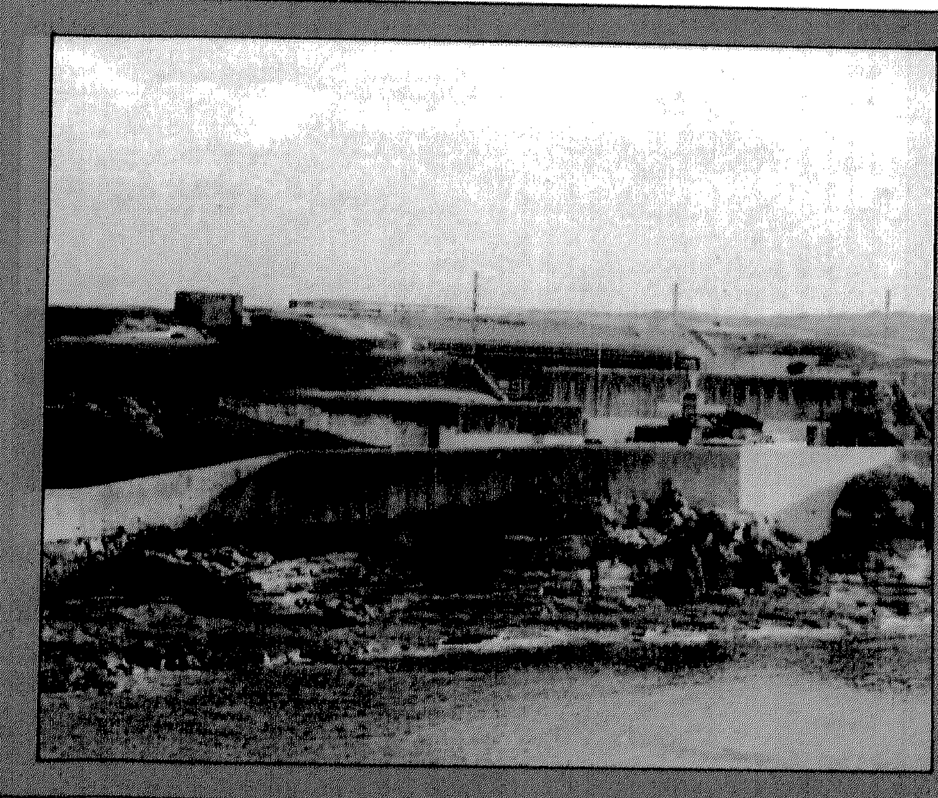
أحد المعتقلات التي أقامها المستعمرون البريطانيون مع بداية اكتشاف القارة .

الجمالون ..
الدعاة الذين حملوا
الإسلام إلى القارة
الجديدة .



« إيرز روك » الصخرة التي يقدسها سكان أستراليا الأصليون .

جانب من المسلمين في أثناء صلاة العيد .



أحد المعتقلات التي أقامها المستعمرون البريطانيون مع بداية اكتشاف القارة .

الوسيلة الموفقة لاكتشاف المجاهل الداخلية للقارة ، واستقدموا الجمال من سهول الهند وجبال أفغانستان ، وكان الجمالون الذين قادوا تلك القوافل مسلمين ، وقد خبرهم البريطانيون في الهند وأفغانستان .

نقلت هذه القوافل حملات الاستكشاف والمواد التجارية والمعدات ، واقتحمت الجمال القارة المستعصية على الأوروبيين واكتُشِفَتْ أماكن جديدة ، ومع هذه القوافل دخل الإسلام أستراليا ، دخلها مع جمالي القوافل وحراسها . وكان منظرًا مألوفًا للأستراليين الذين ينتظرون هذه القوافل بصبر نافد يُهْرَعون لاستقبالها ، تحمل إليهم حاجاتهم ومطالب الحياة ، وينظرون إليهم وهم يؤذنون للصلاة ويقيمون شعيرة الله .

حملت هذه القوافل الدين الإسلامي معها في حِلِّها وترحالها ، حملته إلى كلّ بلد سافرت إليه ، من « أديليد » جنوبًا إلى « داروين » شمالاً . ومن « بيرت » غربًا إلى « سيدني » شرقًا ، ومن « برمزين » في أعلى القارة إلى « ملبورن » في أدناها . وقرئ القرآن في « أليس سبرنج » وصحراء فيكتوريا قبل أن تقرأ التراتيل المسيحية ، وارتفع صوت المؤذن بالدعوة والتكبير حيّ على الصلاة في مجاهل « كوينزلاند » والصحراء الغربية قبل أن تدق الأجراس فوق الكنائس هناك .

ولم يمض وقت طويل حتى كانت قوافل الجمال تمثل جزءًا هامًّا من الحياة في القارة الجديدة ، فقد شاركت في حملات البحث عن الذهب والمعادن ، وكان لها النصيب الأوفر في إنشاء المزارع ومراعي الأغنام داخل القارة وحملت إليها المعدات ومواد البناء وكانت الوسيلة الأساسية في تلك الحقبة التاريخية .

جهود المسلمين في القارة

وعلى الخريطة التاريخية للقارة ترك المسلمون آثارًا بارزة توضح في جلاء جهودهم في اكتشاف مجاهلها وإعدادها للحياة . فهناك أماكن مازالت تحمل أسماء إسلامية أطلقها الرواد المسلمون على تل بيجا ، وقنطرة ، ويطلق على خط السكك الحديدية الذي يصل بين « أديليد » و « أليس سبرنج » اسم « غان » وهو اختصار لكلمة أفغان تخليدًا للقافلة الأفغانية التي اكتشفت الطريق ، وظلت تقطعه بجمالها تحمل متطلبات

الحياة حتى اكتشفت المواصلات الآلية ، وأنشيء خط السكة الحديدية .

ويسجل تاريخ أستراليا لأدِلاَّء هذه القوافل من المسلمين مساهمتهم الحقيقية في اكتشاف مجاهل القارة وفضلهم على كثير من المكتشفين الأوروبيين الذين دانوا لهم بحياتهم ، وقد أنقذوهم من هلاك محقق حين ضلُّوا في متاهات الصحراء أو في قلب الأدغال ، وحين لم تُغْنِ عنهم وسائل الإرشاد لمعرفة الاتجاهات شيئًا ، قادهم الجمَّالون عندئذٍ بتجربتهم وفطرتهم الصحراوية وثقتهم بالله إلى الأمل بعد اليأس و إلى السلامة بعد الخطر المحقق .

ومن الأعلام المسلمين الذين حفروا أسماءهم على صفحات التاريخ الأسترالي « بيجاه درويش » رئيس الجمَّالين في حملة كالفيرت « Calvert » الاستكشافية المشهورة ، وكانت تحت قيادة المستشكف « ويلز » Wells ، وكتب « ويلز » في مذكراته :

« لقد أظهر « شيخ بيجاه » **قوة فائقة على الاحتمال** ، وأنا أدين له بحياتي ، فقد أنقذني ومَنْ بَقِيَ معي من رجال الحملة من الموت ، وأذكر عندما وصلت حملة الرحلة إلى أسوإ مراحلها ، بعد أن عَمِيَ علينا الطريق . وبعد أن أمضت الجمال سبعة وعشرين يومًا من غير ماء ، أخبرته ، والألم يعتصر قلبي ، أن الجمال سوف تضطر إلى الصوم عن الطعام كذلك لننقذ بغذائها الآدميين ، فلم تتغير خلجاته بل رأيت الهدوء والسكينة على وجهه ثم أدهشني بقوله : « **وأنا معها سوف أصوم!!** » .

ومضى « ويلز » في مذكراته يقول : وأشركت شيخ بيجاه معي في قيادة الحملة فسار بنا في درب ما كان يخطر ببال أحد ، إنه طريق مأمون ، ولم نلبث إلا أيامًا قليلة حتى لاحت لنا مدينة « أديليد » في الأفق البعيد . ووقفت ومَنْ بَقِيَ معي أمام « شيخ بيجاه » وقوف الخاشعين لمن وهبهم الحياة » .

ويتابع « ويلز » بقية القصة فيقول : وبعثت من يأتينا بطعام وشراب ويخبر الناس بنجاتنا ، وبالدور الذي قام به شيخ بيجاه في هذا السبيل ، وقضيت الليل أفكر في المصير الذي كان ينتظرنا ، وفيمن أنقدنا ، أهو إلّه بيجاه وصلواته المخلصة تجاه الكعبة في مكة ؟ أم حاسته الفطرية لمسالك الأرض وشعابها ؟ ويرد « بيجاه » على تساؤلاتي بقوله : **إنه ربي أسلمت إليه وجهي فهداني إلى الطريق ، ومن يسلم وجهه إليه**

بإخلاص يهديه سواء السبيل . وفي الصباح استقبلته « أديليد » استقبال الأبطال ، وأقام له نائب الملكة الحاكم العام لجنوب أستراليا مأدبة ملكية احتفاءً وتكريمًا ومنحه وسامًا رفيعًا إعترافًا بفضله » .

وتاريخ الحملات الاستشكافية في أستراليا مليء بأمثال « شيخ بيجاه » من المسلمين الذين قاموا بأدوار عظيمة في هذا المجال .

نواة الجالية الإسلامية في القارة الجديدة

أدرك الأستراليون المستوطنون ضرورة قوافل الجمال لحياتهم الجديدة بعد أن أصبحت تربط الذين يعيشون في قلب أدغالها البعيدة بالمدينة والعالم . أدركوا ذلك فشجعوا الجمَّالين على استقدام أسرهم وأقربائهم من الهند وأفغانستان ليستقروا معهم ويشاركوهم الحياة في القارة الجديدة . وكانت أسر هؤلاء الرواد وعائلاتهم الطلائع الأولى للحياة الإسلامية المستقرة ونواة الجالية الإسلامية في أستراليا .

وكان من الطبيعي أن يقيم رجال القوافل أول أمرهم حول الآبار ومصادر المياه ، ولكنهم بعد أن استقرت بهم الحياة وفاضت عليهم القارة بخيراتها اتخذوا « أديليد » في جنوب القارة ـ والتي تفخر بأن ساكنيها ليسوا من المساجين ـ أول موطن إسلامي في أستراليا .

ومن الرواد الأوائل الذين ساهموا بنصيب كبير في استقرار الحياة للجالية الإسلامية في أستراليا « محمد غلوم » وكان قد جمع ثروة لا بأس بها من العمل في القوافل والتجارة ، لكنه كان ينفقها على المسلمين القادمين الجدد حتى يجدوا عملاً ، وامتدت يده بالخير فأنفق على المجلة الإسلامية التي تصدر في لندن في مدينة Woking ، وأعاد طبعها في أستراليا لتثقيف المسلمين .

وازداد تعداد الجالية الإسلامية في « أديليد » وأصبحت منطقة تمركزهم في جنوب القارة ، وبدأت فرص العمل تقلُّ أمامهم فانتشروا في بقية أنحاء القارة واتخذوا أعمالاً أخرى غير قيادة الجمال ، حيث اشتغلوا بالتجارة والزراعة والمناجم ، وقد شاركوا في بناء أول خط تلغراف يخترق القارة من منطقة « أديليد » إلى « داروين » ، كما ساهموا

أيضًا في بناء أول خط سكة حديد يصل بين كالفورلي وميناء أوغستا .

وقد وضعوا بذلك لبنات الاستقرار الأولى للجاليات الإسلامية في الجنوب والغرب ، وفكتوريا ، وكوينزلاند ، ونيوساوث ويلز ، وتازمانيا ، وقد ساهموا مساهمة كبيرة في تطوير أستراليا القارة الجديدة وذلك بالقياس إلى أعدادهم المتواضعة .

الدعوة إلى أستراليا بيضاء ! !

لكن المدد البشري لهذه الجاليات تجمد من مصادره الرئيسة عقب صدور قانون بمنع دخول الآسيويين والملونين إلى أستراليا عام 1902 م وقد صدر هذا القانون عقب مطالبات من المستوطنين الأوروبيين الذين داخلهم الخوف من ذلك الطوفان البشري الآسيوي الذي لا يفصله عنهم سوى شريط ضيق من مياه المحيط . وكان شعارهم الذي نادوا به وجعلوه مطلبًا : « فلتبق أستراليا بيضاء » محاولين بذلك إقامة آخر القارات المكتشفة على نهج عنصري بغيض .

وقف تيار الهجرة الإسلامية من الهند وأفغانستان بعد صدور هذا القانون ، وأخذ عدد المسلمين يتناقص بعد أن دفع الحنين إلى الوطن الكثيرين إلى العودة خاصة النساء بعد أن انقطعت الصلة بين المسلمين في أستراليا وبلادهم . وبدأت فترة من الركود والاضمحلال في صفوف الجاليات الإسلامية .

وواجه المسلمون مشكلة الزواج بأساليب شتى فاضطروا إلى الزواج بالمسيحيات ، وبعضهم رفض الزواج من امرأة غير مسلمة ، وبعضهم الآخر حاول إقناع النساء غير المسلمات باعتناق الإسلام ثم الزواج بهن ، أما بعضهم الأخير فقد اضطر إلى الزواج من أي امرأة وجدها دون النظر إلى مستقبل ذرياتهم . وكانت تلك الفترة من أحلك الفترات في تاريخ الجاليات الإسلامية في القارة الجديدة .

المرحلة الثانية :

بعد الحرب العالمية الأولى جاءت موجات جديدة من المسلمين إلى أستراليا . وتلك هي المرحلة الثانية . فقد سمحت أستراليا لعدد من الذين شردتهم الحرب بالهجرة إليها فجاء مع مَنْ جاء عدد محدود من المسلمين الألبانيين . واشتغل هؤلاء بفلاحة الأرض . إلى جانب وصول بعض المسلمين السوفيت والألمان . ولم يكن القادمون

من المسلمين في المرحلة الثانية أحسن حالاً في ثقافتهم الإسلامية من سابقيهم . فقد كانت معرفتهم بالدين وتعاليمه محدودة . ويمكن اعتبار هذه المرحلة امتدادًا لفترة الركود التي بدأت عقب صدور القانون الذي وقف المددَ الإسلاميَّ من البشر ، ومصادر المعرفة .

المرحلة الثالثة :

أما المسلمون الوافدون إلى أستراليا في المرحلة الثالثة فقد دعوا إلى الهجرة بشتى المغريات مع من دُعِيَ ليهاجر إلى القارة الخالية تنفيذًا للمخطط الأسترالي الجديد . بعد أن أدركت قُبَيْلَ الحرب العالمية الثانية وفي أثنائها أن سياسة وقف الهجرة إليها حتى تظل إلى الأبد محتفظة بحياة الرغد والغنى لسكانها القليلين ، سياسة غير سليمة . فقد تحققت من أن مطامع الدول المجاورة لها بعد الحرب تتجه إليها . وكانت سياسة العزلة من ناحية أخرى تؤلِّف خطرًا عالميًّا عليها . وقد دفع ذلك أستراليا إلى فتح باب الهجرة على مصراعيه للأوروبيين ومَنْ يلحق بهم بمختلف جنسياتهم ودعتهم للهجرة إليها ، وأغرت المهاجرين بحياة أفضل ، ومستقبل أكثر ضمانًا . وذلك لتعمير القارة الغنية الخالية من السكان ، ولتستغل الثروات الضخمة ولتواجه السياسة الجديدة في التوسع والتطوير .

فتح باب الهجرة على مصراعيه

جاء إلى أستراليا بعد الحرب العالمية الثانية المهاجرون البيض من كلِّ حَدَبٍ وصوب ، أشتاتًا متباينة ومختلفة . ولم يسأل المهاجر عن شيء من ماضيه أو دينه ، فجاءها كثيرون من دول البلطيق ، والبلقان ، وبولندا ، والمجر ، وإيطاليا ، وفريق كبير من دول البحر الأبيض المتوسط رغبة في حياة أفضل .

ضمن هذه الموجات المهاجرة إلى أستراليا جاءها مسلمون من لبنان ، وتركيا ، وقبرص ، وفلسطين ، ومصر ، وسوريا ، وروسيا ، ويوغسلافيا ، والصين ، وجنوب إفريقيا . ثم تحول عدد من الأستراليين إلى دين الإسلام ، وانضموا إلى هذه الطائفة الإسلامية المختلطة العناصر والشعوب ، وفي الثمانينات يمكن تقدير عدد أبناء الجالية الإسلامية بما يزيد على 350 ألف شخص . ومسلمو هذه المرحلة الثالثة يمثلون الدم الجديد الذي يتدفق حتى اليوم في شرايين الحياة في الجاليات الإسلامية في أستراليا .

وقد أكد وزير خارجية أستراليا في منتصف الثمانينات أن لديهم سياسة هجرة واسعة وواضحة تعتمد أساساً على عدم التفرقة بين البلاد، أو الجنسية، أو الدين، أو اللون، ولكنهم يخضعون عملية الهجرة لشروط من أهمها العمل على لَمِّ شمل الأسرة، فعندما يوجد أحد أفراد الأسرة في أستراليا فإن له بالتأكيد فرصة في كفالة باقي أفراد أسرته المقربين جدًّا، وهذه السياسة كما يؤكد تقوم على أولوية المتطلبات التي تحتاج إليها أستراليا، وفي مقدمتها الخبرات الخاصة مثل الهندسة الإلكترونية حيث تحسب للمهندسين عدة نقاط لهذه الخبرة، كما أن هناك نقاطًا إضافيةً للمتحدثين باللغة الإنجليزية، وكذلك للقادرين على التكيُّف مع المجتمع الأسترالي.

وقد لوحظ خلال الثمانينات طوابير المتقدمين بطلب الهجرة إلى أستراليا في كثير من بلدان العالم.

ومعظم المسلمين هم من عمال المصانع، وبعضهم من المزارعين، وبعضهم الآخر مدرسون أو أصحاب حرف مهنية حرة، ويمكن القول: إنه يوجد نحو خمسمئة طالب بالجامعات الأسترالية، وبعض المسلمين في السلك الدبلوماسي في «كانبيرا» عاصمة البلاد.

وتعتبر مرحلة الهجرة الإسلامية الثالثة نقطة تحول في تاريخ الإسلام في القارة السادسة، حيث أنقذت مصير المسلمين وبعثت فيهم عناصر القوة والازدهار، وغذَّت المهاجرين السابقين بدمائها الشابة وثقافتها الإسلامية المعاصرة، وهي بذلك قد بعثت عصر التطور لتاريخ الإسلام في أستراليا.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أهمية دور الطلاب المسلمين الآسيويين الذين يأتون لطلب العلم في معاهد وجامعات أستراليا. عن طريق المنح التي تقدمها أستراليا أو المنظمات الدولية، أو على نفقاتهم الخاصة. هؤلاء الطلاب يمثلون ركنًا مهمًّا في الحياة الإسلامية داخل البلاد. فهم يختلطون بزملائهم الأستراليين، وبالأسر الأسترالية بأخلاقهم الفاضلة ومعاملاتهم الودود مما يزيد فرص التأثير عليهم ودعوتهم إلى الدخول في الإسلام.

ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى سكان جزيرة «فيجي» وهي إحدى الجزر القريبة من أستراليا، وكانت إلى عهد قريب تحت الوصاية الأسترالية، ثم نالت استقلالها. فالجالية المسلمة في هذه الجزيرة أقرب جاليات المنطقة إلى الإسلام الصحيح. وأكثرها شبهًا

بالعرب بملامح أفرادها وسماتهم العربية الخالصة ، وقاماتهم الفارعة ، وأسمائهم العربية ، واعتزازهم بالنفس والكرامة والدين .

الحضور الإسلامي المنظم

يمكن القول : إن التاريخ الفعلي للحضور الإسلامي المنظم في أستراليا يعود إلى عام 1860 م . ففي أثناء هذه الفترة وحتى الآن حاول المسلمون تنظيم أنفسهم مرتين ، كانت الأولى عام 1880 م وانتهت إلى الفشل . أما المرة الثانية فقد بدأت عام 1948 م وتحقق لها النجاح بشكل مقبول حيث حاولت تفادي إخفاقات ومشاكل وتناقضات التجمعات الأولى .

وكان التجمع الأول يضم بشكل أساسي المهاجرين الأفغان وكانوا يملكون مسجدًا تتجمع عنده الطائفة . وكان أكبرهم سنًّا يُختار إمامًا للمسجد ، وكان عادة من المتشددين الذين لا يستطيعون جذب الشبيبة إلى التجمع ، حيث يسارع إلى طرد أي شاب إذا خرج ولو قليلاً عن أخلاقيات الطائفة ، وبما أن بعض أبناء الطائفة كانوا من زواج مختلط ، فإنه من الواضح أن التجمع الإسلامي لم يتجاوز كثيرًا الجيل الأول .

وكان قلب الطائفة الإسلامية الأفغانية يتمركز في جنوب أستراليا بمدنها الصغيرة ، وقد بنى المسلمون المساجد الكبيرة في هذه المدن . وكان جامع أديليد أحد أكبر الجوامع قاطبة إلى جانب جامع بروكن هيل وجامع بريسبان ، وجامع كول غاردي في الغرب بعد أن انتشر المسلمون في مختلف أرجاء أستراليا .

وكانت حالة الركود التي أصابت المسلمين عقب قانون حظر دخول الآسيويين إلى القارة قد أصابت أيضًا التجمعات الإسلامية .

وفي مثل ذلك الجو من الركود جاءت النهضة الإسلامية الثانية على يد المهاجرين الجدد لكي تعيد للتنظيمات السابقة روحها وقوتها . حيث تَمَّ اختيار قادة التجمعات على مبدإ الشورى الإسلامي ، كما أخذت بعين الاعتبار التعددية الكبيرة لأصول الطائفة ، وواقع أستراليا الجديد ، وقد حاولت التجمعات هذه المرة أن تضرب بجذورها عميقًا في الأرض الأسترالية من أجل أن تعيش وتستمر .

كان أول من باشر التنظيم من القادمين الجدد هم الأتراك القبارصة المستوطنون في « مالبورن » عام 1948 م وفي سيدني عام 1952 م ، ولكن تنظيمهم كان يرتكز على

المعايير القومية أكثر من المعايير الدينية .

ثم توالت التجمعات بعد ذلك في أديليد ، وبريسبان على أسس جديدة ، ثم أسس الألبانيون الجمعيات الإسلامية في مارينا في كوينزلاند وفي شيبارتون . ثم بنوا المساجد في هذه المناطق المذكورة وبعدئذٍ تَمَّ تأسيس جمعيات إسلامية متعددة القوميات عام 1957 م في كلٍّ من مدينتَيْ سيدني ، ومالبورن . أما الجماعات العربية فقد نظمت نفسها في مدينة سيدني عام 1960 م .

وقد شهدت السبعينات تزايدًا كبيرًا في الجماعات الإسلامية المنظمة التي بلغ عددها تسع عشرة جماعة . وفي الثمانينات بلغ عددها ثماني وخمسين جمعية إسلامية في أستراليا ، أسست أكثر من ثلاثة وعشرين مسجدًا وأربعة وثلاثين مركزًا إسلاميًّا في مختلف الولايات بأستراليا .

توحيد الجمعيات الإسلامية

حتى أوائل العام 1960 م لم يؤلِّف المسلمون في أستراليا مجمعًا كبيرًا يوحد بين تلك الجمعيات الإسلامية الصغيرة القائمة على أساس قومي . إلا أنه في عام 1961 م حصل حادث كان بمثابة الصدمة التي أفاق عليها المسلمون ليندفعوا بقوة نحو الوحدة الشاملة بمختلف جنسياتهم وتجمعاتهم . وذلك عندما تقدم إمام الطائفة الإسلامية بمدينة أديليد ـ الذي ناضل طويلاً من أجل تنظيم الطائفة الإسلامية ـ بطلب إلى السلطات الأسترالية السماح بإقامة الزواج بالنسبة للمسلمين على الطريقة الإسلامية ، كما يفعل القساوسة بالنسبة للمسيحيين . رفضت السلطات الأسترالية هذا الطلب . وعندها أعلن الإمام : « لن أسمح بعد اليوم لأي مسلم بالزواج من أية امرأة في هذه البلاد » . ولكن فيما بعد سمحت السلطات بعقد قران المسلمين وفق الشريعة الإسلامية .

كان ذلك الحادث نقطة تحول كبير في مستقبل الجمعيات الإسلامية بل وفي وحدة المسلمين في أستراليا . فقد تَمَّ إعادة تنظيم الجمعيات الإسلامية على المبادىء التالية :

أولاً : تصفية الجمعيات الإسلامية القائمة على أسس عرقية .
ثانيًا : تأليف الجمعيات على أساس المعايير الجغرافية بحسب المناطق فقط وذلك طبقًا لكلٍّ ولاية في أستراليا .

على الجمعيات الإسلامية في كلٍّ ولاية تأليف مجلس إسلامي يمثل كلَّ المسلمين في الولاية . وتؤلِّف المجالس الإسلامية مجلسًا إسلاميًّا أعلى على المستوى القومي الأسترالي .

وقد حصلت نشاطات مكثفة طوال عام 1975 م أدت إلى زيادة عدد الجمعيات الإسلامية حيث أصبحت تسع جمعيات ـ بالإضافة إلى جمعية الطلاب المسلمين ـ تجمعها منظمة الجمعيات الإسلامية للاتحاد الأسترالي .

سعت رئاسة الجمعيات هذه لدى السلطات الأسترالية للاعتراف بها كما تعترف بالهيئات التمثيلية للأديان الأخرى السائدة في البلاد . كما نشطت لدى المنظمات الإسلامية العالمية للاعتراف بها كذلك .

وقد استطاعت في وقت وجيز توفير التمويل الكافي لتنفيذ برامجها بتأهيل أئمة المساجد ، وتأمين التربية الإسلامية لأطفال المسلمين . وقد استمرت رئاسة الجمعيات الإسلامية في تحقيق النجاح تلو النجاح طوال السنوات الماضية بحل مشاكل المسلمين وتوفير الكثير من متطلباتهم وفق قدراتها و إمكاناتها في المجال الثقافي والاجتماعي والديني ، مما أعطى للمسلمين حضورًا بارزًا في الوسط الأسترالي .

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أنه تشديدًا من ثورة الفاتح الإسلامية على التزامها الإنساني والإسلامي بأبناء الأمة العربية والإسلامية ، وحفاظها على الدين الإسلامي وترسيخ قيمه باعتباره الرباط الطبيعي الذي لا ينفصم ، والذي يجمع بين أبناء العالم الإسلامي . فقد قامت بتقديم الإمكانات المادية والمعنوية للجاليات الإسلامية بأستراليا حيث سارعت إلى إنشاء « مدرسة الفاتح العربية » التابعة للمؤتمر الشعبي الأساسي بمدينة سيدني ، وهي مدرسة بها ستة عشر فصلاً تضم 450 م طالبًا وطالبة ، كشعلة من مشاعل النور والعلم والمعرفة تتقد في تلك القارة . خدمة ورعاية

لأجيال المسلمين الصاعدة ، من أجل تعريفهم بالإسلام ، وغرس الحرف والكلمة العربية العظيمة في نفوسهم ، للحفاظ على ارتباطهم بأصالتهم العربية ، وبدينهم الإسلامي الحنيف تأكيدًا لهويتهم الإسلامية وانتمائهم لأعرق أمة وحضارة عرفتها البشرية .

وعلاوة على ذلك فقد قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بتقديم الدعم والمساعدة للجمعيات الإسلامية ، وجمعيات الأُخوَّة ، والتنظيمات الشبابية ، والمدارس القرآنية لأداء رسالتها . فقامت بدعم جمعية نيوكاسل الإسلامية بولاية ولز ، والجمعية الإسلامية اللبنانية ، ومكتبة مسجد كانبرا ، ومساعدة رابطة مسلمي جزيرة فيجي ، والمؤتمر الإسلامي بكلٍّ من مالبورن ، وولنقونغ ، وبناء مدرسة قرآنية ، إلى جانب إرسال العديد من الدعاة إلى القارة .

كما قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أيضًا بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي بتمويل ندوة عقدتها الجمعية بمدينة « بيرت » الأسترالية ، في شهر الفاتح « سبتمبر » 1984 م لدراسة قضايا ومشكلات الأقليات الإسلامية ، حيث ناقشت الندوة مجموعة قيِّمة من الدراسات والأبحاث التي قام بإعدادها أساتذة مختصون في هذا المجال . وقد خرجت الندوة بكثير من القرارات والتوصيات لحل مشاكل الأقليات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم .

الإرهاب الصِّهيوني ضد المسلمين

مشكلة المشاكل التي تؤرق مضاجع المسلمين في أُستراليا الكيد والدس والإرهاب الصِّهيوني الذي يطالهم من وقت لآخر ويهدد إقامتهم في تلك البقعة النائية . فالعدو الصِّهيوني لم يكتف باستخدام أبشع الأساليب لقمع الشباب في فلسطين المحتلة بل يتحين الفرص لمحاولة كَمِّ أفواه أولئك الذين يتجرؤون في أماكن أخرى من العالم على الاحتجاج ضد ممارساته الوحشية في فلسطين المحتلة . وآخر هذه المحاولات عانى منها المسلمون الذين يعيشون في سيدني بأستراليا .

في الواقع ـ كما تقول « صحيفة الهلال اللندنية » : إن الحقيقة أمر بغيض على قلوب الصهاينة ، خصوصًا حين تتعلق بالجرائم التي يرتكبونها ضد المدنيين العزل ، وأكثرهم من الأطفال في فلسطين المحتلة . بالطبع من السهل أن تتخيل مدى الضجيج الإعلامي الذي يمكن أن يحدث لوكان ضحايا الانتفاضة التي دخلت عامها الثالث من الأطفال اليهود . وبالتالي فإن العدو الصِّهيوني الذي يشرع القوانين لسياسة الضرب والقمع لا يريد أن يسمع العالم يتحدث عن هذه السياسة أو يكشف عنها كما حدث في أستراليا .

خطر القواعد الأمريكية في أستراليا

ينظر معظم الأستراليين بعين الارتياب والغضب للقواعد الأمريكية المغروسة داخل أراضيهم خاصة تلك القاعدة الرئيسة الثالثة « باين غاب » والتي تعتبر مركزًا للاتصالات البحرية الواقعة في الجزء الغربي من البلاد ، والتي يقال إنها تستخدم من قِبَلِ وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية « السي . آي . اي » في التنصت الإلكتروني وفي اعتراض الاتصالات الدولية .

والأمر الأكثر خطرًا هو أن هذه القواعد تستخدم لاستطلاع الأخبار وكشف العمليات الداخلية في البلدان الإسلامية في مناطق آسيا والوطن العربي والمحيط الهندي . وتستخدم قاعدة « باين غاب » خاصة لمثل هذه العمليات .

ويقال : إن رئيس الحكومة« جف ويتلام » ـ الذي انتُخِبَ وعُقِدَتْ عليه آمال كبيرة عام 1972 ـ تألم كثيرًا عندما علم بأن الرئيس الأمريكي نيكسون استخدم القاعدة الأمريكية في غرب أستراليا للتبليغ عن تحذير نووي عالمي لقوات الولايات المتحدة خلال حرب «رمضان» عام 1973 م العربية الصِّهيونية بدون علم العاصمة « كانبرا » .
وقد اتخذ عدد كبير من الأستراليين موقف العداء من هذه القواعد المشبوهة منذ إنشائها في أواخر الستينات في أماكن نائية لا يمكن الوصول إليها .

وكانت المجموعات الأسترالية المعارضة للأسلحة النووية قد شنت مؤخرًا حملة ضارية من أجل إغلاق هذه القواعد وطردها من البلاد .

الحضور العربي في القارة

سبق أن أوضحنا أن القارة الجديدة تقاطر عليها المهاجرون من كل أنحاء العالم .

ويقال : إن ثلاثة أرباع سكان أستراليا من المهاجرين . ومن بين هؤلاء المهاجرين الجاليات العربية التي احتفظت بعاداتها وتقاليدها ، وطبعت البلاد ببعض خصائصها المميزة ، وجلُّهم من اللبنانيين الذين يؤلِّفون الغالبية .

« وقصة الهجرة العربية اللبنانية قصة قديمة تُحْكَى بكثير من التندر ، حيث يقال : إنه بعد مرور مئة عام من نزول « كابتن كوك » في القارة المجهولة ، نزل مواطن كردي « من شمال لبنان » على أرض مجهولة كان يعتقد أنها أمريكا ، بادئًا بذلك هجرة عربية لبنانية عن طريق الخطأ » .

الحفاظ على اللغة العربية

إن تمسك العربي القادم حديثًا بلغته العربية أمر طبيعي ، وهو يريد لأبنائه في أرض المهجر أن يتعلموا هذه اللغة . . ولكن الجيل الثالث الذي يولد هناك يبدأ في التحول ليصبح مشتَّتًا بين أستراليا والوطن العربي ، أما الجيل الرابع فيذوب في المجتمع الأسترالي وينسى لغته لولا بعض المدارس العربية القليلة العدد .

ويسعى العرب إلى فتح المدارس العربية هنا وهناك وقد بدأت بأربع مدارس عربية تديرها أربع راهبات لبنانيات تضم نحو 400 طفل وطفلة من المسلمين والمسيحيين . وفي كلِّ عام يعود أكثر من مئة تلميذ جديد لعدم توفر الأماكن . ثم توالت فتح المدارس العربية بعد ذلك حيث قامت الجماهيرية العظمى ببناء أكبر مدرسة عربية في سيدني كما شاهدنا ذلك .

وقد استطاعت الجاليات العربية التي أتاحت لها الظروف التغلغل في المجتمع الأسترالي أن تكوِّن صداقات جيدة وتمدَّ الجسور ، وتقيم علاقات حسنة بين الوطن العربي والمجتمع الأسترالي ، وتشرح وتوضح القضية العربية الفلسطينية بل وأبعاد

الصراع العربي الصِّهيوني للرأي العام الأسترالي ، وبالمستوى الذي جعل البولمان الأسترالي يناقش هذه القضية في اجتماعاته .

فالجاليات العربية ـ برغم طول فترة هجرتها منذ اكتشاف القارة وحتى الآن ـ مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالوطن الأم ، وتحمل في أعماقها هموم الوطن العربي ومشاكله وتتضامن معه وتعبر عن ذلك بقوة في الساحة الأسترالية . .

فقد أقامت الجماهير العربية في مدينة « مانبول » مهرجانًا خطابيًّا كبيرًا ضد الاجتياح الصِّهيوني حيث أكدوا تضامنهم مع البندقية العربية من أجل تطهير الأرض العربية من دنس العدو المحتل .

كما نظم التجمع الوطني للقوى التقدمية الخيرية في مدينة « سيدني » مسيرة غضب شارك فيها الآلاف من أبناء الجاليات العربية والإسلامية تأييدًا للمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ضد الغزو الصِّهيوني للبنان عام 1982 م .

وفي الختام نعود لنؤكد من جديد أن المسلمين ساهموا مساهمةً فاعلةً في اكتشاف أعماق القارة الجديدة ومجاهلها و إعدادها للحياة ، وأن الإسلام هو أول دين سماوي عرفته القارة . وقد أعلن مستشار الاتحاد الإسلامي الأسترالي في شهر النوار « فبراير » عام 1988 م اكتشاف عدة مساجد أثرية في مدن أديليد ، وفرنيا ، وأليس ، ومري ، كما تَمَّ العثور على آثار مسجد قديم في منطقة التعدين في بروكلن هل » ومدينتي بروم ، وكوجاري ، وأكد أن الاتحاد الإسلامي قرر إعادة كتابة تاريخ الإسلام في أستراليا بعد أن تَمَّ العثور على وثائق تؤكد أن « الأفغان » هم أول من نشر الإسلام في أستراليا .

إن أنظار عالمنا الإسلامي الكبير يجب أن تتجه ، صوب القارة الجديدة أستراليا ، لتأكيد الدور الريادي الذي اضطلع به المسلمون الأوائل في اكتشاف أعماق القارة ، وتنمية وتطوير ذلك الدور الإيجابي ، بتقديم العون والمساعدة المادية والمعنوية والأدبية للأجيال المسلمة الحالية ، لتعميق الجذور الإسلامية ، وتعميم نور الإسلام ليضيء جنبات المنطقة بكاملها . ويصبح للإسلام وجود فاعل ومؤثر في ربوع تلك القارة الجديدة النائية .

المصادر

ـ مجلة العربي ، عدد شهر كانون « ديسمبر » 1977 م .

ـ مجلة العربي ، عدد شهر الصيف « يونيو » 1980 م .

ـ مجلة التصدي ، العدد رقم 74 ، شهر الطير « ابريل » 1988 م .

ـ مجلة الوطن العربي ، العدد رقم 48 شهر النوار « فبراير » 1988 م .

ـ الملف السنوي لنشاط المؤتمر الشعبي الأساسي في سيدني لعام 1982 م .

ـ نشاط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية خلال عام 1980 ـ 1983 م .

الفصل الخامس

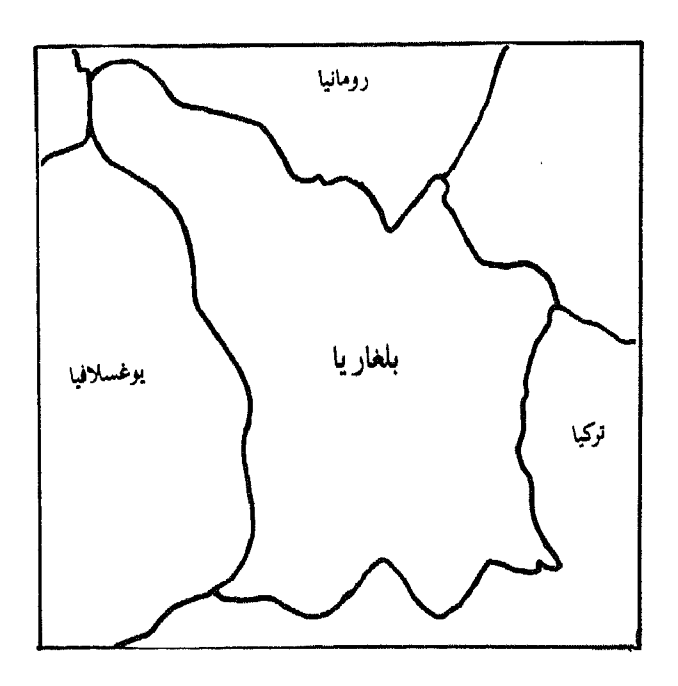
الأقليات الإسلامية

(1) مأساة المسلمين في بلغاريا .. الجذور والأبعاد .

(2) المسلمون في يوغسلافيا .

(3) مستقبل الإسلام في كوريا .

مأساة المسلمين في بلغاريا
الجذور والأبعاد



أمام أنظار العالم وتحت سمعه طردت بلغاريا مئات الآلاف من مواطنيها المسلمين إلى خارج البلاد ، بعد أن مارست ضدهم مختلف صنوف القهر والعذاب لا لشيء إلا لأنهم مسلمون . . .

هذه المحنة التي يتعرَّض لها المسلمون ليست وليدة اليوم ، بل إن جذورها ضاربة في عمق التاريخ . . . لكن حدتها تصاعدت خلال عام 1970 م حينما اتخذت اللجنة المركزية للحزب الحاكم في بلغاريا قرارها التاريخي بإبادة وبلغرة ما يزيد على ثلاثة ملايين مسلم ، وبدأت حملة واسعة لتنفيذ ذلك القرار ، بتغيير الأسماء ، وهدم البيوت ، والاعتداء على الأعراض ، و إغلاق المدارس ، وتهديم المساجد ، ومنع ممارسة الشعائر الدينية للقضاء على الشخصية الإسلامية ، حتى لم يَعُدْ أمام المسلم سوى أحد أمرين : إما أن يصبح بلغاريًّا بلا دين ، و إما أن يخرج من وطنه إلى تركيا أو إلى أي جهة أخرى ، فلا مكان في بلغاريا لمسلم يصر على إسلامه ! !

وأمام ذلك الخيار الصعب وتحت الضغط والإكراه أخذ يعبر في اليوم الواحد الحدود بين بلغاريا وتركيا ما بين 2000 إلى 5000 مسلم في أكبر عملية تهجير عرفها العصر الحاضر . ويجري ذلك كله تحت سمع وبصر كل المنظمات والهيئات التي تزعم الدفاع عن حقوق الإنسان ، ورعاية شؤون المظلومين والمغبونين من ضحايا الميز العنصري والديني ، ولكن دون أن تحرك تلك المنظمات والهيئات التي في مجملها تقع تحت سيطرة الغرب ساكنًا ، ولقد كشفت الحوادث والأحداث وتتابع المواقف أن تلك المنظمات ولاسيما المتمركزة في ديار الغرب لا تُعْنَى إلا بحقوق الغربيين فقط المستندة إلى حق التفوق على الآخرين واستتباعهم . أما ما عداهم من أجناس وشعوب وعقائد فليس لها مكان على خارطة اهتماماتهم . و إن تعرضت للإبادة كما هو حادث في فلسطين المحتلة .

وصول الإسلام إلى بلغاريا

بادىء ذي بدء علينا الوقوف على كيفية وصول الإسلام إلى بلغاريا . . يتفق كثير من المؤرخين أنه في عام 1354 م عَبَرَ الأتراك العثمانيون (بحر إيجة) ونزلوا على ساحل

اليونان ، واستولوا على (**غاليبولي**) وكانت بلاد البلقان وقتها مقسمة إلى أملاك البندقية ، وبقايا من الدولة البيزنطية . .

وكان استيلاء القائد التركي (**أورخان**) على غاليبولي بداية تقدم تركي سريع في البلقان ، فسقطت (أدرنة) عام 1362 م وعند بلدة (**تشيرنوفا**) على نهر مايتنزا حطمت قوات الأتراك جيش الصرب عام 1371 م . وبذلك دخلت الجيوش العثمانية إقليم (**تراقيا أوغلو**) شمالاً في بلاد (**بلغاريا**) ، وغربًا في مقدونيا ، وفي عام 1386 م استولت الجيوش الإسلامية على (**صوفيا**) عاصمة البلغار ، ثم على (**نيش**) ، وحاول الصِّربيون وقف تقدمها لكن قواهم تحطمت نهائيًّا في موقعة (**كوسوفا**) عام 1381 م .

ثم حمل الراية بعد ذلك (**يزيد بن مراد بن أورخان**) حيث تمكن من إخضاع اليونان كلِّها قبل عام 1393 م . وفي الوقت نفسه أضحت الصرب ولاية تابعة لسلطان الدولة العثمانية ، وبذلك أصبحت القسطنطينية نفسها مهددة بالسقوط ، وحاولت قوات مسيحية مختلفة إنقاذ البلقان بالقيام بحملة صليبية تسمى : (**صليبية نيقوبولس**) ، ولكنها لقيت هزيمة كاملة في هذه المعركة . وبتلك الانتصارات الكبيرة في وقت قصير ذاع صيت الأتراك العثمانيين في الشرق والغرب على السواء[1] .

أصول الجماعات الإسلامية في بلغاريا

يؤلِّف الأتراك غالبية المسلمين في بلغاريا ، كما يقول الدكتور « **الفاتح حسنين** » نائب رئيس لجنة التضامن مع مسلمي بلغاريا ، وكان عددهم نحو ثلاثة ملايين مسلم أُبِيد منهم نحو مليون إلا قليلاً ، وقبل مجيء الحزب الحاكم وكذلك قبل حكومة النازيين ، كانت نسبة الأتراك لوحدهم أكثر من خمسين بالمئة[2] .

المسلمون من أصل تركي :

ويتمركزون في مناطق الشمال الشرقي والجنوب ، وإذا ما تجول المشاهد بحرية في بلغاريا ! ! سيشاهد مدنًا وقرى ، وسهولاً وأنهارًا وبحورًا ، وعيونًا وينابيع مياه بأسماء

إسلامية واضحة ، ولقد استطاع المسلمون أن يحافظوا على هويتهم الحضارية الإسلامية ، ولولا حملات الإبعاد التي نظمها الحزب الحاكم ضدهم لزاد عددهم على من سواهم مجتمعين . وقد حافظ المسلمون في بلغاريا على ديانتهم ولغتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومدارسهم ومساجدهم ومعاهدهم الدراسية العليا ومحاكمهم الخاصة بهم وأسواقهم ولباسهم وأدبهم وفنهم وصحافتهم عبر التاريخ وفي أحلك الظروف وأشرسها .

البوماك :

حسب المعطيات التاريخية فإن هؤلاء هم أحفاد أول قبائل تركية هاجرت إلى المنطقة التي تعرف اليوم بـ (بلغاريا) . وقد تمت هجرتهم في القرن الحادي عشر الميلادي « أي منذ ما يزيد على تسعة قرون كاملة » .

وبمرور الأيام أدخلت كلمات سلافية كثيرة إلى لغتهم ، وهم أشداء يحافظون على إسلامهم بقوة ، ولذا بدأ الحزب الحاكم بهم عملية « البلغرة » التي قاوموها بشدة ، واستشهد منهم آلاف المسلمين .

ويبلغ عددهم حاليًّا سبعمئة ألف . وقد صمد هؤلاء في صراعهم ضد الإرهاب والبطش ، وحتى عام 1970 م لم تنجح كلُّ الوسائل التي اتبعها النظام لاحتوائهم عَقَدِيًّا وتمييع ثقافتهم وهويتهم الحضارية . ولذا قرر إنزال الجيش البلغاري في مناطق البوماك لبلغرتهم عام 1974 م **وترى فيهم السلطات البلغارية مصدر خطر لأنهم ظلوا برغم كلِّ الضغوط متمسكين بدينهم بشتى الطرق الممكنة وحتى بأضعف الإيمان .**

النور الغجر :

أكثرهم **من هنت ـ يورك** ، وقسم كبير منهم رحَّل متجولون بشكل مستمر . وهم منتشرون في كلِّ أنحاء بلغاريا ، استماتوا في الحفاظ على دينهم وأعرافهم وتقاليدهم ، ويُعرِّفون أنفسهم بأنهم أتراك ويتراوح أعدادهم ما بين سبعمئة إلى ثمانمئة ألف مسلم . يؤلِّفون مصدر قلق للنظام الحاكم كما يزعم لأنهم يجوبون البلاد طولاً وعرضًا بطابعهم الإسلامي ويتحمَّلون ظروف البرد القاسية وإن كانوا لا يهتمون بالأمور السياسية ، إلا

أنهم يرون أن تركيبتهم الإسلامية دونها الموت .

المقدونيون :

ويعيشون في الجنوب الغربي من بلغاريا ، وهذا جزء من مملكة « **مكدونيا الكبرى** » التي أسسها « **الإسكندر المقدوني** » ، وقد قسمت إلى ثلاث مناطق تابعة لكلٍّ من اليونان ويوغسلافيا وبلغاريا ، ويسكنها بعض المسلمين في كلٍّ من الدول الثلاث . . وفي بلغاريا تسمى منطقتهم باسم « **مقدونيا بيرين** » .

وتقدر نسبتهم بنحو أربعمئة وخمسين ألف مسلم ، ولكن الإحصائيات الرسمية تتجاهلهم تماماً ، **وأعلن النظام الحاكم مؤخراً أنه لا توجد أقلية مقدونية في بلغاريا ، فقد قام بتذويب لغة الشعب المقدوني ودينه وعاداته ، واستعان بالجيش لإتمام جريمته العنصرية أللاإنسانية هذه ، وقد أباد كلَّ حركات المقاومة التي رفضت مشروع البلغرة ! !**

التتار :

يعيش في بلغاريا نحو مئة ألف من التتار وجميعهم مسلمون ، ويشير المؤرخون إلى أن هؤلاء التتار هاجروا من الأناضول إلى ما يعرف اليوم ببلغاريا ، **في القرن الخامس عشر** ، وكانت تلك هجرتهم الأولى حيث أسسوا منطقة خاصة بهم ، عاصمتها المدينة التي تنسب إليهم وتحمل اسمهم حتى اليوم في بلغاريا ، وهي مدينة « **تتار بازارجيك** » ، وبعد أن تكاثروا أخذوا في النزوح نحو الشمال .

أما هجرتهم الثانية فكانت من « **القرم** » وذلك في أثناء حرب القرم حيث هاجروا إلى ما يعرف اليوم ببلغاريا ، ويسمون « **بتتار القرم** » واستوطنوا المدن بشمال بلغاريا وحافظوا على لغتهم وعاداتهم وقاوموا عمليات التذويب حتى السنوات الأخيرة ، وقبل أن يبلغروا بالقوة عن طريق ما يسمى بالجيش الأحمر .

الأرناؤوط أو الألبان :

نحو خمسين ألف ألباني يعيشون اليوم في بلغاريا وقد احتفظوا بإسلامهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم إلى أن تمت بلغرتهم بالقوة تحت زعم أنه تَمَّ تتريكهم (إسلامهم)

في العهد العثماني ، وهو جهل بأن الألبان مازالوا حتى اليوم قومية مغايرة للقومية التركية ، وأنهم يوجدون الآن في يوغسلافيا بمنطقة « **كوسوفو** » محتفظين بلغتهم وعاداتهم ، وأن هناك دولة بأكملها للألبان تسمى « **ألبانيا** » وما يجمعهم مع الأتراك هو الإسلام .

ويقول « **الدكتور علي حسنين** » : إنه عندما رأى الحزب الحاكم في بلغاريا أن الأكاذيب التي يطلقونها عن أن الفئات المسلمة والتركية في بلغاريا لم يكونوا مسلمين وإنما « **تمَّ تتريكهم** » في عهد العثمانيين ، عندما رأوا ضعف تلك الأكاذيب تفتق ذهنهم عن نوع آخر من الدجل ، وصرحوا بأن أتراك بلغاريا أُجْبِرُوا على الإسلام ، ولم يكونوا يحبون المسلمين ، وأن إجبارهم على الإسلام كان له ردَّةٌ فعل معاكسة تسبب في نفورهم من الإسلام ! ! إلى آخر تلك الأكاذيب والادعاءات التي لا تقوم على دليل .

وحاول الحزب الحاكم بث تلك الافتراءات عن طريق بعض الكتاب المتحيِّزين حيث كتبوا ما يمليه عليهم النظام ، من أن أتراك بلغاريا لم يتحمسوا للدخول في الإسلام ، وإنما أجبروا على الإسلام ، وقد أدت ادِّعاءاتهم تلك إلى مقاطعة المسلمين لهم ونبذهم . ويؤكد أن هذا أمر لا يستحق أن يناقش لأن أتراك بلغاريا كانوا هم الذين ينفقون على التعليم والمؤسسات الإسلامية ، من حسابهم الخاص وحتى تَمَّ إغلاقها بفعل الحزب الحاكم ، وقد توجوا ذلك الجهاد بإقامة مدرسة النواب في منطقة « **شومتو** » ، وهي بمثابة معهد عال لتخريج المعلمين والأئمة والوعاظ ، وذلك في نهاية العهد الفاشي الذي سمح لهم بذلك ، **بينما حرمهم الحزب الحاكم** ، **وبذلك أثبت أنه أسوأ بكثير من النازيين** ، **على حدِّ تعبيره**[3] .

ولكن كيف نشأت الدولة البلغارية الحالية ؟ وما الأسباب الحقيقية لعدائها للإسلام والمسلمين ؟

يقول الكاتب **محمد نور الدين** الذي عاش سنوات في بلغاريا ، وتعلم لغتها ، ودرس تاريخها ، وترجم أدبها ، وراقب تطورات مجتمعها :

خمس وأربعون سنة مضت على قيام ثورة اشتراكية في بلغاريا ففي **عام 1944 م** تسلَّم الحزب البلغاري السلطة .

ومع أن بلغاريا الآن دولة صغيرة جغرافيًّا (**نحو 110 آلاف كيلو متر مربع وسكانها نحو 8 ـ 9 ملايين**) إلا أن المؤرخين البلغار يعيدون التاريخ الرسمي لبداية الدولة البلغارية إلى العام 861 م . ويعتدُّون كثيرًا بالعصور الذهبية التي عرفتها بلادهم في القرنين التاسع والعاشر للميلاد . ولاسيما في عهد الملك (**سيميون**) الذي وسع حدود الدولة إلى أقصى ما وصلت إليه بلغاريا عبر تاريخها حيث كانت تسيطر على معظم أنحاء شبه جزيرة البلقان ، واستطاعت أن تهزم البيزنطيين وتدق أسوار عاصمتهم القسطنطينية ، لكن يشاء القدر أن تكون بلغاريا في أواخر القرن الرابع عشر للميلاد ، الدولة الأولى في أوروبا التي تسقط كلُّها ومبكرًا في أيدي الفاتحين المسلمين الأتراك .

بداية فكرة القومية

ومع أن المؤرخين البلغار يعيدون بداية دولتهم إلى العام 861 م إلا أن الفكرة « **القومية** » البلغارية لم تظهر بذورها الأولى إلا في القرن الثامن عشر على يد المطران (**بايسي فيلاندارسكي**) عندما كتب مؤلَّفه الشهير (**تاريخ البلغار السلاف**) عام 1762 م ، وقد تلازمت على يد هذا المفكر ومن تلاه (**الفكرة القومية بالنزعة الدينية المسيحية**) بحيث بات التحرر القومي تحررًا دينيًّا وبالعكس ، والتحرر الديني هنا ـ كما يؤكد الكاتب ـ هو بالطبع تحرر من حكم الأتراك العثمانيين الذي طبع فترة حكمهم لبلغاريا بالطابع الإسلامي المتميز جميع ميادين الحياة بحيث ورث عداوة شرسة ، من قِبَلِ ما يسمَّى بالقومية البلغارية . ولم تخفف النظريات (**التقدمية**) اللاحقة ، من حدة هذه العداوة والنظرة الحاقدة إلى الأتراك والمسلمين ، **فامتلأت مؤلَّفات البلغار بالحقد والمغالطات والتشويه لكل ما يتصل بالإسلام** . ولم يستحسن العديد من هؤلاء الكتاب ، ما كتبه مؤخرًا أحد المستعربين البلغار الجدد حول الإسلام والعرب ، والمتسم بالموضوعية والرصانة . وقد ساهم أحد أعداد مجلة (**كوريبه**) الصادرة بالبلغارية عن الأونسكو والخاص بالإسلام في تدعيم موقف هذا المستعرب في وجه مناوئيه[4] .

ولعل غياب حرية الفكر في بلد (ديمقراطي شعبي اشتراكي) ، كما يدعون من الأسباب الرئيسة التي مازالت تحول دون تصويب النظرة إلى الأتراك والعرب والمسلمين

عمومًا عند البلغار – كما يحول مثل هذا الغياب، دون فتح الباب أمام الجدل والحوار و إطلاق الإبداع على مختلف الصعد من كمونه ، فكتب التاريخ أحادية النظرة ، وكذلك كتب الفلسفة في بلغاريا . .

وفي بلد صغير مثل بلغاريا تضم مليونًا ونصف المليون من المسلمين أي نحو 1,6 من عدد السكان لا بد من أن يؤدِّيَ هذا الوجود إلى تضعضع في بنية المجتمع حسب نظرة البلغار ، لذا كان هناك اتجاهان لحل المشكلة : **إما إعطاء هذه الأقلية الإسلامية حقوقها ، وهذا غير وارد نهائيًا للأسباب الآنفة الذكر ، و إما ترحيل هذه الأقلية والتنكيل بها وهذا ما قررته السلطات البلغارية ونفذته بقوة.**

إبادة ما يزيد على ثلاثة ملايين مسلم

وسعيًا وراء إقامة مجتمع بلغاري خالٍ من الإسلام والمسلمين اتخذت اللجنة المركزية للحزب الحاكم في بلغاريا قرارها التاريخي بإبادة وتمسيخ ما يزيد على ثلاثة ملايين مسلم في 1970/7/17 م وقامت بإرسال تعميم لكل لجان الحزب في المحافظات المختلفة حيث تحركت كلُّ محافظة في مباشرة عملياتها لتنفيذ ذلك القرار .

وقد احتوى هذا القرار على جزءين : **خطة صغرى وخطة كبرى** .

وتمثلت الخطة الصغرى في محاربة المسلمين ثقافيًا ، وبديء في تطبيقها رسميًّا في عام 1970 م ، ولكن الحزب الحاكم كان يمهد لها بخطوات بدأ باتخاذها منذ أن تولى السلطة عام 1944 م ، فوقف تدريسَ اللغتين العربية والتركية اللتين كانتا تدرسان كمادتين للأقلية المسلمة ، كما وَقّفَ قبل ذلك دروسَ الدين الإسلامي .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه **في عام 1958 م** خطط النظام الحاكم ونفذ أضخم عملية إبادة في ذلك الوقت ، وكانت موجهة ضد المسلمين المنحدرين من أصول (مقدونية) كان عددهم **450000 نسمة** أبيد منهم عشرات الآلاف واعتقل وعذب الكثيرون ، ولم يتحرك أحد لمساعدتهم أو إبراز قضيتهم مما شجع النظام الحاكم على السير قدمًا في تكملة تنفيذ خططه أللاإنسانية .

وأخيرًا جاء دور المسلمين المنحدرين من أصول تركية ، وتفاقمت المشاكل ،

ونشرت حقيقة المأساة . . فقد أعدَّ النظام الحاكم خطة واسعة ومدروسة خلال عام **1957 ـ 1970 م** لتغيير هوية المسلمين وتجريدهم من هويتهم الإسلامية وتاريخهم وتقاليدهم وأعرافهم وقيمهم . .

واندفعت السلطات في تنفيذ هذا المخطط الإجرامي حيث بدأت بقطاع التعليم فدمجت المدارس الإسلامية في المدارس غير الإسلامية ، وأضحت العلوم الإسلامية غير إجبارية ، كانت تلك البداية ، ثم ما لبثت السلطات أن صعَّدت من تطبيق خطتها بصلابة متجاهلةً كلَّ القوانين والأعراف الدولية .

فبدؤوا في نشر القصص التي تهاجم وتسخر من الإسلام والمسلمين ، وطبعوا دواوين الشعر التي تسيء للمسلمين ، وأخذوا يهاجمون الإسلام والمسلمين في لقاءاتهم الحزبية أولاً ، ثم في المناسبات والاحتفالات الوطنية . وكذلك في المحاضرات والمناظرات التي كان الحزب يقيمها خصيصًا لتلك الأغراض . وفي كل مناسبة يمجدون فيها الدولة البلغارية كانوا يسيئون ويحطون من قدر الدول الإسلامية .

وقد أخذت خطة التشويه والمسخ الحضاري الكبرى للمسلمين طابعين أساسيين : **الطابع السياسي والطابع العسكري** الذي اتسم بالبطش والعنف لإنهاء الوجود الإسلامي في بلغاريا .

ومن ضمن التدابير التي اتخذت في هذا الصدد ، إحداث تغيرات جذرية في التربية العسكرية لقوات الاحتياط المركزي وخاصة في دوراته التنشيطية المستمرة كلَّ شهرين تقريبًا ، حيث أخذوا يتدربون فيها على أسلوب جديد للقتال ، وقد أضحت قوات ما يسمى « بالدوسو » التي أشرفت على إبادة المسلمين الرافضين للتمييع الثقافي الحضاري . . أضحت هذه القوات وكأن في بلغاريا حالة حرب معلنة بالإضافة إلى نظام التدريب المستمر لقوات الدفاع المدني ، كما تَمَّ في هذا السياق إجراء تعديلات كبيرة في قيادات القوات المسلحة بما يتناسب ومتطلبات عمليات التمسيخ ، ويتضح مما سبق أن هدف كل تلك الإجراءات والتعبئات في الجيش والدفاع المدني والاحتياطي المركزي هو تحقيق الهدف غير الأخلاقي بقوة السلاح وبالقوات النظامية .

وكانت الأوامر صريحة وواضحة وهي اتباع كلِّ الوسائل لإنجاز هذه المهمة بالاعتداءات الشخصية وانتهاك الحرمات والرمي بالرصاص أمام الأسرة والأهل ، وكذلك

أمام الجميع في الميادين والشوارع ، ومن يتردد في تنفيذ ذلك تنفذ عليه هذه الإجراءات .

وقد قام المسؤولون فيما يسمى بالشعبة السياسية بعمليات غسيل مخ للجنود الذين يتولون التنفيذ ، وإفهامهم أن الذي يقاوم التمسيخ إنما يخطط بالتأكيد مع جهات أجنبية لغزو البلاد واستعباد المواطنين لذا وجب قتله والتخلص منه ، وأن هؤلاء المسلمين هم الذين حكموا الشعب البلغاري وأساؤوا إليه خلال ستة قرون ، ولذا يجب أن يتم تشريدهم والتنكيل بهم .

فكانت تلك الحملات التي شهدتها صفوف المسلمين في أسوإ عملية اضطهاد ديني وثقافي ، تلتها عملية التهجير القسرية . .

أضخم عملية تهجير قسري
تُخْلَى مدن بكاملها من السكان

في وضح النهار وأمام أنظار العالم ضربت بلغاريا عرض الحائط بكل القوانين والأعراف الدولية وطردت مئات الآلاف من مواطنيها المسلمين إلى خارج البلاد ، بعد أن مارست ضدهم مختلف صنوف القهر والاضطهاد ، ولم تحرك منظمات حقوق الإنسان والهيئات الدولية ولا الحكومات التي تزعم الديمقراطية في أوروبا الشرقية والغربية ساكنًا . .

وتحت نشوة الإحساس بقدرتها على القيام بأكبر عملية تهجير قسري تقام بحق المسلمين . . منذ عملية تهجير العدو الصِّهيوني للفلسطينيين عام **1948 م** وبدون أن يناله حساب أو عقاب ـ أعلنت بلغاريا أن عدد المهجرين سيتجاوز **ربع المليون** في ظرف شهور ! !

وبالفعل استمرت مأساة التهجير هذه منذ شهر الماء «مايو» 1989 م حتى إن أعداداً كبيرة من المناطق الشمالية الشرقية والجنوبية من بلغاريا ـ حيث يتركز المسلمون ـ قد خلت تمامًا من سكانها على حدِّ تعبيرهم .

وتدَّعي السلطات في (**صوفيا**) أن **المليون ونصف المليون** من المسلمين الذين

ينحدرون من أصول تركية قديمة هم (**سلافيون**) في الأصل وليسوا أتراكًا ، وأنهم أجبروا على اعتناق الإسلام إبان الحكم العثماني لبلغاريا الذي استمر **600 عام** .

ولم يعط للذين طردوا خارج البلاد ما يكفي من الوقت لجمع أو التصرف في ممتلكاتهم ، أو سحب أرصدتهم من المصارف . أما الذين **وصلوا إلى الحدود التركية** ، **في شهر الماء «مايو» 1989 م ومعهم شيء من النقود أو الممتلكات الثمينة فإنهم تعرضوا للمصادرة من قِبَلِ ضباط الجمارك البلغار على حدٍّ تعبيرهم.**

ويقولون : إن السلطات في « **صوفيا** » تعمل على قدم وساق لشغل المناطق التي هُجِّر منها المسلمون ، ويتوافد زبانية النظام ليحتلوا ،وهم فرحون، المصانع والمزارع والمساكن التي كان يشغلها المسلمون الذين باتت تضمهم معسكرات اللاجئين في تركيا ويواجهون مصيرًا مجهولاً .

المسلمون وجهًا لوجه مع الدبابات

وحين نزل **30 ألف مسلم** للتظاهر في شوارع المدن في شرق بلغاريا تصدت لهم قوات الجيش والشرطة مستخدمة الأسلحة النارية والهراوات الأمر الذي أسفر عن مقتل وجرح الآلاف من المسلمين .

الاحتجاجات ضد سياسة تمسيخ الشخصية الإسلامية بدأت حين أضرب أربعة مسلمين عن الطعام ، بعد أيام حذا حذوهم مسلمون آخرون في مدن (**وقرى لازغراد وفارنا**) . وتصاعدت حملة الاحتجاجات لتشمل منطقة (**هاسكوفو**) حيث انضم إليها المئات من المسلمين ، وقد أوردت التقارير أن صفوفًا مدرسية كاملة وعائلات بأجمعها التزمت بحملة الاحتجاج هذه ، وأخذت الاحتجاجات منعطفًا جديدًا حين بدأ مؤيدو المضربين عن الطعام ينظمون تظاهرات في الشوارع ، وعندها وبدون تحذير مسبق وجد المتظاهرون أنفسهم وجهًا لوجه أما الدبابات وأسلحة الجنود الرشاشة .

وتمثل عمليات التمسيخ الثقافي حسب قرار الحكومة في إجبار المسلمين كافة على تبنِّي أسماء غير إسلامية **فأحمد إسماعيل** أصبح (**البان مكتوف**) **وناصيف حازم** تحول إلى (**أناناس ديميزوف**) وعلي صار (**ايليا**) و **إبراهيم أصبح اسمه إبرام** وحينما احتج اقتيد إلى السجن حيث يقضي هناك سنتين على حدِّ قوله ! !

كما لا يسمح للنساء المسلمات بأزيائهن المحتشمة بركوب وسائل النقل العامة أو الدخول إلى الأسواق أو إلى الدوائر الحكومية ، ومنعت السلطات الختان ، وفرضت عقوبة السجن خمس سنوات لمن يخالف هذا الحظر ، كما منعت فريضة الصيام ، وأجبر المسلمون على دفن موتاهم في التوابيت .

هدم و إغلاق 1500 مسجد

ويؤكد (الأمين العام لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية) في دراسة أعدها ، أن الحكومة البلغارية لم تقتصر على تغيير أسماء المسلمين بل أغلقت وهدمت نحو 1500 مسجد بحجة إنشاء الطرق والمرافق أو أماكن للانتظار . ولم يبق من هذه المساجد إلا نحو عشرة مساجد من بينها (مسجد صوفيا) الذي أغلقته بلغاريا مؤخراً[5] ، كما تمنع بلغاريا أيضًا طبع وتداول القرآن الكريم والكتب الدينية ، كما حظرت الحج ، ومنعت الزواج على الطريقة الإسلامية .

وقامت السلطات البلغارية أيضاً بإلغاء و إغلاق **1119 مدرسة** إسلامية كان يتلقى فيها أكثر من **100 ألف طالب وطالبة** العلوم المختلفة . . وكان يقوم بالتدريس فيها أكثر من **ثلاثة آلاف معلم من المسلمين** ، كما لا يسمح للمسلمين بالتحدث بلغاتهم القومية ولا يتلقون التعليم العالي ، ولا يسمح لهم بإصدار الصحف والمجلات التي تعبر عن آرائهم . وذلك ضمن المخطط البلغاري للقضاء على الإسلام والمسلمين في تلك المنطقة ! !

ويؤكد شهود عيان أن الحكومة هناك أجبرت العديد من الأسر على ترك منازلها لإجبارها على تغيير أسمائها ، كما ثبت اختفاء أئمة المساجد في كثير من القرى . ولا يسمح للمسلمين بتولِّي مناصب حكومية ، ولا يسمح لهم إلا بمزاولة الأعمال العادية .

الدستور البلغاري ينص على عدم التمييز

وبرغم كلٍّ هذه الممارسات فإن الدستور البلغاري ينص على أن جميع المواطنين سواء أمام القانون ولا تمييز بينهم بسبب الدين أو الأصل أو الجنس . كما يتضمن الدستور حق جميع المواطنين في اعتناق الدين وممارسته ، ويؤكد الدستور أن بلغاريا تقدم العون المادي لجميع الطوائف للحفاظ على الآثار الثقافية والتاريخية كالمساجد والكنائس باعتبارها من التراث الثقافي والتاريخي للدولة .

وبالرغم من توقيع بلغاريا أكثر من سبع اتفاقيات ومعاهدات تقضي بالتزامها بحماية الأقليات الإسلامية بها فإنها ضربت عرض الحائط بكل ذلك وبدأت في تنفيذ مخططها للقضاء على الإسلام والمسلمين فيها ! !

القضية من خلال المحافل الدولية

نددت منظمة المؤتمر الإسلامي بالمعاملة السيئة التي تتعرض لها الأقلية المسلمة في بلغاريا وطردهم منها ، وأيدت جهود تركيا لضمان حقوق هذه الأقلية . وكوَّنت لجنة وكلَّفتها بمتابعة وضع الأقلية الإسلامية في بلغاريا ، ورفع تقرير للمنظمة في هذا الخصوص[6] .

كما أدان المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في اجتماعه الثامن بطرابلس ، ما تتعرض له الأقليات المسلمة في بلغاريا ، من تهجير واضطهاد ديني وثقافي يهدف إلى تشويه الهوية الإسلامية لمسلمي بلغاريا . وقد أبدت العديد من الأقطار العربية استعدادها للتوسط بين البلدين للوصول إلى حلٍّ لهذه القضية .

وخلال شهري الماء « مايو » والصيف « يونيو » من العام 1989 م اندلعت القلاقل من جديد بين المسلمين في شمال بلغاريا والعشرات من أفراد الشرطة والجيش الذين مارسوا ضدهم أبشع أنواع القمع ، ألقى حينها الرئيس البلغاري «تودور جيفكوف» خطابًا ، شرعت السلطات البلغارية عقبه مباشرة في «شحن» المسلمين في القطارات إلى خارج بلغاريا .

وعلى مسافة وراء الحدود وأبراج المراقبة شوهدت مناظر ، أكد المطرودون أنها صفوف تمتد بطول 15 كيلومترًا من المطرودين ينتظرون الدخول إلى تركيا .

وبدأ يدخل الأراضي التركية من نقطتين على الحدود ما بين **2000** إلى **5000** شخص يوميًّا .

ولم يسمح لبعض النازحين أن يأخذوا معهم سوى حقيبة أو اثنتين فقط ، كما رفضت السلطات البلغارية لمئات الأطفال اللحاق بذويهم ، في أسوإ معاملة في العصر الحاضر .

وبلغ عدد الذين وصلوا الأراضي التركية **ثلاثمئة وعشرة آلاف شخص** خلال ثلاثة أشهر فقط .

الغرامة والجلد والسجن

قامت تركيا بإنشاء أربعة مخيمات لاستقبال الأسر والأفراد الذين طردتهم بلغاريا .

وفي مخيم (أدرنا) يقول (**فخر الدين فاضيليف**) : إنهم طلبوا إليه تغيير اسمه إلى (**فيدان فيلبيون**) ، وأضاف : إنه فرض على من يتكلم لغته التركية دفع غرامة باهظة ، ويؤخذ إلى ميدان فسيح وسط المدينة ويجلد أمام الناس ليكون عبرة لغيره .

وإذا شوهد شخص يؤدِّي الصلاة فإن الغرامة تتضاعف كثيراً ، مع وضعه في السجن لمدة خمسة عشر يومًا ! !

ويقول آخر : إنه ظل يقف أكثر من ثلاثة أسابيع على الحدود في انتظار زوجته وابنتيه لأنه لم يسمح له بصحبتهن .

ويقول (عبد الله حسين) : ــ إنهم قتلوا ابنته البالغة من العمر عامًا ونصف العام وسجنوا ابنه ، أما هو فقد وضع في السجن لأدائه الصلاة ! !

لا مكان في بلغاريا لمسلم يحتفظ بإسلامه ! !

يؤكد الكثيرون من الذين وصلوا إلى الأراضي التركية خلال شهر الماء «مايو» 1989 م ، أنه

لـم تعد الـمشكلة مجرد تغيير أسـمـاء الـمسلـمـين في بلغاريـا ، بل تعدّت ذلك بكثير فإمـا أن يصبـح الـمسلـم بلغارياً بلا ديـن ، و إمـا أن يطرد إلى تركيـا ، أو إلى أي جهـة أخـرى تستقبلـه . فلا مكان في بلغاريـا لـمسلـم يصـر على إسلامه[7] . . هذا هـو الـمفهـوم السائـد هنـاك اليـوم ! !

الصلاة لن تقف

وفي اسطنبول نُظمت مسيرة شعبية انتهت إلى أكبر ميدان في وسطها ، للمشاركة في المؤتمر الشعبي الذي حضره أكثر من مئة ألف مواطن ، قاموا بإحراق العلم البلغاري احتجاجًا على سياسة بلغاريا العنصرية ، وطالبوا العالم الإسلامي بموقف حاسم وموحَّد إزاء هذه المشكلة . . ورفعوا لافتات كتبت عليها : (**الصلاة لن تقف** . . **والمسلمون معايير واحدة**) .

وقد بلغت درجة الحماس ، أن تظاهرة طافت شوارع اسطنبول طالبت الجيش التركي بالزحف على (صوفيا) العاصمة البلغارية .

هذه الممارسات التي تنفذها بلغاريا على مرأى ومسمع من العالم كله ، ليست مجرد انتهاك لحقوق الإنسان تتعرض لها أقلية مسلمة كما يصفها بعضهم فحسب ، لكنها في الحقيقة مخطط طموح وشرس ولا إنساني يهدف إلى قطع الطريق وتقليص حدود انتشار الإسلام في أوروبا عن طريق تفريغ بلغاريا من خمس سكانها لمجرد كونهم مسلمين . إذا نفذ هذا المخطط فإن مناطق شمال شرق وجنوب بلغاريا لن تعود جزءًا من أرض الإسلام .

ولن تقف المسألة عند هذا الحد فحسب بل إن دولاً أوروبية أخرى تضم أقليات مسلمة كبيرة تنتظر نجاح مخطط بلغاريا ، في طرد المسلمين لتحذوَ حذوَها . وليست تجربة الأقلية الصربية في يوغسلافيا ضد المسلمين والتي تطرقنا لموضوعها ليست ببعيدة.

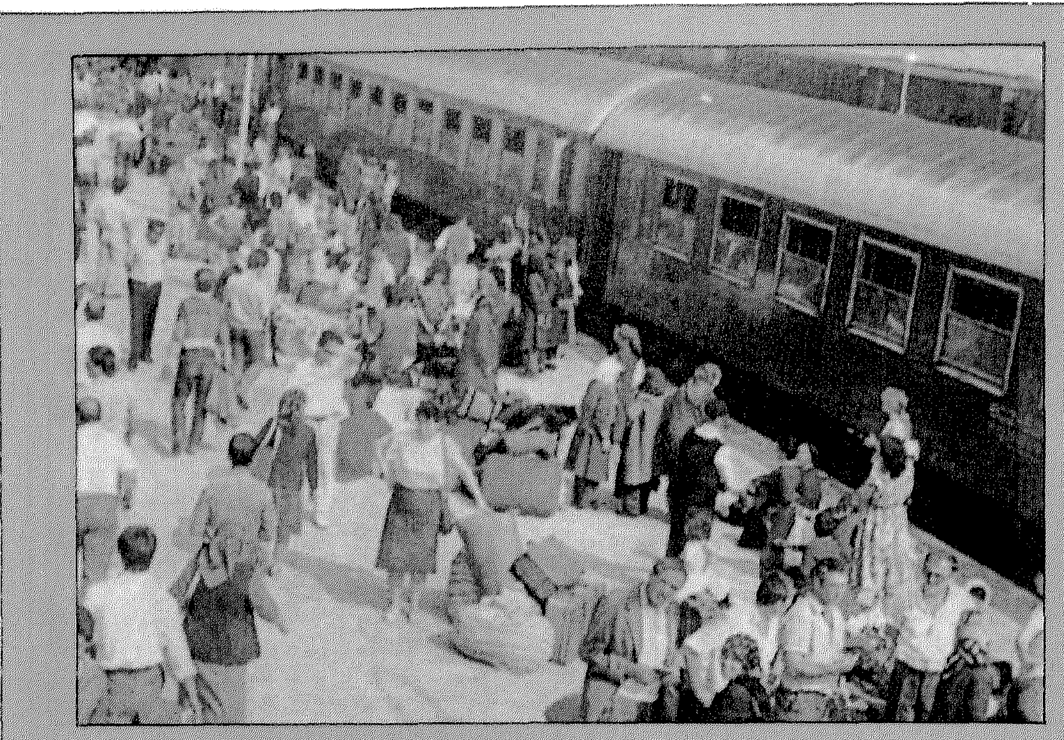
فالزعيم الصربي المدعو (ميلوسفيك) قد عبر عن مشاعر الحقد الدفينة ضد الإسلام في خطابه الذي ألقاه في 1989/6/28 م أمام مليونيْ صربي احتشدوا للاحتفال بذكرى معركة (**كوسوفو**) عام 1389 م والتي دحر فيها العثمانيون جيش الامبراطورية

الثائر المسلم معمر القذافي يؤدّي الصلاة مع مسلمي بلغاريا .

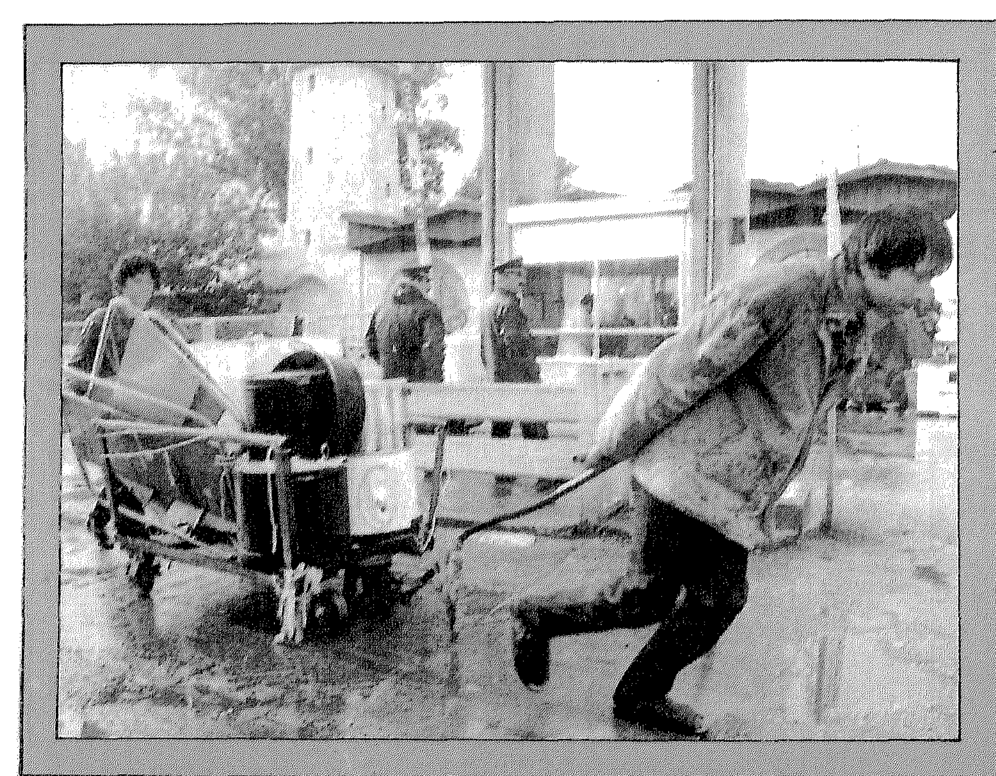


ثلاثة أجيال
هربت من
الاضطهاد
في بلغاريا .





بعض المطرودين وصلوا بالقطار وفي انتظار الحصول على خيام .



أسرة مطرودة تجر
بعض ما سُمِح
لها به



محظوظ يعبر نقطة الحدود بمتاعه كاملاً .



الاضطهاد والطرد لم يستثن الشيوخ .

الصربيـة . مذكرًا الجمـاهير الصربيـة بـأن الـمعركة مع الإسلام لـم تنته بعدُ عندمـا قال : « **نحن نواجه الـمعارك مـن جديد ونخوض غـمـارهـا ، ولكن ليس بـاستعمـال السلاح ، مع أننـا لا ننفـي احتـمـال استعمـاله إن اقتضى الأمر ، مهـمـا كانت طبيعة هذه الـمعارك فإنها سوف لن تكسب بدون عزيـمـة وشجاعة وتضحيـة** » .

إننـا مـازلنـا نكرر أن مـا يحدث فـي بلغاريـا أمر من الخطورة بـمكان على الـمسلـمـين أن يتصدوا له و يواجهوه بقدر كافٍ من الـمسؤوليـة لأنه يهدد مستقبل الإسلام والـمسلـمـين في الغرب عامـة . فبلغاريـا لـم تتصرف مـن فراغ بل أحست أن ضرب وقتل وتهجير الأقليـة الـمسلـمـة إلـى تركيـا أو إلـى أية جهة أخرى لن يهدد مصالحهـا لدى العالـم الإسلامي الصامت ولن ينـالهـا عقاب ، لذلك شرعت في تنفـيذ مخططها في وضح النهـار وأمـام الجميع ، بل أمام القوى العظمى التي تدَّعي أنها حامية الديمقراطية وحامية حمى حقوق الإنسان ! ! فلـمـاذا غضت الطرف ولاذت بـالصمت أمـام محنة الـمسلـمـين في بلغاريـا ، فـي الوقت الذي أقامت الدنيـا ولم تقعدهـا تجاه مـا يحدث للطلبة في بكيـن ؟ ؟ ! !

إن عالـمـنـا الإسلامـي يجب أن يفهـم لغة العصر ليعيش بكرامـة فوق هذه الأرض .

المصادر

(1) انظر صفحة 351 أطلس تـاريخ الإسلام للدكتور حسيـن مؤنس .

(2) انظر صحيفة الشرق الأوسط بتـاريخ 1989/8/8 م .

(3) نفس الصحيفة بتـاريخ 1989/8/9 م .

(4) انظر صحيفة الحياة بتـاريخ 1989/10/3 م .

(5) انظر صحيفة الأهرام بتـاريخ 1987/6/14 م .

(6) انظر صحيفة القبس بتـاريخ 1989/6/30 م .

(7) انظر صحيفة اللواء الأردنيـة بتـاريخ 1989/8/2 م .

ملحق

انطلاقًا من حرصنا على متابعة قضايا المسلمين وما يستجد تجاهها من تغييرات سلبًا أو إيجابًا لتضمينه في هذه الطبعة قبل إصدارها ، نورد فيما يلي التطورات الأخيرة التي شهدتها بلغاريا بشأن المسلمين .

فقد نقل عن السلطات الحاكمة في بلغاريا ـ بعد التغييرات التي شهدتها البلاد مؤخرًا ـ تصريحات إيجابية بشأن المسلمين هناك ، حيث تضمنت تلك التصريحات إدانات صريحة لعمليات التنكيل والاضطهاد التي مارستها الحكومة السابقة بحق المسلمين ، ومحاولاتها المتكررة لمصادرة هويتهم الإسلامية ، والتي بلغت حدّ إجبارهم على تغيير أسمائهم والاعتداء على مقابرهم ، وحرمانهم من ممارسة شعائرهم الدينية .

ومن هنا كان من واجبنا أن ننوِّه بهذا التطور الإيجابي في جانب (الموقف الرسمي البلغاري) الذي بدت عليه مؤشرات الانحياز للحق و إنصاف المظلومين من الأبرياء ، الأمر الذي يستحق التقدير من جانب المسلمين الذين يجب أن تتضافر جهودهم في الدفاع عن قضاياهم المشتركة .

وكما هو معلوم فقد كان آخر المواقف الإسلامية المندِّدة بالاضطهاد والممارسات اللاإنسانية التي لاقاها المسلمون في بلغاريا ، مجسَّدًا في البيان الختامي الصادر عن الاجتماع الأول (للأمانة العامة المؤقتة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية) في طرابلس بالجماهيرية العظمى في 1989/12/20 م .

كما أن نفس هذه (الأمانة العامة المؤقتة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية) كانت السبَّاقة لإصدار بيان بتاريخ 1990/1/7 م أبدت فيه ارتياحها للتطورات الإيجابية من جانب الحكومة البلغارية الجديدة ، بانصياعها لمنطق الحق والاعتراف بحقوق الأقلية المسلمة في بلغاريا وفيما يلي نص البيان:

إن القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ـ وهي تتابع قضايا المسلمين والأقليات الإسلامية في كلِّ مكان ، تنفيذاً لمقررات العام الأول واستجابة لتحريضات قائدها ومؤسسها الأخ الثائر المسلم معمر القذافي ، كما تابعت ، بالاتصال المباشر وعن طريق الأنباء ، التطورات الجارية في بلغاريا وخاصة ما تعلق منها بحقوق الأقلية المسلمة هناك ـ لَتُكْبِرُ في الحكومة البلغارية الجديدة ذلك الروح الذي تميَّز بالحرية ومحاولة مقاومة الظلم . وشرع في الاعتراف بحقوق الإنسان وفي مقدمتها حقه في اختيار إسلامه ودينه .

وإنها ـ بهذا الموقف التصحيحي ـ تعلن عن رفضها للاضهاد الثقافي والديني والسياسي الذي مورس، ولمدة سنوات، على الأقلية المسلمة هناك والذي تسبب في تشويه صورة بلغاريا في الكثير من المحافل الدولية .

إن القيادة الشعبية الإسلامية العالمية التي ما فتئت تطالب الحكومة البلغارية السابقة بالانصياع إلى منطق الحق . ورفع الظلم عن إخواننا المسلمين البلغار لَتُقَدِّرُ كل الجهود المخلصة والمبادرات الصادقة التي بُذلت من أجل أن يتحقق هذا الهدف . . تلك الجهود التي لا يمكن لنا ذكرها دون الإشارة إلى ما قام به الأخ الثائر المسلم معمر القذافي من اتصالات وزيارات ومفاوضات بهذا الشأن .

إن القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ، في الوقت الذي تبدي فيه ارتياحها لموقف الحكومة البلغارية الجديدة إزاء الأقلية المسلمة باعتباره مكسباً لقضية الحرية في كلِّ مكان ، لَتُهِيبُ بجماهير المسلمين في جميع أنحاء العالم ضرورة الوقوف مع إخوانهم المسلمين في بلغاريا من أجل تأكيد هويتهم الإسلامية ونيل حقوقهم المشروعة إسوةً بغيرهم من مواطني بلغاريا . ومقاومة كل المحاولات الصليبية الحاقدة التي تحاول إجبار الحكومة البلغارية على التراجع عن قراراتها العادلة في حق المسلمين هناك .

الأمانة المؤقتة

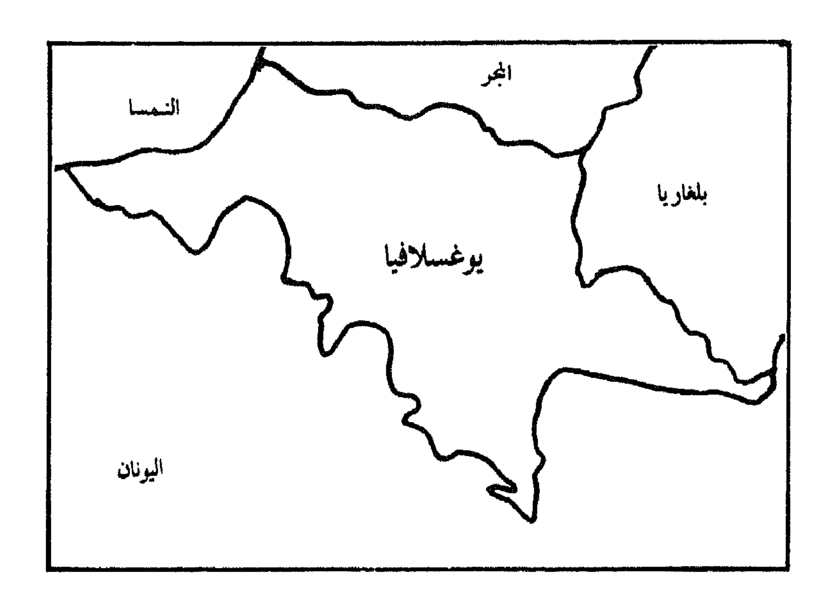
للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية

اهتمـام الثائر الـمسلـم معمر القذافـي
بقضيـة الـمسلـميـن فـي بلغاريـا

والـمعلوم أن **الثائر الـمسلـم معمر القذافي** كان قد نبه إلى قضية الـمسلـميـن في بلغاريـا في خطابه الذي ألقاه أمـام الأمـانة العامـة الـمؤقتـة للقيادة الشعبيـة الإسلاميـة العالـميـة خلال اجتمـاعهـا الأول الذي تَـمَّ في **20** مـن شهر الكانون « ديسمبـر » **1989** م .

وفي الأسبوع الأول مـن شهر أي النـار « يـنـايـر » مـن الـعـام (**1990** م) أُجْرِيَ اتصال هـاتفـي بيـن **الثائر الـمسلـم معمر القذافي** والرئيس البلغاري الجديد **بيتر ميلاديـنوف** طـمـأن خلاله الرئيس البلغاري **الثائر الـمسلـم معمر القذافي** على أحوال الـمسلـميـن في بلغاريـا ، وأبلغه أن الـمسلـميـن يـتـمتعون بـالحريـة والديـمقراطيـة مثلهـم مثل بقية أبناء الشعب البلغاري . وقال : إن التغيـرات العمـيقة الجذريـة في بلغاريـا هدفهـا إقامـة الديمقراطيـة الحقيقيـة وتوفيـر الحريـة لجميع أبنـاء الشعب البلغاري دون تـمـييز .

مشكلة المسلمين في يوغسلافيا



يوغسلافيا التي تعتبر أرض أكبر وأعرق جالية إسلامية في منطقة أوروبا الشرقية شهدت خلال السنوات الأخيرة تصاعداً خطيراً في حدة الاضطرابات دفعتها بقوة إلى واجهات وسائل الإعلام العالمية.

والواقع أن المشكلة ليست قاصرة على إقليم كوسوفو وحده ، و إنما أصبحت المنطقة بكاملها بركاناً ملغوماً يهدد وحدة يوغسلافيا نفسها .

وعلاقة هذه المنطقة بالدين الإسلامي علاقة قديمة ، ومن يتجول في شوارع وحارات إحدى المدن اليوغسلافية كمدينة سراييفو مثلاً يتملكه إحساس قوي بأنه في إحدى حواضر الإسلام المألوفة ، فالمساجد والأسواق ، والملامح والسمات ، والخصال الإسلامية الحميدة تحملك فجأة إلى مجتمعات عواصم الإسلام .

وليست هذه الصراعات كما يراها بعض المراقبين إلا امتداداً للصراع الديني والقومي الذي نشأ منذ فترة طويلة من التاريخ . ويزيد من تأججها الأزمة الاقتصادية التي تضرب البلاد . وقد ينعكس هذا الصراع ليشمل منطقة البلقان بكاملها .

تتألّف يوغسلافيا من ستٍ جمهوريات يجمعها نظام حكم فدرالي نشأ عام 1918 م بعد الحرب العالمية الأولى ، وهذه الجمهوريات هي :صربيا ،وهي الأكبر وفيها العاصمة بلغراد ، ومقدونيا ، وجمهورية الجبل الأسود « مونتنيقرو » (وهذه جمهوريات الجنوب الثلاث) ثم هناك جمهوريات الشمال الثلاث : كرواتيا ، والبوسنة والهرسك ، وسلوفيتيا ، وإلى جانب هذه الجمهوريات هناك إقليم كوسوفو تابع لصربيا ، ويتمتع بحكم ذاتي ، و إقليم فوجوفودين ويتبع لصربيا أيضًا .

وتتمركز الأغلبية الإسلامية ، والتي تتجاوز نسبتها 20% من مجموع السكان البالغ 24 مليون نسمة في جمهوريتين : الأولى في مقاطعة كوسوفو الألبانية ، وعاصمتها برشتينا وهي ملحقة بجمهورية الصرب ، التي فيها عاصمة الدولة بلغراد ، والثانية في جمهورية البوسنة والهرسك ، وعاصمتها سراييفو ، إلا أن هذا التمركز لم يمنع أعدادًا كبيرة من المسلمين أن تنطلق في هجرات داخلية في المدن اليوغسلافية الأخرى بسبب الوضع الاقتصادي المتدني ، وضمن فترات زمنية متعددة . إضافة إلى الهجرة الخارجية لأعداد كبيرة منهم فكانت دول غرب أوروبا ، وخاصة ألمانيا الغربية من مراكز تجمعاتهم .

لعل من المفيد هنا لمعرفة علاقة العرب وتاريخهم بيوغسلافيا أن نستعرض جانبًا من الموضوع الذي كتبه الدكتور جمال الدين سيد محمد في مجلة العربي في العدد 1401 عام 1981 م تحت عنوان : « زنوج وعرب في يوغسلافيا » ، حيث يقول : أول انطباع قد يتبادر إلى ذهنك أن هؤلاء الزنوج اليوغسلاف أو العرب اليوغسلاف هم نَتَاج للزيجات المتعددة التي كثرت مؤخرًا بين اليوغسلاف والعرب والأفارقة . إلا أن الأمر الذي من المؤكد أنه سيزيد من دهشتك أن بعض هؤلاء الزنوج أو العرب اليوغسلاف متقدمون في السن إلى حدٍّ كبير ، وبعضاً منهم يدينون بالإسلام حتى الآن . ويعرفون اللغة العربية ، وبعضهم يعرف معرفة مؤكدة وقاطعة أنه من أصل عربي أو إفريقي .

ومما يذكر أن هؤلاء الزنوج اليوغسلاف يتركزون في مدينة « أولتسيني » التي تقع على ساحل بحر الأدرياتيك الذي يتبع جمهورية الجبل الأسود بيوغسلافيا ، ويبلغ تعداد سكان هذه المدينة نحو ستة آلاف نسمة .

وقد استرعت هذه الظاهرة أنظار الباحثين فأدلى كل منهم بدلوه في هذا المضمار بحثًا عن أسباب وجود هذا العدد الكبير من الزنوج في يوغسلافيا عامة ، وعلى مدينة أولتسيني على وجه الخصوص ، وكيف ومن أين أتى أسلاف هؤلاء ؟ وما أصلهم الحقيقي؟ هل هم زنوج من إفريقيا أم هل هم عرب سود البشرة؟

ويقول الدكتور جمال الدين : وقد سنحت لي الفرصة بشكل مباشر خلال كتابتي لرسالتي للدكتوراه تحت عنوان : « شخصية البطل العربي في النثر اليوغسلافي » لأن أبحث بحثًا علميًّا مستفيضًا عن أسباب هذه الظاهرة ، ولأن أُجْرِيَ فحصًا دقيقًا لكل ما كتب عن هذا الموضوع وأن أخرج في النهاية برأي مدعم بالأدلة التاريخية والوقائع .

ومن المحتم في البداية أن أسترعيَ نظر القاريء إلى أن اليوغسلاف لا يفرقون بين الزنجي والعربي ، فينعتون الزنجي بأنه عربي ، والعربي بأنه زنجي . أي أن للكلمتين مدلولاً واحدًا ولا فرق بينهما عند اليوغسلاف ، بل لقد وصل الخلط بين اللفظتين إلى درجة أن بعض القواميس والمعاجم اليوغسلافية القديمة ذات الأهمية العظيمة والقيمة العلمية ، تفسر

كلمة عربي على أنها تعني أسود وزنجيًا .

ويجدر بنا أن ننوه بأن الباحثين اليوغسلاف كانوا إلى عهد غير بعيد يعتقدون أن أية علاقة للشعوب اليوغسلافية بالمسلمين وبالعرب على وجه الإطلاق ـ بيضًا كانوا أو سودًا ـ تبدأ مع احتلال الامبراطورية العثمانية للأراضي اليوغسلافية في القرن الخامس عشر الميلادي ، ولكن بمرور الزمن وبتعدد سبل البحث والدراسة وتعمقها ثبت ـ وبما لا يدعو للشك ـ خطأ هذا الاعتقاد وبطلانه ، وبدأت الأضواء تتسلط بشكل مركز على هذه العلاقات وتعود بها إلى تاريخها الأول ، أي إلى ما قبل الاحتلال العثماني للأراضي اليوغسلافية ، وبدأت كتب التاريخ القديمة تفتح أوراقها وتثبت وجودها ، وتقدم الأسانيد التاريخية على وجود علاقات متعددة ومتنوعة الأشكال قبل احتلال الأتراك العثمانيين للأراضي اليوغسلافية بزمن بعيد .

ويعود الدكتور جمال الدين إلى التاريخ البعيد وبالتحديد إلى القرن السادس الميلادي حيث أخذ أسلاف اليوغسلاف . وهم السلاف الجنوبيون يتدفقون بشكل متواصل عبر نهر الدانوب ويستوطنون في شبه جزيرة البلقان خلال القرن السادس الميلادي وحتى العقود الأولى من القرن السابع الميلادي . والهجرات التي تمت وامتدت إلى المناطق اليونانية جنوب شبه الجزيرة التي كانت تتاخم حدود الامبراطورية البيزنطية ، وكيف انضم السلاف الجنوبيون إلى الجيش البيزنطي لكي يعملوا به جنودًا ومزارعين يحصلون بعد استيطانهم على أراضٍ زراعية ، ثم كيف كوَّن الامبراطور جستنيان الثاني عام 692 م من هؤلاء السلافيين جيشًا قوامه ثلاثون ألف جندي وتوجه بهم لمحاربة العرب في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، واضطر العرب رغماً عنهم إلى قبول الحرب المفروضة ، واستطاع قائد الجيش العربي استمالة قائد الجيش البيزنطي وهو القائد السلافي « نيقولا » إلى صف العرب ومعه 20 ألفًا من أتباعه في المعركة التي جرت عند « سناستيبول بقليقيا » وبذلك تمكن العرب من هزيمة البيزنطيين هزيمة منكرة . وقدم السلاف الجنوبيون خدمات جليلة للعرب نتيجة معرفتهم بالأراضي البيزنطية .

ويؤكد الدكتور جمال الدين أن اللقب الذي أطلقه العرب على السلاف الجنوبيين وهو « الصقالبة » ظل مسجلاً في اسم القلعة السلافية (حصن الصقالبة) التي تقع على الحدود بين سوريا وقباد حسب ما كتبه ابن خردا ذابه في كتابه : « المسالك

والـممـالك » .

كمـا يؤكد أن السلاف قد اشتركوا في الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون عام 809 ــ 819 م .

ويضيف : إنه من الأحداث الهامة في تاريخ العلاقات بين العرب والسلاف الجنوبيين ، مؤازرة الخليفة المأمون لثورة « توماس السلافي » ، وبفضل المساعدات العربية تَمَّ تتويج (توماس) امبراطورًا على أنطاكية ، إلا أن الثورة فشلت عام 823 م .

وينهي الدكتور جمال الدين هذا الموضوع بقوله :

إن ما أوردناه حتى الآن ليس إلا نبذة يسيرة عن تطور العلاقات بين العرب والسلاف الجنوبيين منذ القدم ، والتاريخ القديم حافل بأمثلة عديدة متشابهة تؤكد بلا ريب أنه منذ ظهور الإسلام وعبر القرون التي تلته والسلافي الجنوبي يعرف العربيَّ معرفة جيدة ويشيد ببطولاته . وما زالت كتب تراثهم الباقية تصور هذا اللقاء الأول وتحكي عن العرب ، وتسجله كذلك الكتب العربية الكثيرة عن دور السلاف الجنوبيين وعن علاقتهم بالعرب ، ومن المرجح بل من المؤكد أنه نتيجة لهذه العلاقات المتعددة المتنوعة عبر التاريخ ظهر الزنوج والعرب في يوغسلافيا .

أصل اليوغسلافيين

أما عن أصل المسلمين اليوغسلاف فإن هنالك آراء أخرى لمؤرخين تلتقي مع رأي الدكتور جمال الدين الذي ذكرناه وتتقاطع معه ، ولا بد من التطرق إليها .

يقول هؤلاء المؤرخون : إن المسلمين اليوغسلاف ينتمون في الأصل إلى فئتين : الفئة الأولى تمثل العنصر الألباني أو ما يسمى بالأرناؤوطي ، والفئة الثانية تمثل العنصر « السلافي » . والألبانيون يمثلون أقدم شعوب المنطقة بل يعتبرون من أهل البلاد الأصليين ، قبل أن تهبط عليهم الشعوب السلافية من جبال الكريات أو ما يسمى اليوم بجبال أرارات في إحدى موجات الهجرة الجماعية الشهيرة في التاريخ . . وبعد اقتتال عنيف بين الشعوب الأصلية ، والشعوب الوافدة عبر سنين طويلة ، انحصر الألبانيون في ذلك الجزء المسمى بألبانيا اليوم ، والتي تعتبر مقاطعة كوسوفو أحد أجزائها .

ويقول هؤلاء المؤرخون : إن علاقة هذه المناطق بالدين الإسلامي علاقة ليست حديثة إذ إن الألبانيين عرفوا الإسلام نتيجة للاتصال المباشر بالعثمانيين ، وعرفوا بأنهم محاربون أشداء متمسكون بدينهم متشددون في عقيدتهم.

دخول السلافيين في الإسلام

أما كيف دخل السلافيون في الإسلام فيذهبون إلى أن الاحتكاك بين السلافيين والمسلمين الأوائل حدث في وقت مبكر من تاريخ الدعوة الإسلامية .

ولكنهم يركزون على أن في منطقة البوسنة طائفة من السلافيين اعتنقت مذهبًا مسيحيًّا خاصًّا بها يتميز عن الكاثوليكية والأرثوذكسية اللتين كانتا تتصارعان في تلك المنطقة ، وإن هذا المذهب متميز بأخذه بموقف الإسلام في القضايا المتعلقة بطبيعة « المسيح عليه السلام » ، برفضهم ما اعتبروه تقديسًا للبشر وعبادة الصليب كما أنهم موحدون ، ويخلعون نعالهم عند الدخول إلى معابدهم ، وكثيرة هي الملامح المشتركة مع المسلمين في العقيدة والسلوك ، وتلك الطائفة كانت تسمى باليوغسلافية البوغوميلي Bogmil أي (أحباء الله) . ويقولون : إن الفاتيكان وزعماء أوروبا النصرانية في ذلك الزمان قد جردوا أكثر من حملة على هذه الطائفة فاستباحوا معابدهم وشردوا زعماءهم إلا أنهم ما إن تخف وتيرة الهجمة الصليبية عليهم حتى يعودوا إلى ديانتهم مرة أخرى .

ولما قرر الملك الكاثوليكي القضاء المبرم وبالقوة على هذا المذهب لم يجد زعماء هذا المذهب سوى الجيش العثماني يستندون إليه . وكان سلطان بني عثمان يوم ذاك السلطان المشهور « بمحمد الفاتح » الذي فتح بلاد البشناق أو البوغوميلي بعد فتح بيزنطة بعشر سنوات تقريبًا ، وقيل : إنه انتهج في ذلك الزمن مع مسيحيي البلاد المفتوحة شعار الإسلام ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ...** ﴾ **مما كان له وقع حسن في ظل الصراعات الدموية بين المذاهب المسيحية المختلفة . وكان الفتح مناسبة ليعتنق معظم أنصار المذهب اليوغوميلي من السلافيين الإسلام دينًا لهم** . وينتهون إلى أنه لا عجب إذًا إن كانت هذه الطائفة من الأوائل الذين دخلوا الإسلام نتيجة لتأثرهم الواضح بالإسلام وعقيدته ، وهربًا في نفس الوقت من ظلم جيرانهم الممالك النصرانية المحيطة بهم .

لكن رغبة محمد الفاتح العثماني في تهدئة الصراعات الدينية والقومية لم تتحقق سوى لمدة قصيرة ، وعادت المنطقة لتشهد أعنف الصراعات في ظل السلطنة وبعد زوالها ، وليست أحداث اليوم سوى امتداد لذلك الصراع بصورته التي برزت حديثًا في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

فمن يوغسلافيا الملكية التي قامت وفق الحدود التي رسمتها نتائج الحرب العالمية الأولى عام 1919 م إلى جمهورية يوغسلافيا الاتحادية الاشتراكية التي برزت عام 1948 م وفق النتائج الجغرافية السياسية للحرب العالمية الثانية ، استمرت حقيقة واحدة ، وهي احتدام الصراعات بين القوميات والأديان على جزء من منطقة البلقان التي تكوَّنت منها هذه الدولة .

تهدئة الصراعات وفرض التعايش

بعد حالة التضييق التي لحقت بجميع التيارات القومية والدينية إبَّان حكم ما عرف بالرابطة اليوغسلافية بعد الحرب العالمية الثانية ، فإنه في أواسط الستينات أخذت الحريات الدينية تعرف مدى أوسع وتشق طريقها ، وفي عهد الرئيس الراحل جوزيف بروز تيتو تمكن ـ إلى حد كبير وفي إطار دولة متعددة القوميات والأديان ـ من تهدئة الصراعات ، وفرض التعايش ، وإخماد التناقض القومي بين الشعوب المكوِّنة لدولة يوغسلافيا ، وفي إطار سياسة الحكم الذاتي التي طبقها بنجاح لم يكن يسمح بظهور النزاعات القومية والدينية .

فقد شهدت تلك السنوات انبعاثًا ثقافيًّا هائلاً واستطاع المسلمون أن يؤسسوا لأنفسهم ركائز قوية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتمت إعادة معظم المدارس والمساجد للمسلمين في جميع أنحاء يوغسلافيا ، وأعيدت في هذا المجال مدرسة سراييفو الشهيرة ، كما اعترف رسميًّا بوجود القومية الإسلامية ، وقامت بهذا المعنى جمهورية البوسنة والهرسك كجمهورية للمسلمين . ومن المعروف أنها من أكبر الجمهوريات اليوغسلافية مساحة ، وشهدت هذه المرحلة تأسيس جامعة إسلامية في مدينة سراييفو ، كما تكاثرت المراكز الثقافية الإسلامية في بلغراد العاصمة المركزية

وفي مدينتيْ زغرب ، وريجيك ، في جمهورية كراواتيا ، وفي مدينة سلوفينيا وفي لجويليانا .

ولقد كان ليوغسلافيا موقفها المشرف والنبيل من قضية العرب المركزية فلسطين . . بل إن التاريخ لن ينسى ليوغسلافيا موقفها بعد حرب 1967 م ، ولا شك في أن الوجود الإسلامي في يوغسلافيا كان له الأثر الكبير في هذا الموقف .

والوضع اليوم لا يختلف عن المراحل الأخرى التي مرت بها يوغسلافيا ، فالصراع الدائر في كوسوفو ما هو إلا صدى لصراع عام يدور بين جمهوريات وأقاليم يوغسلافيا ، وينعكس على منطقة البلقان كلها . وهو صراع بدأ بالظهور في أعقاب رحيل الرئيس تيتو وغياب قيادته التاريخية .

الصراع الدائم في جمهورية مقدونيا

وبؤر هذا الصراع تتركز في المناطق الإسلامية وخارجها . فهنالك « جمهورية مقدونيا » وما أثارته وتثيره من خلاف دائم بين يوغسلافيا وبلغاريا ، واليونان ، إذ تدَّعي كل واحدة أن الأرض التي تقوم عليها هذه الجمهورية إنما هي جزء منها .

وفي الوقت نفسه تتعرض مقدونيا لحملة من باقي الجمهوريات اليوغسلافية متهمة إياها بالشوفينية ونمو المشاعر القومية .

لكن ما حقيقة ما يجري في هذه الجمهورية؟

يرى الكثيرون أن هنالك أمرين يضغطان على المسؤوليين ، ويبدو أنهما أصبحا همًّا يوميًّا منذ سنوات الصحوة الإسلامية التي ظهرت في مناطق أخرى من العالم الإسلامي .

الصحوة الإسلامية وتزايد عدد المسلمين

يبدو أن هذين الأمرين يقلقان المسؤولين ويقضَّان مضاجعهم . فالصحوة الإسلامية في مختلف أنحاء يوغسلافيا ـ كما يراها بعضهم ـ تحصن المسلمين من التلاشي، وتزيد في نمو عدد المسلمين في آن واحد . وأخطر ما في هذه الصحوة أنها تعيد الناس إلى القرآن

الكريم . ومن هنا تبدأ الإشكالية في نظرهم . فبعضهم يدعي أن لديه إحصائيات تثبت أن نسبة النمو الحالي للمسلمين تشير إلى أنهم سيكونون نصف السكان في مطلع القرن المقبل ، بينما ستتحول يوغسلافيا في منتصف القرن المقبل إلى دولة إسلامية ، أي دولة تسكنها غالبية مسلمة . ووجدت هذه النظرة من يروِّج لها وينذر بمخاطرها .

ولا شك في أن نشر مثل هذه الأقوال يثير المشاعر المعادية للمسلمين ، إذ إن بعضهم لا يستطيع أن يتصور إمكانية تحول يوغسلافيا إلى دولة بغالبية مسلمة .

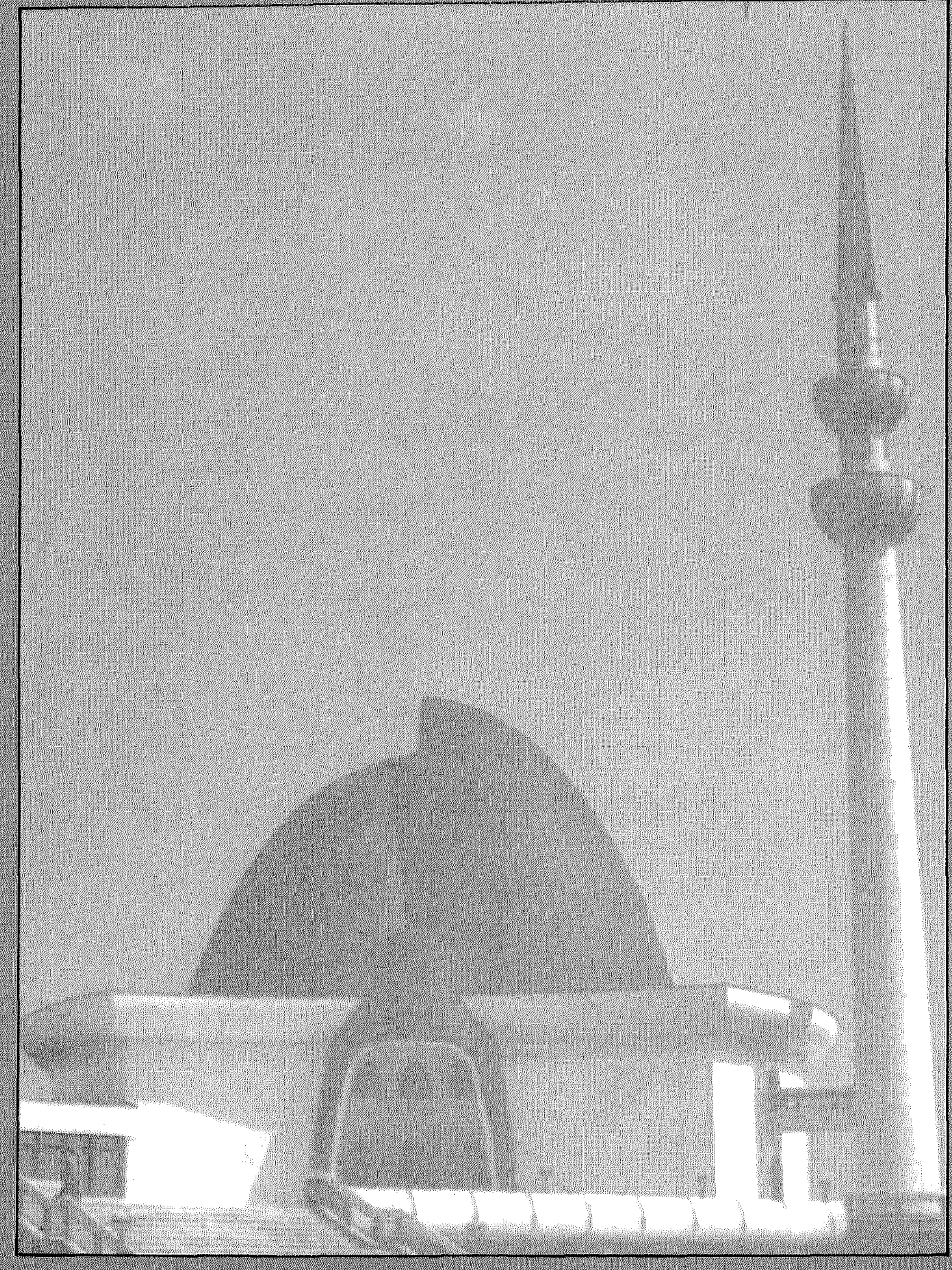
وهكذا يعتبر بعض المراقبين أن الأمر قد أصبح ينذر بالخطر مما استدعى تدخل بعض المراكز لإصدار اجتهادات جديدة عن الإسلام ، ويبدو أن ما شجع ويشجع إصدار هذه الاجتهادات والقوانين هو انعدام الصوت الآخر الذي يمكن أن يوضح الصورة بجلاء .

لقد بدأ هذا في نهاية عام 1987 م عندما هزَّ انفجار في ضواحي عاصمة جمهورية مقدونيا مشاعر المسلمين جميعًا في يوغسلافيا . فقد شيد المسلمون في تلك الضاحية جامعًا منذ أكثر من عشر سنوات ، ثم أرادوا أن يضيفوا المئذنة عندما توفرت لهم الأموال ، ولكن المشكلة بدأت هنا . إذ إن السلطات اعتبرت بناء المئذنة غير شرعي لأنه تَمَّ دون إذن رسمي ـ باعتبار أن الجامع يحتاج إلى إذن رسمي وبناء المئذنة يحتاج إلى إذن آخر ـ وهكذا قررت السلطات هدم المئذنة وأرسلت لهذا الغرض قوة عسكرية من رجال الشرطة ، ولكن حجم كمية المتفجرات التي وضعت في قاعدة المئذنة كانت كبيرة مما أدى إلى تصدع الجامع ونحو عشرين بيتًا من بيوت المسلمين المحيطة به . وكان ما كان من تذمر المسلمين .

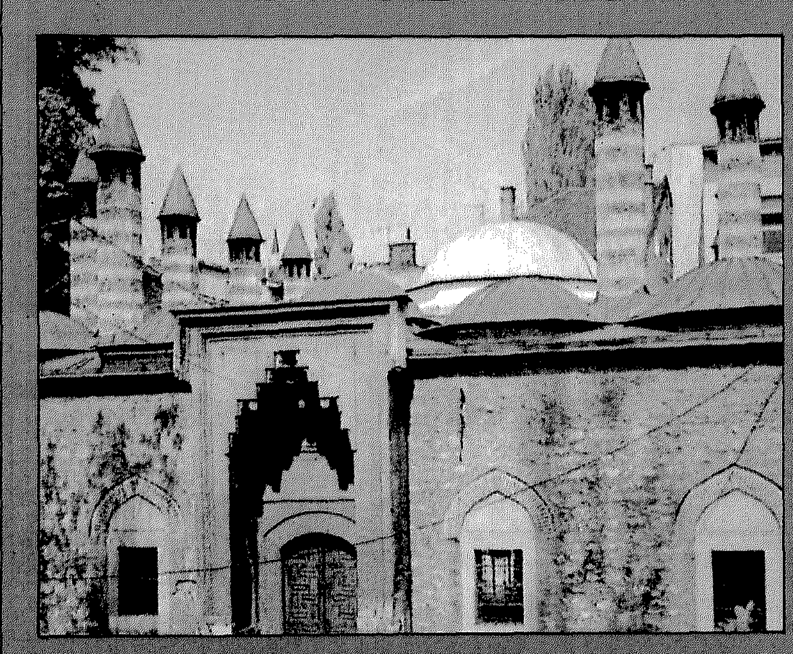
أما المشكلة الثانية : فقد حدثت عندما تعرضت مندوبة جمهورية مقدونيا ، (تاتيانا كوباتشيفا) في اجتماع عقد في بلغراد (لمجلس العلاقات القومية) في عام 1988 م لمسألتيْ الصحوة الإسلامية ، ونمو عدد المسلمين .

ففي المسألة الأولى أرادت المندوبة أن تثير قلق الجميع بتركيزها على اهتمام الأطفال المسلمين بمتابعة الدروس الدينية في المساجد . وذكرت مثالاً على ذلك أن عدد هؤلاء يصل في إحدى المحافظات إلى عشرة آلاف طفل ، ولكن أكثر ما أزعج هذه المندوبة هو ذهاب النساء المسلمات إلى المساجد ، إذ إنها ترى أن ذهاب المرأة إلى المسجد يتناقض مع القرآن ! !

مسجد زغرب ـ يوغسلافيا

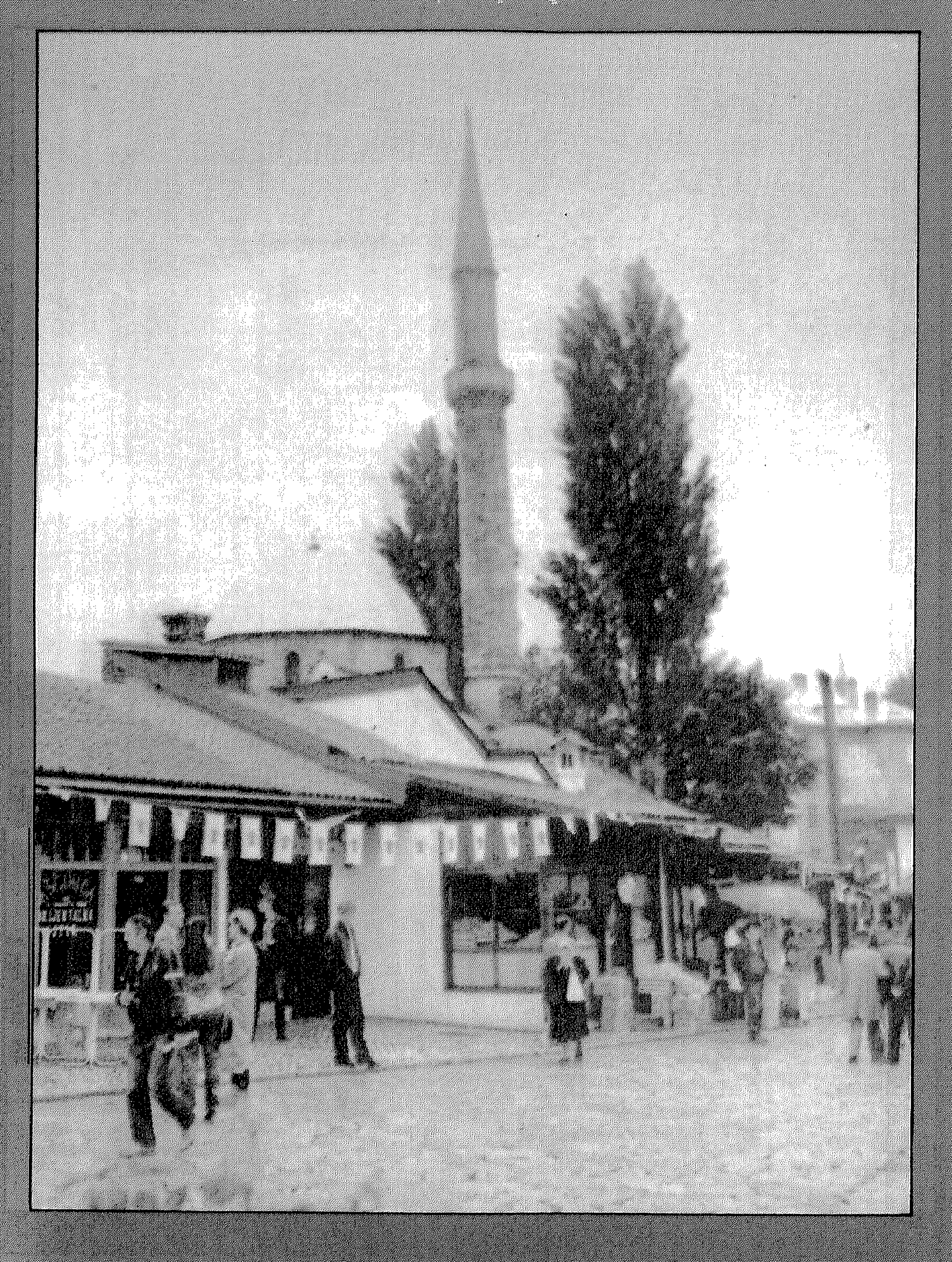


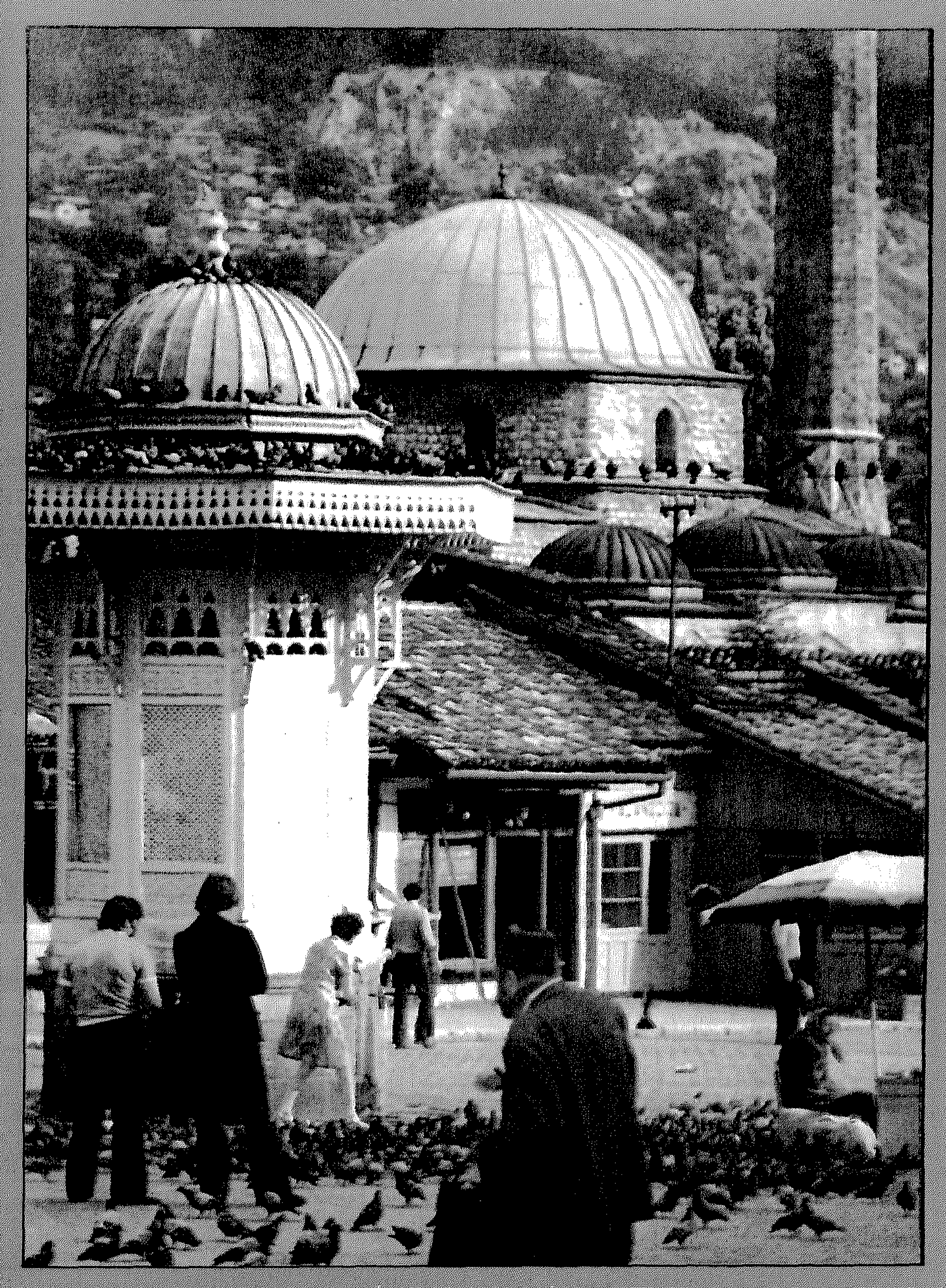
طالب بكلية الدراسات الإسلامية بسراييفو يتلو القرآن الكريم .



واجهة إحدى المدارس الإسلامية في يوغسلافيا.

أحد المساجد في الحي التركي القديم بمدينة سرايفو اليوغسلافية .





الإسلام يستأنف دوره من جديد في أوروبا

أما المسألة الثانية التي تتعلق بنمو عدد المسلمين فقد أوضحت أن الأمر يتعلق بما أسمته « بمؤامرة » إذ إن نسبة تزايد المسلمين وصلت إلى 16% بينما عند الأرثوذكس 4% .

ويبدو أن هذه الآراء التي طرحتها هذه المندوبة المفترية على الإسلام كان صدى لما يقال في القاعدة ـ في جمهورية مقدونيا ـ وبالتحديد لما يحظر هناك فقد صدرت جملة قرارات في الأيام الأخيرة من شهر اكتوبر عام 1987 م : 42 قرارًا معاديًا للمسلمين ، تنص على أشياء مثل قرع الطبل في شهر رمضان المقصود به (جولة المسحراتي) عبر الشوارع لتنبيه الناس إلى وقت السحور . والحد من التوسع في بناء المساجد ، ومنع الأطفال دون السادسة عشرة من ارتياد مدرسة المسجد ، هذا بالإضافة إلى إجراءات للحد من زيادة المواليد عند المسلمين في تلك الجمهورية .

وقرار منع الأطفال من الذهاب إلى المسجد لمتابعة الدروس الدينية ، والقرار حول بناء المساجد ـ كما يؤكد المسلمون ـ يتناقضان بوضوح مع روح الدستور اليوغسلافي الذي ضمن حرية العقيدة ، وحرية التعليم للجميع ، ويكفي أن يقال : إن هذه القرارات تصدر الآن ، أي بعد أربعين سنة من تطبيق الدستور اليوغسلافي ، كما يؤكد المسلمون .

إن خطر هذه القرارات يكمن في أنها تجربة في انتظار ردة الفعل بحيث إذا نجحت في المرور فإن هذا يهدد بتعميمها في بقية الوحدات الفدرالية الأخرى .

محاولة سلخ مسلمي كوسوفو عن دينهم

و إقليم كوسوفو الذي تبلغ نسبة المسلمين الألبان فيه 90% من عدد السكان هو الآخر موضوع صراع متجدد بين الصربية اليوغسلافية وألبانيا ويشهد هذا الإقليم حملة قمع يوميَّة ضد المسلمين تكاد تصل إلى حدِّ المذابح .

وقد بدأت هذه المشاكل حينما أصدرت الحكومة الصربية قرارًا بفرض وصاية الصرب على المسلمين وحرمانهم من حقوقهم الدستورية التي تمتعوا بها طيلة الخمس عشرة سنة ، ورفض المسلمون هذا القرار ، وصمموا على التمسك بكامل حقوقهم السياسية ، وبدأت الانتفاضات في كل أنحاء الإقليم. وهنا تدخلت أجهزة القمع من شرطة الإقليم بوحشية لا مثيل لها ، وأعلنت حالة منع التجول من الغروب إلى الشروق ، وتمت اعتقالات

جماعية . وقد أدى العنف الحكومي وقتها إلى مقتل 137 من المواطنين وسقوط آلاف الجرحى ، واعتقال 400 . وتضم قائمة المعتقلين العشرات من المثقفين والسياسيين ، وأساتذة الجامعات والمعلمين . وأكدت التقارير الواردة من يوغسلافيا أن هناك مؤامرة لسلخ مسلمي إقليم كوسوفو عن دينهم . إذ يعيش الإقليم في حالة طوارىء بصفة مستمرة عندما أعلن عمال المناجم المسلمون في كوسرفو إضرابًا عن العمل احتجاجًا على خضوع مسؤولي المناجم لضغوط الصرب.

إلا أن التصعيد الأخطرقد انفجر إثر تصديق البرلمان المحلي في جلسة حرستها قوات الشرطة المسلحة ، على التخلي عن حق الحكم الذاتي للمقاطعة ، وضمها لجمهورية الصرب ، وفصل المسؤولين المسلمين الألبان بما في ذلك القضاة الذين عارضوا ضم كوسوفو للصرب .

وهكذا انطلق المسلمون الذين كانوا دائمًا يطالبون بحقِّهم في إعلان المقاطعة جمهوريةً مستقلةً ، انطلقوا في شوارع بريشتينا عاصمة كوسوفو للاحتجاج ، كما اندلعت تظاهرات عديدة في مدن أخرى للمقاطعة مما شلَّ الحياة الطبيعية تمامًا ، وفيما كان رجال الشرطة يهاجمون المتظاهرين في الشوارع ، كانت الطيارات المروحية تقذفهم بقنابل الغاز .

ويرى الكثيرون أن لدى المسلمين الألبان في هذا الإقليم العديد من الأسباب للاحتجاج ، ذلك أن الأمر لا يقتصر على عدم تحقيقهم لمطالبهم في الجمهورية المستقلة فحسب ، بل إن حقهم في الحكم الذاتي الذي حصلوا عليه بعد نضال طويل في عام 1974 قد جردوا منه أيضًا . في وقت يؤلِّف فيه المسلمون الألبان ثالث أكبر مجموعة قومية في يوغسلافيا . ويشير الكوسوفيون إلى أن الفئات الأقل منهم عددًا يتمتعون بحقوق الوضع الجمهوري الكامل ضمن الفدرالية اليوغسلافية .

تعديل الدستور لمنح صربيا صلاحيات أكثر

وقد أدى التعديل الدستوري الأخير إلى حرمان المقاطعة من حق تعيين قضاتها . وقوات أمنها وموظفيها ، كما فقد البرلمان المحلي صلاحياته في الاعتراض الدستوري

على المسائل التي ليست في مصلحة مواطنيه ، مقابل تركيز أكثر لصلاحيات برلمان صربيا . فما يقره برلمان صربيا من قوانين تتعلق بوضع إقليم كوسوفو أصبح يطبق مباشرة دون أن يوافق عليه البرلمان المحلي ، كما كان الوضع سابقًا .

الثأر التاريخي

يؤكد الكثيرون أن العداء الصربي للمسلمين ليس حصيلة اليوم ، و إنما يعود في جذوره إلى عام 1389 م ، عندما هزمتهم قوات الدولة العثمانية في إقليم كوسوفو وتمركز المسلمون ،وبخاصة الألبان ، في المنطقة . ولذلك يبدو أن الصرب الذين يتحكمون في جيش وشرطة يوغسلافيا يتحركون الآن بدافع الانتقام والثأر التاريخي . . رافعين رايات العصبية القومية متهمين مطالبةَ الكوسوفيين المسلمين بحقوقهم الدستورية بأنها مقدمة للانشقاق والانضمام إلى ألبانيا لتأليف ألبانيا الكبرى ، وهذه الادعاءات عمَّت الحملة الصربية لتجاهل المطالب المشروعة للمسلمين الكوسوفيين ، والمطالبة بدلاً من ذلك بسيطرة صربيا على كوسوفو ، ومع أحداث كوسوفو ومقدونيا تبدو صورة يوغسلافيا اليوم أنها تعيش حالة توتر متصاعدة في الصراع القومي والديني يزيد من تأججها الأزمةُ الاقتصادية التي تأخذ بخناق تلك البلاد بكاملها.فديون يوغسلافيا العامة بلغت24مليار دولار ، فيما تصاعد التضخم ليصل إلى 400 في المئة ، كما وصلت البطالة إلى 20 في المئة على المستوى القومي ، و إلى 50 في المئة في معظم أجزاء كوسوفو .

ولكن المفارقة أن كوسوفو تنتج معظم الثروة المعدنية في البلاد ، وتتسلم النصيب الأقل من مشاريع التنمية ! !

التأثيرات الإسلامية في الأرض اليوغسلافية

منذ قرون طويلة والأذان يتردد من منارات ومآذن مدينة سرايفو الإسلامية في قلب أوروبا الشرقية حاملاً إلى أصقاعها النائية باستمرار نداء الإيمان وأصداء الهدى ودعوة الحق .

وبرغم مرور تلك القرون ، وما شهدته تلك المنطقة من حروب وأحداث ، ما زالت سراييفو التي تشهد اليوم أكبر المحن ، ما زالت إسلامية الروح والشعائر والطلعة والإيمان .

فقد ترك المسلمون في الأراضي اليوغسلافية العديد من التأثيرات الإسلامية وعمقوا جذورها بين سكان هذه المناطق ، وهذه التأثيرات والعناصر ما زال موجودًا ، وشاهدًا على عظمة ما خلفه المسلمون في كلِّ بقعة وصلوا إليها ، ونظرًا لما للمساجد من أهمية كبيرة ودور متعدد الجوانب في المجتمع الإسلامي ، فقد شيد المسلمون عددًا كبيرًا منها ، وكان عدد المساجد الكبيرة في كلِّ مدينة إسلامية يمثل أحد المؤشرات لأهمية المدينة وضخامتها .

ويعتبر السادس من شهر الفاتح « سبتمبر » 1987 م ، والتاسع من شهر أي النار « يناير » 1988 م يومين مميزين جدًّا في حياة المسلمين اليوغسلاف ، حيث زحف عشرات الألوف منهم من مختلف أنحاء البلاد للمشاركة في الاحتفالين لافتتاح المسجدين الجديدين الأول في مدينة زغرب ، والثاني في مدينة كراجيفيك.

مئذنتان انتصبتا في بلد الألفي مئذنة حيث تشير بعض الأرقام التقديرية إلى أن هناك 2314 مسجدًا في يوغسلافيا بالإضافة إلى 773 مصلى ، و19 خلوة صوفية إلى جانب مئات المدارس القرآنية المنتشرة في مختلف أنحاء البلاد .

الحرية الدينية

والواقع أن مسلمي يوغسلافيا كانوا يعيشون واقعًا مميزًا بالنسبة إلى غيرهم من مسلمي دول أوروبا الشرقية ، فمع أن يوغسلافيا تأرجحت بين الملكية والجمهورية بين الحربين العالميتين إلا أن الدستور اليوغسلافي الذي صاغه الرئيس الراحل جوزيف تيتو والذي اقتضاه الوجود الإسلامي في البلاد يتضمن نصوصًا واضحة لحرية العقيدة الدينية ، إذ إن المادة 174 من الدستور اليوغسلافي تنص على أن: المعتقد الديني مصان باعتباره من الحريات العامة . والمعتقد الديني مسألة شخصية تتعلق بكل مواطن حسب هواه . وللجاليات في البلاد الحرية التامة في ممارسة الشعائر الدينية ، وفي نشر الثقافة الدينية .

وقد أولى المسلمون العرب أهمية خاصة لمسلمي يوغسلافيا باعتبارهم أقدم

جالية إسلامية في أوروبا الشرقية تربطهم بها علاقة قديمة .

وكما يقول بعض المحلِّلين : إن مسلمي الدول الاشتراكية الأخرى المجاورة ليوغسلافيا يدركون جيدًا أن المناطق الإسلامية في يوغسلافيا هي واحة الأمان والطمأنينة بالنسبة إليهم حيث يشعرون عندما يأتون إلى يوغسلافيا بأنهم يتنفسون الجوَّ الإسلامي بملء رئاتهم .

والواقع أيضًا أن الدول العربية الإسلامية تقوم بتغطية القسم الأعظم من تكاليف بناء وصيانة وتجهيز وتشغيل المساجد والمؤسسات الإسلامية في يوغسلافيا ، بالإشارة طبعًا إلى المبالغ التي يُتَحَصَّل عليها من المسلمين اليوغسلاف أنفسهم سواء من صندوق الزكاة الذي يلتزم بتأديتها أكثر من 90% من مسلمي البلاد أو التبرعات التي تجود بها الشخصيات السخية ، كما يقول إمام المدرسة القرآنية في عاصمة جمهورية مقدونيا اليوغسلافية .

المسلمون اليوغسلاف معروفون بصلابة تمسكهم بتعاليم وشعائر الدين الحنيف ، ويتمثل ذلك بنوع خاص في الإقبال العظيم على اقتناء نسخ المصحف الكريم . إذ صدرت مؤخرًا في مطلع عام 1988 م الطبعة السابعة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وهذا الرقم كبير جدًّا بالنسبة لبلد إسلامي أوروبي خاصة وأن كل طبعة قرآنية تتراوح ما بين نصف المليون ، والمليون نسخة .

وبالتأكيد فإن النسخة العربية هي النسخة الأساسية للمصاحف اليوغسلافية لكنهم أيضًا يتداولون مصاحف باللغة العربية والصربية معًا ، كما ظهرت منذ مدة أيضًا ـ ولأول مرة ـ نسخة باللغة الألبانية بالإضافة إلى نسخة أخرى على وشك الصدور باللغة المقدونية فقط .

ويملك مسلمو يوغسلافيا عددًا كبيرًا من مؤسسات الإعلام الدينية المختصة بنشر الصحف والمجلات الإسلامية وغيرها من المنشورات الإسلامية .

كل هذا التاريخ والتراث والتأثير الإسلامي يعضُّ عليها المسلمون هناك بالنواجذ . .

ولذلك فإن الاضطرابات والتوترات التي جرت في كوسوفو ومقدونيا ، والغضب الذي يساور الصربيين ، والسخط الذي امتد إلى بقية الجمهوريات يؤلِّف مزيجًا لا يبشر بخير بالنسبة لوحدة يوغسلافيا ، ويصرح المسلمون في كوسوفو بأنهم سيواصلون الاحتجاج

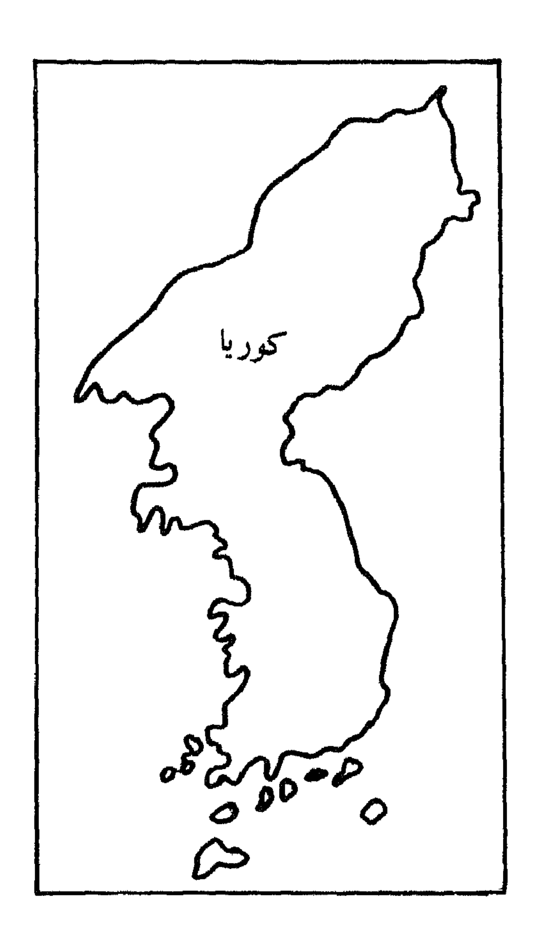
يوميًّا على رغبة الصرب في سلخهم من هويتهم ودينهم ولغتهم وثقافتهم وحكمهم الذاتي الذي حصلوا عليه عبر جهاد طويل .

إن الصراع الديني الذي يدور في السنوات الأخيرة في يوغسلافيا، يعود بالدرجة الأولى إلى محاولة بعضهم فرض سيطرته على المسلمين بالقوة.. ومحاولة نزعهم من انتمائهم القومي والديني.

إن أي محاولة للقفز فوق القضايا الدينية أو القومية أو تجاهلها سوف تؤدي إلى مزيد من التعصب القومي أو الديني.

وعالمنا الإسلامي مطالب اليوم وبشكل ملح، بالعمل بكل الطرق واتخاذ كل السبل لتأكيد الثقة في نفوس المستضعفين داخل مختلف الأقطار، تنفيذاً للواجب الذي يمليه علينا ديننا الإسلامي الحنيف، ورسالتنا الحضارية السامية، القائمة على انتصار الحق والعدل، وتأكيد كرامة الإنسان دون تمييز بسبب اللون أو العقيدة أو الجنس.

مستقبل الإسلام في كوريا



الأقليات المسلمة في مختلف أنحاء العالم واجهت وتواجه اليوم ظروفًا صعبة وغاية في التعقيد ، وتعيش في كثير من الأحيان في ظل أوضاع سياسية ظالمة ، ووسط جماعات لا دين لها ، وظروف اجتماعية قاهرة تلاحقهم فيها شرور العنصرية البغيضة ، لتضطهد وتغتال وتقتل في وضح النهار .

لكن مسلمي كوريا يمثلون حالة استثنائية ، والأفضل وضعًا في هذا المجال ، فالملاحظ أن ما حققه الإسلام في كوريا خلال الفترة القصيرة التي انتشر فيها ، يدل دلالة واضحة على أن الشعب الكوري قد رحب بالإسلام وبتعاليمه بعد أن وجد فيه العدالة والعزة والكثير الذي يتلاءم وتقاليده . وهذا ما يجعلنا نتوقع أن سيكون للإسلام هناك مستقبل واعد في القادم من السنوات ، لأسباب نذكر منها : ـ

إن خمسًا وستين في المئة من الكوريين لا يتقيدون بأي دين خاص . وإن خمسًا وثمانين في المئة رجالاً ونساءً متعلمون ويتمتعون بثقافة عالية جدًّا ، وإن عشرات العادات والتقاليد الكورية تتماشى إلى حدٍّ ما والعادات الإسلامية ، كما أنه لا يوجد بين الكوريين والعرب والمسلمين أي نوع من المشاكل أو العداوة التاريخية . إلى جانب أن الحكومة تتجه نحو الانفتاح على الوطن العربي والعالم الإسلامي في كثير من سياساتها الآنية والمستقبلية .

الإسلام يجد ترحيبًا كبيرًا من الكوريين

يذكر المؤرخون أن الإسلام في كوريا لم يلاق ما لاقته الكاثوليكية سابقًا من رفض واضطهاد وأذى ومحن . حين برزت على الأرض الكورية لأول مرة . وذلك لأن التعاليم الكاثوليكية قد خالفت كثيرًا تقاليد الشعب الكوري القديمة الموروثة أبًا عن جد .

ويقال : إن أصحاب الديانة الكاثوليكية قد قاموا بحملة واسعة لإلغاء التقاليد الكورية المتأثرة بالعادات الفطرية « حسب اعتقادهم » ، كما خالفت الكاثوليكية نظام التقاليد الشعبية الأخرى المعمول بها في كوريا . ولهذا السبب أصدرت الحكومة الكورية آنذاك مرسومًا حكوميًّا لا يعترف بالكاثوليكية . وإثر صدور هذا المرسوم ، قام الشعب

الكوري بحملة واسعة ضد الكاثوليكيين وصلت إلى درجة القتل ، خاصة أولئك الذين يرفضون أداء الطقوس الدينية الموروثة « حسب اعتقادهم » ، والمتعلقة بذكرى الأم .
ويذكر المؤرخون في هذا الصدد حادثتيْ « سين لوساوك » عام 1801 م و « كي هاي ساوك » عام 1939 م ، حيث قتل أكثر من 500 شخص من الكاثوليكيين .
بينما لم يتعرض الإسلام إلى هذه التجربة القاسية ، بل وجد ترحيبًا كبيرًا حيث إن معظم التقاليد الكورية الموروثة تتماشى مع التعاليم الإسلامية كما سنلاحظ بعد حين .

الشعب الكوري موحِّدٌ بالفطرة

وهنالك عوامل إيجابية كثيرة ساعدت على انتشار الإسلام في كوريا ، وعلى رأسها سهولة فهم الكوري لعقيدة الإسلام وتقبله لها . فقد تجاوب الشعب الكوري مع الإسلام لأنه شعب يؤمن بالتوحيد « فطريًّا » . ويلاحظ أن الكلمة القديمة في اللغة الكورية التي تعبر عن الإلٰه هي كلمة « هانانيم » أو « هانونيم » التي تعني « أحد » ، أو « الواحد » أو « الوحيد » هذا معنى الكلمة الوحيدة التي تستعمل للتعبير عن الله في اللغة الكورية إلى يومنا هذا .

ونجد هذه الكلمة في النشيد القومي الوطني ، الذي ينشده الشعب الكوري مرتين في اليوم ، عند بداية العمل الرسمي وعند نهايته . ويقول هذا النشيد : « إن بلادنا ستحفظ تحت رعاية الله وحفظه » .

ويقول المؤلِّف « حسن محمد كتبي » : « إن دين الكوريين الذي يقوم على أساس توحيد الله كفيل بأن يجعل تعاليم الإسلام مقبولة لديهم ، لأن الأصل في الخلاف على الأديان في توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، أما ما عدا ذلك ، فإنها تعاليم لتنظيم الحياة على الأرض » ثم يقول : وقد وجدتُ في هذه البلاد تقبلاً عظيمًا لتعاليم الإسلام لأنها تحقق للبشر السلام والحرية والمحبة » .

بعض العادات والتقاليد الكورية التي تتقارب مع الإسلام

يذكر كثير من الكتاب والزائرين لكوريا أن بها كثيرًا من العادات والتقاليد ما يتلاءم والروح الإسلامي وتعاليمه ، ويذكرون وضع المرأة ، والأخلاق ومناهج الحياة العائلية ، وبعض العادات الاجتماعية العامة . . ويقولون : إن المرأة الكورية في القديم كانت تلبس الحجاب وتواري وجهها خجلاً ، وكان زواج الفتى والفتاة لا يتم إثر لقاء عابر في الشوارع أو المنتزهات العامة كما هو موجود في المجتمعات الغربية ، بل لا بد من رضي والديْ الفتى والفتاة بمعنى أن الزواج لا يتم إلا « بوليٍّ » .

وقد نقل الدكتور صالح سامرائي عن الرشيد إبراهيم « العالم والمفكر الروسي » الذي زار بلدان الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا قبل أكثر من سبعين عامًا ، أن من جملة ملاحظاته على النساء الكوريات أنهن يلبسن الحجاب ، وهذا التستر والحشمة هي سمة ملابس أكثر الكوريات حتى يومنا هذا ، جلابيب فضفاضة تستر سائر الجسم ، وأكمام حتى الكفين . بالإضافة إلى أن غض البصر ، والعفة ، وعدم التبرج ، وعدم دخول البيوت إلا بإذن ، من صميم الأخلاق الكورية .

كذلك يفضل الشعب الكوري الملابس البيضاء ، ويلازم التيامن في الأكل والشرب .

بل هناك ما هو أكثر من ذلك ، فالنساء الكوريات اللاتي يموت أزواجهن يمكثن مدة معينة في بيوتهن دون زواج مما يقابل عدة المتوفَّى عنها زوجها في الإسلام .

أما في مجال العلاقات الاجتماعية ، فإن إكرام الضيف ، واحترام الجار ، وتقديره ، وإسداء النصح إليه ، وزيارته عند مرضه ، والوقوف إلى جانبه في أفراحه وأتراحه ، ونصرته ، من صميم العلاقات الاجتماعية الكورية .

هكذا نجد أن كثيرًا من الأخلاق والعادات الكورية تتوافق إلى حد ما مع الأخلاق والعادات الإسلامية ، وكأنها منبثقة منها . إلا أن الثقافة الغربية عملت على نشر الفساد الأخلاقي ، وتدمير القيم السامية ، وتخريب العادات والصفات الحميدة ، مما جرَّ على الشعب الكوري شرورًا كثيرة .

كوريا حديثة عهد بالإسلام

يؤكد الكثيرون أن الإسلام دخل إلى كوريا خلال الحرب الكورية بين الشمال والجنوب ، بفضل الوعاظ الأتراك المسلمين الذين صاحبوا الجيش التركي المساهم في قوات الأمم المتحدة بين عاميْ 1950 و 1953 ، فكان الإسلام آخر الديانات السماوية التي اعتنقها الكوريون .

وتَمَّ تأسيس اتحاد مسلمي كوريا حديثًا عام 1960 حيث نشطت حركة اعتناق الإسلام بفضل وجود عدد كبير نسبيًّا من المهندسين والعمال الكوريين الذين يقومون بأعمال التشييد في الوطن العربي ، في مشاريع تتولاها الشركات الكورية منذ أوائل 1970 .

وقد تَمَّ تشييد مسجد سيول عام 1976 الذي أُقيم على الطراز المعماري التقليدي ، وافتُتِحَ في احتفال شهده أربعون من ممثلي العالم الإسلامي ، ثم افتتحت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مسجدًا بمدينة بوسان بكوريا الجنوبية وأُطلق عليه اسم « مسجد الفاتح » ثم توالى إنشاء ستة مساجد أخرى في مختلف أنحاء كوريا ، وقد أُقيم آخر مسجد عام 1986 م .

يبلغ عدد المسلمين في كوريا الجنوبية نحو 31 ألف مسلم بينهم 18 ألفًا في العاصمة ، وهو عدد ليس بالقليل بالنسبة لدخول الإسلام حديثًا ولفترة لم تتجاوز كثيرًا ثلاثين عامًا .

الاهتمام بتعليم اللغة العربية

ويذكر أحد أساتذة جامعة هانكوك للدراسات الأجنبية أن هناك عددًا لا بأس به من الطلاب سواء من المسلمين أو غير المسلمين الراغبين في دراسة اللغة العربية يدرسون في الكليات الجامعية ، حيث افتُتِحَتْ في ثلاث جامعات كورية أقسام للغة العربية والدين الإسلامي .

ويقول عن سر الاهتمام بتدريس اللغة العربية في كوريا : « إن الدافع إلى ذلك في بعض الأحيان ، أسباب اقتصادية نابعة من اتجاه الدولة إلى توثيق العلاقات مع الأقطار

العربية ، وبخاصة مع تزايد أنشطة التبادل التجاري مع هذه الأقطار في الفترة الأخيرة . فهناك مصالح اقتصادية تحتاج إلى فتح باب تعليم اللغة العربية وبخاصة في مجال الترجمة . وهذا هو دافع غير المسلمين في الأساس للدراسة في أقسام اللغة العربية .

أما بالنسبة للمسلمين من الدارسين وأغلبهم من الطبقات المثقفة فلا شك أن الدوافع الأكثر أهمية تتعلق بفهم الإسلام وتصحيح العقيدة الإسلامية بالنسبة للآخرين . فجميع المراجع والكتب التي كُتِبَتْ عن الإسلام ودرسها الطلاب كانت مترجمة إلى الكورية عن اللغة الانجليزية وبأقلام غربية ، كانت تتعمد باستمرار إعطاء صورة سيئة ومشوَّهة عن الإسلام ، وهي نتيجة وجهات نظر الكتاب المتحيزين الذين يتجاهلون إيجابيات الإسلام .

سفارة العدو الصِّهيونـي تشوِّه الإسلام فـي كوريا

كما ان السفارة الصِّهيونية التي كانت موجودة في كوريا قبل سنوات قد لعبت دورًا كبيـرًا في نشر الكثير من الأكاذيب والافتراءات والكتب المضللة المليئة « بالإسرائيليات » التي قرأها الطلاب والمثقفون الكوريون ، ولذلك فإن المعلومات الموجودة في كوريا أغلبها مزيفة وبعيدة عن الحقيقة .

ويتم تشجيع الطلاب المسلمين لتعلم اللغة العربية ليتاح لهم دراسة الدين الإسلامي بلغة القرآن ، ونقل المعلومات الصحيحة عن هذا الدين القويم . وقد بُذِلَتْ محاولات لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الكورية قام بها عدد من الأساتذة إلا أنها لم تنجح كثيرًا ، حيث لم يستطيعوا إبراز المعاني القرآنية كما يجب أن تكون ، لأنهم أخذوا الترجمة عن اللغة اليابانية . وهناك مساعٍ حميدة تُبْذَلُ الآن لتأليف لجنة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الكورية ، تضم عددًا من الأعضاء المتفهمين القادرين على هذه الترجمة . وهو أمر حين يتم إنجازه سيفتح الطريق أمام آلاف كثيرة من الدينيين واللادينيين في كوريا وغيرها لفهم الإسلام واعتناقه .

ومن خلال المنظور السياسي الكوري ، فإن الدلائل تشير إلى أن الإسلام أمامه فرص عديدة للانتشار في ربوع كوريا إذا ما توفرت له الإمكانات في ظل الحياد الذي تنتهجه

الحكومة الكورية في موضوع الأديان .

ولعل ما يساعد على انتشار الإسلام في كوريا أن دستورها قد أكد حرية العقيدة إلى جانب أن موقف المجتمع الكوري المرحِّب تجاه المسلمين لا يوجد له شبيه في البلدان ذات الأقليات المسلمة . حيث تهضم حقوقها ، وتطارَد في عنصرية بغيضة لتُستأصَل شأفتها : ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ** * ﴾ .

والحكومة الكورية لا تدخر جهدًا في تدعيم علاقاتها بالعرب والمسلمين كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً ، فقد أكد رئيس وزراء كوريا عام 1980 في الاجتماع الذي حضره 65 وفدًا من 14 دولةً عربيةً و إسلاميةً بمناسبة افتتاح المسجد المركزي في « بوسان » ووضْع الحجر الأساس لبناء الكلية الإسلامية ، أكد أمام الضيوف أن كوريا في أمسِّ الحاجة إلى توطيد علاقات روحية ودينية مع الدول العربية والإسلامية إلى جانب العلاقات الاقتصادية .

كما أكد من جهة أخرى عند اجتماعه في 1981/7/21 م بضيوف آخرين : إن كوريا لم تهتم في الأيام الماضية إلا بالتنمية الاقتصادية ، والآن قد شعرت بحاجة ماسة إلى تنمية علاقات روحية ، وقد حان الوقت للدول العربية والإسلامية أن تشارك في المرحلة الأولى لهذه التنمية الروحية ، وبثها عن طريق الإسلام وثقافته .

بعض المشاكل التي تواجه المسلمين

تواجه الأقليات المسلمة التي تعيش في بلدان الشرق الأقصى مشاكل كثيرة ومعقدة ، لكن مسلمي كوريا يعتبرون أفضل وضعًا في هذا المجال . . . ففي كوريا الجنوبية يعيش المسلمون وسط بحر متلاطم من الأديان كالمسيحية والبوذية والكونفشيوسية وغيرها . وبالرغم من عدمية التكافؤ في امتلاك الوسائل والإمكانات فإن المسلمين هناك متفائلون بأن المستقبل سيكون لهم . وينتظرون من إخوانهم في مختلف أنحاء العالم الوقوف إلى جانبهم ودعمهم لشق طريقهم الواعد بثبات .

ويمكن إجمال المشاكل التي يتعرضون لها في الآتي :

مشاكل تعليمية ، ولغوية ، ومالية ، وثقافية ، ومشاكل تدخل في صميم الدعوة الإسلامية .

المشاكل المالية

تعترض مسلمي كوريا بعض المشاكل المالية في مجال تشييد المساجد وصيانتها و إدارة المراكز الإسلامية ، وفي مجال المطبوعات الإسلامية ، وكذلك في مجال تنفيذ البرامج المستقبلية بعيدة المدى في تلك الظروف الصعبة . حيث يشاهدون الاعتمادات المالية الضخمة والصرف الباذخ من قِبَلِ أصحاب الديانات الأُخَرَ ، في الوقت الذي نجد فيه مصدر التمويل لمشاريع التنمية الإسلامية في كوريا ، ونشر الدعوة الإسلامية في منظمة اتحاد المسلمين الكوريين يأتي من بعض الدول الإسلامية إلى جانب المساعدة غير المباشرة من الحكومة الكورية بفعل الشركات العاملة في المنطقة العربية . الشيء الذي يضع على عاتق المسلمين دولاً وهيئاتٍ ومنظماتٍ ومؤسساتٍ مسؤوليةَ الوقوف إلى جانب إخوانهم الكوريين ودعمهم ومساعدتهم ليأخذوا دورهم الريادي في تلك المنطقة الزاخرة بالديانات .

التعليم الإسلامي في كوريا

إلى وقت قريب لا توجد في كوريا مدارس أو معاهد أو جامعات تُعْنَى بالتعليم الإسلامي ، حتى فتحت جامعة هانكوك للدراسات الأجنبية قسمًا للغة العربية عام 1965 م . حيث يدرس في هذا القسم بعض المواد الإسلامية ، مثل تفسير القرآن الكريم ، تاريخ الثقافة الإسلامية إلى جانب اللغة العربية ، ثم توالى بعد ذلك فتح المدارس الإسلامية .

ويرجع انعدام المدارس الإسلامية في الماضي إلى عدم وجود مبادرات من المسلمين لفتح مثل هذه المدارس ، في حين أن أصحاب الديانات الأُخَرَ أسسوا مدارسَ عديدةً يدرسون فيها تعاليم أديانهم .

وتظهر حقيقة المأساة عندما يعلن أحد الكوريين : « نحن لا نفهم كلمة واحدة من القرآن الكريم لأنه باللغة العربية »! ! . .

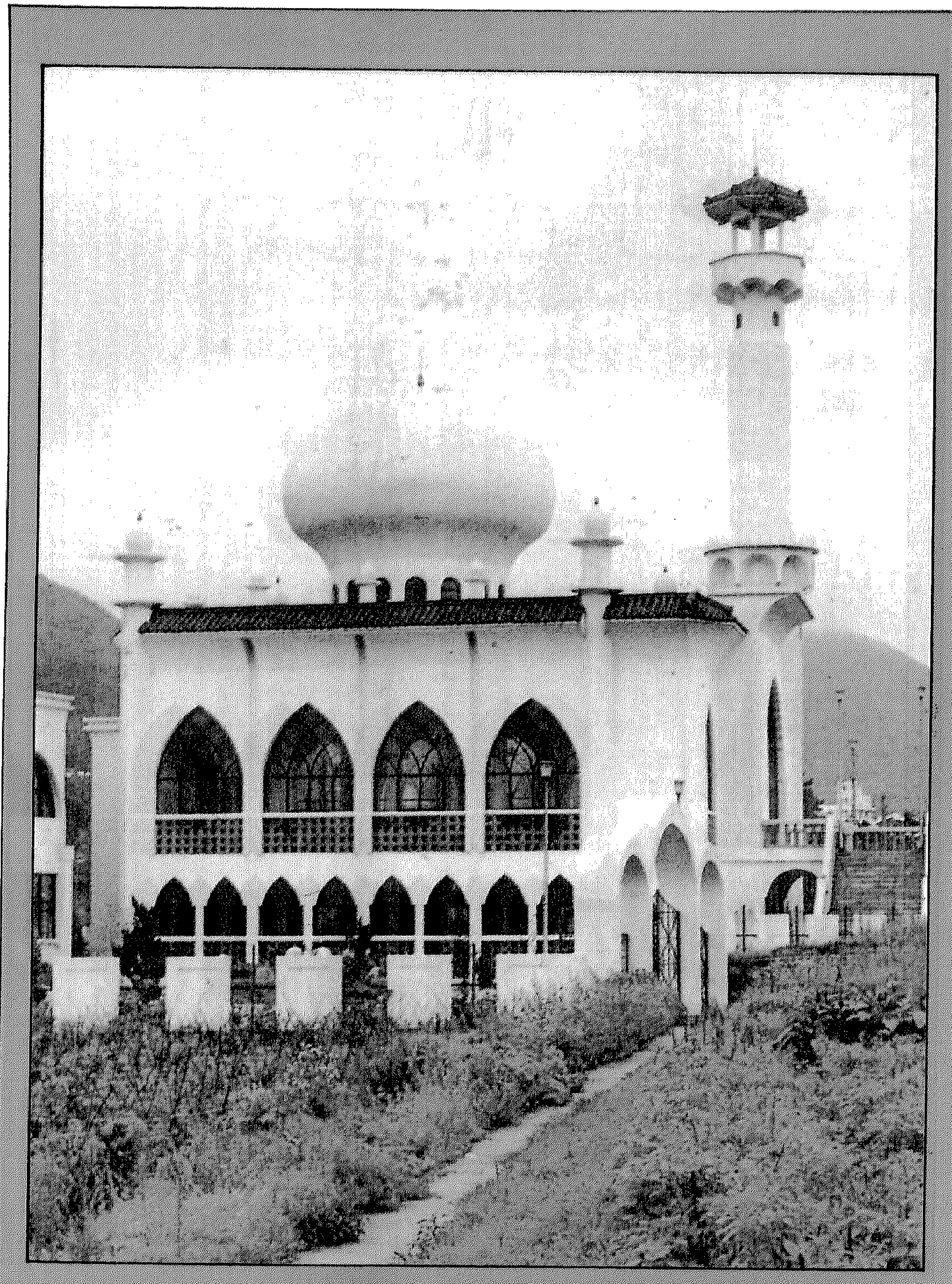
ويقول « شين هيون » نائب رئيس الحكومة الكورية السابقة : « إن هذه العلاقات العربية الكورية التي نشهدها اليوم تعتبر جديدة ، وقبل ذلك كان شعبنا يجهل الوطن العربي والوطن العربي يجهل وجودنا ، ولكن الحال تغيَّر منذ عام 1973 عندما احتجنا إلى المزيد من النفط ، وإلى المجال الحيوي لشركاتنا ومهارة عمالنا » .

ويلاحظ أن هناك رغبةً عميقةً في نفوس الشباب الكوري وبخاصة أولئك الذين يتلقون دروسًا في اللغة العربية بجامعة « هانكوك » وجامعة « ميونغ جي » وجامعة « بوسان » لدراسات اللغات الأجنبية ، فهؤلاء تحدوهم الرغبة الأكيدة في التعرُّف إلى الوطن العربي والعالم الإسلامي ، وإلى تعاليم الإسلام . والإلمام بأحوال البلدان العربية والإسلامية ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحيوية . ولعل في تأسيس الكلية الإسلامية بسيول استجابةً وإشباعًا لرغبة هؤلاء الطلاب وتحقيقًا لبعض آمالهم .

العلاقات الاقتصادية بين كوريا والعالم الإسلامي

إذا كان هيكل الاقتصاد الكوري يعتمد كثيرًا على حجم الصادرات من البضائع والخدمات ، فإن كوريا تعتمد على تعاون كبير في المجال الاقتصادي مع الدول العربية والإسلامية . وقد أوضح ذلك نائب رئيس الحكومة الكورية السابق « شين هيون » حيث قال : « إننا نعتمد كثيرًا على الصادرات إلى الدول العربية ، ومقابل ذلك نحن نؤمِّن عددًا من المشاريع في السنوات الأخيرة في هذا المجال ، فنحن مدينون للدول العربية ، ونحن في حاجة إلى الدول العربية » .

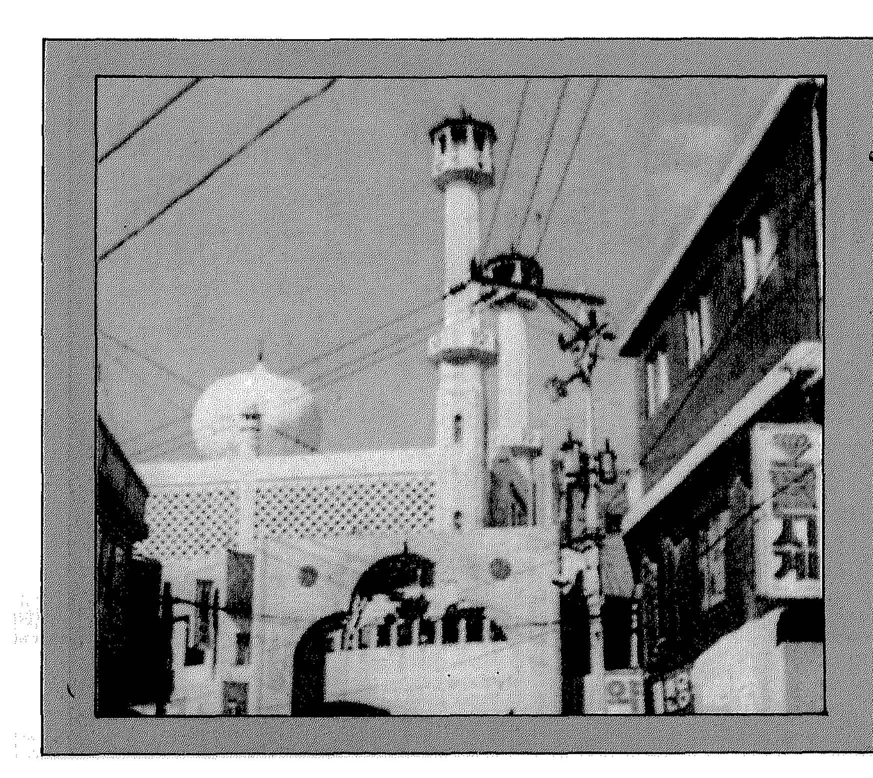
ووصل عدد الشركات الكورية المنجزة لمشروعات التنمية الاقتصادية في الدول العربية والإسلامية إلى أكثر من 55 شركة عام 1973 م ، وهذا يمثل 90% من الشركات التي لها ترخيص رسمي للعمل في الخارج . ويبلغ عدد العمال والمهندسين الذين يعملون في الدول العربية والإسلامية 162402 وهذا العدد يمثل 92% من العمال الكوريين العاملين في الخارج .



مسجد الفاتح « ببوسان » .



بعض الذين
اهتدوا
بهدى الله تعالى
ودخلوا في
الإسلام أفواجًا ،
يستمعون لدرس
في العبادات من
أحد دعاة جمعية
الدعوة

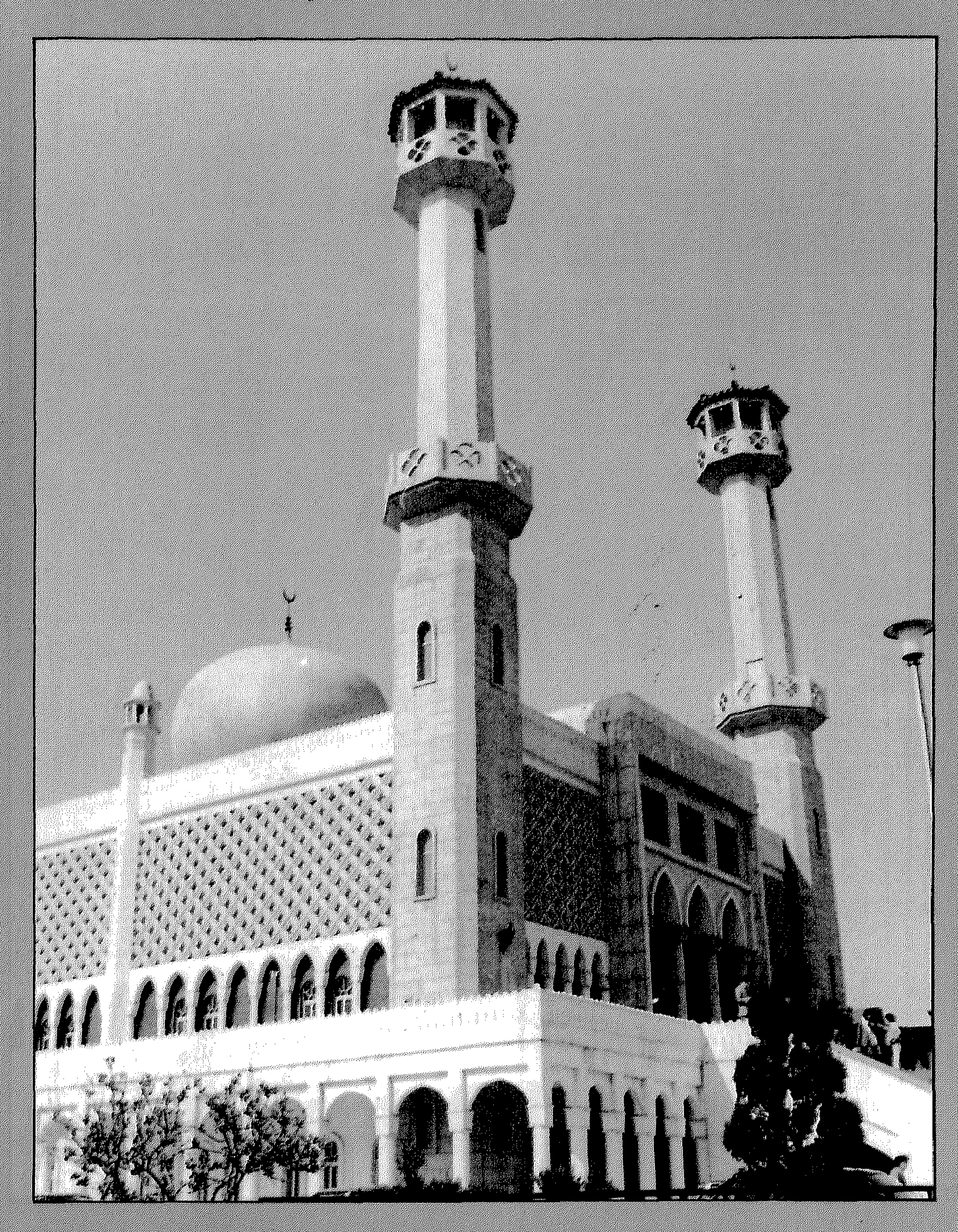


أحد المساجد في
قلب العاصمة
الكورية.

منظر عام للعاصمة سيول بعماراتها الحديثة .

واجهة أحد المساجد يمتزج فيها الطراز الإسلامي بالفن المعماري الكوري في هندسة رائعة.

مسجد سيول ساهمت جمعية الدعوة الإسلامية في إنجازه .



وبرغم هذه الأرقام فإن عدد جميع العمال الكوريين الذين عملوا في الدول العربية والإسلامية مؤخرًا لا يمكن أن يُحصَى بدقة ، ويقال : إن عدد هؤلاء قد بلغ في الفترة ما بين 1973 و 1983 مليونًا أو أكثر . والمهم في أمر هؤلاء العمال والمهندسين أنهم قد تعرَّفوا في البلاد العربية والإسلامية إلى طريق الحياة ونمطها ، وإلى العادات ، والتقاليد ، ومناهج التفكير ، وأساليب المعاملات في هذه البلاد ، وهناك من دخل الإسلام منهم ، فهؤلاء يمكن أن يصبحوا جسرًا للتواصل بين الكوريين والمسلمين ينقلون الصورة الحقيقية للإسلام ، ويساهمون قدر المستطاع في إزالة الصورة القاتمة حول الإسلام ، والتي تنشرها وسائل الإعلام الغربية المتحيزة داخل كوريا .

المسلمون منتشرون في معظم مجالات الحياة

والمسلمون في كوريا اليوم ـ مع قلة عددهم ـ منتشرون في معظم ميادين الحياة ، ومنهم من يتمتع بمناصب عالية في الدولة ، ومنهم أساتذة جامعات ، وأصحاب شركات ، ورجال أعمال ، وعدد لا بأس به من المهندسين والأطباء والمدرسين ، وفي كوريا برغم صغر مساحتها تسع وتسعون جامعة ، وهذا يدل على مدى أهمية التعليم والثقافة لدى الشعب الكوري.ولا شك في أن للمدارس والمعاهد والجامعات دوراًفاعلاً في تربية النشء وتكوين ميولهم واتجاهاتهم .

ومن هنا نشأت فكرة إقامة أول مركز تعليمي إسلامي في كوريا لتربية الأجيال على أساس تعاليم القرآن الكريم والشريعة الإسلامية ، بدون هذا يصعب نشر الوعي الإسلامي بين قوم تنتشر بينهم الأفكار المسمومة والتي تصل في كثير من الأحيان إلى درجة الإلحاد .

دور اتحاد مسلمي كوريا في نشر الدعوة الإسلامية

ولاتحاد مسلمي كوريا دور كبير في نشر الدعوة الإسلامية حسب إمكاناته بإلقاء الخطب ، والمحاضرات ، وترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغة الكورية ، وطبعها ،

وتوزيعها ، وبإصدار مجلة إسلامية ، ومجلة أخرى تصدرها منظمة الطلبة والشباب الإسلامي التابعة للاتحاد ، وهذه المنظمة تقوم بنشاط بارز وسط طلاب الجامعات .

وقد أوفدت الجماهيرية العظمى خمسة دعاة مساهمة منها في حل هذه المشكلة ، ثم توالى وصول الدعاة من باكستان وتايلاند من قِبَلِ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ومن السعودية ، وسوريا ، والكويت . لكن تبقى الصعوبات التي يواجهونها في اللغة التي تحتاج إلى فترة زمنية ، وعدم توفر الكتب والمطبوعات الإسلامية الأساسية بما في ذلك القرآن الكريم نفسه باللغة الكورية .

ويقول بعض المشتغلين بالدعوة : إنه لا يمكن للمركز الإسلامي بسيول بإمكاناته الحالية أن يلبيَ طلبات الأعداد الهائلة من الزوار الكوريين الذين يطرحون الأسئلة على الدعاة الذين يجيبونهم باللغة الانجليزية التي لا يعرفها معظم الكوريين . وكثير من الكوريين يزورون المركز الإسلامي يريدون أن تكون لديهم معرفة أعمق بالإسلام ، ويطلبون كتبًا باللغة الكورية ليتسنّى لهم اعتناق الدين الإسلامي .

ويرى بعض المتتبعين لحركة انتشار الإسلام في كوريا أنه ما لم يوجد دعاة وعلماء كوريون متخصصون فإنه من الصعوبة أن يتحقق تدريس المعرفة الإسلامية ونشر الدعوة الإسلامية خاصة في مستوى رفيع للطلبة وفئة المثقفين ، فاللغة تظل مشكلة المشاكل التي يجب التغلب عليها حتى يتسنى للدعوة الإسلامية أن تشق طريقها في سهولة ويسر في تلك المنطقة البعيدة .

أهمية تأهيل الدعاة

من هنا كانت أهمية أن يكون الدعاة مؤهلين بكلِّ ما يتصل ويساعد على نجاح مهمتهم خاصة إذا كانت الدعوة وسط شعب بعيد يختلف ثقافيًّا وحضاريًّا وفكريًّا عن أمة عاشت في رحاب الوحي الإلٰهي .

هذا ، مع الأخذ في الاعتبار أن أكثر من 98% من الشعب الكوري رجالاً ونساءً هم متعلمون ومثقفون وأكثر من 80% منهم نال تعليمًا عاليًا . لذلك يجب أن يكون الداعية في مستوى هذا التأهيل ، وأن يركز بشكل أكبر على دراسة الأديان المقارنة ، واللغة المحلية

والثقافة والتقاليد في المنطقة . ويجب أن يأخذ بعين الاعتبار أن كثيرًا من المبشرين المسيحيين الذين جاؤوا إلى كوريا يجيدون اللغة الكورية بطلاقة ويعرفون الثقافة والتقاليد الكورية قبل أن يصلوا إلى كوريا . فالمنافسة على أشدها ، لذلك يجب أن يكون الداعية في المستوى المشرِّف عارفًا بأمور دينه ودنياه ليصبح مثالاً يُحتّذَى وينجح في أداء رسالته .

ولعل الداعية الكوري الوحيد الذي ينظر إليه الكوريون بإعجاب وتقدير الداعية « أحمد محمد بارك تشول » الذي أصبح له تأثير كبير ومباشر على مسار الدعوة الإسلامية بمستوًى لم يسبق له مثيل خلال تاريخ الإسلام في كوريا ، فقد بذل كلَّ مرتخص وغال في سبيل نشر الدعوة الإسلامية كداعية ورئيس لمجلس إدارة مؤسسة يوك يونج للتعليم .

كان « أحمد بارك » هذا قد أسس قبل ثلاثين عامًا مدرسة « نامدو » المتوسطة للبنات . وبعد أن اعتنق الإسلام عمل داعية بين المدرسين والطالبات في هذه المدرسة التي تضم 50 معلمًا و 2000 طالبة ، فنشر الإسلام بينهم ، وأصبحت مدرسة « نامدو » المتوسطة للبنات أول مدرسة إسلامية في كوريا اعتنق الإسلام فيها أكثر من 300 طالبة و 20 معلمًا ، ويتزايد العدد يومًا بعد يوم . ولم يكتف الداعية أحمد بارك بهذا فحسب ، بل عمل على تنظيم الرابطة الأخوية بين المدرسة ومراكز الثقافة الإسلامية مع بعض الدول الإسلامية . وقد تبرع بقطعة أرض قيمتها مليون ونصف المليون دولار من أجل بناء مدرسة ثانوية إسلامية ، ويعتبر أول كوري تبرع بمثل هذا المبلغ في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين في كوريا .

الاهتمام بالتعليم يساعد على انتشار الإسلام

ويؤكد المسلمون الكوريون أن علاج مشاكل الدعوة يعتمد كثيرًا على علاج المشاكل التعليمية ، لأن التعليم نفسه دعوة وإرشاد وتوجيه إلى جانب تربية النشء . لذلك يمكن نجاح الدعوة الإسلامية نجاحًا كبيرًا بتعليم الإسلام عن طريق المدارس والمعاهد والجامعات وخاصة في البلدان ذات الأقليات الإسلامية مثل كوريا .

ويشيرون في ذلك إلى المسيحية التي بدأت التبشير بالتعليم المدرسي عندما وصلت

المسيحية منذ 155 عام . ومازالت المسيحية مركزة على المؤسسات التعليمة . والدليل على ذلك مجموعة المعاهد المسيحية ، 421 معهد ومدرسة ، والبوذية 120 ، وهذه الأرقام تشير إلى مدى الرعاية والاهتمام اللذين منحتهما المسيحية والبوذية لنشر عقائدها عن طريق التعليم ، مع أنه لا توجد لدى المسلمين الكوريين أي معاهد أو مدارس فضلاً عن الكليات والجامعات إلا مؤخرًا . لذلك فمن الضروري أن يكون هناك دعم إيجابي لمسلمي كوريا لإنشاء المدارس والكليات الإسلامية ، والتي هي أكثر فاعليةً في مجال الدعوة نظرًا لما يتمتع به شعبها من مستوى عال في التعليم .

كل ذلك إلى جانب توفير الكتب الإسلامية المترجمة إلى اللغة الكورية وبخاصة ترجمة لمعاني القرآن الكريم مما يكون له الأثر الطيب والفاعل في نفوس أكثر من 31 ألف مسلم كوري .

وخلاصة القول : إنه واضح مما تقدم أن حاضر الإسلام في كوريا ـ بالرغم من العوامل السلبية والعوائق التي ذكرت ـ يظل إيجابيًّا نظرًا لوجود العوامل الأساسية الإيجابية العديدة التي ساعدت على نمو الحركة الإسلامية بعد أن كانت بداية غرسه على يد الوعاظ والدعاة الأتراك المسلمين في الماضي القريب .

أما المستقبل فلا شك في أنه يعتمد كثيراً على علاج المشاكل السلبية وتوظيف جميع الإيجابيات المتاحة التي يمكن أن تدفع الإسلام والمسلمين ـ إذا استُغِلَّتْ ووُظِّفَتْ توظيفًا سليمًا ومدروسًا ـ خطواتٍ إلى الأمام في طريق التقدم في تلك المنطقة النائية .

المصادر

كتاب مستقبل الإسلام في كوريا .

صحيفة القبس بتاريخ 1987/2/17 .

مجلة العربي ، العدد « 353 » .

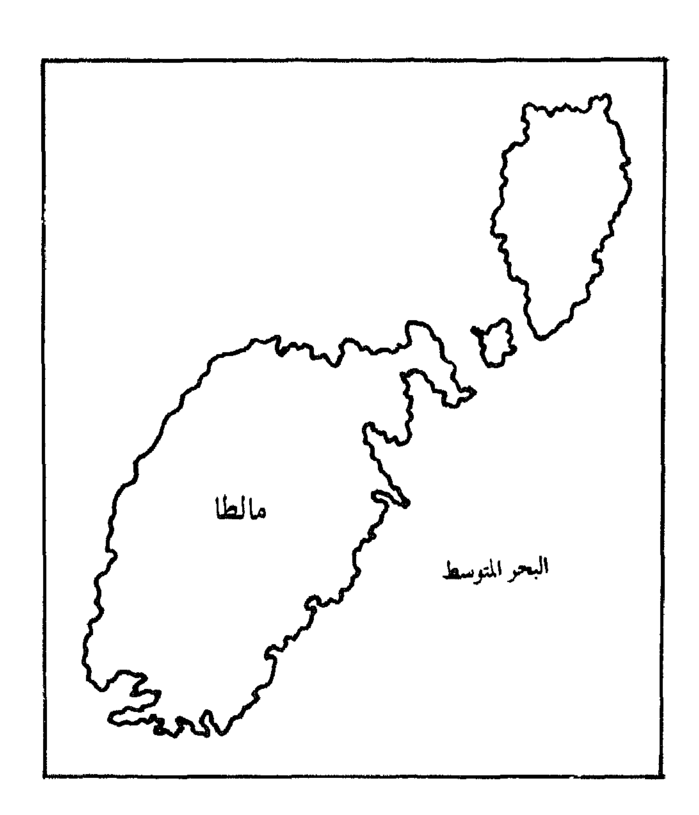
الفصل السادس

المسلمون في الجزائر

(1) مالطا والإسلام .. بين الماضي والحاضر .

(2) المالديف .. الجزائر التي لـم تعرف دينًا غير الإسلام .

مالطا والإسلام
بين
الماضي والحاضر



إذا ألقينا نظرة على خارطة للبحر الأبيض المتوسط ، فإننا سنرى نقطتين صغيرتين أسفل جزيرة صقلية ، وهاتان الجزيرتان هما جزيرتا مالطا وقوزو . ويقول المالطيون : « إن موقع مالطا يؤهلها لتكون جسرًا بين العرب وأوروبا ، بين دول العالم الثالث والغرب . فهم يرتبطون بالعرب بوسائل شتّى . . أصل السكان الذي ينتمي أغلبيتهم إلى أصول إفريقية ، واللغة المالطية ذات الجذور العربية ، والتاريخ المشترك في مراحل عديدة ، وبرغم ذلك تتنازع الجزيرة الحيرة والانقسام بين الشرق والغرب ، تنقسم حول أصل السكان ، وحول أصل اللسان المالطي ، وحول الماضي وآفاق المستقبل .

وهذه الجزيرة استحوذت على اهتمام كثير من الدول والقوى والتكتلات طوال تاريخها ، ولعل موقعها الجغرافي الممتاز الذي تتمتع به كان السبب وراء هذا الاستحواذ وذلك الاهتمام .

في القديم تصارع عليها الفينيقيون والرومان ، ثم تصارع عليها العرب والرومان أيضًا ، وبعدها بقليل استولى عليها « الفرسان » وكان لهم فيها تاريخ تميز بصفحاته السود ، ثم وقعت في دائرة الصراع الانجليزي الفرنسي ، عندما كان نابليون يتخذ خطاه الأولى نحو تشييد إمبراطوريته التي كان يحلم بها . ثم استقر بها الانجليز واستقرت هي في أيديهم زهاء مئتي عام . وكان الانجليز يسيطرون من قاعدتها على المنطقة الغربية لحوض البحر المتوسط ، وكانوا يتخذون منها قاعدة للهجوم على الدول المتحررة والتحررية ، كما حدث في أثناء أزمة السويس عام 1956 م عندما حاولوا إسكات صوت الحق في مصر بطياراتهم المنطلقة من قاعدة مالطا .

ويمكن القول : إن مالطا كانت ذات أهمية خاصة لدى الدول الغربية ، وإن هذه الدول كانت تجعل منها نقطة دفاعية عن جنوب القارة ، وفي مواجهة ما قد تأتي به الرياح من شمال إفريقيا . . كان ذلك هو وضعها زمن الرومان والنورمان ، وكان ذلك هو وضعها في أوج الامبراطورية العثمانية الإسلامية .

ومما ينبغي تذكُّرُه هنا أن فرسان القديس يوحنا عندما طردوا من رودس ، أُجْبِرُوا على قبول مالطا قاعدة لهم . وكان هدف الدول الغربية من وراء ذلك أن ينشغل الفرسان بالأتراك وينشغل الأتراك بالفرسان ، وأن تكون المعارك بينهما وسيلة لامتصاص

الصدمات التركية وضغوطها على أوروبا ، وأن يكون فرسان القديس يوحنا ومعهم مالطا بمثابة الحاجز الذي يتلقى تلك الصدمات .

وكان من أهداف تلك الخطة أيضًا كما يقول صاحب كتاب « مالطا عرض موجز للتاريخ واللغة » الدكتور أحمد طلعت سليمان : أن تعسكر فئة مشهورة بالتعصب الديني في مالطا حتى تكون حاجزًا بين مالطا وعودة الإسلام والمسلمين إليها . ذلك أن مالطا كانت قد اقتطعت من الامبراطورية الإسلامية عام 1595 م على يد الكونت « روجر النورماندي » وبقي فيها أهلها ومعظمهم من المسلمين ، ثم فرض عليهم تغيير دينهم في مرحلة لاحقة . وكان زرع الفرسان في مالطا ـ إن جاز التعبير ـ مقصودًا منه بجانب أشياء أُخَرَ ، أن تعمق تبعية مالطا للكنيسة الكاثوليكية ، وأن يقطع الطريق أمام استرجاع المالطيين لتاريخهم واستعادتهم لحقيقتهم . ولا ريب أن مما له دلالة ذات بال في هذا الشأن أن المالطيين قد احتفظوا بأسماء الأماكن والألقاب على صورتها العربية ، وأضافوا إلى ذلك الاحتفاظ بلغتهم عربية المصدر كما سنرى في الصفحات القادمة .

الموقع الجغرافي

يقع الأرخبيل المالطي وسط البحر الأبيض المتوسط بين خطي طول 15 و 44 وبين خطي عرض 35 و 36 شمالاً ، ويتكون الأرخبيل من جزيرتي مالطا وقوزو « هودج » وثلاث جزائر أخرى غير مأهولة بالسكان .

أما المساحة الكلية للأرخبيل فتبلغ 315 كيلومترًا تشغل منها مالطا 295 كيلومترًا وقوزو 67 كيلومترًا .

الاقتصاد المالطي

وتعتمد مالطا خلال تاريخها الطويل على مصدرين هما ؛ التمويل الخارجي ، والسياحة التي ماتزال إلى اليوم تستثمر بنجاح شديد بسبب طول موسم الدفء في الجزيرة ، وانتشار الفنادق ، والتنظيم الدقيق لشؤون السياحة ، والهدوء النسبي الذي تتمتع به الجزيرة .

أصل سكان مالطا

هناك وجهة نظر تقول : إن أصل سكان مالطا أوروبي ، قدموا من جزيرة صقلية ، وينادون بالانتماء والولاء للغرب سياسيًّا وحضاريًّا ، ويطالبون بالانضمام للسوق الأوروبية المشتركة .

أما وجهة النظر الثانية فترى أن أول من سكن الجزيرة هم الفينيقيون عام ألف قبل الميلاد . وقد تركوا الدم واللغة اللذين كانا تمهيدًا للانصهار الكامل مع العرب فيما بعد . ويؤكدون أن أغلبية السكان قدموا من تونس وشمال إفريقيا ، وهذا يعني انتماء الجزيرة إلى حضارة الشرق و إلى دول العالم الثالث .

ويدلل أصحاب هذه النظرة على موقفهم بما قاله المؤرخ الروماني « ديودوس » عندما وصف مالطة بعد مئة وخمسين عامًا من بداية الحكم الروماني بأنها يسكنها البربر ، وهو ذاته ما جاء في الإصحاح الثامن والعشرين منقولاً عن القديس بولس والذي تحدث إلى سكان الجزيرة بلغة سامية يفهمونها .

ويدعمون وجهة نظرهم هذه بنظرية جغرافية تقول : إن جزيرة مالطا كانت جزءًا من إفريقيا قبل ملايين السنين عندما انشقت الأرض وفصلتها .

علاقة مالطا بالعرب

يعود تاريخ العلاقات بين مالطا والعرب إلى عهود ضاربة في عمق التاريخ ، كما ذكرنا من قبل ، عندما استوطنت جزائر مالطا قبائل فينيقية قادمة من شرق المتوسط ، عندما كانت قرطاجة حاضرة الفينيقيين مركزًا من مراكز الحضارة في ذلك الزمن القديم . وحين شن القائد القرطاجي المغوار « هانيبال » حملته الشهيرة على الإمبراطورية الرومانية لغزو روما ، كان المالطيون طليعة جيشه . وعندما انتهت الحروب « البونية » وهو الاسم الذي تعرف به سلسلة الحروب بين قرطاجة وروما القديمة بهزيمة الأولى ، سقطت مالطا في أيدي الرومان ، ومن بعدهم البيزنطيين ، وبقيت في الأيدي الأوروبية منذ ذلك التاريخ ، حتى جاءها العرب فاتحين عام 870 م و إذا كان العرب جاؤوا مالطة

من تونس كما يؤكد كثير من المؤرخين من أرض قرطاجة ، فكأنما عادت قرطاجة هذه المرة لتثأر لنفسها من منافستها القديمة روما التي هزمتها قبل نحو أربعة قرون .

وبدخول العرب انتهى فصل من فصول التاريخ المالطي ، وبدأت فصول جديدة ، اختلفت فيها الأسماء ، واختلفت الأيدي التي تسلّمتها ، لكن مالطا بقيت بؤرة للصراع بين قوى عديدة نظراً لموقعها الجغرافي الممتاز ، غير أن الصراع الأعنف كان بين العرب والأوروبيين .

وصول الإسلام إلى مالطا

لقد جاءت رسالة الإسلام لتحرر الإنسان من العبودية والظلم والتعصب والخرافة ، ولتقضيَ على الوثنية وكلِّ أشكال الوساطة بين الخالق والمخلوق ، وقررت حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر التعبدية لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وصانت كرامتهم ، وأمرت بحماية معابدهم وممتلكاتهم ، ودعت إلى الإحسان إليهم ، ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، ولذلك نرى اليوم آلاف الكنائس في الدول الإسلامية ويعيش بين المسلمين ملايين النصارى وآلاف اليهود ، بينما لم يبق في إسبانيا التي أقام فيها المسلمون ثمانية قرون أي مسجد ! ! .

ونظرًا لسماحة الإسلام وعدالة تشريعاته وموافقة تعاليمه للفطرة الإنسانية ، أقبل الناس عليه أفواجًا ، وانتشر خلال مدة قصيرة في كثير من أقطار الأرض . وامتدت الفتوحات الإسلامية شرقًا وغربًا حاملة راية الإسلام وبشائر الحرية لشعوب طال تعايشها مع الظلم والفساد ، وكان الشعب المالطي أحد هذه الشعوب ، فقد وصل العرب المسلمون إلى جزيرة مالطا يوم 29 من شهر هانيبال « أغسطس » عام 870 م بقيادة أحمد عبد الله بن الأغلب واتخذوا « مدينة » عاصمة لهم ، ويذهب بعض المؤرخين أن القائد اسمه عمر بن الأغلب وليس أحمد بن الأغلب .

ويؤكد المؤرخون المنصفون أن العلاقات بين المسلمين وأهل البلاد كانت جيدة جدًّا وسادها الود والتعاون ، وأن المسلمين أحسنوا معاملة المواطنين ولم يجبروا أحدًا على اعتناق الإسلام .

وخلال الفترة التي عاشها المسلمون في مالطا ازدهرت البلاد اقتصاديًّا لوقوعها في الطريق التجاري بين شمال إفريقيا وصقلية ، كما ازدهرت فيها الزراعة حيث أدخل العرب أساليب ريٍّ متقدمة ، وزراعات جديدة كالموالح والقطن الذي ظل لعدة قرون عصب الاقتصاد المالطي . كما ازدهرت الثقافة والعلوم ، ونبغ في مالطا بعض العلماء والشعراء .

75 % من المالطيين كانوا مسلمين

وبسبب حسن معاملة المسلمين لأهل البلاد ، وسماحة الإسلام ، واعترافه بالرسالات السابقة ، وتوافقه في كثير من الأمور مع المسيحية التي يدين بها المالطيون ، فقد اعتنق كثير منهم دين الإسلام ، حتى بلغت نسبة المسلمين في مالطا 75% استنادًا إلى التقرير الذي أعده « الأب جلبرت » عام 1240 م عندما كان يعمل مندوبًا للإمبراطور النورماندي فردريك الثاني ملك صقلية .

وفي شهر ناصر « يوليو » 1090 م احتل « الكونت روجر النورماندي » مالطا وصالح المسلمين على استمرار وجودهم وانفرادهم بحكم الجزيرة مقابل أتاوة سنوية .

وفي عام 1127 جاء روجر الثاني وفتح مالطا من جديد وضمها بشكل كامل إلى ملكه وعين أحد فرسانه أميرًا عليها بدل الأمير العربي .

وهكذا انتهى الوجود السياسي العربي رسميًّا ، وبرغم ذلك فقد ظلوا يعيشون في الجزيرة إلى عام 1240 كما يدل على ذلك تقرير الأب جلبرت الآنف الذكر .

وفي الفترة ما بين عام 1240 م و 1250 م اتخذ فردريك الثاني ملك صقلية قرارًا بإخراج المسلمين من الجزيرة المالطية .

ولا توجد وثائق تاريخية توضح مصير المسلمين ، وبوسع الباحث أن يستنتج من بعض القرائن أن بعضهم قتل وهو يدافع عن عقيدته ، وبعضهم طرد ، واضطر بعضهم الآخر للتنصر حفاظًا على بقائهم في بلادهم .

وبعد عام 1250 م انقطع الوجود الإسلامي وأُزيلت معظم آثاره ومعالمه بشكل متعمد .

فبرغم أن المسلمين أقاموا في مالطا زهاء 380 سنة لم يبق من آثارهم إلا بقايا مقبرة خارج (مدينة) عثر عليها ما بين عام 1920 م و 1925 م وعشرات من شواهد القبور . وأهمها شاهد قبر ميمونة بنت حسان بن علي الهذلي عرف من السوسي التي توفيت يوم الخميس 16 من شعبان سنة 569 الموافق 21 من شهر المريخ « مارس » 1174 م حسب النقش الموجود على الشاهد الذي عثر عليه في جزيرة هودج . وهناك بعض القطع الفخارية والأسلحة والدروع والعملات العربية القديمة نجدها متناثرة في متاحف مالطا وقوزو .

ولم يبق من حصون العرب إلا حصن « سانت أنجلو » في العاصمة فاليتا الذي رممه فرسان القديس يوحنا .

كما لم يبق أي أثر للمسجد على الإطلاق ، وذكر أحد الباحثين أن هناك بقايا مسجد تحت أحد المباني في منطقة تاسلج .

اللسان المالطي مازال عربيًا

لكن العرب المسلمين خلفوا أثرًا لم يمحه الزمان ألا وهو اللغة ، فمن أبرز المعالم التي تشي بالوجود العربي والتي بقيت تتحدّى كلّ محاولات تزييف التاريخ هو اللسان المالطي . فأول ما يثير اهتمام الزائر العربي للجزيرة . هو ذلك التشابه بين اللغة المالطية واللهجات العربية ، فيمكن بسهولة متابعة حوار يدور أمامك بين اثنين منهم ، وتدرك مضمون الحديث ، و إن فاتتك بعض الكلمات . فاللغة المالطية معظم ألفاظها عربية بل بوسعنا أن نعدها إحدى اللهجات العربية ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أنها دخلت مالطا مع الفتح العربي الإسلامي للجزيرة . لذا فإن اللهجة الغالبة على هذه اللغة هي لهجة أهل المغرب العربي ، والفعل عندهم يبدأبحرف النون وينتهي بحرف الواوكما هو الحال في معظم دول شمال أفريقيا مثل « ناكلو » و « نكتبو » وغيرها .

و إذاكان زرع « الفرسان » في مالطاكما ذكرنا سابقًاكان المقصود منه، بجانب أشياء أخرى ، تعميق تبعية مالطا للكنيسة الكاثوليكية ، وقطع الطريق أمام استرجاع

المالطيين لتاريخهم واستعادتهم لحقيقتهم فإن المالطيين احتفظوا بأسماء الأماكن والألقاب على صورتها العربية ، إلى جانب احتفاظهم بلغتهم عربية المصدر . والذين لهم دراية بدراسة العقلية الجماعية للشعوب يستطيعون أن يستنتجوا حقيقة أن اللغة المالطية لا تزال برغم كلِّ شيء مستندة في صرفها ونحوها إلى العربية ،وذلك برغم تبعية مالطا لقوى عديدة بعد الحرب ، وبرغم انصهارها الثقافي في البوتقة الأوروبية .

وقلنا : أسماء أغلب الأماكن ماتزال عربية في مالطا ، ومنها على سبيل المثال : جزيرة ، مليحة ، الرباط ، مرفأ ، مدينة ، سليمة ، نشار ، غديرة ، مرسى ، عين تفاحة ، الوردية ، الزيتون . كما لاتزال بعض العائلات المالطية تحمل أسماء عربية مثل : عبد الله ، عجوز ، كتكوتي ، غزال ، كسار ، بوحجر ، زهرة ، فاطمة ، زرافة ، وكثير من الأمثال العربية يرددها المالطيون حرفيًّا . والشعب العربي ، والشعب المالطي هما الشعبان الوحيدان اللذان يدعون الخالق (الله) .

وعلى كل حال فإن ما حدث في مالطا من نكسة للمسلمين تكرر في كثير من البلدان نتيجة لضعف المسلمين وتفرقهم وابتعادهم عن تعاليم دينهم . ومن هنا كان لا بد من قيام مؤسسات دينية ثقافية في العصر الحاضر لتبصِّر المسلمين بالأخطار المحدقة بهم وتدعوهم إلى توحيد صفوفهم والتمسك بدينهم ليحافظوا على وجودهم ويعيدوا للإسلام دوره الحضاري .

الوجود الإسلامي في مالطا

ظل الوجود الإسلامي في مالطا منقطعًا قرابة ثمانية قرون بسبب القوى الاستعمارية التي حرصت على قطع الصلة بين الشعب المالطي وجذوره التاريخية والثقافية . وفي السبعينات من هذا القرن أخذت مالطا تتطلع إلى التحرر من القواعد الأجنبية والسيطرة الاستعمارية ، ومد جسور الاتصال مع الوطن العربي والعالم الإسلامي ، فقام تعاون مشترك وثيق بينهم في شتى المجالات ، حقق كثيرًا من المصالح المشتركة بين الطرفين . وقد استدعى هذا التعاون المشترك وتبادل المصالح وجود جالية إسلامية ، فحتى بداية السبعينات كانت الجالية الإسلامية تتكون فقط من أعضاء السلك

الدبلوماسي وأسرهم إلى جانب قليل من البحارة الذين يفدون إلى الجزيرة بين آن وآخر وعدد من الباكستانيين الذين يعملون مع الخطوط الجوية المالطية . ثم بدأ عدد أفراد الجالية يزداد شيئًا فشيئًا بقدوم الأطباء المسلمين للعمل في المستشفيات المالطية .

وبتزايد العلاقات بين مالطا والدول العربية والإسلامية خلال السبعينات بدأ عدد لا بأس به من المسلمين يفدون إلى الجزيرة في شكل معلمين للغة العربية بالمدارس والجامعات المالطية ، كما تزايد عدد الطيارين ومهندسي الطيران والأطباء والعاملين في مجالات الاستثمار المشترك والسياح .

وكان في مقدمة هذه العلاقات تلك التي تأسست مع الجماهيرية العظمى حيث تعززت أواصر الصداقة بين البلدين واتسعت لتشمل مجالات الاقتصاد والصناعة والثقافة مما أدى إلى تزايد عدد الليبيين الدبلوماسيين والفنيين والمدرسين والطلبة وما إلى ذلك إلى جانب السياح من العرب الليبيين أيضاً . فدعت الحاجة إلى إيجاد مكان يمارس فيه هؤلاء شعائرهم الدينية . واشتدت الحاجة إلى واعظ يوجه الجالية المسلمة ويعينها على التعرف إلى أمور دينها وعقيدتها ، ويشرف على شؤونها الدينية ، وكانت جمعية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية العظمى أول من بادر لسدِّ هذه الحاجة حيث أوفدت عام 1973 أول مندوب لها للقيام بهذه المهمة .

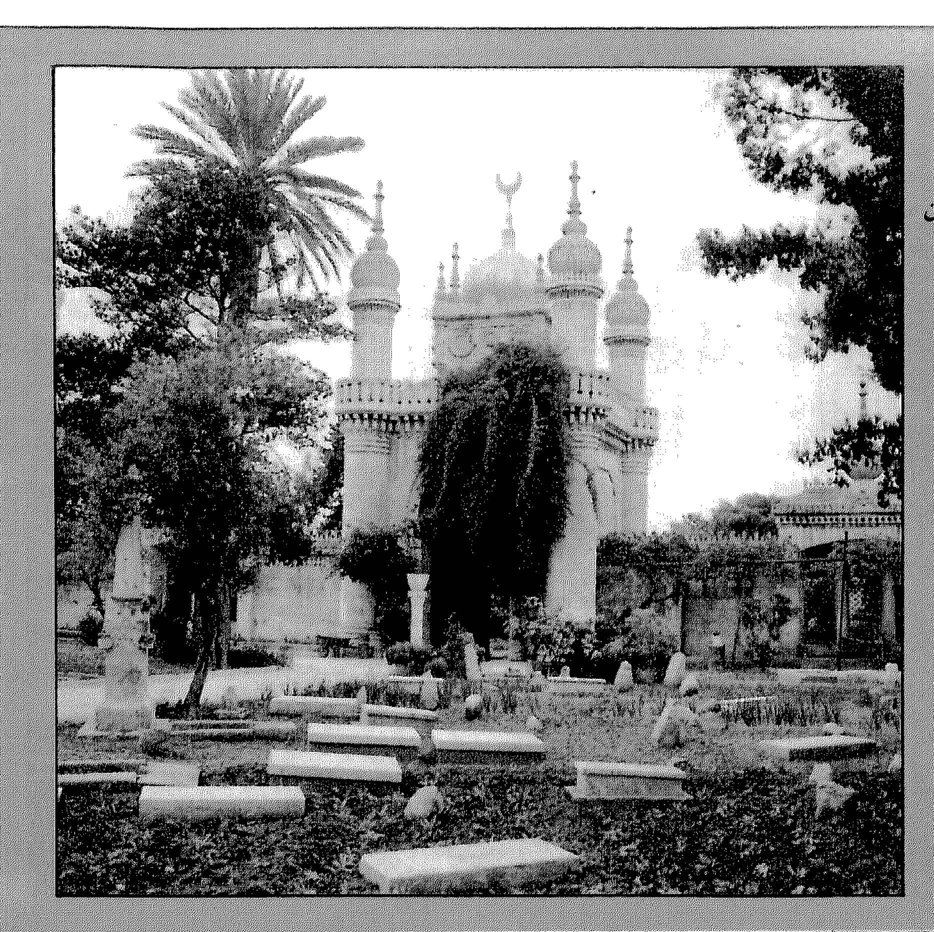
ولم يكن في مالطا في ذلك الوقت أي مسجد فاضطر المسلمون إلى أن يتخذوا من غرفة في المقبرة التركية في منطقة « المرسى » مسجدًا مؤقتًا لهم . ويرجع تاريخ تلك المقبرة إلى عام 1874 حيث بنيت على نفقة الحكومة العثمانية عوضًا عن مقبرة إسلامية قديمة تعرضت للدمار .

وتحتوي المقبرة على غرفتين واحدة مخصصة لتجهيز الموتى والأخرى لحارس المقبرة . وهذه الأخيرة كانت مسجد المسلمين قبل إنشاء المركز الإسلامي الحالي .

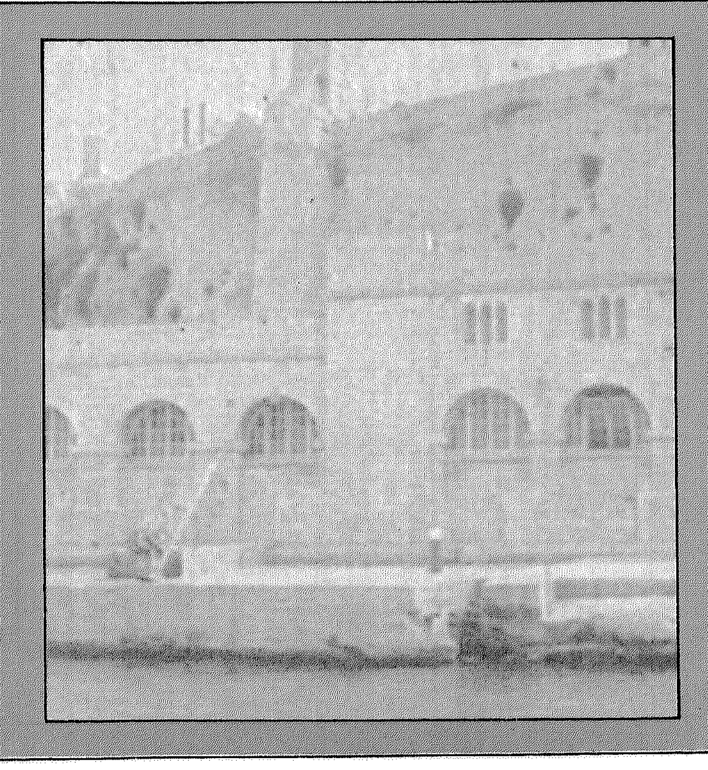
ويومًا بعد يوم أخذت تلك الحجرة تضيق بالمصلين ، ولم تكن تصلح لمزاولة أي نشاط آخر .

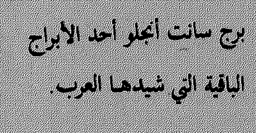
وأحسَّ المسلمون بحاجتهم الماسة إلى مسجد يجتمعون فيه ويزاولون فيه الشعائر التعبدية ، ويتعلمون أمور دينهم ويمارسون فيه مختلف أنشطتهم الاجتماعية والثقافية .

صوت الحق
ينادي
« الله أكبر »
في سماء مالطا
بعد ثمانية قرون .

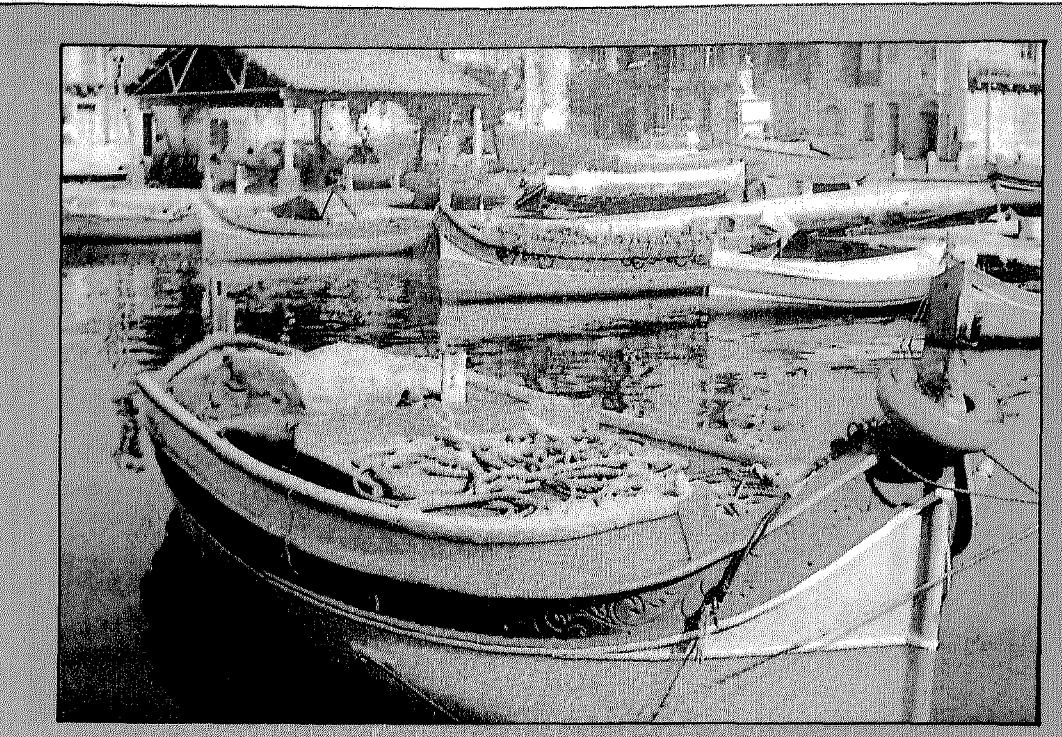


المقبرة التركية أثر من
الآثار الإسلامية
المتبقية .

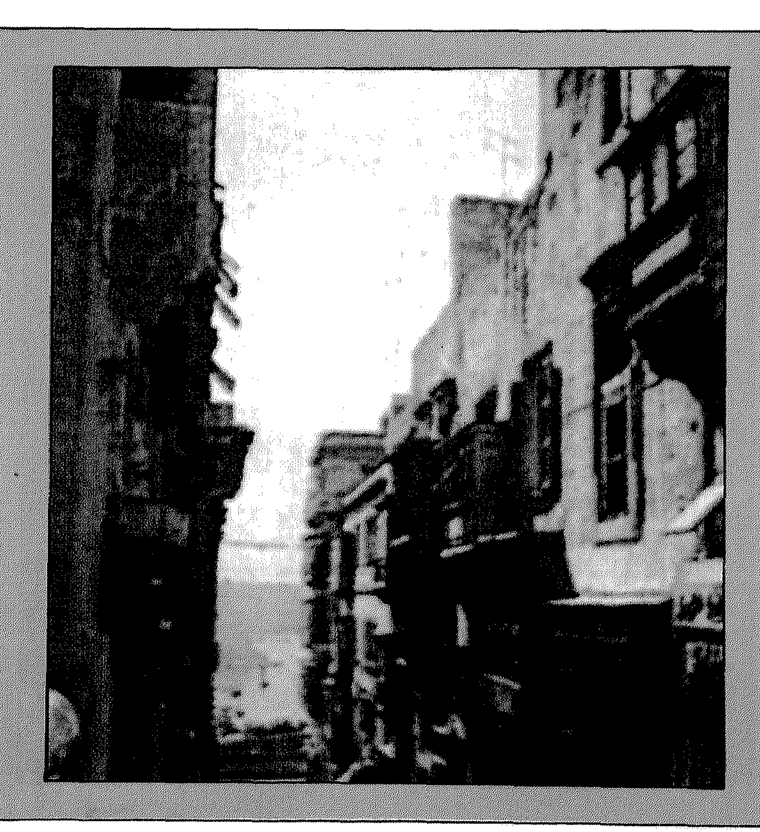




برج سانت أنجلو أحد الأبراج
الباقية التي شيدها العرب.



أحد المناظر من مالطا « مرسى شلوق ».



« المشربيات » طراز معماري عربي

لا يزال موجودًا في مالطا .



حفل إفطار للطلاب المغتربين بالمركز الإسلامي خلال شهر رمضان .



مسابقات حفظ القرآن لأبناء المسلمين .

المركز الإسلامي رمز الصداقة والتسامح

وهنا أخذت الجماهيرية العظمى زمام المبادرة للمرة الثانية حيث تقدمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في عام 1975 م بطلب للحصول على قطعة الأرض بمنطقة « كورادينو » لبناء مركز إسلامي عليها وقد وافقت الحكومة المالطية على الطلب فورًا ، خدمةً للجالية الإسلامية ودعمًا لعلاقات التبادل بين العالم الإسلامي وجزيرة مالطا .

صوت الحق ينادي : الله أكبر بعد غياب ثمانية قرون

وفي 1978/7/2 قام الأخ الثائر المسلم معمر القذافي بوضع حجر الأساس للمركز الإسلامي الذي استغرق بناؤه ثلاث سنوات .

وهكذا حققت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية حلمًا طالما انتظره المسلمون وارتفع صوت الحق ينادي : « **الله أكبر حيّ على الصلاة** » بعد ثمانية قرون .

ولا شك في أن المركز الإسلامي بمئذنته التي ترتفع إلى نحو 31.5 متراً وبمنظره الرائع البديع قد أضفى على منطقة « باولا » مسحة من الجمال والروعة ، وأصبح مَعْلَمًا من المعالم السياحية في البلاد يؤمه السياح والزوار الذين يفدون إلى مالطا من كلِّ مكان ، ورمزًا للتسامح الديني والحرية الدينية الذي تدعو إليه الديانتان الإسلامية والمسيحية ، وشاهدًا من شواهد الوعي الثقافي والتقدم والانفتاح الحضاري عند الشعب المالطي الصديق . وبقيام المركز الإسلامي ، وبمرور الأيام سيفقد المثل الشائع « كمن يؤذن في مالطا » سيفقد هذا المثل مصداقيته بعد أن أصبح للمسلمين وجود بمالطا ، وأصبح لهم مسجد ، وأصبح للمؤذن مستجيبون يهرولون إليه كلما ارتفع صوت الحق : « **الله أكبر حيّ على الصلاة** » وكذلك في كل المناسبات الدينية ، واللقاءات الفكرية الإسلامية ، والندوات الثقافية ، وغيرها مما يقدمه المركز الإسلامي ليذكرنا بالأيام الخوالي للمساجد في الإسلام ، ودورها العظيم يوم أن كانت هي المدارس ، وبيت المسلمين ، ودار الندوة ، والنقطة التي تنطلق منها سرايا الجهاد وتعود إليها جيوش المسلمين المنتصرة بإذن الله .

أهداف المركز الإسلامي

المركز الإسلامي مؤسسة دينية ثقافية أقامته وتموله وتديره جمعية الدعوة الإسلامية العالمية . ومن أهم أهدافه :

* خدمة الإسلام والمسلمين ، وتمكين الجالية الإسلامية في مالطا من فهم الإسلام والالتزام بتعاليمه وصيانتها من تيارات الانحراف .

* تعريف الرأي العام بمباديء الإسلام ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة حوله .

* العمل على تمتين علاقات الصداقة والتعاون بين مالطا والعالم الإسلامي والوطن العربي .

* توثيق العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في مالطا ، وتوفير جو من التعاون والتفاهم والاحترام المتبادل .

* تعميق الحوار بين الأديان ، وفتح آفاق جديدة للتفاهم والحوار بين أتباع الديانات السماوية .

* نشر الثقافة العربية والإسلامية في ربوع الجزيرة .

أنشطة المركز :

ومن أهم الأنشطة التي يقوم بها المركز :

* إقامة الشعائر الدينية ، الصلوات الخمس ، والجمعة ، والعيدين ، والتراويح .
* إحياء المناسبات الدينية الإسلامية والمسيحية .
* تعليم اللغة العربية ، وتحفيظ القرآن الكريم لأبناء الجالية الإسلامية .
* تنظيم الدروس والمحاضرات للتعريف بالإسلام .
* إصدار ونشر المطبوعات لتوعية المسلمين ونشر الوعي بينهم ، وشرح الإسلام لغير المسلمين .

* افتتاح روضة لأطفال المسلمين .

* توفير مجال للاطلاع على الثقافة الإسلامية من خلال مكتبة المركز التي تضم مجموعة كبيرة من المراجع الإسلامية القيمة باللغتين العربية والانجليزية .

* الاتصال بالكنيسة والمؤسسات الثقافية والاجتماعية وتوثيق الصلة بها ، ودعمها ومساعدتها .

* زيارة السجن لإصلاح المساجين المسلمين .

* إجراء عقود الزواج الإسلامية .

* إجراء مراسم تغسيل وتكفين ودفن موتى المسلمين وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية .

* مساعدة الفقراء والمحتاجين .

* توثيق الصلة مع الهيئات والمراكز الإسلامية في العالم .

* تقديم المساعدة لبعض المؤسسات الثقافية والاجتماعية في مالطا .

* تشجيع الأنشطة الرياضية .

* إعداد مسابقات حفظ القرآن والثقافة الإسلامية العامة .

ويضم المركز ملاعب رياضية وصالات للرياضة ، وحديقة تحتوي ألعابًا للأطفال .

فرع جمعية الدعوة الإسلامية بمالطا

ومع مرور الوقت وتطور الظروف وتعاظم دور رسالة المركز الإسلامي ، وتوسع صلاته وأنشطته فإن الاقتصار على مبعوث أو واعظ للقيام بمهمة التوجيه والإرشاد الديني ، لم يعد يتلاءم وحجم هذا الدور الكبير .

لذا سعت جمعية الدعوة الإسلامية لفتح فرع لها في مالطا ، وقد تمخضت الاتصالات التي أجرتها مع الحكومة المالطية بهذا الخصوص على عقد اتفاقية بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والحكومة المالطية تنص على افتتاح فرع لجمعية الدعوة في مالطا ، له ميزات فروع الجمعية في الدول الأخرى .

وقد أدّى قيام الفرع بمقر المركز الإسلامي في مالطا إلى مضاعفة وتكثيف نشاط

المركز في سبيل تدعيم وتعزيز علاقات الصداقة العربية الإسلامية بهدف إيجاد الجو المناسب للتعاون والتفاهم والاحترام ، وتقوية روابط التعاون بين أتباع الديانتين ؛ الإسلام والمسيحية .

كما أصبح المركز مصدرًا للتعريف بالعالم الإسلامي من خلال الحركة الثقافية النشطة الدائمة التي عبقت ليالي الجزيرة الهادئة ، إضافة إلى ذلك فقد ساهم الفرع في عدد من المشروعات الاجتماعية الخيرية في مالطا ، وتأسيس علاقات صداقة واحترام متبادل مع الكنيسة المالطية . وتطورت علاقات الصداقة والتسامح هذه إلى زيارات متبادلة ومشاركات في المناسبات الدينية المختلفة وعلى رأسها الاحتفال بميلاد المسيح عليه السلام . وقد أفاد المركز إفادة كبيرة من هذه العلاقة التي تعتبر دعامة من دعامات التعاون بين الكنيسة والمسجد .

ويمكن القول : إن بعض رجال الدين المسيحي لعبوا دورًا هامًّا و إيجابيًّا في مجال تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي يحملها غير المسلمين عن الإسلام كالأب « أدموند توما » الذي نشر كتاباً بعنوان: « نلتقي مع الإسلام » أوضح فيه أن معظم النصارى جاهلون بحقيقة الإسلام ، وحاول بدوره أن يوضح للمجتمع المالطي بعض حقائق هذا الدين . وقد ألقى كلمة عن ميلاد المسيح عليه السلام في احتفال المركز الإسلامي بهذه المناسبة بيَّن فيها الموقف الحقيقي والأخير لكنيسته الكاثوليكية من الدين الإسلامي ، والذي تمثل في الوثيقة التي صدرت عن المجمع المسكوني الثاني في الفاتيكان ، وأشار إلى أن الكنيسة تنظر باحترام إلى المسلمين . لأن المسلمين يعبدون إلَـهًا واحدًا هو الله ويخضعون لأوامره . . ويؤمنون بنبوة عيسى عليه السلام ، ويبجلون السيدة مريم العذراء ، ويعتقدون باليوم الآخر ، ويقدرون السلوك الأخلاقي الحميد .
كما أوضح نقاط الاتفاق الكثيرة بين الديانتين مستنكرًا التعصب وتزييف الحقائق الذي واجه به الكاثوليك قديمًا ديانة الإسلام .

وقال الأب توما : إن محمدًا في نظر الكنيسة هو المبشر المخلص الأمين لرسالة الله . و إن نجاح الإسلام وانتشاره وواقعيته تدل على أن محمدًا كان رجلاً مخلصًا ، ودعا إلى تعاون المسلمين والمسيحيين لنصرة الإيمان ، والدعوة إلى حرية الإنسان .

سفير الفاتيكان يزور فرع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

وفي إطار العلاقات الحميدة التي نشأت بين المركز الإسلامي والكنيسة الكاثوليكية لتعزيز روح التعاون بين المسلمين والمسيحيين ، قام الأسقف « بيير لويجي شيلانا » سفير الفاتيكان بمالطا بزيارة لفرع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية يرافقه القس « لويجي يونازي » الكاتب الأول بالسفارة وذلك في شهر الماء « مايو » 1987 م حيث استقبله أمين وأعضاء الفرع .

وتحدث الأخ أمين الفرع فرحب بالضيف ثم أعطى نبذة عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وجهودها من أجل هداية البشر والتعريف بالإسلام ونشر اللغة العربية ، وأعمالها الخيرية ، موضحًا احترام الإسلام والمسلمين لكلِّ الديانات السماوية ، وأن النصارى هم أقرب الناس للمسلمين ، وأن القرآن الكريم يعظم المسيح عليه السلام وأمه العذراء في أكثر من آية . وشكر الأسقف بيير لويجي على هذه الزيارة التي تعزز روح التعاون بين المسلمين من أجل الخير والمحبة والهداية..

كما تحدث سفير الفاتيكان وأعرب عن سروره لهذه الزيارة ، وفي معرض حديثه عن نقاط الوفاق بين الديانتين ؛ الإسلام والمسيحية أشاد بمبادرة الجماهيرية العظمى لعقد ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس عام 1976 م مؤكدًا أنه كان لهذه الندوة التاريخية دور كبير في تقريب وجهات نظر الطرفين ، والحدِّ من عوامل الاختلاف بينهما ، مشيرًا إلى أن مواصلة اللقاءات والحوار بينهما يعمل على تعزيز روح التسامح الديني وتوثيق التعاون المشترك بينهما من أجل خير البشرية .

الحوار

مساهمة في تعريف الرأي العام المالطي بمباديء الإسلام ، وفلسفته ومواقفه من مختلف قضايا الإنسان ، وتعزيزًا وتطويرًا للحوار الإسلامي المسيحي ، وتبديداً للشبهات التي علقت ورسخت في العقلية الغربية حول الإسلام ورسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وتعريفًا بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وأنشطتها الإنسانية شرع فرع

الجمعية بمالطا في إصدار نشرة شهرية باللغة المالطية باسم « **الحوار** » منذ شهر ناصر « يوليو » 1987 .

وقد لاقت هذه النشرة قبولاً واستحساناً ملحوظاً سواء على صعيد الكنيسة الكاثوليكية أو على صعيد الدولة والمثقفين والمهتمين بالدراسات الدينية ، كما لاقت استحساناً من العامة أيضًا ، وذلك بسبب موضوعيتها في الطرح ، وأسلوبها الهادىء المتزن الخالي من التشنج والهجوم والتعصب في الحوار ، مما شجع علماء الدين المسيحي على المساهمة في الكتابة فيها .

وقد تلقى الفرع العديد من رسائل الاستحسان والتشجيع كان أبرزها رسالة الأسقف المنسنيور كارميلو شويري . كما تلقى الفرع العديد من الرسائل التي يطلب فيها أصحابها تزويدهم بالنشرة بانتظام ، وكان من بين هؤلاء علماء الدين الكاثوليك والمسؤولون عن بعض الجمعيات والمؤسسات الحكومية .

وقد نوهت الصحف المحلية بالنشرة وذكرت بعض موضوعاتها ، بل إن بعض مساهمات علماء الدين الكاثوليك في النشرة كانت مادة للجدل في إحدى الصحف المحلية .

والمعروف أن النشرة توزع بالبريد على الكنائس والمدارس والمؤسسات والإدارات الحكومية ، والمكتبات العامة ، والمنظمات والجمعيات المختلفة . والعديد من المثقفين والعلماء وأساتذة المعاهد والجامعات .

مكتبة من المراجع والكتب العربية هدية لجامعة مالطا

حرصًا من فرع جمعية الدعوة الإسلامية بمالطا على إثراء المجال العلمي والثقافي الحيوي بين شعوب العالم الإسلامي ، وشعب مالطا الصديق ، وتوثيقًا لعلاقات الصداقة والتعاون في مجال المعرفة التي هي حقٌ لجميع البشر فقد بادر فرع الجمعية بمالطا بإهداء مجموعة من الكتب والمراجع بلغت في مجملها 590 نسخة لمكتبة جامعة مالطا لتكون مرجعًا للطلبة والباحثين في مجال اللغة العربية والدراسات الإسلامية لتحقيق رسالتهم الثقافية في هذا المجال الثر . .

وفي احتفال بهذه المناسبة السعيدة أُقِيمَ بجامعة مالطا حضره وزير التعليم المالطي ، ومدير الجامعة ، وعدد من الأساتذة ، ومندوبو الصحف المحلية وأجهزة الإعلام المالطية قام الأخ أمين فرع جمعية الدعوة الإسلامية بتسليم مجموعة الكتب والمراجع العربية لوزير التعاليم المالطي هديةً لجامعة مالطا ، وقد تقبل الهدية وسط مباهج الفرح وكلمات الشكر والتقدير .

نشاطات المركز الإسلامي
خلال شهر رمضان المبارك

وبمناسبة شهر رمضان المبارك للعام 1988 ، وتحقيقًا لأهداف المركز الإسلامي الرامية إلى خدمة وتوعية الجالية الإسلامية وتوحيدها ورعايتها أعدَّ المركز الإسلامي في مالطا برنامجًا ثقافيًّا ودينيًّا ورياضيًّا حافلاً شمل الدروس الدينية والمحاضرات والندوات والاحتفالات ومسابقات حفظ القرآن الكريم ، ومسابقة في الثقافة العامة ، ومسابقات رياضية شملت كرة الطاولة والبليياردو والشطرنج ، كما شمل البرنامج عرض الأشرطة المرئية حول تحطيم الثائر المسلم معمر القذافي للسجن وتحريره السجناء ، وحول خطابه في ساقية سيدي يوسف بتونس ، وخطابه في مؤتمر الشعب العام بمناسبة ذكرى إعلان قيام سلطة الشعب ، وتضمن البرناج أيضًا حفل إفطار للطلاب المسلمين المغتربين الدارسين في مالطا .

كما أقام المركز بهذه المناسبة العظيمة معرضًا للكتاب شمل مطبوعات جمعية الدعوة الإسلامية ومنشورات دار اقرأ ومجلة « رسالة الجهاد » ، وقد تضمن المعرض ستة وستين كتابًا باللغة العربية واللغات الأجنبية . وحقق المعرض نجاحًا ملموسًا تمثل في العدد الكبير من الزوار الذين تزاحموا على معروضاته واطلعوا عليها ، وأثنوا على الدور البارز الذي تقوم به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مجال نشر الفكر والمعرفة والثقافة الإسلامية .

وقد وزع المعرض العديد من الكتيبات الصغيرة بالمجان تعميمًا للثقافة الإسلامية، وبلغت المبيعات رقمًا قياسيًّا بالنسبة لحجم الجالية العربية والإسلامية، واستمر المعرض إلى نهاية شهر رمضان.

أما في مجال النشاط الثقافي ، فقد ألقى الدكتور رضوان السيد مدير المعهد العالي للدراسات الإسلامية في بيروت محاضرة بعنوان : « صورة العرب والإسلام في الإعلام الغربي والدراسات الاستشراقية » حضرها جمهور غفير من المسلمين على اختلاف جنسياتهم . وتناول فيها المحاضر الترابط بين حركة الاستشراق والحركة الاستعمارية ، واتجاه الإعلام الغربي لتشويه صورة النضال العربي والجهاد الإسلامي وإحياء الأحقاد الصليبية ضد الوطن العربي والعالم الإسلامي ، كما وضح المحاضر سيطرة الحركة الصِّهيونية على الإعلام الغربي وتوظيفه لخدمة أهدافها وأطماعها التوسعية في المنطقة العربية . وذكر المحاضر بمرارة وجود الكثير من السلبيات في العالم الإسلامي مثل غياب الوحدة والحرية الديمقراطية والتوجه المخلص نحو القضايا المركزية الهامة ، مما يؤلِّف مادةً دسمةً يستغلها ويوظفها الإعلام الغربي لتشويه الإسلام . وأوضح أن هذه السلبيات تستدعي العمل الجماعي المخلص والبنَّاء من المسلمين كافة لتجاوزها ، والانتقال إلى مرحلة الفاعلية والعمل الإيجابي لمواجهة الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي قبل فوات الأوان .

كما قدم المركز في مجال نشاطه الثقافي محاضرة بعنوان: «**اللغة العربية والإعلام العربي بين الواقع والحقيقة**».

دعم ومساندة انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني

وترسيخًا لمبدإ الترابط بين الصيام والجهاد ، وتضامنًا مع ثورة الشعب العربي الفلسطيني في الأرض العربية المحتلة ، ومواكبةً لهذه الحركة الجهادية التي سطرت أروع ملاحم البطولة والفداء في مواجهة ترسانة الأسلحة الأمريكة ووحشية الممارسات القمعية الصِّهيونية ، والتي أحيت فينا الأمل بانتصار القضية العربية ، ومزقت كلَّ المشاريع الاستسلامية ، ومن أجل توعية جماهير المسلمين وتحريضها على التلاحم والتضامن مع هذه الثورة المباركة ، قام المركز الإسلامي بتنظيم ندوة حول الانتفاضة

في الأرض العربية المحتلة شارك فيها عدد كبير من المتحدثين العرب والمسلمين الموجودين على الساحة المالطية، وحضرها جمهور غفير من المسلمين.

وقد تناول المتحدثون أسباب الانتفاضة وأهدافها ، وأثرها على الصعيدين العربي والعالمي ، ونوهوا ببطولاتها وتضحياتها العظيمة ، وسجلوا ــ بأسف شديد و إدانة قوية ــ تخلف الحكومات العربية والإسلامية عن التلاحم مع الجماهير العربية الفلسطينية الثائرة ، وتخاذلها عن نصرة الانتفاضة التي تقاتل بالحجارة والزجاجات الحارقة والإطارات الملتهبة .

وبعد انتهاء المتحدثين انهالت تعليقات وتعقيبات الحضور ، وتتابعت اقتراحاتهم بما ينبغي أن تقوم به جماهير الأمة والحكومات العربية والإسلامية من أجل دعم الانتفاضة والمحافظة على استمرارها والتلاحم معها . وتُوِّجَت الندوة بتوصية تدعو لتأليف لجنة دائمة لدعم انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني ، وقد تكونت من كلٍّ من الإخوة :

أمين المكتب الشعبي العربي الليبي .

مندوب الجامعة العربية .

ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في مالطا .

مدير إذاعة صوت الصداقة والتضامن الليبية .

أمين فرع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

وفي ختام الندوة وجه الحاضرون برقية تهنئة وتأييد للأخ الثائر المسلم معمر القذافي فيما يلي نصها :

الأخ الثائر المسلم معمر القذافي قائد ثورة الفاتح العظيم .

جماهير المسلمين على الساحة المالطية المجتمعة في المركز الإسلامي ، هذه القلعة الإسلامية الشامخة التي ظهرت إلى الوجود بفضل جهودكم وسعيكم الدؤوب لبعث أمجاد الإسلام ، والذين يلتقون في ندوة حول انتفاضة شعبنا في الأرض المحتلة تتقدم إليكم بالتهنئة بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك . . شهر الجهاد والتضحيات . . شهر المعارك والانتصارات . . وتحيي مواقفكم الثابتة في دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني المناضل في الأرض المحتلة ، وجهودكم المستمرة لتوحيد قوى الثورة العربية وجمع شمل جماهير الأمة العربية في مواجهة التحالف الصليبي الصّهيوني الذي يستهدف تركيع الأمة العربية والعالم الإسلامي واحتلال الأرض ونهب الثروات وتدنيس المقدسات .

وبهذه المناسبة نعاهدكم على المضي في طريق الكفاح والصمود ومحاربة جميع الحلول الاستسلامية والإصرار على التحرير الشامل للتراب العربي الفلسطيني من البحر إلى النهر .

دمتم أيها القائد الفذ ، رمزًا شامخًا للثورة والإباء ، وعنوانًا للتحرر والعزة والكرامة العربية .

وفقكم الله لبعث وحدة الأمة من جديد وقيادة زحوفها الهادرة نحو تحقيق النصر الشامل المؤزر بإذن الله على أعداء الحرية والإنسان والخير من صهاينة وأمريكان .
والله أكبر والعزة لله وللمؤمنين المجاهدين .

جماهير المسلمين على الساحة
المالطية

اللجنة الدائمة لدعم الانتفاضة تعقد أول اجتماعاتها بمقر المركز

قامت اللجنة الدائمة لدعم الانتفاضة بعقد اجتماعها الأول بمقر فرع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من أجل اتخاذ الخطوات العملية لدعم الانتفاضة من خلال الإمكانات المتاحة على الساحة المالطية. وقد قررت اللجنة إشراك الجانب المالطي في هذا المشروع ، والاتصال بكلِّ القوى والأحزاب والحكومة المالطية من أجل حشد أكبر قدر ممكن من الدعم والمساعدة للانتفاضة .

المركز الإسلامي ينظم حملة لدعم الانتفاضة

وعلى صعيد المركز الإسلامي نظمت إدارة المركز حملة لجمع التبرعات للانتفاضة استمرت لفترة طويلة من الزمن، حيث تُحَوَّل الأموال بعد ذلك لمصلحة المجاهدين في الأرض العربية المحتلة.

الاحتفال بذكرى معركة « بدر »

كما احتفل المركز بمناسبة ذكرى معركة بدر الخالدة، وألقى إمام المركز كلمة بهذه المناسبة ركز فيها على دروس بدر وعبرها ، وأكد أن انتصار بدر كان ثمرةَ وحدةِ الصف وقوة العقيدة ، وثمرةَ كفاحٍ طويل وصبر مرير دام خمسة عشر عامًا ، وهذا ما تحتاج إليه الأمة العربية والإسلامية اليوم من أجل مواجهة التحالف الصليبي الصِّهيوني ، والتلاحم مع انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني في الأرض المحتلة .

كما أقام المركز الإسلامي احتفالاً كبيرًا بمناسبة ليلة القدر حيث أُلْقِيَت العديد من الكلمات بهذه المناسبة ، وتَمَّ توزيع الجوائز على الفائزين في مسابقة القرآن الكريم وسائر المسابقات الأخرى .

تشجيع حفظ القرآن الكريم

ومساهمة من المركز الإسلامي في تشجيع حفظ القرآن الكريم فقد أُجريت مسابقة في حفظ جزءي « عمَّ وتبارك » لتلاميذ المرحلة الابتدائية شارك فيها أربعون تلميذًا وتلميذة في أربع مجموعات .

النشاط الرياضي

وفي مجال النشاط الرياضي جرت خلال شهر رمضان ثلاث مسابقات في كرة الطاولة والبليارد والشطرنج ساهم فيها « 95 » متسابقًا من مختلف الأعمار .

وفيما يتعلق بمسابقة الثقافة العامة فقد شارك فيها إثنا عشر متسابقًا وكانت حصيلة إجاباتهم تَنُمُّ عن بحث ودراسة جديرين بالتقدير والتشجيع .

ندوة حول المشروع الوحدوي

نظم المركز الإسلامي خلال شهر رمضان ندوة حول المشروع الوحدوي الذي طرحه الثائر المسلم معمر القذافي في خطابه في ساقية سيدي يوسف بتونس . وشارك في هذه الندوة عدد من الإخوة العرب والمسلمين الموجودين بالساحة المالطية.

وقد ركز المشاركون على ضرورة الوحدة وحتميتها من أجل مواجهة التحدِّي الصِّهيوني الصليبي ، والحفاظ على الوجود المهدَّد ، ودفع عجلة التقدم والتنمية في الوطن العربي ، كما استعرض المتحدثون مبادرات الجماهيرية العظمى الوحدوية المتعددة منذ قيام ثورة الفاتح الإسلامية ، وأشاد المشاركون بالخطوة الوحدوية التي قام بها الأخ الثائر المسلم معمر القذافي بتحطيم بوابة « رأس اجدير » وفتح الجماهيرية لكلِّ العرب .

حفل إفطار للطلاب المغتربين بالمركز الإسلامي

وقد أقام المركز الإسلامي خلال شهر رمضان حفل إفطار للطلاب المغتربين في مالطا الذين يعيشون في الأقسام الداخلية في المدارس الخاصة بعيدًا عن أسرهم وأوطانهم ، وقد حضر حفل العشاء أربعون طالبًا من مختلف الجنسيات . وألقى الأمين الإداري كلمة في الحاضرين هنأهم فيها بمناسبة شهر رمضان وحثهم على الالتزام بمباديء الإسلام والحفاظ على الهوية الإسلامية ، والمثابرة على الدرس والتحصيل .

محاضرة حول العلاقات المالطية العربية

ومن أجل ربط المجتمع المالطي والشخصيات المالطية بالمركز الإسلامي وتدعيم العلاقات العربية المالطية ، والعلاقات المسيحية الإسلامية ، دعا المركز الإسلامي الدكتور « ألكس شايبراس تريجونا » وزير الخارجية الأسبق لإلقاء محاضرة حول العلاقات العربية المالطية من وجهة نظر حزب العمال المالطي، أكد فيها عمق الروابط التاريخية والثقافية والاقتصادية بين الوطن العربي ومالطا ، وحرص الحكومة العمالية السابقة على تدعيم العلاقات مع الوطن العربي ، وضمان حياد مالطا ، وإدانة العدو الصِّهيوني وتجميد العلاقات الدبلوماسية معه .

وأكد المحاضر أن حزب العمال يعارض انضمام مالطا للسوق الأوروبية المشتركة لأنه سيضر بالمصالح الاقتصادية المالطية ، كما سيفرض عليها مواقف سياسية تسيء لمصالحها ومصالح جيرانها العرب .

وأدان المحاضر رفع التمثيل الدبلوماسي بين مالطا والعدو الصِّهيوني ، واستقبال الحكومة الوطنية المالطية للسفير الصِّهيوني ، في الوقت الذي يُمارس فيه العدو الصِّهيوني أبشع أنواع القمع والبطش ضد انتفاضة الشعب الفلسطيني ويُصر على إنكار حقوقه والعودة إلى أرضه .

وفي نفس الإطار دعا المركز الثقافي الإسلامي الدكتور جوزيف كسار عضو المكتب السياسي في الحزب الوطني الحاكم ومدير صحافة الحزب لإلقاء محاضرة حول العلاقات العربية المالطية من وجهة نظر الحزب الوطني ، أكد فيها عمق الروابط التاريخية والثقافية واللغوية بين الوطن العربي ومالطا ، وقال : إنه بعد حصول مالطا على استقلالها عام 1964 م رغب الحزب الوطني في توثيق علاقاته مع الوطن العربي وتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الجماهيرية العظمى التي كانت أول بلد عربي تفتح سفارة لها في مالطا .

وفي مجال تعليم اللغة العربية قال : إنه لا يكفي أن تعلم اللغة العربية بل لا بد من أن تعلم الثقافة العربية ودورها الكبير في نهضة أوروبا حتى تجد القبول في المجتمع المالطي . وأكد أن تطوير علاقات مالطا مع أمريكا لا ولن يسيء بأي شكل من الأشكال لعلاقتها مع الوطن العربي وعلى رأسه الجماهيرية العظمى .

وأكد أن استقبال الحكومة المالطية للسفير « الإسرائيلي » لا يعني أبدًا تبدلاً في موقف الحزب الوطني المؤيد لحقوق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه و إقامة دولته المستقلة . وأكد أن حكومة مالطا والحزب الوطني قد أدانا الممارسات « الإسرائيلية » القمعية ، وعبرا عن ذلك مباشرة للسفير « الإسرائيلي » الذي اعترف بذلك .

حياد مالطا

لقد أدارت مالطا المعاصرة ظهرها لكل السياسات العتيقة ، وقدمت وجهًا ودودًا نحو العرب في ظل حكوماتها المتعاقبة ، وقابلتها الدول العربية بالود والترحاب ، ومن بين البعثات الدبلوماسية القليلة بالجزيرة هناك بعثات دبلوماسية عربية لكلٍّ من : الجماهيرية العظمى ، والكويت ، ومصر ، وتونس ، ومنظمة التحرير الفلسطينية .

ووقفت مالطا مؤيدة للقضايا العربية ، وأعلنت أنها لن تسمح باستخدام أراضيها ضد الدول العربية . ومن أهم مشروعاتها السياسية الحديثة إعلان حياد مالطا ، والذي

يؤكد المسؤولون فيها أن ضمان بقاء مالطا على الحياد مرهون بديمومة العلاقات العربية المالطية ، واستمرار المساعدات العربية لها .

وفي نفس هذا الإطار أخذت مالطا تبحث عن وسائل جذب المال العربي ، وتسعى لتطبيق معادلة : رأس المال العربي والتقنية الغربية والأيدي العاملة الرخيصة المالطية لتصبح مقرًّا للاستثمارات الأجنبية .

وساهم المال العربي وفقًا لهذه السياسة في كثير من المشاريع بالجزيرة ، وتعتبر الجماهيرية العظمى من أهم المساهمين العرب في هذا الإطار ، حيث أقامت العديد من المشروعات الاستثمارية ، وساهمت في إقامة مشروع حوض جاف لصناعة السفن ، وحصلت مالطا على تخفيضات هائلة في أسعار النفط من الجماهيرية العظمى .

وتعهدت الجزائر بشراء ما قيمته 500 مليون دولار من المنتوجات التي تصنع في مالطا ، هذا إلى جانب العديد من المشروعات العربية الأخرى .

وقد جنت مالطا الكثير من المنافع الاقتصادية عن طريق هذه المساعدات والاستثمارات العربية الواسعة والتي لعبت دورًا كبيرًا في تنمية البلاد وزيادة دخلها .

هكذا حقق المركز الإسلامي حلم المسلمين الذي امتد لقرون طويلة ، ووثق الصلة مع المسيحيين ، بعد أن أصبح لمالطا مسجد ، وأصبحت مالطا تسمع صوت المؤذن يرتفع عاليًا في سمائها « **الله أكبر . . حيَّ على الصلاة** » . فيردد المسلمون نداءه ويُهْرَعُونَ تجاه المسجد يؤدون الصلاة ، وكذلك يلتقون فيه في كل المناسبات الدينية . . واللقاءات الفكرية والندوات الثقافية التي يقدمها المركز . . وهكذا يفقد المثل العربي القديم « كمن يؤذن في مالطا » بريقه ومصداقيته . . ويتلاشى صداه يومًا بعد يوم . .

المصادر

كتاب « مالطا عرض موجز للتاريخ واللغة » للدكتور أحمد طلعت سليمان .

مجلة العربي ـ العدد العاشر سنة 1959 م .

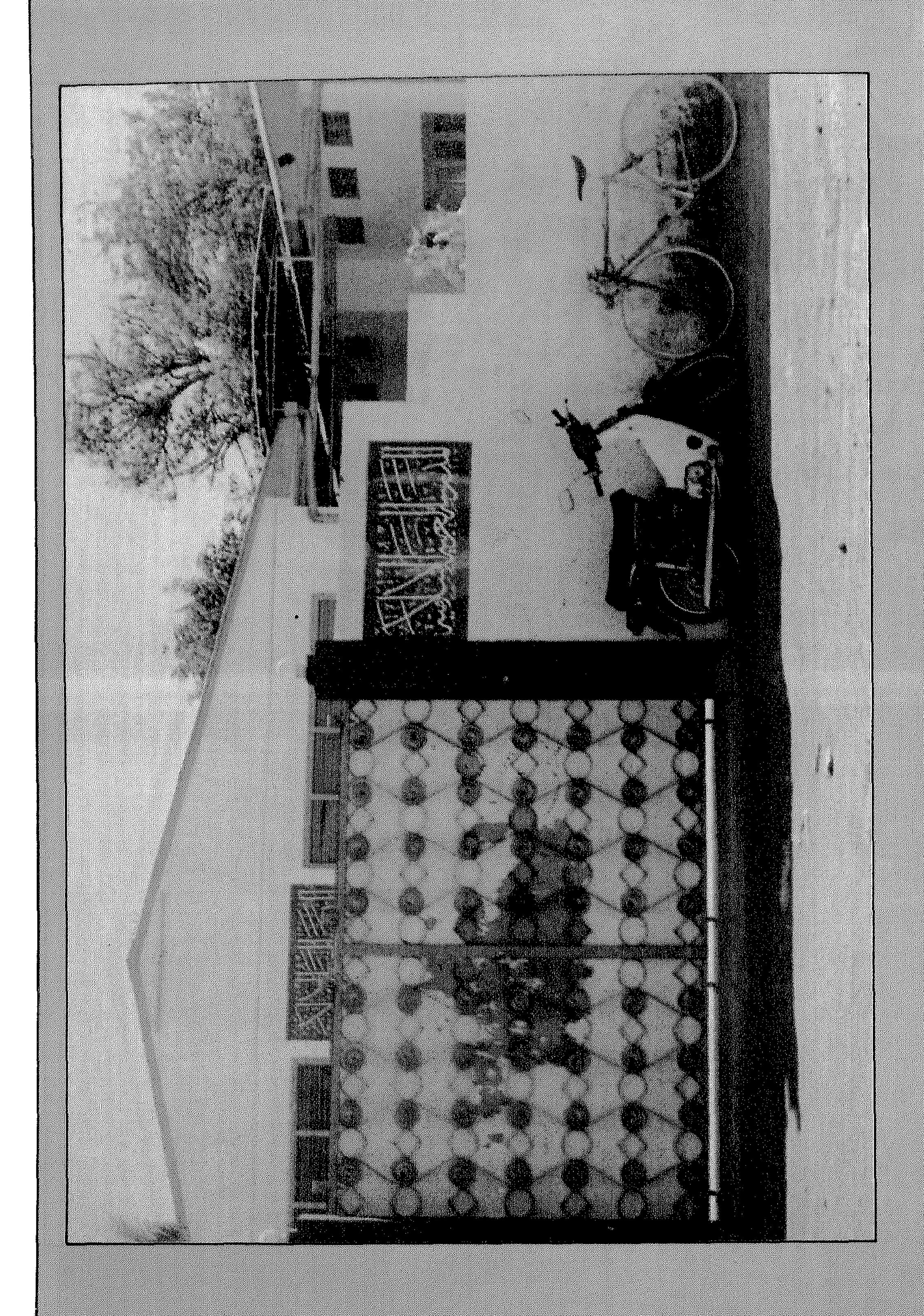
مجلة العربي ـ العدد 243 سنة 1979 م .

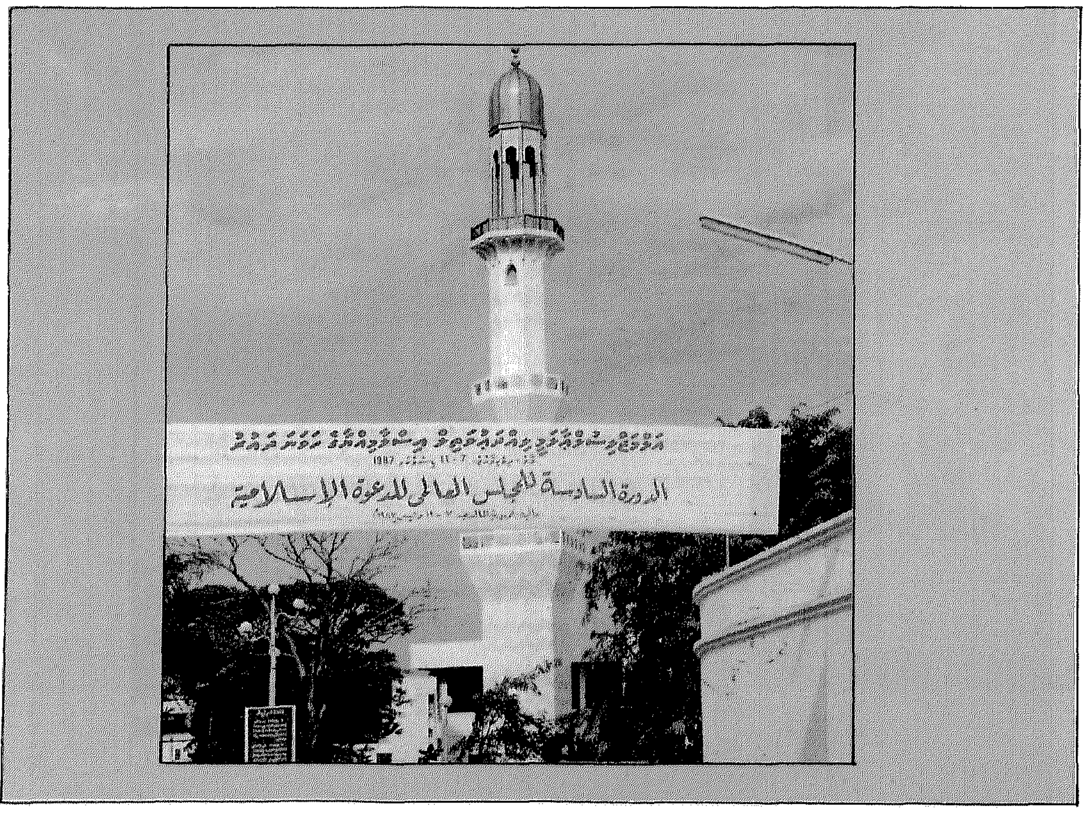
مجلة العربي ـ العدد 350 سنة 1988 م .

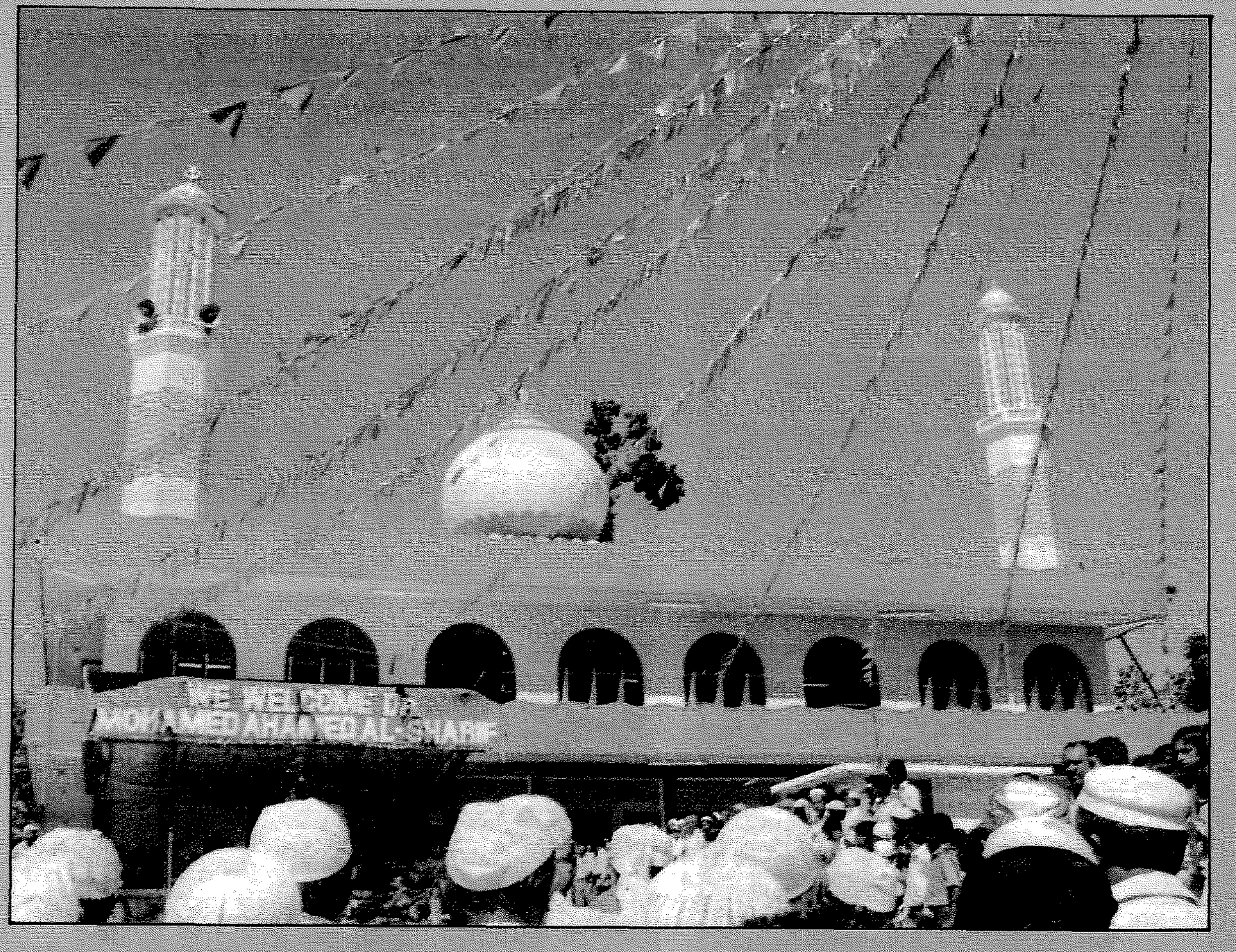
مجلة الفكر الإسلامي ـ العدد الثالث سنة 1987 م .

مجلة دنيا العرب ـ العدد العاشر 1985 م .

مجلة رسالة الجهاد ـ العددان 49 و 61 .

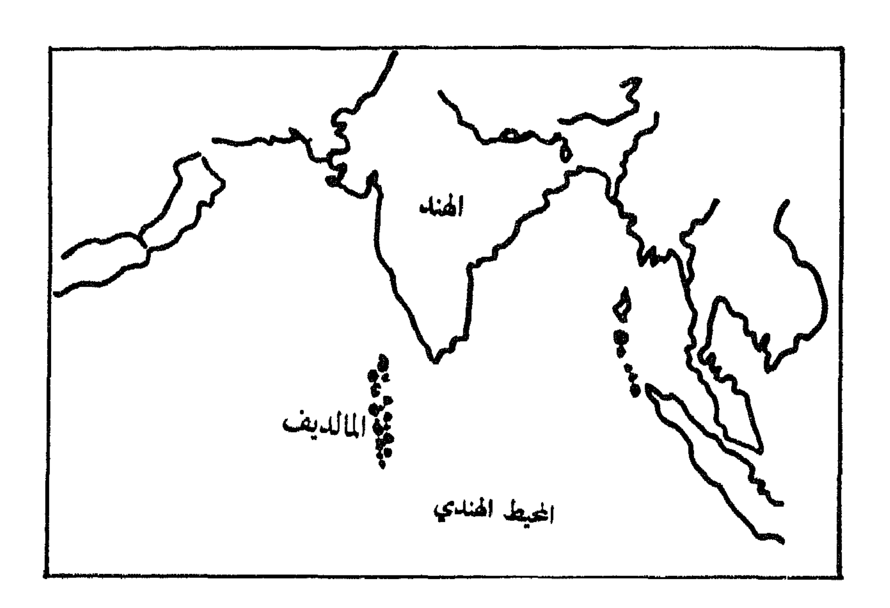



الدورة السادسة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية



ترحيب بانعقاد الدورة السادسة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية في المالديف .

المـالديف . . الجزائر التي لـم تعرف ديـنًا غيـر الإسلام



المالديف مجموعة جزائر خضراء حباها الله بطبيعة خلابة وساحرة ،وسط زرقة مياه المحيط الهندي . . لم تعرف غير الإسلام دينًا . . فاستظلّت بظله خلال ثمانية قرون متواصلة . . ووقفت تدافع عنه بصلابة و إيمان في وجه الاستعمار البرتغالي والبريطاني فهزمتهما وطردتهما . . ومازالت الدول الاستعمارية الغربية تنظر إليها بعين الحسرة والندم . وتسعى جاهدة في أن تجد لها موطيء قدم في هذه الجزر .

فمنذ أن انتشر الإسلام في الجزيرة العربية . أخذت قوافل السفن تنشر أشرعتها وتعمد إلى الإبحار من مرافئها حاملة التجار والدعاة المسلمين يجوبون البحار والمحيطات داعين إلى تحرير الإنسان من عبودية العباد وسائر المخلوقات إلى عبودية الله ، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدالة الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة .

وقد عَبَرَ هؤلاء المحيطات ينشرون العقيدة الإسلامية ، فعمَّ نور الإسلام بلادَ جنوب شرقي آسيا والمحيط الهادي ، وشبه القارة الهندية حتى وصولوا إلى الجزائر البعيدة في عمق المحيط الهندي على الشاطيء الجنوبي للقارة الآسيوية حيث « جمهورية مالديف الإسلامية » . . والتي وصفها الرحالة ابن بطوطة بأنها : « **إحدى عجائب الدنيا ، ولوحة عائمة لجمال الطبيعة الساحرة الخلابة** » .

هذه الجزائر تمتاز بجوٍّ استوائي معتدل رطب على مدار السنة ، ويبلغ متوسط درجة الحرارة فيها نحو 25 درجة مئوية . وفي نهاية شهر الطير « ابريل » تهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية محملة بالأمطار الخفيفة ، تزداد رويدًا رويدًا لتنهمر بغزارة في شهريْ الصيف وناصر « يونيو ويوليو » ثم تنعطف الرياح فجأة إلى الشمال الشرقي في شهر كانون « ديسمبر » مودِّعةً موسم الأمطار مستقبلةً موسم الحصاد .

تقع جمهورية المالديف جنوب القارة الآسيوية ، وعلى بعد 650 كيلومتر من الشاطيء الغربي لسري لانكا . وتشغل في المحيط الهندي مساحة طولها 800 كيلومتر بعرض 115 كيلومتر في أوسع الأماكن .

وتتكون المالديف من نحو 2000 جزيرة . منها ما يقارب ألـ 202 جزيرة آهلة بالسكان . . وهذه الجزائرمرجانية رملية لا توجد فيها جبال ولا أنهار ، إلا بحيرات عذبة في بعض الجزائر ، وهي بالغة الصغر بصفة عامة ، فكبرى هذه الجزائر لا يزيد طولها على اثني عشر كيلومترًا ، ولا يتجاوز عرضها خمسة كيلومترات .

وعاصمة المالديف هي جزيرة « ماليه » ، وتسكنها الغالبية العظمى من السكان ، وتوجد فيها المؤسسات والمصالح ومرافق الدولة . وتقع على بعد 3 كيلومترات من العاصمة جزيرة « هلولي » التي يوجد بها مطار المالديف الدولي .

الأصول التي ينحدر منها شعب المالديف

ينحدر الشعب المالديفي من نفس الأصول العرقية التي ينحدر منها الشعب السري لانكي . ويرى المؤرخون أن الشعب المالديفي ينتمي أصلاً إلى الجنس الآري . الذي نزحت جماعات منه قبل الميلاد من شمال الهند إلى سري لانكا وبقية المناطق المجاورة للهند . ومع ذلك لا يمكن دحض فرضية وجود مستوطنين بهذه الجزائر قبل وصول الهجرة الآرية .

أما في المرحلة التاريخية اللاحقة فقد اختلط المالديفيون بالعنصر العربي والعنصر الإفريقي ، ويظهر ذلك بوضوح في سمات المالديفيين .

لغة المالديف

اللغة الوطنية الأساسية لشعب المالديف تسمى « **الديفيهية** » . أما في الماضي فكانت هناك لغة « **الايلو** » وهي التي كانت تعرف بها اللغة السنهالية القديمة « لغة سري لانكا » واللغة السنسكريتية أيضًا .

ومع دخول الإسلام إلى المالديف تأثرت لغتهم باللغتين العربية والفارسية .

وقد كانت الكتابة المالديفية تشبه إلى حدٍّ كبير الكتابة السنهالية القديمة . وكانت تتمُّ من الشمال إلى اليمين . أما الكتابة الحالية التي تسمى « **تانا** » والتي رسخت منذ نحو مئتي سنة مضت فترسم على العكس السابق من اليمين إلى الشمال . مع ملاحظة أن بعض حروف اللغة المالديفية تشبه تمامًا الحروف العربية . والمسلمون هناك يتحدثون اللغة العربية ومنهم من يتحدثها بطلاقة . بل إن 82% من الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن سن ألـ 15 عامًا يعرفون القراءة والكتابة باللغة العربية .

بالرغم من أنه لا يُعرف من تاريخ المالديف الكثير قبل أن تصبح بلادًا إسلامية إلا أنه يمكن القول حسب ما ذكرته كتب التاريخ بأن الهجرة الجماعية الأولى إلى هذه الجزائر تمت منذ ألفي عام على وجه التقريب .

ومن الثابت تاريخيًا أن الإسلام قد وصل إلى هذه الجزائر النائية في عمق المحيط الهندي في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي تقريبًا عن طريق التجار وعلى يد أحد الدعاة المغاربة « **الشيخ أبي البركات يوسف البربري** » في عهد السلطان محمد بن عبد الله ـ حسب رواية الرحالة ابن بطوطة ـ الذي أقام في هذه الجزائر عام 1345 م وأطلق عليها اسم « **محل ديب** » .

وقد شهد التاريخ المالديفي فترتين استعماريتين هما : ـ

أولاً : فترة الاستعمار البرتغالي التي استمرت نحو سبع عشرة سنة ابتداءً من عام 1558 م حيث كانت مالديف تابعةً في تلك الفترة للحاكم البرتغالي المقيم بالقواعد البرتغالية في « **جوا** » بالهند . وقد تصدَّى الشعب المالديفي بقيادة « **محمد تاكورنان** » لجيوش الاستعمار البرتغالي وتمكن من هزيمتها وطردها في عام 1574 م .

ثانيًا : شهدت المالديف في الفترة الاستعمارية الثانية نوعًا آخر من الغزاة الذين قدموا من شواطيء « **مالابار** » في جنوب الهند ، وتمكنوا من احتلال العاصمة المالديفية عام 1752 م لمدة قصيرة لكن الشعب المالديفي هبَّ من جديد وتمكن من طردهم .

وفي عام 1887 م أصبحت المالديف محمية بريطانية تدفع إتاوة سنوية للحكم البريطاني في « سيلان » . ثم توقفت في عام 1948 عن الدفع حيث منحت شكلاً من أشكال الحكم الذاتي .

وفي يوم 26 من شهر ناصر « يوليو » عام 1965 حصلت المالديف على استقلالها وأصبحت دولة ذات سيادة . وفي عام 1976 تمكنت من إجلاء القاعدة البريطانية « **جان** » لتتخلص من آخر مظهر من مظاهر الاستعمار البغيض .

شعب مسلم بكامله

يبلغ عدد سكان هذه الجزائر نحو 182 ألف نسمة يدينون جميعاً بالإسلام الذي وصل إليهم عن طريق العرب ، الذين وفدوا إلى مالديف حاملين معهم رسالة الإسلام .

وقد توحّدت هذه الجزائر تحت راية الإسلام وهزمت جيوش الغزاة الاستعماريين « برتغاليين وبريطانيين » ، ووقفت بصلابة أمام المحاولات التبشيرية والحرب المعلنة والمستترة لزحزحتهم عن دينهم . . . ولم تفلح أيٌّ من الديانات المسيحية أو البوذية أن تجد لها موطيء قدم في هذه الجزائر . . واندحرت كلُّ محاولات الاستعمار الواحدة تلو الأخرى ، وبقي الشعب المالديفي بأكمله على دين الإسلام . وقد انعكس ذلك على الدستور المالديفي الذي لا يسمح لغير المسلم بالإقامة الدائمة في أرضها . . والإفطار في نهار رمضان بلا عذر شرعي يُعَدُّ جريمةً يعاقَبُ عليها . . كما يُمْنَعُ صناعة وتناول المشروبات الروحية منعًا باتًّا في هذه الجزائر.

توطيد علاقات المالديف بالدول العربية والإسلامية

لقد سعت جمهورية المالديف منذ استقلالها إلى إعطاء طابعها الإسلامي المتميز هذا بُعدًا عالميًّا أكثر فأكثر فعمدت إلى توطيد العلاقات الأخوية الطيبة مع الدول العربية والإسلامية الشقيقة . وكانت أول سفارة فتحت في المالديف هي سفارة الجماهيرية العظمى ، التي تربطها بالشعب المالديفي علاقات متينة ، تتعمق يومًا بعد يوم .

فالمالديف اليوم جمهورية إسلامية تضم شعبًا مسلمًا بكامله ، تقف بشموخ كمنارة تنطلق منها مشاعل الهدى والنور في جنوبي آسيا وترشدها إلى طريق النجاة . . وقنطرة وصل بين شعوب القارة الآسيوية والإفريقية في جنوب المحيط الهندي المتطلعة إلى الإسلام .

أسس الاقتصاد المالديفي

الحرفة الرئيسة لغالبية سكان المالديف هي صيد الأسماك حيث يعتبر السمك الثروة الوطنية الرئيسة في البلاد . فالظروف الطبيعية والمهارة التي اكتسبها الصيادون عبر أجيال طويلة جعلت من الصيد حرفة أساسية ذات عائد كبير . وبذلت الحكومة المالديفية مجهودات كبيرة لتطوير صناعة السمك باستخدام أحدث الوسائل في صيد الأسماك ، و إقامة مصانع لتبريد وتعليب وتصدير هذه الثروة إلى الأسواق الخارجية .

هذا إلى جانب صناعة الأثاث والتحف والقوارب والملابس الجاهزة . كما يعمل بعض المواطنين في التجارة وهي المصدر الثاني للدخل القومي ، وتأتي الزراعة في المرتبة الرابعة بعد الصيد والتجارة والسياحة . وأهم حاصلات هذه الجزائر هو جوز الهند الذي تمتاز زيوته بقيمة غذائية عالية .

السياحة إحدى دعامات الاقتصاد

وتعتبر السياحة إحدى دعامات الاقتصاد المالديفي ، حيث تجتذب هذه الجزائر معظم السياح من مختلف دول العالم لجمال طبيعتها ونظافتها ونقاء هوائها ، وسحر شواطئها وزرقة مياهها الصافية ، وكثرة طيورها ذات الألوان الزاهية ، وهدوئها واستقرار أمنها . فلا وجود للجرائم بفضل الإسلام الذي يدين به أهلها وينعكس على أخلاقهم ومعاملاتهم وأوجه حياتهم . . هذا بالإضافة إلى اعتدال الأسعار وتكاليف الحياة المعيشية ، مما جعل السياحة تنتعش انتعاشًا سريعًا . . وتوجد الآن 52 جزيرة على مقربة من العاصمة « ماليه » معدة إعدادًا حديثًا للسياحة .

نشر التعليم الديني

و إذا كان التعليم هو المقياس الأساسي لتقدم الشعوب وسمو مكانتها في هذا العصر . .

فقد بدأت جمهورية المالديف الاهتمام بتعليم أبنائها تعليمًا يتماشى ومتطلبات العصر ، ويمكّنهم من النهوض بجزائرهم المعزولة في عمق المحيط الهندي وفق إمكاناتهم المحدودة والمتاحة .

فعملت المالديف على بناء الإنسان على عقيدة الإيمان بالله ، الركيزة الإسلامية الأساسية للمواطن الصالح ، وربته على فعل الخير سلوكًا ومنهجًا وعطاءً طيبًا في مختلف أوجه الحياة ، في مجتمعه ، وفي انتمائه المميز لعالَمِه الإسلامي . فخطت المالديف خطوات حثيثة في هذا المجال عن طريق نشر التعليم الديني في ربوعها وربطه بمتطلبات تطوير هذه الجزائر وتنميتها . .

قبل إدخال نظام التعليم الأكاديمي في المالديف كان التعليم يسير على طريقة التلقين المباشر ، وكانت هذه المجهودات ذات طابع ديني ، كما كانت مجهودات فردية تزدهر حينًا وتضمر حينًا آخر.

وفي بداية عام 1950 افتُتِحت المدارس النظامية بهدف إعداد القوة البشرية اللازمة لإدارة الوظائف الحكومية . .

وقد حاولت الحكومة الحالية منذ تولِّيها شؤون البلاد عام 1978 م التغلب على المشاكل التعليمية الموروثة من الاستعمار عن طريق إقامة نظام تعليمي حديث وموحد في جميع أنحاء الجزائر يقوم على تنمية المناهج وفقاً لثقافة البلاد ومتطلباتها العصرية . فأقرت منهجاً تعليميًّا موحدًا يغطي المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، وطبقت هذه المناهج ابتداءً من عام 1984 فقامت بفتح مدرسة في كلٍّ جزيرة من الجزائر المئتين ، كما أولت العناية بالمدارس الأهلية الموجودة في بعض الأقاليم وقدمت لها المساعدات الضرورية لأداء رسالتها .

ويتميز الشعب المالديفي بأن الغالبية العظمى منه يعرفون القراءة والكتابة . فحسب إحدى الإحصائيات تبيَّن أن 82% من المواطنين الذين تزيد أعمارهم عن 15 عامًا يعرفون القراءة والكتابة عن طريق التعليم الديني الذي يقوم على المجهودات الفردية غير النظامية « نظام الكتاتيب » في المساجد والمنازل والذي استمر حتى اليوم .

هذا المعهد يعتبر المؤسسة الأولى والوحيدة التي تقوم بمسؤولية التعليم الديني ونشر اللغة والثقافة العربية في ربوع البلاد ، وغرس المباديء والتعاليم الإسلامية السمحة في نفوس الشباب ، و إعداد أجيال قوية مؤمنة قادرة على تحمل المسؤولية ، وقيادة هذه الجزائر في إطارها الإسلامي إلى مشارف المجد والتقدم .

وتَمَّ افتتاح هذا المعهد في عام 1980 ليكون نواةً لجامعة إسلامية في المستقبل القريب . . ومركزًا للإشعاع الإسلامي في منطقة المحيط الهندي .

فبالإضافة إلى تغطية هذا المعهد للمرحلة المتوسطة في الدراسات العربية والإسلامية فإنه يقوم بما يلي : ـ

ا ـ تحقيق مستوى تعليمي ديني باللغة العربية يمكِّن الطلاب من الالتحاق بمدارس وجامعات الدول العربية والإسلامية ومعاهدها الإسلامية العليا .

ب ـ إعداد معلمي التربية الإسلامية واللغة العربية وتأهيلهم لغويًّا وتربويًّا للتدريس بالمدارس الابتدائية والمتوسطة .

ج ـ تدريب أئمة المساجد وتأهيلهم لتدريس القرآن الكريم إلى جانب عملهم في المساجد .

د ـ إعداد قضاة للمحاكم الأولية في الجزائر .

هـ ـ تحفيظ القرآن الكريم مع تعليم أحكام التلاوة والتجويد .

و ـ إعداد برامج الإذاعتين المرئية والمسموعة ، وبرامج التعليم الذاتي الخاص بنشر اللغة العربية ، وتعليم تلاوة القرآن الكريم .

ز ـ إعداد مناهج التربية الإسلامية ، والإشراف على تدريسها بالمدارس .

ح ـ الإشراف على تعليم اللغة العربية بالمدارس ، وتأليف الكتب المنهجية ، وتزويد المدارس بالمعلمين في هذا المجال .

وكانت الجماهيرية العظمى سباقةً قبل غيرها من الدول العربية والإسلامية إلى تقديم يد العون والمساعدة لهذا الصرح الإسلامي ، وساهمت في تزويده بالمدرسين والكتب

الدراسية . حيث تقوم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ تأسيس هذا المعهد بإيفاد المدرسين والقراء للوعظ والإرشاد وتعليم اللغة العربية في هذا المعهد وغيره من مدارس مالديف .

كما تقوم الجمعية بإيفاد القراء والوعاظ بمناسبة شهر رمضان المبارك في كل عام إلى المالديف لنشر الوعي الديني وتثقيف المواطنين . بالإضافةإلى المنح الدراسية التي تقدمها لطلبة مالديف للدراسة بمعاهد وجامعات الجماهيرية العظمى .

إن معهد الدراسات الإسلامية ـ برغم تواضع إمكاناته ـ استطاع خلال سني عمره القليلة قيادة المجتمع المالديفي إلى آفاق رحبة باتجاه عالمهم الإسلامي الذي يجدون فيه انتماءهم التاريخي الأصيل . .

معرفة اللغة العربية للتعمق في فهم الإسلام

إن انعزال هذه الجزر بعيدًا في عمق المحيط الهندي ساعدها كثيرًا على الاحتفاظ بالدين الإسلامي وقيمه وسلوكياته الحميدة ، التي لاتزال تميز الشخصية المالديفية حتى اليوم . .

فقد انتشرت المساجد والكتاتيب ، وتفرغ الدعاة إلى تعليم الناس أمور دينهم ، واهتموا بتعليم كل أفراد المجتمع ، واتخذوا من المساجد والمنازل والزوايا ساحاتٍ مفتوحةً للتعليم .

وبدأ دخول اللغة العربية إلى مالديف مع وصول التجار والدعاة العرب ، ثم بعد ذلك مع بعض البعثات التعليمية العائدة من الدول العربية .

و إذا كان انتشار الإسلامي في أيامه الأولى لم يرتبط بانتشار اللغة العربية في هذه الجزائر ، واقتصر على تعليم قراءة وكتابة وحفظ القرآن عن طريق التلقين من غير معرفة للمعنى في الغالب والأعم . . فإن معرفة اللغة العربية أصبحت ضرورية بعد ذلك للوصول إلى فهم القرآن والتعاليم الإسلامية فهمًا عميقًا ، بالدرجة التي أدت إلى إلمام 82% من أفراد الشعب المالديفي بالقراءة والكتابة باللغة العربية في سبيل فهم الإسلام الذي نزل بالعربية من مصدره الأصيل .

وقد برز من بين أفراد الشعب المالديفي من يتقن الخط العربي بأنواعه الكوفي والنسخ والرقعة . . إلخ . . وتنفرج أسارير الوجه المالديفي عندما يحس أنك تتحدث اللغة العربية .

محاولات الغزو الثقافي الدخيل

إن مجتمع المالديف المسلم مئة في المئة ، لم يكن في منأى من الغزو الثقافي الغربي ، وحملات التنصير وجحافل التبشير التي تجوب مختلف بلدان العالم ، وخاصة الإسلامية منها ، لخلخلة هذه المجتمعات ونشر أفكارها وتعاليمها . بل كانت كغيرها تعرضت ومازالت تتعرض لكثير من هذه الحملات لتدمير هذا الصرح الحضاري الإسلامي الذي شُيِّدَ عبر أجيال عديدة وظلت محافظة عليه حتى اليوم . .

فإذا كان دستور المالديف لا يسمح لغير المسلمين بالإقامة الدائمة في جزائرها ، فإن السياحة التي تعتبر دعامة من دعامات الاقتصاد المالديفي ظلت ثغرة في جدار هذه الجزائر ، يُسرِّبُ من خلالها السياح الأفكار والتعاليم والعادات والتقاليد الغربية الدخيلة ، ويخشى بمرور الزمن أن تعشش هذه الأفكار والدعوات الهدامة في هذا المجتمع الإسلامي ، إذا لم يُحسب حسابها ويقدَّر خطرها . ويُبنى لها جدار سميك من الوعي الثقافي الإسلامي والعقيدة العميقة ، من خلال جميع الأجهزة التعليمية والتثقيفية والإعلامية والدعاة ، إلى جانب جهاز المراقبة الرسمية من قِبَلِ الدولة لمواجهة كلِّ البدائل المطروحة في الساحة من مواد دخيلة بعيدة عن الإسلام ودعوته ، كالأغاني وأفلام الفيديو ، والمجلات والكتب وغيرها من وسائل الغزو الثقافي الغربي الحديث والمبتكر .

هذه الجزائر يجب أن تبقى مسلمة

المجتمع المالديفي مسلم بالفطرة ، ومتعصب بشكل قاطع لدينه الإسلامي ، مما جعل الإسلام الدين الأوحد المتفرد في هاتيك الجزائر خلال ثمانية قرون .. فلا أثر يذكر للديانات الأُخرَ هناك . . هذا التفرد جعل المبشرين ، وأدوات الاستعمار ، وأعداء

الإسلام بمختلف هيئاتهم وتعدد مشاربهم لا يغمض لهم جفن ولا تنام لهم عين إذ يودُّون لو ينفذون إلى هذه القلعة الإسلامية الحصينة التي وقفت بشموخ تسخر من جميع محاولاتهم المتحيزة . .

ومن هنا ينبع خطر المرحلة الآنية والمستقبلية لهذه الجزائر .. فالعالم الإسلامي ككل مستهدفٌ ومهددٌ بشكل خطير من قِبَلِ القوى المستكبرة أعداء الإسلام الذين يشنون غارات يومية على القلاع الإسلامية المقفلة في وجهها ، ويبذلون جهودًا مضنية لمنازعة الإسلام في البلاد التي ترسَّخَ قدمه فيها ، بهدف زعزعته في نفوس أتباعه بأحدث الوسائل والأساليب . .

لقد بدأت هذه الحملات في الماضي بغزو فكري منظم ومدروس ، ووضعت له القواعد والأسس والوسائل ، وكانت البداية مع انتشار مدارس التبشير المعروفة التي عملت على نشر الفكر الاستعماري ، وترسيخ مفاهيم الغرب . . وكانت هذه المدارس مدعومة بإمكانات كبيرة مادية ومعنوية . .

واليوم تطورت هذه الأساليب أكثر فأكثر ، بفعل التطور والتقدم المادي والعلمي ، وتوسعت الأطماع لتشمل كلَّ الشعوب الإسلامية ، والأراضي الإسلامية . بل الإسلام هو المستهدف في نفوس هذه الشعوب . . . والحديث في هذا المجال يطول ويطول . . لكن جزائر المالديف بموقعها الاستراتيجي الذي تتوسط به القارة الآسيوية والإفريقية ، بإسلامها المتفرد تجذب إليها العيون الاستعمارية بشدة وتتركز عليها بدرجة النفاذ . .

وإذا كان الدور الأساسي في حماية هذه الجزائر أمام الأطماع المتحيزة ، يقع على عاتق أبنائها بالدرجة الأولى ، فإنه يجب على العالم الإسلامي ألاَّ يُفرط في هذه القلعة الإسلامية ، ويدعها نهبًا لأطماع الطامعين الاستعماريين ، بل يجب تقديم العون والمساعدة والوقوف الفعلي إلى جانب الشعب المالديفي من أجل المحافظة على دينه الإسلامي ورفع رايته في تلك الجزائر النائية . . فهذه الجزائر حباها الله بمؤهلات مادية وطبيعية واستراتيجية لأن تكون قلعة للإسلام ، ومركز إشعاع للدعوة الإسلامية توصل بين شعوب الجنوب الغربي لقارة آسيا والجنوب الشرقي للقارة الإفريقية ، وذلك للأسباب التالية : ـ

* جمهورية مالديف هي إحدى البلدان القليلة في العالم التي تصل نسبة الإسلام فيها إلى 100% .

* خلو المجتمع من عناصر التفكك والصراع لعدم وجود أحزاب سياسية أو طوائف دينية أو عقد عنصرية ، والتفاف الجميع تحت راية الإسلام ، وحب الخير ، والعمل يدًا واحدة ، من أجل التطور والنماء .

* تواضع نسبة السكان حيث لا تزيد عن 182 ألف نسمة في كل هذه الجزائر مجتمعة .

* وجود نحو 800 جزيرة لا تزال خاليةً من السكان يمكن أن تستوعب الزيادة المتوقعة في عدد السكان في المستقبل .

* خلو البيئة من المشاكل الصحية والأمراض الاجتماعية المعقدة واقتصار المشاكل على بعض المسائل البسيطة سهلة الحل .

* عدم سماح الدستور المالديفي بالإقامة المستديمة لغير المسلمين .

* وجود قيادة منحازة للإسلام وسند شعبي كبير ومجتمع موحد ومتماسك . .

كلُّ هذه المميزات والمؤهلات تجعل المالديف جديرة بأن تصبح قلعةً حصينة ، ومنارة للإشعاع الإسلامي في هذه المنطقة من العالم ، تنطلق منها رسالة التوحيد إلى الشعوب التواقة لنور الإسلام في السواحل الجنوبية لقارتيْ آسيا وإفريقيا .

كما أن هذه المزايا التي تزخر بها هذه القلعة الإسلامية الصامدة جعلها تحضن الدورة السادسة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية خلال شهر كانون « ديسمبر » 1988. إلى جانب احتضانها في نفس الوقت للندوة الإسلامية العالمية حول دور اللغة العربية في نشر الدعوة الإسلامية ، وذلك في إطار التعاون المثمر البناء بين حكومة مالديف وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي دأبت على تدعيم التضامن الإسلامي ، والعمل على رفعة الإسلام والمسلمين ، وتحقيق مستقبل أفضل لهم برفع مستواهم الاجتماعي والثقافي والحضاري ، ودعمهم في مواجهة الأخطار التي تهددهم في عقيدتهم ومستقبلهم .

ومن هنا فإنه لا بد لمثل هذه الندوات والمؤتمرات وجميع الاهتمامات الإسلامية أن تتركز بقوة في هذه الجزائر، لتصبح المالديف منارة إسلامية شامخة لتأكيد دورها القيادي والريادي في تلك المنطقة البعيدة .

الفهرس

مقدمة 5

الفصل الأول : المسلمون في آسيا 11

1 ـ فلسطين عربية 13
2 ـ أندونيسيا أرخبيل الجزائر الإسلامية 47
3 ـ الإسلام في الفليبين 79
4 ـ ماليزيا الأرخبيل الذي احتضن الإسلام باكرًا 103
5 ـ المسلمون في تايلاند 121
6 ـ أفغانستان مقبرة الغزاة 133

الفصل الثاني : المسلمون في إفريقيا 155

1 ـ السنغال قلعة الإسلام في إفريقيا. 157
2 ـ موريتانيا جسر العروبة والإسلام إلى إفريقيا 177
3 ـ الإسلام في نيجيريا 191
4 ـ الإسلام في مالي 211
5 ـ الإسلام في جنوب إفريقيا العنصرية 229

الفصل الثالث : المسلمون في أوروبا 259

1 ـ المسلمون في فرنسا 261
2 ـ الإسلام في الأندلس 285
3 ـ المسلمون في اليونان بين الميز العنصري والتهجير 309

الفصل الرابع : المسلمون في أستراليا 327

---

1 ـ الإسلام أول دين سماوي عرفته قارة أستراليا 329

الفصل الخامس : الأقليات الإسلامية 351

---

1 ـ مأساة المسلمين في بلغاريا .. الجذور والأبعاد 353

2 ـ المسلمون في يوغسلافيا 375

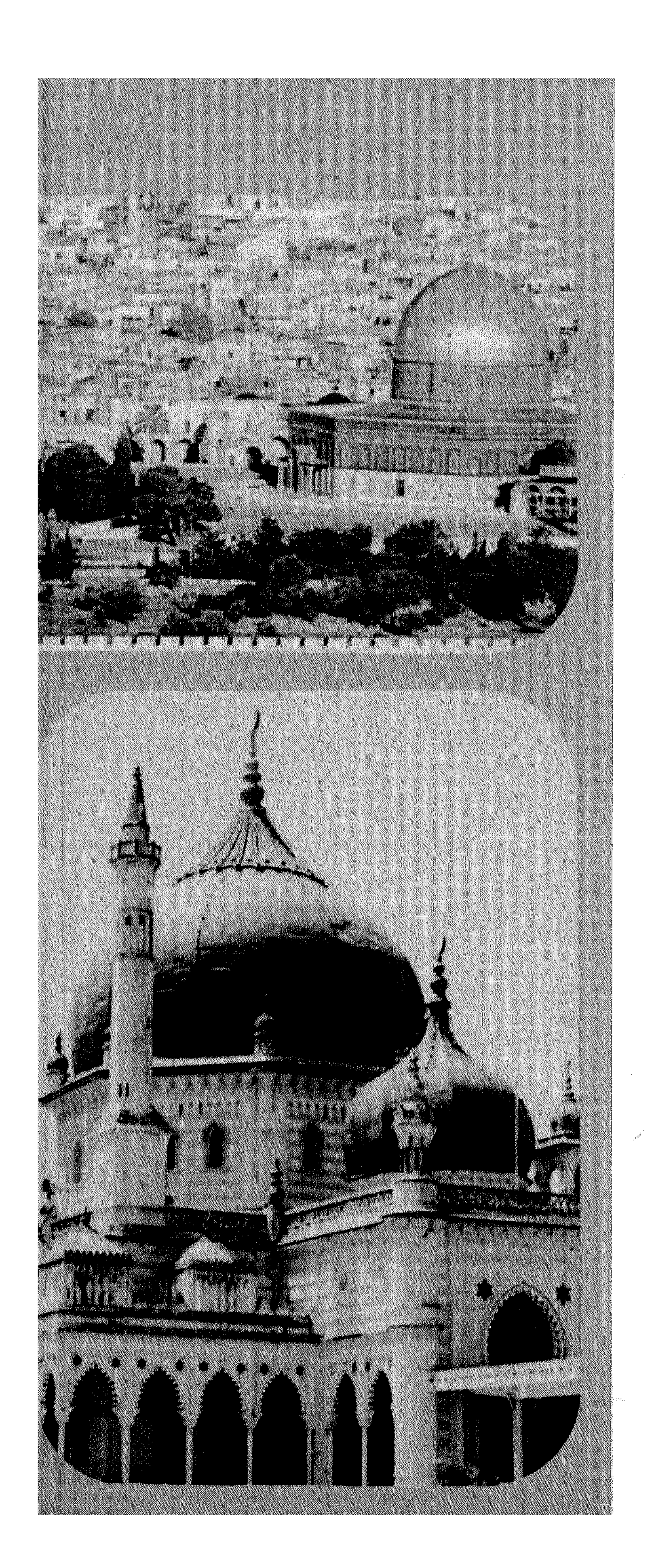
3 ـ مستقبل الإسلام في كوريا 391

الفصل السادس : المسلمون في الجزائر 405

---

1 ـ مالطا والإسلام . . بين الماضي والحاضر 407

2 ـ المالديف . . الجزائر التي لم تعرف ديناً غير الإسلام 433



بين دفتي هذا الكتاب يحلق القاريء بين قارات العالم ، ليقف على مشاهد بالصورة والكلمة لأحوال المسلمين وواقعهم ، الذي يدين صراحة حضارة العصر ، بما أفرزته من نظم تمارس الدكتاتورية والهيمنة والعنصرية باسم الحضارة الزائفة ، ضد عالمنا الإسلامي المستهدف الأول ، الذي تحمَّل ولايزال يتحمَّل الجزء الأكبر من حقد وهمجية الغرب الاستعماري ، فأينما تيمِّم وجهك فثمة حرب وقودها المسلمون ! !

ومن هنا فإن «هذا الكتاب» يسلط الأضواء على بعض بؤر المواجهة والتحدِّي ، ويكشف كثيرًا مما تحاول الدوائر الغربية وعملاؤها إبقاءه في دائرة التعتيم والتجهيل .

نحن على مشارف قرن جديد ، وأعتاب حقبة تاريخية لها مقدماتها الساخنة ، وإيقاعاتها واحتمالاتها المتغيرة المتسارعة ، كما نشاهد اليوم . . بل نحن أمام خارطة أوروبا الموحَّدة ، والبيت الأوروبي الواحد ، والمعادلة العالمية الحسابية الصعبة . . الشيء الذي يفرض على أمتنا الإسلامية واجب الوقوف مع النفس ، وواجب المراجعة التاريخية ، وتقويم كلِّ شيء من الجذور ، وتوحيد إرادة الأمة في ضوء (المعادلة العصرية) لتصبح الرقم الصعب ، كخير أمة أُخرِجَتْ للناس ، قادرة على منح هذا العالم النموذج الإسلاميِّ الحضاري الذي فيه خلاص البشرية بكاملها .

الناشر